تفسير

فتح الرحمن

ملخص من تفاسير القرآن

حُقوق الطبع محفوظة

الطّبْعَة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة دار الإيمان

هاتف: ٨٢٢٥٨١٧ - فاكس: ٨٢٦٢٨٥٦ - ص.ب: ٢٥١٤٥
المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No:7
Daire: 4 Zeytinburnu - İST.

تفسير فتح الرحمن

ملخص من تفاسير القرآن

كتبه

قاري محمد بن نياز قاري

المقرئ في تحفيظ القرآن وتعليم القراءة
في ديار باليار كند من ولاية التركستان الشرقي

الجزء الأول

(سورة الفاتحة - سورة طه)

مكتبة دار الإيمان
المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستهديه على الأعمال التي ترضيه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له.

ونشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، في ذاته وصفاته، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ـ ويأتي معاني هذه الكلمات في سورة الحديد إن شاء الله ـ، ونشهد أن سيِّدنا ونبيّنا محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تمسَّك بهديه إلى يوم الدين.

أمّـا بـعـد: فإني أبتدىء بعون الله هذا التفسير الملخَّص من تفاسير القرآن، وسمَّيته «**فتح الرحمـٰن ملخص من تفاسير القرآن**». والله المستعان على إتمامه.

شرعت فيه في ١٤ رجب ١٤١٤ هجرية.

* * *

Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No: 7
Daire: 4 Zeytinburnu - İST.

سورة الفاتحة

آياتها سبع، وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ويفتتح كل سورة بالبسملة لأنها نزلت للفصل بين سورتين، وقيل: هي من السورة. وعند الشافعي رحمه الله تُجهر، وعند غيره تُخفى في الصلاة، كلتا الروايتان مرويتان عن ابن عباس.

سورة الفاتحة: مكية، آياتها سبع، نزلت حين فرضت الصلاة، وقيل أيضًا: نزلت حين حولت القبلة إلى الكعبة.

ولها أسماء، ومنها: **سُمِّيت بأُم القرآن**، لاشتمالها على المعاني التي في القرآن. وسُمِّيت **بفاتحة الكتاب**؛ لأنَّ القرآن افتتح بها. وسُمِّيت **سورة الشفاء والشافية**؛ لقوله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلَّم: «سورة الفاتحة شفاء لكل داء إلاَّ السام ــ يعني الموت». وسورة **المثاني**؛ لأنها تثنى في كل ركعة في الصلاة، ولهذا تُقرأ في كل ركعة لقوله ﷺ: «لا صلاة إلاَّ بفاتحة الكتاب». وغيرها من الأسماء لها. وقال الخازن: كثرة الأسماء تدل على فضيلتها.

ويستحب التأمين بعد قوله ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ إن كان إمامًا أو مأمومًا أو منفردًا.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ الألف واللام للاستغراق. (الحمد) هو الثناء الجميل على وجه التفضيل. واللام الأولى في لفظ الجلالة (لله) للاختصاص، يعني: تمام الحمد واجب وثابت لله تعالى، هو المستحق جميع الحمد؛ وفي الحديث: «الحمد رأس الشكر» وحقيقة الشكر شكر القلب، وذكره باللسان لإظهار العمل لله تعالى؛ لأن العبد يباشر بالجوارح الأعمال المأمورة، والجزاء يترتب على صاحبها بمقتضى عمله. (رب العالمين) الرب المالك للعالمين، أي: جميع الخلق، هو رازقهم، وكيف يشاء يصرفهم، وهم تحت قهره جلَّ وعلا.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ هما صفتان لله تعالى، وقيل: الرحمٰن صفة عامة يرزق بها جميع خلقه: مؤمنًا، وكافرًا، وصالحًا، وفاجرًا... وغيرهم من الحيوانات البرية والبحرية. وصفته الرحيم: يخص بها عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾، أي: يوم القيامة؛ فيه الحساب والجزاء، هو سبحانه وتعالى يحاسب جميع الخلق ويجازي على حسب أعمالهم.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾، أي: نخص العبادة لك لا نعبد غيرك ولا نستعين من غيرك في قضاء حاجاتنا، وأنت المستعان في كل حالنا.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ (الصراط): الطريق، أي: اهدنا وثبِّتنا على المنهج القيم لا زيغ فيه، وفيه رضاك.

ثم بين: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: طريق الذين

تفضلت عليهم، ووفقت صدق الإيمان والأعمال الصالحات والاستقامة فيها حتى أتاهم اليقين.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ بدل من الضمير في (أنعمت عليهم) صفة المؤمنين. والمغضوب عليهم هم اليهود؛ نقضوا العهود، كلّما عاهدوا خالفوا حتى غضب الله عليهم، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هم النصارى ضلوا عن الدين القيم بتثليث الإلـه وإضافة الابن على الله، تعالى الله عما يصفون ويشركون به.

اللّٰهمَّ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إلى دينك الحق، وهو دين الإسلام.

الحمد لله، تمَّت سورة الفاتحة بعون الله.

* * *

سـورة البـقـرة

آياتها مئتان وست أو سبع وثمانون آية، وهي مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١﴾ قال الخازن: إن حروف الهجاء المقطَّعة في أوائل السور من المتشابهات التي لا يعلمها إلاَّ الله وهي سرّ الله في القرآن، ونحن نؤمن بها ونكل العلم إلى الله. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: أنزل الله الحروف المقطعة في أوائل السور لإعجاز فصحاء العرب.. وغير ما ذكرنا أقوال للمفسرين كثير.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ هذا القرآن أُنزل إليك يا محمد، إنه من عند الله لا شك فيه أنه من كلام الله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، أي: هداية للمؤمنين الذين يمتثلون بأوامر الله ويجتنبون عن نواهيه، وبذلك يتخذون الوقاية عن النار.

ثم بيّن: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، أي: يصدقون بأخبار الله ورسوله عن أحوال يوم القيامة وعن الجنة والنار، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، أي: يؤدونها على أوقاتها بإكمال شروطها وأركانها وسننها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

﴿يُنفِقُونَ ۝٣﴾، أي: ومن ما أعطيناهم من المال يتصدقون للفقراء وذوي الحاجة ويؤدون زكاة مالهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، أي: يصدقون بالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور والصحف التي أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾، أي: وباليوم الآخر هم متيقنون ولا يشكون في وقوعها.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، أي: أولئك المتقون على استقامة في طاعة الله تفضلاً لهم من ربهم، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ الفائزون بالجنة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: جحدوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وأنكروا بالقرآن الكريم، ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، أي: خوفتهم من عذاب الله، ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾، أي: لا يصدقون بما أخبرتهم من أمور الآخرة؛ لأن كفرهم أزلي في علم الله، وهذا قَطَعَ الطمع عن إيمانهم من رسول الله ﷺ. ثم بيّن شأنهم فقال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، أي: طبع الله على قلوبهم أن لا يدخل فيها خير، ولا تَفْقَهُ شيئًا من الخير، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾، أي: الغطاء؛ لأنهم لا يسمعون كلمة الحق ولا يرون الحق حقًّا، فهم يتعامون عن رؤية دلائل وحدانية الله. ثم توعد عليهم فقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ في جهنم يذوقونه على الأبد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: بيوم القيامة. يذكر سبحانه وتعالى هنا ــ بعد ذكر الكافرين ــ الذين أظهروا الإيمان بألسنتهم وأبطنوا الكفر في قلوبهم وهم المنافقون. وردَّ الله عليهم قولهم

وادعاءهم الإيمان فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾، أي: وما هم بصادقين في إيمانهم، فهم كاذبون في إظهار الإيمان بألسنتهم؛ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي: يمكرون بالله وبالمؤمنين، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾، أي: إن مكرهم ووبال خداعهم راجع على أنفسهم في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ ولا يعلمون ذلك؛ لأن ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أي: نفاق على المؤمنين وشك في دين الحق، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ على مرضهم، أي: على نفاقهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: مؤلم، يذوقونه في الدرك الأسفل في جهنم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾، أي: بسبب كذبهم بالله وبرسوله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: لا تسعوا بالإفساد بين المؤمنين، أو لا تعصوا الله في أرضه؛ لأن المعصية سبب لقطع المطر وهلاك الزروع والمواشي، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾، أي: بينهم. فردَّ الله عليهم بحرف التنبيه ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾، أي: لا يعلمون ما أعد الله لهم من العذاب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾، أي: أخلصوا إيمانكم لله تعالى، صادقين في إيمانكم، كما آمن المهاجرون والأنصار وعبد الله بن سلام منكم ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾، قولهم هذا إنكار للنصيحة وجحد للإيمان بالله وحده. وردّ الله عليهم بحرف التنبيه ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾، أي: الجهلاء والحمقاء، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ سفاهتهم وخيبة عاقبتهم.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾، أي: وإذا التقى المنافقون

بالمؤمنين قالوا: آمنا معكم. وقولهم هذا مجاملة ونفاقًا منهم. ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾، أي: إلى أصحابهم الشياطين ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾، أي: إنا على دينكم ومصاحبتكم، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾، أي: مستسخرون على هؤلاء ومستخفوهم. فقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الله يستسخر بهم ويمهلهم إلى أجل مقدر عليهم وهم في طغيانهم ونفاقهم يتحرون بين الكفر والإيمان، ويجازون في الدرك الأسفل من النار في الآخرة.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ أولئك المنافقون اختاروا الضلالة والكفر بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام. قال ابن كثير رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه: أخذوا الضلالة بالإيمان؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾، إسناد الربح بالتجارة مجازًا، أي: ما ربحوا في اختيارهم الضلالة دون الإيمان بالله وحده، ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ إلى الرشد وإلى الإيمان بالله وحده وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وقد خسروا خسرانًا مبينًا.

ثم يضرب الله المثل عليهم: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾، أي: شأنهم كمثل الذي أوقد نارًا، ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾، أي: كلما أضاءت النار حول الموقد ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾، والمراد من النور الإيمان بالله وحده، فآمنوا أولاً ثم تركوه واختاروا الكفر؛ وتركهم الله في ظلمات الكفر والنفاق وهم لا يبصرون طريق الهداية، ولا يهتدون إلى الإيمان بالله وحده، ولا يصدقون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

ثم زاد من المثل مافيه تبكيت وتقبيح عليهم ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾، شبّههم الله بالأصم الذي لا يسمع إذا خوطب عليه وبالأبكم الذي لا يستطيع أن يتكلم وبالأعمى الذي لا يرى أمامه، والحال أنهم يسمعون الخطاب ويردون الجواب بلسانهم ويرون أمامهم ويمشون إلى حيث يريدون. وقوله: ﴿ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾، أي: لا يرجعون عن كفرهم ونفاقهم في علم الله؛ لأنهم مختومون بالكفر والشقاوة.

وضرب الله للمنافقين مثلاً آخر فقال: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾، أي: مَثلهم كمَثل مطر ينزل من السماء فيه رعد، وهو صوت شديد مزعج يخرج من تلاطم السحاب، وبرق هو نور مضيء كشعلة هائلة، ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ الصواعق: جمع صاعقة، وهي نار تنزل في أثناء الرعد، حيث نزلت أحرقت، فيجعلون أصابعهم في آذانهم كيلا يدخل صوت الرعد في آذانهم، حذرًا من الموت، ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ من كل جهة لا مفر ولا مهرب لهم.

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ يقرب البرق أن يأخذ أبصارهم بسرعة فيعميهم، ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ ﴾، أي: كلما أنار لهم الطريق مشوا فيه، ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾، أي: وقفوا في مكانهم لا يرون الطريق. وهذا مثل ضربه الله للمنافقين. والمراد من ضوء البرق القرآن؛ فيه نور وهداية إلى الصراط المستقيم، والمراد من الظلمة الكفر والنفاق؛ وفي الكفر والنفاق بلاء ومحن في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ ولو شاء الله لأذهب أسماعهم بقصف صوت الرعد في آذانهم، ولأذهب أبصارهم بضوء البرق في

أعينهم، ولكن الله سبحانه وتعالى أخرهم إلى الآخرة لحكمة منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ لا يعجزه شيء في تعذيب الكافرين والمنافقين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ قال الخازن والنسفي: كلما ذكر في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهو خطاب لمشركي مكة، و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فخطاب لأهل المدينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾، أي: وحدوا ربكم الذي أوجدكم من العدم وصوّركم على أحسن تقويم ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم الماضين قبلكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾، أي: لعلكم تحمون أنفسكم من عذاب الله وتفوزون بالجنة.

فالله ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾، أي: مبسوطة مذلّلة حيث تشاؤون، فتذهبون وتتخذون بيوتًا للسكن، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، أي: سقفًا مرفوعًا فيها الشمس والقمر والنجوم، وتعجز عقول الناس عن إدراكها، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ سمّى السحاب سماء لأنه مرتفع إلى جهة السماء، أي: وأنزل من السحاب مطرًا، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ﴾، أي: فأنبت بماء المطر ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ من أصناف الثمرات والزروع رزقًا لكم، ومنها لدوابكم، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ جمع ند، أي: لا تجعلوا لله شريكًا تعبدونه، فعبادة غير الله كفر لله وكفر على نعم الله، فلا تكفروا بالله، ولا تشركوا به ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنه جلّ وعلا خالقكم ورازقكم، فكيف تصرفون عبادته لغيره؟.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾، وإن كنتم أيها المشركون في شك مما نزلنا على عبدنا محمد فأتوا بسورة من مثل سور القرآن، وادعوا

آلهتكم تستعينوا بهم إن كنتم صادقين في دعواكم. وهذا أبلغ تعجيز وتبكيت. ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ وإن لم تستطيعوا الإتيان بسورة مثل سوره، ولن تستطيعوا أبدًا، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾، أي: فاخشوا واحذروا النار التي هُيِّئت للكافرين. [والمراد من الناس: المشركون، والحجارة: أصنامهم التي يعبدونها]، فآمنوا بالله وحده ولا تشركوا به.

قال النسفي: السورة مدنية وهذه الآية مكية نزلت في جملة السورة في المدينة.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، أي: أخبر يا محمد الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ﴾ (جنات): جمع جنة، سُميت جنة لاستتارها من كثرة الأشجار فيها. (الأنهار): جمع نهر، وهي جداول ومجاري الماء. والآية فيها أسلوب مجازي، أي: يجري الماء من تحت الأشجار وأمام قصور أهل الجنة، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ﴾، أي: كلما أطعموا في الجنة من أثمارها طعامًا ﴿قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾، أي: من قبل هذا، ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ﴾، أي: وأوتوا بالمرزوق قبل هذا ثمارًا متشابهًا باللون مختلفًا في الطعم ظنوا أنها مثل الأول، ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ طاهرة من دم حيض ونفاس، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وأهل الجنة مقيمون في الجنة، متنعمون مع أزواجهم على الأبد، لا لغو فيها ولا تعب.

ثم ذكر إنكار اليهود على ضربه المثل بالذباب والعنكبوت في القرآن، فقال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا

بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (ما) موصولة، و (بعوضة) مفعول ثانٍ بيضرب، والبعوضة أصغر الحيوانات من الحشرات، ويضرب المثل بالذي أكبر من البعوضة، وكلٌّ ملكُهُ، لا اعتراض عليه.

ثم بيَّن موقف الناس من ذلك المثل فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، أي: فأما الذين آمنوا بالله وحده وبالقرآن المنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فيعلمون بعلم اليقين أن ضرب المثل في القرآن حق من ربهم لا يشكون فيه.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ وأما الذين كفروا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبضرب المثل في القرآن فيقولون: أيّ شيء أراد الله بهذا البعوض والعنكبوت مثلاً.

قال تعالى مبيِّنًا حكمته، وردًّا عليهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾، أي: يضلُّ بضرب المثل كثيرًا من عباده، ويهدي به كثيرًا منهم. ثم بين من يضلُّ فقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾، أي: وما يضل بضرب المثل إلاَّ الخارجين عن طاعة الله وهم اليهود والمنافقون.. وغيرهم من الكفار والمشركين.

ثم بيَّن سبحانه وتعالى صفات الفاسقين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، أي: الذين يخالفون ما عاهد الله عليهم من بعد أخذ الميثاق منهم، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من صلة الرحم على الأقارب، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويسعون بإلقاء الشبهة على المؤمنين للإفساد والتفريق بين المؤمنين، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾، أي: هم الجانون على أنفسهم في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى لمشركي مكة على وجه التبكيت والتقريع: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ (كيف): استفهام للإنكار والتعجب، أي: كيف تكفرون أيها المشركون بعد إقامة الحجة والدلائل الواضحة وقد كنتم أمواتًا في أصلاب آبائكم نطفة، ثم في أرحام أمهاتكم جنينًا، فأحياكم بنفخ الروح فيكم، ثم تولدون في وقت مقدر لكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في انقضاء أجل الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ للحساب والجزاء؛ فتحاسبون عن دينكم وعن أعمالكم وتجازون عليها، فإن كان خيرًا فجزاؤكم خيرًا، وإن كان شرًّا فجزاؤكم شرًّا؛ لأن الله لا يظلم مثقال ذرة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ هو الله الذي خلق لكم ـ أيها الناس ـ جميع ما في الأرض من مخلوقاته لتنتفعوا بها وتستدلوا على كمال قدرة الله، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ ثم قصد إلى خلق السماء فخلقهن سبع سموات، أي: سبع طبقات مستويات لا صدع فيهن ولا فطور ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ وهو سبحانه وتعالى عليم في إيجاد كل شيء وهو قادر على كل شيء.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي: اذكر يا محمد إذ (قال ربك للملائكة: إني جاعل)، أي: خالق (في الأرض خليفة)، أي: يخلف بعضه بعضًا بالتوارث، أو أن المعنى: يخلفني في تنفيذ أحكامي إلى خلقي. وعلى هذا المعنى يكون أول خليفة آدم عليه السلام ثم الأنبياء.

﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال الملائكة متعجبين: أتجعل، أي: تخلق في الأرض من يفسد فيها بالمعاصي وسفك

الدماء ـ جمع الدم ـ فيقتل بعضهم بعضًا بغير حق؟ وعرف الملائكة ذلك من فساد الجن؛ لأن الجن أول مخلوق قبل آدم، وقد اختلفت أقوال المفسرين في هذا الموضوع. ثم قال الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، أي: ونحن ننزهك عن الصفات والنقائص ملبين بحمدك، يعني: نقول: (سبحان الله، والحمد لله)، على الدوام، ونطهرك عن كل صفة لا تليق بك؟! ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قال تعالى: إني أعلم حكمة خلق بني آدم وأنتم لا تعلمون تلك الحكمة، فسوف يكون فيهم الأنبياء والأولياء والصالحون، هم عباد الله الطائعون لأمر الله، ويكون منهم المرتكبون للمعاصي والكافرون بربهم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: علّم الله آدم أسماء الأشياء كلها حتى القصعة والمغرفة، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾: ثم عرض المسميات على الملائكة ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾، أي: أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في زعمكم أني أخلق من يفسد ويسفك الدماء فقط، ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾، أي: تنزيهًا لك عن الاعتراض عليك ولا علم لنا في حكمة إيجاد بني آدم، ما يكون وما لا يكون فيهم إلاّ ما علمتنا مما سيكون وأنت العليم الحكيم، لا تفعل شيئًا إلاّ لعلم وحكمة.

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ﴾، أي: أخبر يا آدم الملائكة بأسماء هؤلاء، ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فلما أخبر آدم عليه السلام بأسماء هؤلاء، ﴿قَالَ﴾، أي: الله عزّ وجل ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الاستفهام ههنا للتعجيز، أظهر الله عجزهم

عليهم. وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ﴾ إلى آخر الآية: يدل أن علم الغيب له جلَّ وعلا، ويعلم ما يظهر من العباد من الأعمال ويعلم ما يكتمون، لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ اذكر يا محمد أننا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم إلَّا إبليس؛ كان إبليس من جملة المأمورين بالسجود لآدم فأبى، أي: امتنع عن السجود لآدم ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ وتكبَّر، قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ وكان في علم الله من الكافرين، سبقت شقوته عليه، فما نفع إيمانه بالله باعتراضه وامتناعه عن السجود لآدم.

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، خلق الله آدم وحيدًا ــ وكان في الجنة ولا أحد معه يستئنس به ــ فنام، فخلق الله من ضلعه الأيسر زوجته حواء، ولمَّا استيقظ رأى حواء وهي جالسة عنده، قال: من أنت، قالت: زوجتك لتسكن إليَّ وأسكن إليك. وقال الله تعالى لهما بعد إسكانهما الجنة: ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾، أي: فكلا من ثمار الجنة أكلاً واسعًا هنيئًا لا مغص فيه، وأين شئتما فيها، ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، أي: استثنى الله شجرة واحدة، فأمرهما بعدم الأكل منها. واختلفت أقوال المفسرين في نوع الشجرة، قيل: هي الحنطة، وقيل: التين، وقيل: الكرم، وهي من شجر الدنيا أيضًا. والمعنى: لا تقربا لأجل الأكل منها؛ إن أكلتما منها تعصيان الله ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ فتصيرا من الظالمين الذين أوجبوا القصاص والعقاب على أنفسهم بارتكاب المعصية.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾، أي: أوقعهما في الزلة والتعب وتسبب الخروج عن الجنة، ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾، أي: أخرج إبليسُ آدمَ وحواءَ

من النعيم السرمدي. وإنما أسند الإخراج إلى إبليس لأنه تسبَّب بهذا الخروج.

﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، أي: انزلوا إلى الأرض. إن المأمور بالنزول هم: آدم وحواء وإبليس والحية؛ لأن إبليس دخل الجنة في جوف الحية والخزنة ما تدري، ونزل آدم في السرنديب من الهند، ونزلت حواء في جدة، ونزل إبليس في الأبلّة من البصرة وقيل في البحر، والحية في أصبهان. وقوله ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾: فلا يزال إبليس يغوي بني آدم، والمؤمنون يستعيذون بالله منه ومن إغوائه.

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾، أي: ولكم أيها الناس ــ يا بني آدم ــ في أرض الدنيا محل استقرار لكم وتسكنون فيها وتعيشون وتتمتعون فيها إلى انقضاء آجالكم وإلى يوم القيامة.

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ فأخذ آدم من ربه كلمات التوبة، وهن قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾، ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾، أي: قَبِل توبته إنه جلَّ وعلا يقبل توبة التائبين برحمته لهم.

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ سبق تفسيرها، وتكرارها للتأكيد، ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾، أي: رسول وكتاب فيه أمر لطاعتي ونهي عن معصيتي، ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾: فمن تمسَّك بأمري واجتنب عن ما نهيت عنه فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون في الآخرة. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ بالله وبرسوله ﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ وجحدوا بالقرآن ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾، أي: مقيمون في عذاب جهنم على الأبد.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بنو إسرائيل هم اليهود، أصولهم تعود إلى أولاد يعقوب عليه السلام الاثنا عشر. والله سبحانه وتعالى يذكِّرهم ما أنعم الله على آبائهم: من غرق فرعون وأتباعه في الماء، وتظليل الغمام عن حر الشمس، وإنزال المائدة في التيه، وغير ذلك من النعم التي لا تحصى. ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ هو العهد الموثوق عليهم في التوراة والإنجيل بأن يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن سمعًا وطاعة، ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾، أي: أوف بما عاهدت لكم وهو الجنة، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾، أي: خافوا عقابي في نقض العهد ولا تخافوا غيري.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ إليكم في القرآن ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾، أي: موافقًا لما في التوراة والإنجيل، ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾، أي: بالقرآن، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾، أي: لا تأخذوا بآياتي عوضًا قليلًا من حطام الدنيا في الحكم بين اثنين أو في تغيير صفة النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾، أي: خافوني، ولا تخافوا غيري.

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾، أي: لا تخالطوا الحق الذي أنزل في التوراة بالباطل الذي كتبتموه بأيديكم من تغيير صفة النبي محمد ﷺ ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ الذي أنزل في التوراة ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾، والحال أنكم تعلمون أن ما في التوراة من الأحكام ومن صفة محمد النبي المبعوث إلى الناس كافة، وبعد وضوح العلم جحدتم وأنكرتم رسالته.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أي: صلوا الصلوات الخمس المفروضة على المسلمين محافظين على شروطها وأركانها وسننها،

﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ﴾ مع المسلمين، خص بالذكر الركوع لأنها من أركان الصلاة؛ ولا ركوع في صلاة اليهود.

﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾: استفهام للتقريع والتعجب من شأنهم، أي: تأمرون الناس بالثبات على الإيمان بما جاء به محمد ﷺ أو تأمرونهم باتباع ما في التوراة وما فيها من صفة محمد ﷺ وبأعمال الخير ﴿ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾، أي: تتركون أنفسكم، ولم تعملوا ما أمرتم به في التوراة ﴿ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾، وهذا أبلغ تبكيت على علماء اليهود.

ثم وجّه الخطاب إلى المسلمين فقال: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾، أي: اطلبوا العون من الله على طاعته بالصبر على تكاليف المأمورات والصلاة؛ ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ ثقيلة وشاقة ﴿ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يستيقنون ﴿ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ ﴾، أي: إنهم إلى ربهم راجعون بأعمالهم ويحاسبون عليها.

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾، أي: أنعمت على آبائكم وأسلافكم ــ حيث جعل الله منهم أنبياء وملوكًا ووسّع لهم الأرزاق ــ ، ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ ﴾، أي: عالَمِيْ زمانهم. ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴾، أي: خافوا من يوم القيامة؛ فيه الحساب والجزاء، حيث ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾، أي: لا تقضي نفس عن نفس أخرى شيئًا، كلٌّ يقول: نفسي نفسي، ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ إن كانت النفس كافرة، ــ أما المؤمنون فيشفع بعضهم لبعض بأمر الله ــ ، ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾، أي: لا يؤخذ من هذه النفس الكافرة فدية بدل العذاب، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝ ﴾ على النجاة من عذاب الله.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، أي: اذكروا يا بني إسرائيل حيث نجينا أسلافكم من عذاب فرعون وأتباعه؛ ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، أي: يكلفونكم أشد الأعمال، وهم يستعبدونكم ويعذبونكم فيها، فهم ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ وسبب قتل أولاد بني إسرائيل: فقد ذكر أن فرعون رأى في المنام أنه خرجت نار من بيت المقدس أحرقت مصر وأهله إلاَّ بني إسرائيل؛ فقال الكهنة في تعبير هذه الرؤيا: يولد غلام في بني إسرائيل هلاكك وزوال ملكك في يده، فأمر فرعون أن يقتل كل مولود ذكر ويترك الأنثى للخدمة.

وقال الخازن: قتل اثنا عشر ألفًا أو سبعة عشر ألفًا. وجاء رؤساء القبط إلى فرعون فقالوا: قتل أولاد بني إسرائيل وأسرع الموت على مشيختهم، ويوشك أن يقع العمل علينا؛ فأمر فرعون بأن يقتل منهم سَنَة ويترك منهم سَنَة، وموسى عليه السلام وُلد في السنة التي يقتل فيها، وهارون عليه السلام وُلد في السنة التي لا يقتل فيها.

﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (وفي ذلك): إشارة إلى صنع فرعون ببني إسرائيل من قتل أولادهم وتعذيبهم في الأعمال الشاقة، (بلاء)، أي: امتحان واختبار عظيم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ اذكروا حيث فرقنا، أي: فصلنا لكم البحر ودخلتم فيه ونجوتم من الغرق، ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي: تشاهدون انطباق الماء عليهم. وبيان هلاكهم في الماء سيأتي إن شاء الله في سورة الشعراء أكملَ من هذا.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ بعد هلاك فرعون واعد الله موسى عليه السلام بأن يعطيه التوراة بعد أربعين ليلة ــ أي: أربعين يومًا ــ ، وذلك

في ذي القعدة وعشر ذي الحجة، وفيها أحكام الشريعة يحكم بها، وفيها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وحكم العبادات، ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، أي: من بعد ذهاب موسى إلى الطور ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾، أي: على أنفسكم بعبادتكم لغير الله، ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، أي: بعد عبادتكم العجل ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ على عفونا عنكم.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ اذكروا يا بني إسرائيل، فقد آتينا موسى التوراة فيها أحكام الشريعة، ويفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام؛ لكي تهتدوا إلى الصراط المستقيم الذي فيه رضى الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ معبودًا، ﴿ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾، أي: خالقكم، ﴿ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ توبة لله تعالى. قالوا: كيف نقتل أنفسنا؟ وتراحموا بعضهم بعضًا وهم على حيرة، فأرسل الله سحابة سوداء فأظلّتهم فقتلوا بعضهم بعضًا، فوقع القتل على المجرم بإذن الله وسلم المطيع لأمر الله، ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إشارة إلى أن القتل والطاعة لأمر الله خير ﴿عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ عند خالقكم، ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ تقبل الله توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾، أي: يقبل توبة التائب عن ذنوبه برحمته إن لم يصرّ على ذنوبه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، أي: عيانًا برأي العين، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾، قيل: هي النار نزلت عليهم، وقيل: هي الصيحة، كلاهما سبب الموت، وهم ينظر بعضهم بعضًا لما هلكوا، وموسى عليه السلام يبكي ويقول: يا رب كيف؟ ماذا أقول لبني إسرائيل؟ ويتضرع، فأحياهم الله وهم ينظر بعضهم بعضًا،

وذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ثم أحياكم إلى بقية آجالكم لعلكم تشكرون على نعمة الإحياء بعد الموت، ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ وكان ذلك الظل بأن سخَّر الله لهم السحاب يظلهم عن الشمس، وأنزل عليهم (المن)، وهو ترنجبين ينزل كل يوم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، لكل إنسان صاعًا، و (السلوى)، وهو طير يشبه السماني، وأمرهم الله أن لا يدخروا للغد، وقال لهم: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾، أي: كلوا من حلال ما رزقناكم. ولكنهم خالفوا الأمر فادّخروا، فقال: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وما كان ضرر مخالفتهم علينا، ولكن ضرر مخالفتهم راجع على أنفسهم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾: هي بيت المقدس أو أريحا، سُميت قرية لاجتماع الناس ساكنين فيها، وذلك بعد الخروج من التيه، ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا ﴾، أي: من ثمارها وزروعها، ﴿ حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾، أي: واسعًا لكم، ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾، أي: منحنين ومتواضعين وليس كسجدة الصلاة، ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾، أي: حط عنا خطايانا، ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾، أي: ذنوبكم، ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ثوابهم ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أنفسهم ﴿ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ فقالوا قولاً غير القول الذي أمروا به، قالوا: حنطة، ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا ﴾، أي: عذابًا، ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾، قال الخازن والسيوطي: ماتوا في ساعة واحدة، سبعون ألفًا.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ حيث طلب موسى عليه السلام لقومه ماء في التيه ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾، أي: فقلنا لموسى اضرب

بعصاك الحجر، فضرب الحجر ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عدد أسباط بني إسرائيل، وسال الماء ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ قد علم كل سبط مشربهم، وقلنا لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾، والعثي: أكبر الفساد.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾، وكان طعامهم في التيه المن والسلوى، والمائدة تنزل لهم كل يوم، ولم يقنعوا بذلك، فطلبوا غيره وقالوا: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ وهذه البقول لا توجد إلاَّ في مصر.

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾، أي: أخس وأردأ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، أي: أفضل وأشرف؛ لأنها نزلت من عند الله معجزة لموسى عليه السلام. ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ من الأمصار، ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ فيها. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، أي: جعلت عليهم الذلة والهوان في نظر غيرهم، و﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾، أي: الفقر، ولو كانوا أغنياء بالمال، وهم لا يقنعون كالفقير، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، أي: رجعوا وأوجبوا على أنفسهم اللعنة والغضب من الله، ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما سبق ذكره من إضلالهم، ويذكر سبحانه وتعالى أيضًا سبب استحقاقهم غضب الله ولعنته عليهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، أي: بكتب الله ومعجزاته المنزلة على الأنبياء ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ يتجاوزون عما شرع الله عليهم، ويخالفون أمر الله، ويرتكبون نواهيه.

ثم يذكر سبحانه وتعالى الملل: المؤمنين، واليهود، والنصارى، والصابئين فيقول:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله وحده وبرسالة محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم، وبالكتب المنزلة من الله، ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾: هم اليهود أمة موسى عليه السلام، ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: هم أمة عيسى عليه السلام، ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: اختلفت أقوال المفسرين فيهم، وهم قوم رجعوا عن دين اليهودية والنصرانية، فإن ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿ بِٱللَّهِ﴾ وحده وبرسالة محمد عليه السلام والقرآن ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي: لهم ثواب إيمانهم وأعمالهم الصالحات، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾، فلا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الآخرة حين يخافون من عذاب الله، ولا هم يحزنون على ما تركوا من الدنيا من أولاد ومال، لأن ثواب الآخرة أكبر وأبقى.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل، أي: أخذنا عهدكم بأن تعملوا بما في التوراة فأبيتم ولم تعملوا ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: (الطور) هو جبل من جبال بيت المقدس أمر الله جبريل فاقتلعه من تحته فرفعه فوق رؤوسهم كظلة. وقلنا لهم ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزم ﴿ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، أي: تدرسوا ما فيه من الأحكام وقصص الأمم الماضية فتتعظون بها لعلكم تتخذون الوقاية دون عذاب الله وتفوزون بالجنة. ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، أي: أعرضتم من بعد أخذ الميثاق بما في التوراة، ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بإمهال العذاب عنكم لتتوبوا عن معاصيكم ﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ الهالكين في الدنيا، والمعذبين في الآخرة.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ ولقد درستم وعلمتم قصة أسلافكم الذين اعتدوا على أمرنا في يوم

السبت، وذلك أن الله نهاهم عن الصيد في يوم السبت حتى يتفرغوا لعبادة الله، فتركوا العبادة واصطادوا، فغضب الله عليهم، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾، أي: ذليلين مهانين، ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾، أي: عقوبتهم بالمسخ ﴿نَكَالًا﴾، أي: عذابًا لهم، ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾، أي: عبرة لمن هم حولهم في الحال ولمن بعدهم، وضمير التأنيث راجع إلى العقوبة، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾، أي: جعلناها موعظة يتعظ بها المتقون فلا يخالفوا أمر الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، ـ أول القصة: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ وستأتي ـ.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ...﴾ إلى آخر الآية. قال الخازن: كان رجل في بني إسرائيل غنيًا وكان ابن عمه رجلاً فقيرًا وهو الوارث له، فطال عمره، فقتله ليرثه، فحمله إلى قرية أخرى، فألقاه عند بابها، ثم طلب منهم دية القتيل، فأنكروا، ثم جاء معه أناس من قومه إلى موسى عليه السلام وذكروا أمر القتيل، قالوا: ادع الله ليبين لنا. فسأل موسى عليه السلام ربه، فأمر الله أن يذبحوا بقرة، فقال موسى عليه السلام: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، أي: أتستهزىء علينا؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾، أي: الهازئين بالمؤمنين.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ بأي وصف هي؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾، أي: إن الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، أي: لا مسنة ـ أي: كبيرة في السن ـ ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾، أي: ولا صغيرة لم تبلغ السن، عوان، أي: وسط بينهما. قال موسى عليه السلام: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾، أي: ما أمركم الله به، وهو سبحانه وتعالى عالمٌ الحكمةَ من ذبح البقرة.

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ أيّ لون لونها؟ ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ إذا نُظِر إليها.

﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ أيُّ شيء وصفها؟ أسائمة في الخلا أو عاملة في الحرث؟ ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾، أي: التبس واشتبه علينا، ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ إلى الوصف المطلوب. وفي الحديث: «لو لم يقولوا: (إن شاء الله) لما بينت على الأبد».

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ ﴾، أي: تحرث الأرض، ﴿ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾، أي: ولا تعمل لنزع الماء من البئر لسقي الزروع، ومسلمة عن العيوب، لا ألوان أخرى غير لونها إذ إنها صفراء. ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ﴾، أي: بالوصف التام، فطلبوها فلم يجدوا بقرة على الوصف المطلوب، حتى وجدوها عند اليتيم، فاشتروها بملء مسكها ذهبًا، والمسك هو الجلد، ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾، أي: وما قاربوا أن يفعلوا بما أمروا به.

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ﴾، أي: اختصمتم ودافعتم القتيل بعضكم بعضًا، [وقصة القتيل ذكرت عند قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ﴾]، ﴿ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ من أمر القتيل، فإن الله مُظهر الحق ومُبطل الباطل، ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾، أي: اضربوا بعض القتيل ببعض البقرة. قيل: ضربوه بلسانها، وقيل: بعظم من عظامها فأحياه الله فقال: قتلني فلان ابن عمي، ثم سقط ميتًا، ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ مثل إحياء ذلك الميت يحيي الله الموتى يوم البعث، ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾، أي: تدركون أن الله قادر أن يبعث جميع الخلق أحياء للحساب والجزاء.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾، أي: من بعد ظهور الدلائل الواضحات، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾. وإنما شبه الله القلوب القاسية بالحجر حيث لا يدخل فيه شيء ولا يؤثر عليه الماء، وكذا القلب القاسي لا تدخل فيه الرحمة ولا تؤثر عليه الموعظة. وقوله: ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾، أي: أشد غلظة وجفاء، ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ﴾ (الحجارة): جمع حجر، ـ اللام للتأكيد، وما موصولة ـ ، والمعنى: وإن من الحجارة ما يتفجر الماء منها عيونًا كالأنهار، ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ وإن منها، يخرج الماء من شقوقه، ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾، أي: يتردى من أعلى الجبل إلى الأسفل من خوف الله، ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ أيها القاسية قلوبكم فتحاسبون يوم القيامة، وتجازون على كفركم برسالة رسول الله وعلى عدم انقيادكم لأمر الله. وفي الآية تقريع وتوبيخ على اليهود.

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾، والخطاب إلى رسول الله وأصحابه، أي: أفتطمعون أن يصدقكم اليهود بما أخبرتم من أمر الله ويستجيبوا لكم؟ الاستفهام لقطع طمع المؤمنين من إسلامهم؛ ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾، وقد كان طائفة من اليهود ـ وهم علماؤهم ـ يسمعون كلام الله من قراءة موسى عليه السلام لهم ثم يحرفونه، أي: يغيرون صفة النبي محمد عليه الصلاة والسلام وآية الرجم من التوراة، وذلك من بعد ما عقلوه وفهموه. والحال أنهم يعلمون كذبهم وخيانتهم في كتاب الله.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ وإذا لقوا ـ أي إذا لقي المنافقون ـ أصحابَ رسول الله ﷺ قالوا: آمنا بالذي آمنتم ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

﴿بَعۡضٖ﴾، وإذا ذهب المنافقون إلى علماء اليهود ﴿قَالُوٓاْ﴾، أي: قال المنافقون لليهود: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ في التوراة من نعت محمد وأصحابه؟ والمعنى: لا تخبروهم؛ ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦﴾ أفلا تفهمون الضرر منه عليكم؟ والاستفهام للتهديد والإنكار.

قال تعالى تقريعًا وردًّا على قولهم ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧﴾ فإن الله يعلم ما يخفون بينهم وما يعلنون للمؤمنين.

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ﴾ ومن اليهود أميون ما درسوا قط ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ جمع أمنية، أي: يقولون متمنين: إن الله يعفو عنا، ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ ليسوا هم إلا يحسبون أن الله يعفو عنهم.

قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، أي: عذاب شديد للذين يكتبون الكتاب بالتحريف وتغيير صفة النبي ﷺ من التوراة ثم يقولون لليهود ـ الذين لا يقرؤون ولا يكتبون وهم أميون ـ: هذا من عند الله ﴿لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾: اللام للتعليل من التحريف والتغيير، أي: لأجل أن يشتروا بما كتبوا ـ أي علماؤهم ـ ثمنًا قليلاً، أي: عوضًا يسيرًا ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾، أي: من السخط والحرام.

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾ وقال اليهود: لن تصيبنا نار جهنم إلاَّ أيامًا معدودة، يعني: أيام عبادتهم العجل ـ هي أربعين يومًا ـ. وروي عن ابن عباس: قالت اليهود: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، ونعذب سبعة أيام، لكل ألف سنة يومًا.

﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾؟ قل يا محمد لهم: هل اتخذتم عند الله عهدًا أن لا يعذبكم على كفركم وعلى افترائكم على كتابه؟ ﴿ فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ وعده؟ ﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠ ﴾ بل تقولون ما لا تعلمون. وهذا تجهيل وتوبيخ لهم.

﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ﴾: في قوله تعالى ﴿بلى﴾ رد على دعواهم ﴿لن تمسنا النار إلاَّ أيامًا معدودة﴾ وإثبات العقاب لمن ﴿كسب سيئة﴾، أي: عمل عملاً سيئًا ﴿وأحاطت به خطيئته﴾، أي: سيئاته، قال ابن عباس: إذا مات على الشرك، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١ ﴾، أي: مقيمون في العذاب على الأبد.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بالله وحده ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، أي: الأعمال الصالحات للقبول عند الله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢ ﴾، أي: مقيمون فيها ومتنعمون على الأبد.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الميثاق): العهد المؤكد من الله على بني إسرائيل في التوراة، ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾، أي: اجعلوا العبادة لله وحده ولا تشركوا به شيئًا. ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾، أي: أحسنوا بالوالدين إحسانًا، بالخدمة والعطاء وبالقول الحسن، ولا تغضبوا عليهما، ولا تتأففوا منهما. وكذا بذي القربى من صلة الرحم، واليتامى والمساكين، ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾، أي: قولاً حسنًا مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالقول الذي تلين به قلوبهم ويوافقهم. ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إقامتها: أداؤها محافظين على

شروطها وأركانها وسننها، ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، أي: أدوها كما أوجب الله عليكم بغير بخس. ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾، أي: أعرضتم عن العهد وتركتموه ولم تعملوا به، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ مثل عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا واستقاموا في دين الإسلام، ﴿ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ وهذا خطاب لليهود الذين نقضوا العهد وتحذير لكل مسلم من أن يخل بأوامر الله أو ينقض العهد.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾، أي: لا تقتلوا بعضكم بعضًا، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾، أي: لا تخرجوا بعضكم بعضًا فتخرجون من دياركم، ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾، أي: ثم قبلتم الميثاق ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ يا معشر اليهود في التوراة على إقرار أسلافكم على الميثاق ولكن لم تعملوا به.

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ وهذا الخطاب يخص اليهود الذين في عهده ﷺ في المدينة، وقال ابن كثير في تفسيره: كان اليهود في المدينة ثلاث قبائل، وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وبنو قريظة حلفاء الأوس وإذا قامت الحرب بين الأوس والخزرج كانت كل قبيلة تعاون حلفاءها على أعدائها، ويقتل اليهود يهوديًّا ويؤسر اليهود يهوديًّا وينهبون ما لهم ويخرجونم من بيوتهم، وذلك حرام في التوراة، ﴿ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾، قوله: (تظاهرون)، أي: تعاونون على إخراجهم بالظلم والاعتداء، ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ ﴾ جمع أسير، ﴿ تُفَٰدُوهُمْ ﴾، أي: تأخذون الفدى من عدوكم وتردوا الأسير عليهم ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ في التوراة.

ثم وبَّخهم الله فقال: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾، والمعنى: أفتؤمنون ببعض الكتاب مما تهوى أنفسكم وتتركون

ما لا تهوى أنفسكم؟! وكان من إيمانهم: أنهم يرضون أخذ الفداء من عدوهم، ويردون الأسير على أعدائهم، أو يفدون من أسره عدوهم منهم. وأما كفرهم: فكان منه أنه يخرجون أصحابهم ومن هم منهم فيقتلونهم أو يخرجونهم من ديارهم، والله حرم عليهم ذلك، فأباحوه لأنفسهم. قال مجاهد: تفديه من يد غيرك وتقتله أنت بيدك؟!

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الخزي): الهوان في نظر الناس، وكان من الهوان عليهم قَتْلُ بنو قريظة، وإجلاء بني النضير إلى خيبر، ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى فلسطين. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ في نار جهنم، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ من كتمان حكم الله وتحريف صفة النبي ﷺ في التوراة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أولئك اليهود اختاروا لذاتِ الحياةِ الدنيا ومنافعها ونسوا نعيم الآخرة، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾، أي: لا يمنعون من عذاب الله.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾، فمن بعد موسى عليه السلام أرسلنا رسولاً بعد رسول إلى عهد عيسى عليه السلام، وشريعتهم واحدة، ويحكمون في أممهم بما في التوراة ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، أي: الدلائل الواضحات، يعني: المعجزات، وهن: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإنجيل فيه أحكام الشريعة، ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ وقوّيناه بجبريل، حيث يسير وجبريل معه، ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾؟ استفهام للتقرير والتقريع، أي: كلما جاءكم يا معشر اليهود رسول بما لا يوافق على آرائكم الفاسدة تكبرتم عليهم ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾،

أي: كذبتم فريقًا، أي: عيسى ومحمدًا عليهما الصلاة والسلام، وقتلتم فريقًا، أي: زكريا ويحيى وغيرهما من أنبياء بني إسرائيل.

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ جمع أغلف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ، أي: أوعية للعلم، فلا يحتاجون لعلم النبي ﷺ، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ برسالة محمد وعيسى عليهما السلام ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾، أي: يؤمنون قليلاً بما يوافقهم ويكفرون كثيرًا بما يخالفهم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾، أي: موافق لما في التوراة ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ وكان اليهود قبل بعثة النبي ﷺ ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾، أي: يستنصرون بمحمد عليه الصلاة والسلام على أعدائهم الكافرين، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾: فلما جاءهم بالرسالة التي عرفوها في التوراة جحدوا وكفروا به، ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾، أي: على اليهود ومن كان مثلهم، لأن الآية نزلت في يهود المدينة، ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾، أي: بئس ما باعوا أنفسهم بحظوظ الدنيا ﴿ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾، أي: القرآن ﴿ بَغْيًا ﴾ حسدًا ﴿ أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ من عباده، هو سبحانه وتعالى عالم بمن يليق بالرسالة ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾، قال ابن عباس: الغضب الأول: بتضييع التوراة، وتغيير صفة النبي ﷺ، والثاني: بكفرهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ عذاب شديد ذو إهانة، يهينهم ويذلهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ وإذا قيل لليهود: آمنوا بالقرآن الذي أنزل على محمد، ﴿ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾، يعني: التوراة، ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾، أي: ويكفرون غير التوراة، يعني: الإنجيل

والقرآن، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾، أي: القرآن حق من الله موافق لما في التوراة، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ وهذا رد على قولهم: (نؤمن بما أنزل علينا)، فقل يا محمد ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ إنما خاطب الله اليهود الذين في المدينة في زمنه ﷺ لأنهم رضوا على قتل أسلافهم الأنبياء، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بما في التوراة من الأحكام، إذ قتل الأنبياء وقتل غيرهم محرم عليكم في التوراة.

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات، هن الآيات التسع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبلغكم أمري ونهاكم عن المنكر ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾، أي: من بعد ذهاب موسى إلى الطور ــ هو جبل في سيناء ــ ليأخذ التوراة اتخذتم العجل معبودًا وأنتم ظالمون لأنفسكم بعبادتكم غير الله.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، أي: خذوا ما آتيناكم بعزم وجد [وقد سبق تفسيرها صفحة ٢٨]، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ بما أمرتم به وأطيعوا، ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ بما جاء في التوراة من الأوامر والنواهي ﴿وَعَصَيْنَا﴾، أي: خالفنا، وتركنا العمل به، فقال الله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ وأدخلوا في قلوبهم حبّ العجل بسبب كفرهم بالله. ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ والمعنى: بئس الإيمان إيمانكم؛ يأمركم بعبادة غير الله، إذ كنتم مؤمنين بعبادة العجل.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ وهذا تكذيب على دعواهم الباطلة أنه لن يدخل الجنة إلاّ من كان يهودًا أو نصارى، وقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، قال الله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا۟

ﵟٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٤ﵞ في دعواكم ﵟوَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚﵞ ولن يتمنوا الموت بسبب ما قدموا من الأعمال السيئات. وإضافة العمل إلى أيديهم لأن الإنسان يباشر العمل باليد، ﵟوَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٩٥ﵞ لأنهم عبدوا العجل، قال تعالى: ﵟإِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ﵞ.

ﵟوَلَتَجِدَنَّهُمۡﵞ يا محمد ـ أي: اليهود ـ ﵟأَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖﵞ، أي: أشد الناس حرصًا وحبًّا لحياتهم في الدنيا ﵟوَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚﵞ، أي: مشركي العرب ﵟيَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُﵞ، أي: لو يعمر أحد اليهود في الدنيا ﵟأَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِﵞ وهذا التعمير ليس بمبعده من عذاب الآخرة ﵟوَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦ﵞ من تحريف وكتمان في كتاب الله والمعاصي في أرض الله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عبد الله ابن صوريا ـ حبر من أحبار اليهود ـ قال للنبي ﷺ: أيّ ملك ينزل عليك؟ قال: جبريل، قال: ذلك عدونا، ينزل بالعذاب علينا، لو كان ينزل ميكائيل لآمنّا بك، فأنزل الله ردًّا على ذلك: ﵟقُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِﵞ، أي: فإن جبريل نزّل القرآن على قلبك بإذن الله ﵟمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِﵞ، أي: موافقًا لما في التوراة والإنجيل ﵟوَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ﵞ وهداية للمؤمنين وبشرى لهم بالجنة.

وقال الله تعالى ردًّا على قول ابن صوريا أيضًا: ﵟمَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨ﵞ الكفر على بعض الرسل كفر على جميعهم، وعلى بعض الملائكة كفر على جميعهم، وكذا الكتب التي أنزلها الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ ولقد أنزلنا إليك يا محمد آيات مبينات واضحات معانيها ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٩٩﴾، أي: الخارجون عن طاعتنا والجاحدون بآياتنا، وهذه الآية أيضًا رد على ابن صوريا.

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠﴾، قال الخازن: قال ابن عباس: لمَّا ذكَّرهم رسول الله ما أخذ عليهم من العهود في محمد ﷺ بأن يؤمنوا به، قال مالك ابن الصيف: والله ما أخذ علينا عهد في كتابنا أن نؤمن بمحمد ولا ميثاق، فأنزل الله ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ﴾ الآية استفهام للإنكار على نقض عهودهم، فنبذوا العهد، ولم يؤمن بمحمد ﷺ طائفة منهم بل أكثرهم لا يؤمنون بما في التوراة من العهود عليهم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾، أي: ولمَّا جاء محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة موافقٌ لما في التوراة من البشارة بمجيئه عليه الصلاة والسلام بالرسالة ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾، أي: طرح طائفة من اليهود التوراة ولم يؤمنوا بما فيها من البشارة بالإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾ الدلائل والبشارة في التوراة وجحدوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾، أي: تركوا كتاب الله واتبعوا ما تقرأ الشياطين من علم السحر والشعوذة التي كتبها الشياطين ودفنوها تحت كرسي سليمان ــ وذلك حين ذهاب ملك سليمان عليه السلام ــ أربعين يومًا من السحر عليه، قال الشياطين في كتابهم: إن

سليمان ملككم بهذا الكتاب، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فيتعلم ذلك الجهّال والسفهاء من الناس، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾، اختلفت أقوال المفسرين في هذه الآية، قال الخازن رواية عن ابن جرير الطبري: إن الله عرَّف عباده جميع ما أمر به وجميع ما نهى عنه، والسحر من جملة المنهيات، فأنزل الله الملكين ليختبر به عباده، وعلى هذا المعنى (ما) موصولة، أي: أنزل الله الملكين بعلم السحر ليمتحن عباده.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ حرف (من) مزيدة لتأكيد النهي عن التعلم علم السحر، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، أي: إن أهلَ السِّحْر ليسوا بضارين أحدًا إلاَّ بأمر الله، يعني: إن وافق سحرهم على أمر الله أثر سحرهم على المسحور، وذلك قدر من الله ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ويتعلمون علم السحر فيضر عليهم في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ولقد علموا اليهود أن السحر حرام في التوراة، ومن اختار علم السحر ما له في الآخرة من نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ ولبئس ما باعوا به أنفسهم باختيارهم حظ الدنيا الفانية والكفر بأمر الله ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ سوء عاقبة ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ ولو أن اليهود آمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام واتقوا، أي: اجتنبوا عن التعلم، علم السحر لثواب من عند الله خير لهم لو كانوا يعلمون ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾، قال الخازن والنسفي: سبب نزول هذه الآية: كان عليه الصلاة والسلام إذا ألقى على أصحابه حديثًا ويقولون راعنا، أي: راقبنا وانظرنا حتى نفهمه ونحفظه. وكلمة راعنا عند اليهود وفي لغتهم فيها معنى السب، فلما سمع اليهود تلك الكلمة من المسلمين اغتنموها، فكانوا يخاطبون رسول الله والمسلمين بها يريدون به المسبة على المسلمين. فنهى الله المسلمين عن التكلم بهذه الكلمة وأمرهم بأن يقولوا انظرنا. ﴿ وَٱسۡمَعُواْۗ ﴾ ما أمرتكم وأطيعوا ﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٠٤ ﴾ مؤلم يذوقونه في الآخرة.

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ما يحب اليهود، وهم من أهل التوراة ﴿ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ ﴾ ولا يحب المشركون أن ينزل عليكم من خير، أي: من الوحي من ربكم. وكانوا يحسدون على إنزال الوحي على رسول الله؛ ولهذا قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝١٠٥ ﴾ يتفضل على من يشاء من عباده.

﴿ ۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا ﴾ وسبب نزول هذه الآية: قال المشركون أن محمدًا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه وهذا من تلقاء نفسه فأنزل الله ﴿ما ننسخ من آية﴾ إلى آخرها، أي: ما نبدل حكم آية أو نغيره أو ننسها، أي: نمحها من قلبك يا محمد، فإننا ﴿ نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾، أي: نأت بما هو أنفع وأسهل لكم في العمل أيها المؤمنون أو نأت بمثلها في العمل ونكثر ثوابها في الآخرة ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٠٦ ﴾ استفهام للتقرير والتقريع: ألم تعلم يا محمد أن الله قادر على نسخ آية ويأتي بدلها بآية أسهل لعباده المؤمنين في العمل؟.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كيف يشاء، يتصرف فيهما ويحكم ما يريد، لا رادّ لحكمه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وما لكم أيها المخاطبون من ولي يلي شؤونكم ولا نصير ينصركم من عذاب الله إذا أخذكم بمعاصيكم.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ استفهام فيه إنكار لتعنت السائلين وسوء الأدب على رسول الله، وقال الخازن: نزلت الآية في اليهود، قالت اليهود: ائتنا بكتاب من عند الله جملة واحدة كما أنزل التوراة جملة واحدة على موسى. وقيل: إنهم قالوا: لن نؤمن بك يا محمد حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أي: عيانًا، كما سألوا موسى عليه السلام من قبل هذا: أرنا الله جهرة. فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ ومن اختار الكفر على الإيمان فقد ضل، أي: أخطأ عن سواء الطريق، وهذه الآية تبكيت ورد على اليهود.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ قال الخازن: نزلت هذه الآية في نفر من اليهود وذلك بعد وقعة أحد. قالوا لحذيفة اليماني وعمار بن ياسر: لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعا إلى ديننا فنحن أهدى سبيلاً منكم فقال عمار: فكيف أنقض العهد؟ قد عاهدت الله أن لا أكفر بمحمد ﷺ ما عشت. وقالت اليهود: أما هذا فقد صبأ، وقال حذيفة: إني قد رضيت بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا ورسولاً وبالقرآن إمامًا وبالإسلام دينًا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانًا. ثم أتيا رسول الله فأخبراه ذلك قال: أصبتما، قد أفلحتما.

وقوله: ﴿ودّ﴾، ـ أي: تمنى ـ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم عن دينكم الحق إلى دينهم الباطل كافرين بالله وبرسوله ﴿حَسَدًا﴾، أي: يحسدونكم حسدًا على النعمة التي وعدها الله على المؤمنين في الآخرة ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾، أي: من بعد ما اتضح لهم من التوراة أن دين محمد عليه الصلاة والسلام حق لا شك فيه ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ عن إساءتهم لكم والأمر بالعفو والصفح قبل الأمر بالقتال عليهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ إلى أن يأتي أمر الله بقتالهم وإخراج رسول الله بني النضير إلى خيبر وقتل بني قريظة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١٠٩﴾ لا يعجزه شيء.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمر الله المؤمنين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، أدائهما كما أوجب الله على المؤمنين. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾، أي: من الأعمال الصالحة، أي: من العبادات البدنية والمالية ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تجدون ثوابها في الآخرة من فضل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٠﴾ لا يخفى عليه خائنة أعين وما تخفي الصدور.

﴿وَقَالُوا۟﴾، أي: اليهود ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، أي: يهوديًا أو نصرانيًا ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ قل لهم: ائتوا بحجتكم على ما تزعمون ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ فيما زعمتم.

قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، أي: أخلص عبادته لله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مخلص في نيته لله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾، له الثواب والجزاء الحسن عند الله في الجنة، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾ فلا خوف من عذاب الله ولا هم يحزنون عما فات عليهم في الدنيا من أولاد وأزواج وأموال.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، قال ابن كثير في تفسيره رواية عن ابن عباس: جاء وفد نجران من النصارى إلى المدينة ودخل أحبار اليهود فتنازعوا، وقال رافع بن حرملة: ما أنتم بشيء كفرتم برسالة عيسى والإنجيل، وقال رجل من وفد نجران ما أنتم بشيء وكفرتم برسالة موسى وبالتوراة، قال الخازن: ارتفعت أصواتهم عند رسول الله فأنزل الله الآية، والحال أنهم يقرؤون الكتاب، يعني: أن اليهود يقرؤون التوراة والنصارى يقرؤون الإنجيل، والكتابان يصدقان بعضهما بعضًا، وليس في الكتابين هذا الاختلاف، فهذا الاختلاف دل على بطلان دعواهما وأثبت جحدهما بالقرآن.

﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، أي: مثل ما قال هؤلاء قال المشركون والمكذبون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام عنه وعن أصحابه أنهم ليسوا بشيء. وقوله: ﴿لا يعلمون﴾ بيان حال من المشركين، أي: أميون جاهلون، وهم كفار مكة.

﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾، فالله سبحانه وتعالى يقضي بين اليهود والنصارى وبين المشركين والمؤمنين بحكم الحق يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾، أي: اسم الله ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾، قال ابن كثير في تفسيره:

اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله، وسعوا في خرابها. فقال البعض: إن بختنصر البابلي المجوسي خرب بيت المقدس

وأعانه على ذلك النصارى والروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام.

وبقي بيت المقدس خرابًا إلى عهد عمر رضي الله عنه، وعمّره المسلمون.

والقول الآخر: أن الذين منعوا المساجد هم المشركون حين حالوا بين رسول الله ﷺ ودخول مكة عام الحديبية، وقد كان لا يُصد أحد عن البيت حتى القاتل لو لقيه ابن المقتول لما صده، فصدت قريش الرسول ﷺ عن البيت، وفي ذلك خراب له بمنع إعماره، وأيُّ خراب أعظم من إخراج الرسول وصحبه منه ومنعهم من دخوله؟؟

وابن كثير يميل إلى القول الثاني، والله أعلم بالصواب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ أولئك المانعون لا ينبغي لهم أن يدخلوا بيت المقدس إلاّ خائفين من المسلمين أن يبطشوا بهم ويقتلوهم، وقيل: إن هذه الآية كانت بشارة من الله للمسلمين أنه سيُظرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنه سيذل المشركين حتى لا يدخل أحدهم المسجد الحرام إلاّ خائفًا أن يعاقب أو يقتل إن لم يسلم. وأنجز الله هذا الوعد. وأوصى النبي ﷺ أن لا يبقى في جزيرة العرب دينان وأن تجلى اليهود والنصارى منها. لتشريف وتطهير المسجد الحرام. ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ في نار جهنم.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ قال الخازن رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: خرج نفر من أصحاب رسول الله في سفر فأصابهم

ضباب، أي: غيم في الجو فحضرت الصلاة ولم يعرفوا القبلة، فتحروا القبلة فصلوها، ولما زال الضباب وانكشف الجو استبان لهم أنهم لم يصيبوا القبلة، ولما جاؤوا إلى المدينة سألوا رسول الله عن ذلك فنزلت الآية. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه نزلت في المطّوعين في السفر، وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يصلي النافلة على راحلته أينما توجهت راحلته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ إن الله واسع الرحمة يوسع على عباده المؤمنين برحمته عليم لمصالح عباده.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ وقال اليهود عزير ابن الله، وقال النصارى المسيح ابن الله.

فكذبهم الله ونزه نفسه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له عن ادعائهم ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾، أي: ليس الأمر كما زعموا، بل له ملك السموات والأرض وما فيهما هو سبحانه وتعالى خالقهما وكل ما فيهما وكل له طائعون بما أمروا ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: خالقهما من غير مثال سبق.

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾، أي: إذا حكم وأراد إيجاد شيء فإنما يقول له كن كذا فيكون في الحال كما شاء.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وحدانيته وعظمته جلّ وعلا: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ وكفار قريش قالوا ذلك معاندين ومتعنتين على الحق، أي: هلا يكلمنا الله عيانًا نراه ونسمع منه أو تأتينا يا محمد بآية، أي: حجة على صدق نبوتك؟ فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن

قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ﴾، أي: مثل ما قالوا قال السابقون الذين كذبوا أنبياءهم ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾، أي: كفار قريش وكل المكذبين السابقين، بالقسوة والعناد.

﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ الدلائل الواضحات لصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ ويؤمنون بما بينا لهم من الآيات أنها الحق من الله فيوقنون ولا يشكون فيها.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ إنا أرسلناك يا محمد بالقرآن فيه أحكام الشريعة وقصص الأمم الماضين مبشِّرًا لمن يؤمن بي وبرسالتك بالجنة، ومنذرًا، أي: مخوفًا عن عذابي من كفر بي وبرسالتك وبالقرآن ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾، أي: ولا تسأل يا محمد عن أصحاب الجحيم يوم القيامة، فقد بلغت رسالتي إليهم وأديت الأمانة.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾، أي: حتى تتبع دينهم الباطل وتترك دين الإسلام. ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ قل لهم يا محمد: دين الإسلام هو دين الله الحق. ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾، أي: آرائهم الفاسدة ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ ليس لك من ولي يلي أمرك ولا نصير يمنعك من عذاب الله. وفي الآية تحذير للمؤمنين عن أن يتبعوا آراء الكافرين. والخطاب يسري على المؤمنين، والنبي ﷺ معصوم عن ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، أي: هم المؤمنون الذين آتيناهم القرآن ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، أي: حق قراءته بالتجويد والترتيل. أو المعنى:

يعملون بما في القرآن من النواهي والأوامر. ويؤيد هذا المعنى قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: القرآن أنزل ليعمل به فاتخذتموه عملاً؟، أي: فاتخذتم قراءته عملاً وتركتم العمل به.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، أي: أولئك الذين عملوا به يؤمنون إيمانًا صادقًا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ فمن جحده ولم يعمل به فقد خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ هي النعمة التي أنعمها الله على بني إسرائيل: نجاتهم من ظلم فرعون وقومه بإغراقهم في البحر، وإنزال التوراة لهم، وإنزال المائدة لهم في التيه، وتفجير الماء من الحجر، وفضلهم الله على عالمي زمانهم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ الخطابات كلها، من قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وإلى هنا، على اليهود الذين في المدينة في زمانه ﷺ.

قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ إلى آخرها، أي: خافوا يوم القيامة حيث لا تستطيع نفس دفع العذاب عن نفس كافرة شيئًا ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾، أي: فدية فيه بدل العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ولا هم يمنعون من عذاب الله.

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ اذكر يا محمد لهؤلاء كيف اختبر الله خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بكلمات، أي: أمر بعشر خصال وهن: إعفاء اللحية وقص الشارب وحلق العانة وفرق شعر الرأس وقص الأظافر وتنظيف الإبط وتنظيف الفم بالسواك والمضمضة

والاستنشاق والاستنجاء بالماء. فابتدر بأدائهن فأتمهنَّ كما أمر ربه. ويقال: هذه الخصال العشر هي ملة إبراهيم عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، أي: راغبًا لا كرهًا.

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدون بك في أمور دينهم ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال إبراهيم عليه السلام: يا رب اجعل من أولادي إمامًا ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ لا يعطى عهد النبوة للظالمين، أي: للكافرين. وفي الآية دليل على أن من ذريته المسلمون والكافرون.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ حيث جعلنا الكعبة مثابة، أي: مرجعًا يأتون إليه لأداء مناسكهم من حج أو عمرة وأمنًا لمن سكن حولها، وحتى للحيوانات. ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، أي: اتخذوا أيها المسلمون مقام إبراهيم مصلى، وهو الحَجَرُ الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة، وهو الحجر المعروف بمقام إبراهيم، والطائفون حول البيت يصلون ركعتين بعد الطواف عنده.

﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ أمرنا إبراهيم وإسماعيل ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾، أي: الكعبة طهّراها من الشرك والأوثان للطائفين والمقيمين حولها والمصلين إليها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ واذكر لهم أيضًا حين قال إبراهيم عليه السلام: يا رب اجعل هذا البلد، أي: مكة ذا أمن لمن سكن فيه من أذى الناس ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأن أرض مكة ليس فيها زرع ولا أشجار مثمرة لأن إبراهيم عليه السلام خص بالدعاء لمن أمن بالله واليوم الآخر وهذا تأدب مع الله تعالى لقوله تعالى:

﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾، أي: ومن كفر بـي فأرزقه فأمتعه في حياته قليلاً إلى منتهى أجله ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾ ثم يوم القيامة أسوقه بالعنف والشدة إلى عذاب نار جهنم وبئس المرجع.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾، أي: اذكر يا محمد حيث يبني قواعد البيت ويرفع بناءه إبراهيم وإسماعيل، ويقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ﴾ أعمالنا في بناء بيتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ لدعائنا وأعمالنا ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ اجعلنا منقادين مطيعين لأمرك ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، أي: اجعل من أولادنا جماعة مطيعة لأمرك ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ جمع منسك، أي: علّمنا أحكام الحج وأبصرنا مقام النسك، فبعث الله جبريل فأراهما مقام الوقوف وما يتعلق بأحكام الحج. ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآۖ﴾ فيما قصرنا من طاعتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ لعبادك المؤمنين ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من المسلمين ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ يقرأ عليهم آيات كتابك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ﴾ ويعلمهم قراءة كتابك ومعاني ألفاظه والحكمة، أي: الإصابة في مفهوم معانيه، ويزكيهم، أي: يطهرهم عن أعمال الشرك والمعاصي ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾، أي: الغالب في تنفيذ أمره الحكيم فيما أمر ونهى. وكل ذلك لمصلحة العباد.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ﴾ قال الخازن في تفسيره: سبب نزول هذه الآية أن عبد الله ابن سلام دعا ابني أخيه مهاجرًا وسلمة إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبـى مهاجر أن يسلم فأنزل الله الآية قوله: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاّ من سفه نفسه﴾، أي: لا يرغب عن دين إبراهيم، أي: يتركه ويعرض عنه إلاّ من سفه، أي: جهل وضعف رأيه

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ ولقد اخترناه بالرسالة لتبليغ أمري لعبادي في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين السعداء في الجنة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ﴾، أي: استقم على ما أمرتك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾، أي: خضعت وأطعت لأمر رب الخلائق سمعًا وطاعة.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ ووصى إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند احتضار الموت أبناءه الثمانية، وأكبرهم إسماعيل وإسحاق، ولم يذكر أسماءهم، ثم ذكر أن يعقوب وصّى بها أيضًا بنيه. ويعقوب هو ابن إسحاق، ولد في حياة إبراهيم عليه السلام وأولاده الثمانية، ويعقوب معطوف على إبراهيم، أي: أوصى يعقوب أبناءه كما أوصى إبراهيم أبناءه بالتمسك بكلمة لا إله إلاّ الله وأن لا يشركوا بالله شيئًا ولا يخالفوا أمر الله.

﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾، أي: اختار الله لكم الدين الإسلام فاستقيموا فيه فلا يأتينكم الموت إلاّ وأنتم منقادون لأمره ومحسنون في طاعته.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ قال الخازن: نزلت الآية ردًّا على اليهود حيث قالوا للنبي ﷺ أوصى يعقوب عليه السلام أبنائه حين حضره الموت باليهودية. وهذا استفهام للإنكار. وقوله شهداء: جمع شاهد، أي: حاضرين حين حضر الموت يعقوب، حيث قال يعقوب عليه السلام لأبنائه: أي شيء تعبدون من بعد وفاتي؟ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا

وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾، أي: ونحن له منقادون لأمره ومخلصون العبادة له.

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ تلك إشارة إلى الأنبياء الذين ذكر أسماءهم وأبناءهم هم جماعة لا يتفرقون في دينهم، وقد مضت، لها ما عملت من الأجر والثواب ولكم يا معشر اليهود بما عملتم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولا تُسألون يا معشر اليهود عما كان يعمل هؤلاء، يعني كل فريق يسأل عن عمله؛ إذ كل نفس بما كسبت رهين.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في رؤساء اليهود والنصارى، فقال اليهود للرسول محمد ﷺ: اتْبعنا يا محمد تهتدِ، وقالت النصارى مثل ذلك. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفًا، أي: مائلاً وراغبًا إلى دين إبراهيم ﴿وَمَا كَانَ﴾ إبراهيم ﴿ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ قوله: وما كان من المشركين، تعريض ورد على ادعاء اليهود والنصارى ومشركي مكة، وكلهم يدّعون أنهم على ملة إبراهيم.

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ قولوا أيها المؤمنون: آمنا بالله وحده ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ الأسباط: هم أولاد يعقوب عليه السلام، والذي أنزل هو عشر صحائف ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾، أي: آمنا بما أنزل إلينا وهو القرآن الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ليقرأ علينا، وكذا التوراة إلى موسى عليه

السلام ليقرأ على قومه، وأنزل الإنجيل إلى عيسى عليه السلام ليقرأ على قومه، وكذا الصحف، وكلهم يبين ويبلغ أمر الله إلى أمته ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، أي: الأنبياء، ولا الكتب المنزلة إليهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ ونحن المؤمنون منقادون لأمر الله وخاضعون له بالطاعة والعبودية.

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ فإن آمن هؤلاء اليهود والنصارى بمثل إيمانكم بالله وحده فقد اهتدوا إلى الرشد بالإيمان الصحيح لله تعالى، ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾، أي: أعرضوا عن الإيمان بالله وحده ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾، أي: في اختلاف ونزاع عن دين الإسلام ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾، أي: يكفيك الله شر اليهود والنصارى، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ بأقوالهم وأحوالهم من الحسد والخيانة. وقد نصر الله رسوله عليهم فأجلا بني النضير من المدينة إلى خيبر وضرب عليهم الجزية وقتل بني قريظة وبني قينقاع وسبى ذراريهم.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾، أي: اتبعوا دين الله، وسمّى الدين صبغة لأن أثر الدين يظهر في صاحبه كما يظهر الصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾، أي: دينًا ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾، أي: مطيعون له ولا نخالفه.

وقال اليهود: نحن أولى بالله منكم؛ ديننا خير من دينكم وكتابنا أول كتاب وخير من كتابكم، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ قل لهم يا محمد: أتجادلوننا في دعواكم والرب واحد، أي: خالقنا وخالقكم واحد ونحن وأنتم سواء في العبودية ﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾، أي: لنا جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم ﴿وَنَحْنُ لَهُ

مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾، أي: ونحن المسلمون مخلصون العبادة له جلّ وعلا ولا نشرك به شيئًا.

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾ استفهام للتوبيخ والتكذيب على زعمهم أنهم على ملة إبراهيم وبنيه ولم يكن إبراهيم وأبناءه يهودًا ولا نصارى، إنما حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم ﴿ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ قل لهم يا محمد: ءأنتم أعلم بما تزعمون أم الله؟ وهذا الاستفهام أيضًا للتوبيخ والتكذيب ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ ﴾، أي: لا أحد أظلم وأكذب ممن كتم وأخفى شهادة لله عنده، أي: ما هو مكتوب في التوراة والإنجيل عن دين الحق الإسلام، وتلك الشهادة من الله، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ من كتمانكم من كتاب الله وتغيير نعت محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ سبق تفسيرها في صفحة ٥٢ وفي الآية تقريع وتنبيه لأمة محمد ﷺ أن لا يفتخروا بأعمال أبائهم ولا يفتخروا بأنسابهم؛ لأن كل إنسان مسؤول عن نفسه. ومحاسب عنها ولا تزر وازرة وزر أخرى.

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ نزلت الآية في اليهود والمنافقين ومشركي العرب في تحويل القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس، وقال مشركو مكة: تردد أمر محمد. وطعنوا فيه، وكان عليه الصلاة والسلام يرغب أن يكون استقباله إلى الكعبة في الصلاة. واستمر ذلك ستة عشر شهرًا كما قيل، ثم جاء الأمر وهو في الصلاة: ﴿ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ

﴿ٱلۡحَرَامِۚ﴾ فصرف وجهه إلى الكعبة. وطعن اليهود واستهزأ المنافقون على ذلك فقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾ قال اليهود: أيّ شيء صرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة؟ فرد الله عليهم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾﴾ قل لهم يا محمد: لله المشرق والمغرب وما بينهما يهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم موصل إلى رضوانه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، أي: كما هديناكم يا أمة محمد إلى الكعبة جعلناكم أمة وسطًا، أي: صادقين في دينكم وشهادتكم لتكونوا شهداء على الناس يوم القيامة: قد بلغت رسلهم أمر الله على أممهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ ويكون الرسول محمد عليه الصلاة والسلام مزكيًا على أمته أنهم صادقون في شهادتهم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾، أي: وما أمرناك بأن تستقبل إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنها إلى الكعبة إلاّ لنختبر من يتبع الرسول باستقبال القبلة ممن يرجع إلى كفره ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾ وقد كان تحويل القبلة لثقيل على الكافرين والمنافقين ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ إلاّ على الذين هداهم إلى اتباع الرسول بصدق إيمانهم في استقبال القبلة.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ وما كان الله ليضيع صلاتكم التي صليتموها مستقبلين إلى بيت المقدس، سمّيت الصلاة إيمانًا لأنها تجب على المؤمنين، وهي الفارق بين الإيمان والكفر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾﴾ لا يضيع أجور المؤمنين.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ قد نرى تردد وجهك إلى السماء منتظرًا للوحي ومتشوقًا للأمر بالاستقبال إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ فلنصرفن وجهك إلى قبلة ترضاها، أي: تسكن نفسك إليها، ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾، أي: صرّف وجهك إلى جهة المسجد الحرام، ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾، أي: أينما كنتم أيها المسلمون في المشرق أو في المغرب إذا حضر وقت الصلاة فولوا وجوهكم نحو الكعبة، ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وإن اليهود والنصارى ــ وهما أهل الكتاب ــ ليعلمون أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام حق ثابت في كتابهم، قد بشر أنبياؤهم أن النبي آخر الزمان يصلي إلى قبلتين ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ يعلم سرّهم وجهرهم، وهؤلاء اليهود سيجازيهم في الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ﴾ ولئن أتيت يا محمد بكل حجة واضحة تدل على صدق تحويل القبلة إلى الكعبة ما قبل هؤلاء اليهود والنصارى قبلتك عنادًا، ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ وما أنت يا محمد بمصل إلى قبلتهم ﴿ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ وما بعضهم بمصل إلى قبلة بعض؛ فاليهود يصلون متوجهين إلى المسجد الأقصى والنصارى يصلون متوجهين إلى المشرق دائمًا.

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ ولئن اتبعت يا محمد آراء هؤلاء الضالين في أمر القبلة من بعد وضوح العلم بأن القبلة هي الكعبة ﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾، أي: لمن المرتكبين لأعمال الظلم. وفي هذه الآية تحذير أمة الإسلام من أن توافق على

آراء الكافرين بما فيه مخالفة لشريعة القرآن، شريعة محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، أي: إن علماء اليهود يعرفون ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، ويعرفون صفته ﷺ ونعته كما يعرفون أبناءهم بين الغلمان، ولا يشكون به. وحين قدم المدينة آمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه، وهم صادقون في إيمانهم له، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ وإن جماعة من اليهود ليكتمون صفة محمد عليه السلام، والحال أنهم يعلمون صفته ونعته في التوراة.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ الحق الذي ذكرنا وبينا لك من الله فلا تكونن يا محمد من الشاكّين.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ولكل أمة من الأمم وجهة، أي: قبلة يريدون بها وجه الله، كل منهم موليها ومتجه إليها ورضيها، فبادروا أيها المؤمنون بالأعمال الصالحات وباستقبال البيت الحرام ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾، أي: أيّ مكان وأيّ زمان تكونوا يأت بكم الله، أي: بكم وبأعمالكم جميعًا فيحاسبكم عليها ويجازيكم: إن كان شرًّا فجزاؤكم شرًّا وإن كان خيرًا فجزاؤكم خيرًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾ لا يعجزه شيء.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، أي: من أي مكان خرجت لسفر فول وجهك يا محمد في صلاتك نحو المسجد الحرام ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ وإن الاستقبال في صلاتك نحو المسجد الحرام لأمر حق من ربك لا شك فيه ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ من طاعتكم لأمري فأجازيكم جزاء حسنًا.

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ تكرارها للتأكيد. ثم أردف الخطاب للمسلمين: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ وحيث ما كنتم أيها المسلمون في الصلاة أو تريدون الشروع بها فولوا، أي: استقبلوا بوجوهكم نحو المسجد الحرام. وذلك التكرار في أمر الاستقبال إلى الكعبة في الصلاة ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ والمراد من الناس اليهود ومشركو مكة. وفائدة التكرار أنها تحكّم أمر القبلة إلى الكعبة.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ إلاّ الذين عاندوا ظلمًا من اليهود في أمر تحويل القبلة إلى الكعبة قالوا ما تحول إليها إلاّ ميلاً إلى دين آبائه.

﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ فلا تخافوا أيها المسلمون من مجادلتهم، وخافوني فاستقيموا على أمري، ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ ﴾ بالتوفيق إلى ما أمرتكم ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ إلى الدين الحق.

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ من أنفسكم ﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ على لسانه ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ يطهركم من الشرك وأعماله ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ويعلمكم قراءة القرآن، والحكمة، أي: السنة والفقه في معاني القرآن ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾، أي: ويعلمكم الأخبار الماضية وقصص الأنبياء وأحوال الكون وفهم الحق.

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ فاذكروني بما أنعمت عليكم من نعم، منها: نعمة الإسلام والاستقامة في الدين والصحة والعافية في البدن، فأذكركم بالمغفرة عن مذلّتكم والثواب على طاعتكم ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ واشكروا على نعمتي عليكم بالطاعة لأمري، ولا تكفروا نعمتي عليكم بالجحود والعصيان.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾، أي: اطلبوا العون بالصبّر علـى طاعة الله والصلاة؛ لأنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ بالعون والنصر علـى البلاء والمحن ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ نزلت في شهداء بدر، وهم أربعة عشر رجلاً، ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ عند ربهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾، أي: لا تعلمون حالهم برؤية العين. وفي آية أخرى ﴿ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ولنختبرنكم بشيء يسير من أنواع البلاء تخافون منه، ثم بيَّن أنه بالخوف والجوع ونقص من الأموال، أي: ذهاب بعضها منها، والأنفس، أي: موت بعض الأولاد والأقارب، والثمرات: الزروع بإصابة آفة لها ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ أخبر يا محمد بالبشارة الصابرين على المصائب والكرب إذا أصابتهم وفي الحال استرجعوا فقالوا: إنا لله عبيد ومِلْكٌ يفعل بنا ما يشاء، وإنا إليه راجعون بأعمالنا ويحاسبنا عما أسلفنا من الأعمال في الحياة الدنيا. ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ أولئك المسترجعون حين أصابتهم مصيبة فإن عليهم صلوات، أي: مغفرة من ربهم ونعمة في الآخرة ورحمة. وتكرارها للتأكيد، ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى دار النعيم.

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ هما اسمان يطلقان على الجبلين في طرفي المسعى. والشعائر جمع شعيرة، أي: من أعلام الله لمناسك الحج ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ ﴾ فمن قصد البيت لأداء نسك الحج

أو اعتمر لزيارته ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، أي: فلا إثم على الساعي بينهما.

وسبب نزول هذه الآية: أنه كان في الجاهلية صنم اسمها أساف هي موضوعة على الصفا، وصنم أخرى اسمها نائلة هي موضوعة على المروة، وأهل الجاهلية يسعون بينهما. ولمّا جاء الإسلام كسِّرت الأصنام وتحرَّج المسلمون أن يسعوا بينهما، فأنزل الله الآية رخصة للسعي بينهما.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ ومن تطوّع بالحج أو العمرة بعد أداء فريضة الحج أو بغيرهما من أعمال النافلة فإن الله شاكر، أي: مجاز على أعماله جزاء كثيرًا، عليم بنياته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾، قال الخازن: نزلت في علماء اليهود، أي: إن الذين يكتمون ما أنزل الله في التوراة من الدلائل الواضحات التي تدل على صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام والهداية إلى الإسلام، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، أي: من بعد ما وضحنا صفة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ أولئك الكاتمون صفة النبي ﷺ وبعض أحكام التوراة يبعدهم الله من رحمته ويلعنهم الملائكة والمؤمنون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ إلاّ الذين رجعوا عن كتمان ما في التوراة من صفة محمد عليه الصلاة والسلام وكتمان بعض الأحكام فيها وأصلحوا ما كتموه وبينوا، أي: حققوا للناس ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، أي: أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ للتائبين عن ذنوبهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إن الذين كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم كافرون ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ المؤمنون

يلعنون الكافرون ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في عذاب جهنم على الأبد ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾، أي: متروكون في نار جهنم.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ سبب نزول هذه الآية: قال كفار قريش: صف لنا يا محمد ربك وانسبه، فأنزل الله هذه الآية، ومعناها: وإلـٰهكم إلـٰه واحد لا شريك له في ألوهيته وربوبيته، هو الواحد في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء، هو الرحمن لعامة خلقه الرحيم لعباده المؤمنين.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الآيات التي تدل على وحدانيته وعظيم قدرته.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وفي آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، وذكر السموات والأرض مثلهن يدل على أن الأرض سبع طبقات، وقوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، أي: تعاقبهما يفسره قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ ويقصر الليل في الصيف ويطول النهار ويقصر النهار في الشتاء ويطول الليل، ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى﴾ فوق ماء البحر بما ينفع، أي: يُحْمَل عليها المال الذي ينفع الناس ويركب عليها التاجر والمسافر.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، أي: بعد يبسها من عدم الماء، ومعنى الإحياء: إنبات العشب والزروع وغيرها من

الإنسان والجن وسائر مخلوقاته فحياتهم بالماء، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ﴾ وفرق في الأرض من كل جنس مما يدب على وجه الأرض. ويدخل فيها الطيور، ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ وتصريفها بأمر الله: تهب الريح من جنوب إلى شمال، ومن شمال إلى جنوب، ومن غرب إلى مشرق، وبالعكس، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: والسحاب المذلل لأمر الله فيمطر حيث أمر الله فيه، ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ فكل ما ذكر في هذه الآية يدل على عظمة قدرته جل شأنه، فيه آيات لقوم ينظرون إليها ويتدبرون بعقولهم، ويوقنون أن الله قادر على أي شيء يريد إيجاده أو إفناءه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ جمع ند، أي: مثل، والمعنى: إن من المشركين من يتخذ غير الله معبودًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، أي: يحبون أصنامهم كحب المؤمنين إلـهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ والذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئًا أشد حبًّا لله من المشركين.

﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ الأنداد لله حين يشرفون على عذاب جهنم ويعلمون ويرون ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ للمشركين والكافرين.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ حين رأى المشركون العذاب تبرأ المتبوع من التابع، وتقطعت بينهم الحيل وأسباب الخلاص والصِّلات التي كانت بينهم، والمحبة والمودة زالت.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ لو أن لنا رجعة إلى الدنيا

فنتبرأ منهم ﴿ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾اليوم ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ مثل ذلك يريهم الله نتيجة أعمالهم في الدنيا ندامة عليهم في الآخرة، وما هم بمُخَلَّصين ولا ناجين من عذاب النار.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ قال: نزلت في ثقيف وعامر ابن صعصعة وخزاعة وبني مدلج فيما حرموا على أنفسهم من الحرث والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ويأتي تفسير هذه الأسماء في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ. . .﴾ إلى آخر الآية إن شاء الله، فالخطاب لمن حرموا على أنفسهم: كلوا مما في الأرض من الحرث والأنعام حلالاً طيبًا، أي: لا شبهة فيها ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ في تزيينه ووسوسته في تحريم ما أحل الله لكم، إن الشيطان لكم عدو ظاهر لا يخفى عليكم.

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ إنما يأمركم الشيطان ويرغبكم بالأعمال السيئة، والفحشاء: هي الأعمال القبيحة في الشريعة ويجب على فاعلها الحد، والشيطان يأمركم بأن تقولوا هذا حرام وهذا حلال وتنسبون ذلك إلى الله بغير علم، وهذا جهل فيه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وإذا قيل لمشركي مكة اتبعوا ما أنزل الله في القرآن فإن فيه بيان لما حلَّل الله وما حرمه ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فردّ الله عليهم: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾، أي: لا يعلمون شيئًا من أمر الدين ولا يهتدون إلى الرشد والصواب؟

ثم ضرب لهم المثل ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا

﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾، أي: مثل الذين كفروا بالله وبرسوله بما فيهم من جهل وضلال كمثل الدواب السارحة والغنم التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صوّت بها راعيها فهي لا تفقه ما يقول إلاّ أنها تسمع دعاءً ونداءً. ثم زاد عليهم بالتبكيت: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾، أي: صم عن سماع الحق، ولا يسمعون دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام ويعرضون عنه، بُكْم لا يتكلمون به، وعميٌ لا يرون طريقه ولا ما أنعم الله عليهم من النعم، فهم كالبهائم التي لا تعقل.

ثم وجه الخطاب إلى المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده وبرسوله الكريم كلوا من حلال ما رزقناكم إن كنتم تخصون العبادة له، والعبادات لا تقبل إلاّ ممن كان أكله حلالاً وملبسه من مال حلال ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ الميتة التي ماتت بغير ذبح، والدم المسفوح يعني السائل عند الذبح، ولحم الخنزير وكل أجزائه حرام، إنما ذكر اللحم هو المقصود للأكل، وما أهلّ به لغير الله: الإهلال رفع الصوت عند الذبح، أي: وما أهل بغير اسم الله، إذ كان مشركو مكة ومن حولها يذبحون ذبائحهم باسم صنمهم، فحذر الله المسلمين ونهاهم عن ذلك.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ لأكل تلك المنهيات من جوع شديد يميت فله أن يأكل منها، ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾، أي: غير متجاوز عن قدر الحاجة ولا متعدٍّ للذة، فلا مؤاخذة عليه لحاجته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ لمن أكل في حالة الاضطرار، ورخص برحمته لأكل تلك المنهيات.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ نزلت في علماء اليهود، أي: إن علماء اليهود يكتمون ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد عليه الصلاة والسلام وبعض أحكام الشريعة ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ويأخذون بكتمان صفة النبي ﷺ وبعض أحكام الشريعة ثمنًا قليلاً، أي: عوضًا يسيرًا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ ما يأكلون إلاَّ من حرام يوصلهم إلى نار جهنم تملأ النار في بطونهم ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بالرحمة ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يطهرهم عن ذنوبهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ ﴾ ولهم عذاب مؤلم يذوقونه على الأبد.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ أولئك الذين اختاروا الضلالة والكفر على الهداية والإيمان واعتاضوا بالعذاب عن المغفرة، وحاصل المعنى اختاروا الكفر بدل الهداية إلى الإيمان، وعذاب جهنم بدل الجنة، لو أنهم آمنوا بكتاب الله إيمانًا صحيحًا ما كتموا ولا غيروا منه شيئًا قال تعالى: ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ فأيّ شيء أصبرهم على نار جهنم؟! استفهام للتعجب والتوبيخ على علماء اليهود.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ذلك العذاب عليهم بسبب أن الله نزل التوراة بالحق لا بالباطل ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ وإن الذين اختلفوا في فهم معاني الكتاب، وحرفوه وكتموا بعض أحكامه، وقيل آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه لفي اختلاف بعيد عن الصواب.

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ ليس فعل البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب في صلاتكم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ولكن البر الصحيح من آمن بالله وحده ولا يشرك به شيئًا، ويؤمن باليوم الآخر، ويوم القيامة حيث فيها حساب الأعمال والجزاء، ويؤمن بالملائكة أنهم خلق من خلق الله، ويؤمن بالكتب المنزلة على الأنبياء ولا يفرق بينها، ويؤمن بالنبيين جميعهم ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾، أي: أعطى المال، وأنفقه في سبيل الله لذوي القرابة بالنسب، واليتامى: جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه قبل بلوغه سن الرشد ولا مال له؛ والمساكين: جمع مسكين، من لا مال له، دائم الحاجة لرزقه؛ وابن السبيل: هو الذي في السفر وانقطع ماله؛ والسائلين: جمع سائل يسأل الناس لحاجة له؛ وفي الرقاب: جمع رقبة، وهم المكاتبون والأسارى. يعطى لهم فيفكون رقبتهم من سيدهم ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وصلى الصلاة المفروضة في وقتها وآتى زكاة ماله إلى من يستحقها ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ إن كان العهد لله تعالى أو للناس يجب عليهم إيفاؤه فيوفون عهدهم ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ والصابرين في المصائب والفقر والضراء والمرض في البدن وحين البأس، أي: وحين القتال في سبيل الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾، أي: كاملون في التقوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾، أي: فرض عليكم القصاص في القتلى، أي: للمقتول من قاتله بالمساواة أو بالدية ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾، قال في تفسير ابن عباس: نزلت في حيّين من اليهود أو العرب، وهي منسوخة بقول الله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ الآية، وقال في أيسر التفاسير: كان أحد الحيين يرى أنه أشرف من الآخر فلذا

يقتل الحر من الحي الآخر بالعبد والرجل بالمرأة، فنزلت فيهم. وفي هذه الآية اختلاف بين الأئمة، وتفصيلها في التفاسير المطولة وكتب الفقه.

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فمن ترك له، أي: أخذ الدية بعد استحقاق الدم، وذلك العفو، فليطلب الولي الدية بالمعروف لا بالعنف ولا بالمجادلة ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ ويرفع الدية لولي المقتول بإحسان بدون ضرر ولا مماطلة ولا بخس منها ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ذلك العفو من الدية أو أخذ الدية دون القصاص تخفيف من ربكم ورحمة، وكان في التوراة يقتص ولا تقبل الدية ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ فمن اعتدى، أي: قتل شخصًا آخر بعد ذلك العفو منه فلا تقبل الدية منه ويقتل قصاصًا منه، وله عذاب مؤلم في الآخرة.

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ ولكم أيها المسلمون في مقاصصة القاتل ومعاقبته حياة، أي: بقاء في الحياة، يعني: الإنسان العاقل يلاحظ أنه إذا قتل شخصًا سيقتل بدله قصاصًا، فيمتنع عن قتل أي شخص. وقوله: يا أولي الألباب، أي: يا ذوي العقول السليمة عن السفهة والجهل، لعلكم تتحذرون عن قتل نفس حبًّا لحياتكم، وفي القصاص حكمة عظيمة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾، أي: فرض عليكم إذا قرب أحدكم الموت ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً كثيرًا ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أي: يجب عليه الوصية للوالدين والأقربين. وذلك المعروف على ثلث التركة لا يزيد عليها ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾، أي: واجبًا على الذين يخافون الله. ثم نسخت وجوبيتها بآية الميراث، وبقيت

مستحبة إذا رضي الوارثون وإلَّا فلا وصية للوارثين لقوله ﷺ: «لا وصية لوارث» ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾، فمن غيَّر وصية الموصي بعد ما سمع منه إنما إثم التبديل يخص على الذين يبدلونه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾، أي: سميع بأقوالكم عليم بما في ضمائركم.

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾، أي: فمن خاف أن يخطىء الموصي أو يظلم في وصيته، أي: يريد الجور عمدًا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، أي: فأصلح الوصي بين الموصي والموصى له فعدّل الوصيّة بما يكون موافقًا للشرع فلا إثم على المصلح وهذا عام في كل المعاملات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ لمن أصلح ذات بين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ فرض الصيام عليكم أيها المسلمون كما فرض على الذين من قبلكم من لدن آدم عليه السلام إلى عهد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام؛ لعلكم تصونون أنفسكم بصيام أيام معدودات وهي أيام رمضان ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أي: فمن أفطر في أيام رمضان لمرض أو سفر يشق عليه الصوم فعليه أن يصوم بعددها أيامًا أُخر بعد رمضان.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ابن كثير رواية عن ابن عباس: نزلت في الشيخ الكبير إذا لم يستطع الصوم فعليه فدية طعام مسكين، وعليه يقاس المريض الذي لا يرجى برؤه ولو كان شابًّا يفدي عن كل يوم فيطعم مسكينًا ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾، أي: فمن زاد طعامًا على قدر الواجب فهو خير له ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ فضيلة الصوم.

ثم بيَّن سبحانه وتعالى تلك الأيام المعدودات فقال ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾، أي: هن أيام شهر رمضان، وسُمي الشهر رمضانًا لأن بداية صيام الشهر وافق في أيام حر شديدة. أنزل فيه القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا في بيت العزة، فيه هدى، أي: هداية للناس، وبينات، أي: دلائل واضحات تبين الحلال والحرام والحق والباطل، وذلك البيان كله من الهدى إلى الحق والفرقان يفرق بين الحق والباطل والمبطل والمحق.

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾، أي: فمن رأى الهلال في غرة ليلة رمضان من المقيمين فعليه الصوم من أول رمضان ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ بعد رمضان، سبق تفسيرها في الآية التي قبلها ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ وبرحمته جل وعلا رخص الإفطار لأصحاب الأعذار، وما كلفكم على الصوم في حالة العذر فيشق عليكم ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، أي: عدة أيام الرمضان ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ ولتعظموا الله على ما هداكم لإتمام صيام أيام شهر رمضان ولعلكم تشكرون على نعمه.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ كثرت الروايات في سبب هذه الآية، قال ابن كثير: روى محمد عن الحسن، وقال الخازن: بعض أصحاب رسول الله سألوا رسول الله: أقريب ربنا نناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله الآية، قوله: ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾، أي: في أيّ وقت سئل عني فإني قريب بالإجابة عليه ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾، أي: أقضي حاجتهم إذا سألوا عني، ثم اشترط لقبول الدعاء ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾، أي: فليستجيبوا لي إذا دعوتهم إلى الإيمان

بوحدانيتي في ألوهيتي وربوبيتي، وليؤمنوا بـي، أي: وليوقنوا بأني قاضي الحاجات.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾ سبب نزول هذه الآية: كان في ابتداء الأمر بصيام رمضان إذا أفطر الرجل حل له الجماع إلى أن يصلي صلاة العشاء وإذا صلى أو رقد قبلها حرم عليه الجماع والأكل والشراب إلى الليلة القابلة. ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقع على أهله فاغتسل، فجاء عند النبـي ﷺ وهو يبكي ويلوم نفسه، فقال: أشكو إلى الله وإليك الذي صنعت... حيث إني قد واقعت أهلي بعد أن صليت العشاء الأخير.. وكذا رجل من الأنصار أكل الطعام بعد أن صلى العشاء، فأنزل الله الآية. ومعنى الآية: أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم، أي: أبيح لكم الجماع مع نسائكم، أي: الاعتناق مع نسائكم، هنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن، أي: وأنتم تسكنون إليهن وهنَّ يسكن إليكم بالراحة واللذة.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ كان بعض أصحاب رسول الله يقع على نسائه بعد صلاة العشاء أو بعد النوم فتابوا عن ما حدث منهم، فتاب الله عليهم، أي: قبل الله توبتهم، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ ۖ﴾، أي: محى ذنوبكم عنكم.

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾، أي: جامعوا نساءكم، ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ﴾، أي: اطلبوا ما كتب الله لكم من ولد صالح، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾، أي: كلوا واشربوا في ليالي رمضان إلى أن يظهر لكم بياض النهار من سواد الليل مثل الخيط المعترض، فإذا ظهر بياض الصبح من ظلمة الليل شيئًا قليلاً يجب

الإمساك عن الأكل والشرب ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، أي: إلى غروب الشمس.

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ ولا تقربوا نساءكم بإرادة اللمس أو القبل في حالة اعتكافكم في المساجد، إنما قيد المسجد لأجل أداء الصلاة مع الجماعة في المسجد ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ تلك ــ إشارة إلى ما ذكر من أحكام الصوم والاعتكاف ــ حدود الله فلا تعتدوا عليها ولا تخالفوا أمر الله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ أي: يتحذرون عن الوقوع فيما حرم الله عليهم وينجون من عذاب الله.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ ولا تأكلوا أيها المسلمون مال بعضكم بالباطل وتلقوا بالرشوة إلى الحكام لتأكلوا طائفة من أموال الناس بالباطل والحال أنتم تعلمون بطلان دعواكم.

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ جمع هلال، أي: يسألونك يا محمد عن الأهلة، فالهلال يبدو أولاً دقيقًا حتى يكمل بدرًا ليلة خمسة عشر ثم ينقص كل ليلة حتى يغيب في ليلة تسع وعشرين إن كان الشهر ثلاثين يومًا ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ جمع ميقات، قل لهم يا محمد: هي مواقيت لمنافع الناس، لتسجيل التاريخ في الصكوك لمعاملاتهم ولمعرفة أيام الحج وأوقات الصلوات الخمس وأيام الصيام وعدة النساء.

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ كان في الجاهلية إذا خرج رجل من بيته للسفر ثم بدا له أن يرجع إلى بيته لحاجة فيدخل من

وراء بيته فيتسور الجدار فيدخل البيت، فأبطل الله ذلك بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، أي: تحذر من الإتيان بالمنهيات ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ ادخلوا البيوت من أبوابها ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من عذاب نار جهنم.

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ وقاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله لإعلاء كلماته وتعزيز دين الإسلام، قاتلوا الذين يقاتلونكم باغين عليكم ولا تعتدوا، أي: لا تبدأوا بالقتال أو تغدروا، أو تغلوا، أو تقتلوا النساء والأطفال. . . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، إذ يسخط عليهم إلى يوم يلقونه، وهذه الآية منسوخة بالآية التي بعدها وبآية ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾.

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ واقتلوا المشركين حيث تمكنتموهم وغلبتم عليهم وأخرجوهم من ديارهم من حيث أخرجوكم من دياركم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لأن فتنة الشرك أشد وأعظم جرمًا من القتال في الحرم ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، أي: لا تبدؤوا بقتالهم في الحرم حتى يقاتلوكم فيه ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ في الحرم ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ مثل ذلك الحكم جزاء الكافرين بالله والهاتكين حرمة حَرَمِ الله ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن قتال المؤمنين وعن إشراكهم بالله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾﴾ لمن تاب عن ذنوبه وكُفْرِهِ، حيث لا يعجل العقوبة في الدنيا.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ وقاتلوا المشركين إلى أن لا تكون فتنة شركٍ في جزيرة العرب، ويكون الدين خالصًا لله ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾

عن إشراكهم بالله وعن قتالهم للمؤمنين ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ فلا سبيل لكم لقتالهم إلاَّ الذين بقوا على شركهم وكفرهم وهم ظالمون أنفسهم فجاز قتالهم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ نزلت الآية في عمرة القضاء؛ وذلك أن النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم خرج من المدينة ومعه جماعة من أصحابه معتمرين في سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، ولمَّا بلغوا إلى الحديبية صدهم المشركون عن الدخول إلى مكة، فصالحوا المشركون على أن يرجعوا إلى المدينة ويقضوا عمرتهم في العام القابل، فرجع رسول الله مع أصحابه إلى المدينة، ثم جاء رسول الله مع الذين كانوا معه في سنة سبع في ذي القعدة فقضوا عمرتهم، وقوله ﴿والحرمات قصاص﴾ جمع حرمة، أي: صددتم في الشهر الحرام وأنتم محرمون ودخلتم إلى البلد الحرام وأنتم محرمون يعني حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الإحرام فصاروا قصاصًا عليهم. وبقية القصة تأتي إن شاء الله في سورة الفتح.

﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فمن اعتدى عليكم بالقتال في الشهر الحرام فاعتدوا، أي: فقاتلوه في الشهر الحرام ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾، أي: واتقوا الله أيها المسلمون في مخالفة أمره ونهيه واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر على أعدائهم الكافرين.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ وأنفقوا أيها المسلمون أموالكم في سبيل الله. الأمر بإنفاق المال عام، يعني للجهاد وصلة الأرحام والمساكين وللحج والعمرة ولبناء المساجد وغيرها لمصالح المسلمين.

قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، أي: ولا تلقوا أموالكم بإيديكم إلى الهلاك، وحاصل المعنى: ولا تصرفوا أموالكم إلى الأمور المنهيات فتهلكوا في عذاب الله ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾، أي: وأنفقوا أموالكم في سبيل الله؛ إن الله يحب المحسنين على إحسانهم بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين إذا أحرموا للحج أنه يجب على المحرم منهم إتمامه محافظين على شروطه وأركانه وواجباته وسننه وكذا العمرة خالصًا لله تعالى. وتفصيل أحكامه في كتب الفقه، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، أي: حبستم من عدو أو مرض شديد قبل الوصول إلى مكة فيجب عليكم لحل إحرامكم ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ من شاة أو معزة أو بقرة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ ولا تحلقوا رؤوسكم أيها المحصرون حتى يبلغ الهدي المكان الذي يذبح فيه وهو الحرم، وعند أبي حنيفة: يبقى في إحرامه حتى يأتيه خبر الذبح، وعند الشافعي: يذبح حيث كان محصر ويتحلل من الإحرام.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ فمن كان من الذين أحرموا مريضًا يريد أن يتحلل من إحرامه، أو به أذى في رأسه من قمل أو جرح يريد حلق رأسه فعليه فدية من صيام ثلاثة أيام أو صدقة على ستة مساكين ما يكفي على قوت يومهم، ﴿أو نسك﴾، أي: ذبح شاة، (أو) ها هنا للتخيير، فإذا أمنتم من مرضكم واطمأننتم في أهلكم وسفركم اقضوا فديتكم، ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾، أي: فمن أحرم في أشهر الحج بعمرة وجاء مكة طاف البيت وسعى وحلق رأسه وتحلل من إحرامه وبقي بمكة إلى وقت الحج ثم أحرم للحج فيقال هذا متمتع

﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾، أي: فعلى المتمتع ما تيسر له من الهدي، فمن لم يستطع ذبح شاة فعليه صيام ثلاثة أيام في أيام الحج سوى يوم عرفة، وصيام سبعة أيام إذا رجع من منى، تلك الأيام عشرة كاملة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى التمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ إذ لا تمتع ولا قران لأهل المسجد الحرام ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ واتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه في أحكام الحج والعمرة وغيرها.

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ يعني أشهر الحج معروفة عند الناس، وهي: شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾، أي: فمن ألزم على نفسه الحج بالإحرام والتلبية ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ فلا يجامع نساءه ولا يتكلم بكلام الفاحشة ولا يخاصم مع رفقائه وغيرهم في حالة إحرامه للحج أو العمرة ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ وأيّ عمل تعملون من عبادة بدنية أو مالية أو غيره يعلمه الله فيجازيكم جزاء حسنًا في الدنيا والآخرة.

﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾، قال الخازن وابن كثير عن ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ـ من طعام أو شراب ـ ويقولون نحن متوكلون على الله، فإذا جاؤوا مكة سألوا الناس، فأنزل الله الآية. وبعدما أمر الله بالتزود للحج أمر المؤمنين بالتقوى؛ فإنها خير الزاد للآخرة ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ واتقوني يا ذوي العقول والأفهام. حاصل المعنى: خافوا عقابي واتئمروا بأوامري واجتنبوا عن نواهيي.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، قال ابن كثير عن ابن عباس: كانوا يتجرون في مواسم الحج، ولما جاء الإسلام تأثّموا أن يتاجروا في الحج، فسألوا ذلك رسول الله فأنزل الله الآية، ومعنى الآية: ليس عليكم إثم بذكر ولا حرج في أن تطلبوا رزقًا حلالاً بالتجارة والكراء وهذا فضل من ربكم.

ثم أمرهم بذكر الله في المزدلفة، فقال: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ فإذا رجعتم من عرفات بعد غروب الشمس فاذكروا الله عند المشعر الحرام، وهو المعروف بالمزدلفة، والذكر شامل للدعاء وتلاوة القرآن والاستغفار والتهليل والتسبيح والصلاة، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾، أي: اذكروا الله ذِكرًا كثيرًا كما هداكم إلى معالم حجه شاكرين له جل شأنه، وإن كنتم من قبل رسالة محمد عليه الصلاة والسلام لمن التائهين، لا تعرفون الدين ولا أحكام الحج.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ وكانت قريش ومن يدين دينها يقفون في المزدلفة ويقولون: نحن سكان الحرام لا نخرج من حدوده، وسائر الناس يقفون بعرفات. فلما جاء الإسلام أمر الله أن يقف الحاج في عرفة ثم يفيض منها. ومعنى الآية: وبعد وقوفكم في عرفة ارجعوا إلى المزدلفة في الوقت الذي يرجع الناس وهو بعد الغروب لا قبله، واستغفروا الله عن ما أسأتم من مخالفتكم أمره، إن الله غفور لمن تاب عن ذنوبه رحيم لعباده المؤمنين.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ فإذا فرغتم من أحكام حجّكم

وأدّيتموها تمامًا ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قال الخازن: قال المفسرون: كان في الجاهلية بعد الحج أن العرب يتفاخرون بسخاء آبائهم وبأنسابهم في منى، فأمر الله أن يذكروا الله بالتحميد والتمجيد والتكبير أبلغ من ذكرهم آباءهم.

﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ من نصيب في الجنة؛ لأنهم طلبوا حطام الدنيا ونسوا نعيم الآخرة، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ والمراد من الحسنة في الدنيا: الصحة والعافية والزوجة الصالحة والرزق الواسع من الحلال، والمراد من الحسنة في الآخرة: العفو والمغفرة والجنة والنظر إلى وجه الله، ﴿وقنا﴾، أي: احفظنا من عذاب نار جهنم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ أولئك الذين طلبوا خير الدنيا والآخرة لهم حظ وافر من أجل ما عملوا من أعمال الصالحات، والله سريع الحساب يحاسب الخلائق في لحظة يسيرة.

﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهي أيام التشريق غير يوم النحر، أي: كبروا الله عند رمي الجمرات وعقب الصلاة المكتوبة مع التهليل والتحميد ويشمل سائر الأذكار ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾، أي: فمن استعجل النفر من منى في يومين من أيام التشريق فلا إثم عليه وقت الرمي بعد الزوال لا قبله إلى غروب الشمس، وبعد غروبها لزم عليه المبيت ويجب عليه الرمي في يوم الثالث، وذلك قوله تعالى: ﴿فمن تأخر فلا إثم عليه﴾، أي: إلى يوم الثالث لمن اتقى، أي: لمن أراد التكميل.

والرمي في أيام التشريق الأول رخصة والثاني عزيمة. واتقوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمر به وما نهى عنه، واعلموا إنكم إليه تحشرون بأعمالكم وتحاسبون عنها وتجازون عليها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ ومن الناس من يعجبك يا محمد كلامه، وفصاحته، وهذا في الدنيا، ولكنه يحتال على الدنيا بالدين، ويجترىء على الله، ويضمر عكس ما يظهر، فهذا هو المنافق، يروّج كلامه بيمين كاذبة ويشهد الله على ما في قلبه أنه ناصح ومخلص لكنه يضمر الخيانة والنفاق، وهذا من أشد العداوة والخصومة للمؤمنين. وأول ما نزلت، نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، ثم كانت عامة بعده في أمثاله.

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾، أي: وإذا انصرف عن مجلسك يا محمد سعى لإفساد الناس في الأرض ويهلك الحرث والنسل؛ لأن الفساد والمعاصي في أرض الله سبب لإمساك المطر، وانقطاع الماء، فتهلك الزروع والعشب والحيوانات من قحط الماء ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾، أي: فساد المفسدين، ويبغض ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ وإذا نُصِح ووُعِظ فقيل له اتق الله ولا تفسد الناس، أخذته العزة والكبر، وحمله ذلك على ارتكاب الإثم. فحسبه جهنم يوم القيامة، وبئس المرجع والفراش في جهنم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس: نزلت في صهيب الرومي، لمّا أراد الهجرة بماله إلى المدينة قال كفار قريش: أنت جئت

عندنا لا مال لك فتذهب بمالك؟ لا والله لا يكون ذلك أبدًا، قال: إن تركت مالي تخلوني؟ قالوا: نعم، فترك ماله، فذهب إلى المدينة فقدم المدينة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ربح صهيب ربح صهيب، كررها مرتين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ اختلفت أقوال المفسِّرين في سبب نزول هذه الآية، وقال الخازن في تفسيره عن ابن عباس: أمر الله مؤمني أهل الكتاب وكل مؤمن أن يعملوا بما أمروا في شريعة الإسلام جميعًا وأن لا يتبعوا خطوات الشيطان، أي: لا يتبعوا مسلكه وتزيينه؛ لأن الشيطان للمؤمنين عدو ظاهر فلا يخفى عليكم.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، أي: فإن ضللتم عن أوامر شريعة الإسلام من بعد ما جاءتكم الآيات الواضحات لبيان ما حلَّل الله وما حرَّم ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾، أي: إن الله غالب عزيز في انتقامه ممن يخالف أمره، حكيم فيما أمر ونهى، وكل ذلك لحكمة منه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ﴾ ما ينتظر التاركون الدخول في الإسلام والذين يتبعون خطوات الشيطان؟ هل ينتظرون إلَّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، أي: أن يأتي عذاب الله في ظل من السحاب، ويأتي الملائكة الموكلون بالعذاب؟ فعندئذ قضي الأمر من الله بإهلاكهم ولا راد لقضائه في العذاب ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ كلها، وهو يحاسب فيجازي.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ﴾ اسأل يا محمد بني إسرائيل كم آتيناهم من معجزات، مثل معجزات موسى عليه السلام: تنقلب يده

بيضاء والعصا تصير حية والنجاة من فرعون وجنوده وإنزال المن والسلوى وانفجار الماء من الحجر وغيرها، تدل كل تلك الأمور على صدق رسالة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾ ومن يغير نعمة الله، ــ أي: آياته ــ من تحريف وكتمان ما في كتابه من بعد ما جاءته، أي: من بعد ما عرفها وصحت عنده معرفة الكتاب بالعلم اليقين، فإن الله شديد العقاب يعاقبه في الدنيا والآخرة.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ زين للذين كفروا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام زينة الحياة الدنيا وشهواتها، وهم اغتروا بها حتى أنهم يسخرون ويستهزؤون من الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به ويظنون أنهم أعلى منهم. أما الذين اتقوا من الشرك بالله والكفر بنعم الله فإنهم فوق هؤلاء الكافرين المستهزئين بالفقراء المسلمين، ويوم القيامة فقراء المسلمين في جنات النعيم وهؤلاء المستهزؤون في عذاب نار الجحيم ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ ومن أراد الله فيه خير الآخرة فيوفقه بالتقوى والزهد والصبر على طاعة الله ومن المصائب ويرزقه ثواب الآخرة بغير حساب.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، أي: جماعة واحدة على دين واحد من لدن آدم عليه السلام، يعبدون الله ولم يشركوا به شيئًا، ولكن زين لهم الشيطان عبادة غير الله فاختلفوا، حتى صار بعضهم يعبد الطواغيت وبعضهم، ثبتوا على الدين الذي أرشدهم إليه أبوهم آدم عليه السلام، فبعث الله نوحًا عليه السلام رسولاً إليهم ليبلغ أمر ربهم إليهم ويهديهم إلى توحيد الله وينهاهم عن عبادة غير الله وعن ارتكاب المعاصي، ونوح عليه السلام ما زال يبلغ أمر الله إليهم فلبث فيهم تسع مائة وخمسين عامًا، فآمن أهل السفينة،

والآخرون ثبتوا على كفرهم وشركهم، ولمَّا يئِسَ نوح عليه السلام من إيمانهم بالله وحده دعا ربه عزّ وجلّ ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارًا. . .﴾ إلى آخر الآية، فأجاب الله دعاءه فأمره بصنع السفينة وأمره أن يحمل المؤمنين فيها ومن كل حيوان زوجين ذكرًا وأنثى ففعل ذلك، فأغرق الله الباقين بماء الطوفان ــ وستأتي قصة نوح وقومه في سورة هود إن شاء الله ــ فنجى الله أهل السفينة سالمين وأعطاهم بركة في النسل والرزق، وكثر أولادهم وأحفادهم إلى أن اختلفوا في دينهم.

﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ فبعث الله النبيين مبشرين بالجنة لمن آمن بالله وحده ولم يشرك به شيئًا ومنذرين عن عذاب نار جهنم لمن كفر به. وأنزل مع كل نبي كتابًا بالحق، أي: بالصدق والعدل ليحكم بين الناس بالعدل موافقًا لحكم الله فيما اختلفوا فيه، أي: في أمر دينهم ومعاملاتهم ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾، أي: في الدين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ إلاَّ الذين أوتوا الكتاب من بعد ما جاءتهم الدلائل الواضحات والحجج القاطعات تفصل بين الحق والباطل والمُحِقّ والمبطل، واختلافهم في ذلك كان بغيًا وحسدًا بينهم ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾، أي: فهدى الله المؤمنين إلى الحق والصواب فيما اختلف فيه أهل الضلالة بإرادة الله، وحمى المؤمنين من الاختلاف ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ والله يرشد من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم إلى رضوانه.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ أظننتم أيها الناس أن تدخلوا الجنة بغير جهد ولا تعب في طاعة الله؟ ثم يذكِّرهم سبحانه وتعالى حالة من سبق

من الأمم الماضية فقال: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ حين البأس، أي: لم يأتكم المصائب والشدة في العيش والفقر كمثل الذين مضوا من قبلكم؛ أصابهم البؤس في حياتهم والمرض في أبدانهم وزلزلوا، أي: حركوا وأزيلوا وهجِّروا عن أوطانهم إلى وطن آخر يبغون الفرج فيه واشتد الأمر عليهم ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الجملة الأخيرة إجابة لدعائهم، وعليكم الصبر لأنه لا يخلف الوعد، إذا وعد أنجز.

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ يسألونك يا محمد ماذا ينفقون من أموالهم؟ وعلى من ينفقون؟ ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ قل لهم يا محمد أيّ شيء أنفقتم من خير فالأولى للوالدين ثم الأقربين بالنسب أو بالمصاهرة ثم الأيتام ثم المساكين ثم ابن السبيل وسبق تفسير هذه الأصناف عند قوله تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾. ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ فرض عليكم قتال الكفار أيها المؤمنون وهو مكروه لكم لما فيه من شدة ومشقة ومن ضياع المال وهلاك النفس، فأنزل الله: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ ولعل أن تكرهوا قتال الكفار وهو عزة وشرف لكم؛ إما الغنيمة وإما الشهادة في سبيل الله، ولعل أن تحبوا القعود ولا تقاتلوا وهو ذلة وحرمان من الأجر ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ والله يعلم ما فيه خير لكم في الدنيا والآخرة، وأنتم لا تعلمون ذلك.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ يسألونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ قل لهم يا محمد قتال في الشهر الحرام وزر عظيم.

﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ وصد المشركين في عام الحديبية رسول الله وأصحابه الذين جاؤوا معه لأداء نسك العمرة، عن الدخول إلى المسجد الحرام، وكفرهم بأمر الله وإخراجهم المؤمنين من مكة، كل ذلك أعظم ذنبًا عند الله ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ وفتنة الشرك بالله أعظم ذنبًا من القتال في الشهر الحرام.

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ ولا يزال مشركو مكة يقاتلونكم أيها المؤمنون كي يردوكم عن دينكم الإسلام إلى دينهم الكفر والشرك إن استطاعوا وإن قدروا، ثم حذَّر الله المؤمنين عن الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر والشرك: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ ومن يرجع من المسلمين عن دين الإسلام إلى دين الكفر والشرك فيمت وهو على حالة كفره بالله ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ فأولئك المرتدون، بطلت أعمالهم التي عملوها في الإسلام من الأعمال الصالحات، ولا ثواب لهم في الآخرة ولا لهم الميراث في أقربائهم المسلمين في حياتهم الدنيا، وأولئك أصحاب النار في قدر الله هم فيها داخلون ومقيمون على الأبد.

ثم يذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين بعد ذكر صفة الكافرين، وهذا بينه الله في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾، أي: إن الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام، هم الذين تركوا أوطانهم حبًّا لله ولرسوله وجاهدوا، أي: قاتلوا الكفار في سبيل الله لإعلاء دينه وهم يرجون رحمة الله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ لعباده المؤمنين.

﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾ جاء عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأصحاب من الأنصار رضي الله عنهم، قالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة العقل والمال، فأنزل الله الآية، أي: يسألونك يا محمد عن حكم الخمر والميسر، أي: القمار، وسُمي ميسرًا لأن صاحبه يأخذ مال أخيه بيسر ولعب، فقل يا محمد: فيهما إثم كبير ومنافع للناس في التجارة في الخمر واللعب في القمار، وإثمهما أعظم من الانتفاع بهما، فتركهما كثير من أصحاب رسول الله وبقي بعضهم ما تركهما، فقال عمر رضي الله عنه: اللّٰهمّ بيِّن لنا بيانًا شافيًا في الخمر، فأنزل الله الآية التي في النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ فقرئت على عمر فقال: اللهم بين لنا في الخمر، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾، إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾، في سورة المائدة. فقال رضي الله عنه: انتهينا ربنا، فترك الناس، وحرمت الخمر والقمار وشرع رسول الله على شارب الخمر أربعين جلدة.

ولمَّا أمرهم رسول الله بإنفاق مالهم سألوا عن كيفية الإنفاق، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ يسألونك يا محمد كيف ينفقون مالهم؟ قل لهم العفو، بما فضل عن حاجتكم. فكانوا يتصدقون

بما فضل عن حاجتهم. ثم نسخت بآية الميراث ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهكذا يبين الله لكم أحكام الشريعة لعلكم تتفكرون فيها وتعلمون أن الدنيا لا بقاء لها، وتزهدون فيها، وتنفقون بفضل الله ما فضل عن حاجتكم للفقراء والأيتام راجين ثوابه في الآخرة.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ ويسألونك يا محمد عن مال اليتامى؟ قل لأولياء اليتامى: الإصلاح بتنمية أموالهم بغير تضييع خير لهم في معاشهم في الدنيا، وللأولياء ثواب في الآخرة، ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ فإن تخالطوهم في المسكن والمأكل بغير كراهة عليهم فإخوانكم. الإخوان يعين بعضهم بعضًا من غير ذل، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ والله يعلم المفسد لأموال اليتيم والمصلح لأمواله. وهذا تنبيه على أولياء الأيتام ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ ولو شاء الله لأتعبكم وشدد عليكم في المحافظة على أموال اليتيم ولكن أباح لكم المخالطة معهم بالرفق والإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾ إن الله عزيز فيما أمر وحكيم في تدبير ما أمر به.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ ولا تتزوجوا أيها المؤمنون المشركات حتى يؤمن ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ في حسنها وجمالها ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ ولا تزوجوا أيها الأولياء من في حجركم من النساء للمشركين حتى يؤمنوا ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ماله أو حسنه، ثم بيّن العلة فقال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره وإرادته ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ فيما لهم صلاح في دينهم ومعاشهم.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ ويسألونك يا محمد عن المحيض، أي: عن المرأة إذا حاضت ماذا يفعل بها؟ قل لهم هو أذى، أي: قذر يكره، فاعتزلوا أيها المسلمون النساء في المحيض، أي: في وقت حيضهن ولا تقربوهن بقصد الجماع حتى يطهرن من حيضهن ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فإذا تغسلن وتطهرن فجامعوهن من حيث أباح لكم الله به الجماع. وهو القُبُل وليس الدُّبر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ إن الله يحب التوابين من الذّنوب ويحب المتطهرين عن النجاسة والحدث.

وقالت اليهود: إذا جامع الرجل امرأته في قبُلُها من دبرها يأتي ولده أحول فأنزل الله ردًّا عليهم ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ﴾، أي: نساؤكم حرث لكم، شبه المرأة بالحرث، الأرض التي تزرع، وماء الرجل بالحب، يعني إنزال النطفة في فرج النساء سبب لوجود الولد في رحم الأم بمشيئة الله، كما إلقاء الحَبّ في الأرض سبب للزرع. ﴿فأتوا حرثكم أنّى شئتم﴾، أي: كيف شئتم من جهة القبل أو جهة الدبر، ولكن محل الحرث واحد هو القبل لا الدبر، ﴿وقدموا لأنفسكم﴾، أي: فأتوا نساءكم بالتسمية والنيّة الصالحة ليرزقكم الله ذرية صالحة تنفعكم في الدنيا، ويدعون لكم بالمغفرة والرحمة، وهذا معنى قدموا لأنفسكم، وقد ورد في الصحيح أنه من آداب الجماع أن يدعوا: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا». والله أعلم ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾، أي: خافوا الله في مخالفة أمره ونهيه واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة للحساب والجزاء، وأخبر يا محمد المؤمنين الذين امتثلوا بأمر الله واجتنبوا عن نواهيه أن الفوز لهم في جنات النعيم.

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا ﴾ ولا تجعلوا الله أيها المؤمنون عرضة، أي: معروضة لأيمانكم ــ جمع يمين، بمعنى محلوف ــ أن تبروا بيمينكم ولا تصلحوا، قال في تفسير ابن عباس والخازن كان عبد الله بن رواحة بينه وبين ختنه شيء فحلف أن لا يدخل عليه، ولا يصلح بين ختنه وخصمه، وإذا قيل له ادخل يقول قد حلفت بالله فلا أفعل فأبر بيميني فأنزل الله الآية ﴿ وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ وتتقوا في قطع الرحم وترك إصلاح بين الناس ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ والله سميع بأقوالكم عليم بما في ضمائركم.

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾ اليمين: اللغو قول الرجل لا والله بلى والله، لا يريد العقد في المحلوف ويخرج من لسانه بغير قصد اليمين ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ولكن يعاقبكم بما كسبتم في قلوبكم من اليمين ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ لعباده المؤمنين حيث لا يعاقبهم باليمين اللغو.

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾، أي: على الذين يحلفون أن لا يجامعوا نساءهم فعليهم انتظار أربعة أشهر ﴿ فَإِن فَاءُوا ﴾، أي: رجعوا إلى نسائهم في المدة ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾، أي: غفور لتركهم الجماع على نسائهم رحيم لعباده المؤمنين ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ إن قصدوا طلاقها بالعزم في مدة الإيلاء فإن الله سميع بأقوالهم عليم بما في ضمائرهم، وإن مضت المدة يقع الطلاق بائنًا.

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾، أي: ينتظرن بأنفسهن ثلاثة قروء ــ جمع قرء ــ، وهو الحيض، لقوله ﷺ: دعي الصلاة عند

أقرائك ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ من حمل ولد أو حيض ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وهذا وعيد شديد على المطلقات، ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا إِصْلَٰحًا ﴾ وأزواجهن أحق بإرجاعهن إليهم في العدة إن أرادوا إصلاحًا في المعاشرة، وتكون الرجعة قبل تمام العدة، أما بعد تمام العدة فلا، إذ يقع الطلاق بائنًا، لا رجعة للزوج إلاَّ بعقد ومهر جديد، ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وللزوجات من النفقة وحسن المعاشرة على الأزواج مثل ما يجب عليهن من الأمانة في مال زوجها وأمانة الفراش في غياب زوجها بالمعروف في حكم الشريعة ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ وللرجال عليهن فضيلة وهي: الطلاق بيد الرجل، والإنفاق والسكن والمهر على الرجل، ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ والله غالب في انتقام من خالف أمره ونهيه، حكيم فيما أمر ونهى.

﴿ الطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ وكان الرجل يطلق زوجته ثم يراجعها ثم كذا ثم كذا، مرات بغير حصر، فنهى الله المسلمين عن ذلك للإضرار والظلم على النساء، قال: الطلاق الرجعي مرتان: فإمساك بمعروف، أي: إذا طلقها واحدة أو اثنتين، فهو مخير فيها ما دامت عدتها باقية بين أن يردها ناويًا الإصلاح بها والإحسان إليها. فإذا طلقها الثالثة أو تركها حتى انقضت عدتها فتبين منه ويُطْلِق سراحها بإحسان، ولا يظلمها حقها شيئًا ولا يضار بها، وعليه أن يؤدي نفقة أيام عدتها والمسكن لها بعد الثالثة ولا رجعة له عليها.

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾، أي: ولا يحل لكم أيها الأزواج أن تردوا لكم مما أعطيتموهن من المهر أو غيره شيئًا بإجبارهن إلاَّ أن يخافا ألا يقيما حق الزوجية ويحصل

بينهما شقاق ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ﴾، أي: فيما افتدت به نفسها برضاها لا بالإجبار عليها بأن ترد مهرها برضاها لزوجها ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ تلك الأحكام التي ذكرنا لكم أيها المسلمون فلا تجاوزوها، وحافظوا عليها ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ لأن الذين يخالفون أحكام الله ويتجاوزوها فهم ظالمون لأنفسهم، وأوجبوا العقاب عليها.

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ في الثالثة ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾، أي: حتى تتزوج زوجًا غير مطلقها، والزوج الثاني يدخل عليها ويذوقان عسيلة الجماع ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ الزوج الثاني ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ فلا إثم على الزوج الأول والمرأة أن يتراجعا بنكاح ومهر جديد إن تيقنا أن يقيما حقوق المعاشرة الزوجية بالمعروف كما أمر الله بها ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾ وتلك الأحكام والحقوق التي بيناها إنما هي لقوم يفهمون ويعملون بها.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾، أي: قاربن منتهى عدتهن ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ راجعوهن بمعروف، أي: بحسن المعاملة والصحبة، ﴿ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أو اتركوهن حتى تكمل عدتهن ويملكن أنفسهن، ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ﴾ ولا تمسكوهن بالمضارة عليهن حتى يطلبن المخالعة عنكم برد المهر عليكم فتظلموهن بذلك، ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ فقد أوجب عقاب الله على نفسه ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ﴾ ولا تتخذوا أيها المسلمون أوامر الله مهزوءًا بها، فامتثلوا أوامره واجتنبوا عن نواهيه.

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ واذكروا أيها المسلمون نعمة الله عليكم وهي بأن وفقكم للإيمان بالله وحده وبالاستقامة على دين الإسلام، واذكروا ما أنزل عليكم من الكتاب ــ يعني القرآن ــ فيه أحكام دين الإسلام؛ والحكمة، أي: الموعظة، يعظكم به، أي: يرشدكم إلى ما فيه رضا ربكم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ وإذا طلقتم أيها الأزواج زوجاتكم فبلغن أجلهن بإكمال عدتهن، ثم أراد الأزواج مراجعتهن ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ فلا تمنعوهن أيها الأولياء إذا أردن أن يراجعن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بما يوافق حكم الشريعة. وقد نزلت هذه الآيات في معقل بن يسار حيث منع أخته حين أرادت أن ترجع إلى زوجها الذي طلقها، ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ذلك النهي عن العضل يتعظ من كان يؤمن بالله وحده وباليوم الآخر، يوم القيامة التي فيها حساب وجزاء ﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾، أي: ترككم العضل خير لكم وأطهر لقلوبكم ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾ والله يعلم ما هو أصلح لكم في حياتكم في الدنيا وفي الآخرة.

﴿ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وعلى الأمهات أن يرضعن أولادهن سنتين كاملتين لا زيادة عليهما ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ أن يكمل مدة الرضاع للولد إن كانت الأم مطلقة ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ وعلى الأب رزقهن وكسوتهن بما تعارف بينهما بغير إسراف ولا تقتير ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، أي: على قدر طاقتها إن كان الأب غنيًا والنفقة على قدر غناه، وإن كان فقيرًا على قدر وسعه ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ

بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِۦ﴾، أي: لا تؤذى الأم بسبب ولدها ولا الأب بسبب ولده يعني لا تمنع الأم إرضاع ولدها إذا رغبت إرضاع ولدها ولا يقطع نفقتها والأم لا تكلف الأب على الزيادة من استحقاقها ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ وعلى وارث الأب والصبي مثل ما يجب على الأب.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ فإن أراد الأب والأم فطام الصبي قبل تمام الحولين ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ يعني فطام الطفل عن الرضاع بالتراضي والتشاور لمصلحة بينهما ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في إفطام الصبي عن الرضاع ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ وإن أردتم أيها الآباء أن تطلبوا المرضعة لإرضاع أطفالكم وذلك من مرض الأم وغير ذلك من العلل ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في إرضاع الطفل لغير أمه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ إذا أعطيتم نفقة المرضعة بالمعروف من غير بخس لحقها ولا مماطلة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وعلى النساء اللاتي يتوفى أزواجهن أن ينتظرن بأنفسهن إكمال العدة أربعة أشهر وعشرة أيام، وعلى الحاملة عدتها وضع حملها لقوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فإذا بلغن انتهاء العدة فلا إثم عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من التجمل ومن الطيب والتعريض على الخطاب والنقل من المسكن إلى الآخر، وقوله ﴿بالمعروف﴾، أي: بما رخصت لهن الشريعة الإسلامية ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ فلا إثم عليكم أيها الرجال فيما عرضتم به على النساء اللاتي طلَّقهن أزواجهن، وهو قولكم: أنا أريد أن أتزوج، وربنا يسر لي امرأة صالحة، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أو أخفيتم في أنفسكم خطبتهن لا تظهرون في نكاحهن شيئًا، إنما تدخلون عندهنّ راغبين زواجهن من دون إظهار ذلك ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ علم الله أنكم ستذكروا عقد نكاحهن في أنفسكم فرفع الحرج عنكم ولكن لا تواعدوهن كلامًا سرًّا يخالف الشرع، واختلف العلماء في معنى السر، إلاَّ أن تقولوا قولاً معروفًا، أي: كلامًا حسنًا تستحسنه الشريعة والمؤمنون وذلك في خطبة النساء ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ ولا تعزموا أيها المسلمون عقد نكاح المرأة المطلقة أو من مات زوجها حتى يبلغ الكتاب، أي: العدة إلى منتهى أجلها. وسميت العدة كتابًا لأنها فرضت في الكتاب ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ واعلموا أيها المسلمون أن الله يعلم ما في ضمائركم فاحذروا مخالفة أمره ونهيه ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ أن الله غفور لمن تاب عن ذنوبه حليم لا يعجل العقاب على المذنبين ليتوبوا فيغفر الله لهم.

ثم يذكر سبحانه وتعالى حكم المطلقة قبل الدخول عليها ولم يتحقق الجماع فقال: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ فلا إثم عليكم إن شئتم طلاق نسائكم قبل أن تجامعوهن ولم تفرضوا لهن مهرًا ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾، أي: متعوهن على قدر يساركم والفقير على قدر

طاقته، متاعًا بالمعروف، وهذا تأكيد لما ذكر، حقًّا، أي: واجبًا على الذين يريدون الإحسان للنساء تطييبًا لخاطرهن.

ثم يذكر سبحانه وتعالى حكم المطلقة قبل الجماع وقد سميت لها المهر فقال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ إن طلقتم نساءكم قبل الدخول عليهن وقد سميتم لهن مهرًا أو دفعتم نقدًا فلكم نصف المهر ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ الَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، أي: إلَّا أن تعفو المطلقة عن حقها أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح حقه، وإن كان الزوج معتوهًا أو صغيرًا جاهلًا يسقط وليه، ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وإن تعفوا أيها الأزواج كامل المهر لها وهذا أقرب للتقوى، وقيل: الخطاب على الزوج والزوجة ﴿وَلَا تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ المودة والإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ فيجازيكم جزاء حسنًا.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ حافظوا أيها المسلمون على الصلاة المكتوبة بأدائها محافظين على شروطها وأركانها وسننها في أوقاتها مع الجماعة، وحافظوا على الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر، وإفرادها بالذكر للاهتمام؛ لأنها صلاة مشهودة، وأيضًا يوافق وقتها وقت انشغال الناس فيها، فذكرها كيلا يسهوا عنها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾، أي: قوموا في صلاتكم خاشعين ذاكرين الله.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ فإن خفتم من العدو في حالة القتال فصلوها قائمين على أرجلكم بالإيماء على، أي: جهة استقبلتموها وكذا راكبين على دوابكم ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من العدو ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم

﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾، أي: فصلوها ذاكرين الله فيها وفي أوقاتها كما علمكم الله في كتابه ما لم تكونوا تعلمون قبل تعليم الله لكم.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ والذين يموتون من المسلمين ويتركون أزواجًا، أي: زوجاتهم ويوصون وصية، هي نفقة لها لتمام الحول، ولا يخرجن من مساكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بعد تمام الحول ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ والخطاب لأولياء الميت. وقوله من معروف، أي: من أمور معروفة في الشرع لا ينكر عليها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾، أي: غالب في انتقام لمن خالف أمره ونهيه، حكيم فيما أمر ونهى.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ وللمطلقات نفقة العدة والكسوة بالمعروف، أي: بالإحسان لازمًا على الذين يخافون الله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ مثل ذلك يبين الله لكم أيها المسلمون أحكام كتابه لعلكم تفهمون وتسترشدون إلى ما أمركم به وتجتنبون عما نهاكم عنه.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ استفهام للتقرير والتعجب لمن يسمع، ألم تسمع يا محمد إذ نذكر لك قصة الذين خرجوا من ديارهم هاربين حذر الموت وهم ألوف، وقد اختلفوا في عددهم، وسبب خروجهم من ديارهم أنه نزل الطاعون عليها ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا جميعهم ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بدعاء أحد أنبيائهم، ويقال أنه حزقيل عليه السلام. وفي هذه القصة تنبيه على المؤمنين

أن الفرار من الموت لا ينفع، وأيضًا تشجيع لقتال الكافرين إذا طغوا على المسلمين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ إن الله لذو تفضل على المؤمنين إذ يذكر لهم قصص السابقين ليعتبروا بها، ولكن أكثر الناس لا يشكرون تمام الشكر، ولهذا أمر المسلمين بعد ذكر تلك القصة بالقتال فقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾﴾ وقاتلوا أيها المسلمون في سبيل الله إذا دعيتم للجهاد ولا تتهاونوا، واعلموا أن الله سميع بأقوالكم عليم بما في ضمائركم ونياتكم.

ثم حثهم على إنفاق مالهم في سبيل الله، فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ من طيب نفسه لا سمعة ولا رياء ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعة مائة ضعف، وذلك الإضعاف على قدر نية المنفق وإخلاصه ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ والله يقبض الرزق لمن يشاء ابتلاء ويبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا الأول يوجب الصبر والثاني يوجب الشكر لله تعالى. وإلى الله ترجعون بأعمالكم فتحاسبون وتجازون عليها.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾ وهذا الاستفهام مثل الاستفهام السابق: ألم تسمع قصة الملأ من بني إسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ حين قالوا لنبيهم يوشع أو شمعون ــ اختلفوا في اسمه ــ : اجعل لنا أميرًا يدبر لنا أمر القتال لنقاتل أعداءنا في سبيل الله ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ هل أنتم قريب أو عسى أنكم ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ إن فرض

عليكم القتال على أعدائكم أن تجبنوا فلا تقاتلوا: ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ قالوا وأيّ شيء يمنعنا من أن نقاتل أعداءنا في سبيل الله وقد أخرجنا أعداؤنا من مساكننا وأسروا أبناءنا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فلما فرض وأمر عليهم القتال على أعدائهم أعرضوا عنه وجبنوا إلاَّ فئة منهم كانوا قليلاً هم الذين عبروا النهر مع طالوت وسيأتي بيانها ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ وهذا وعيد على الذين تولوا عن القتال أن الله عليم بهم وسيعاقبهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ فأنكروا ولم يقبلوه، ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾، أي: كيف يكون له الملك ويحكم علينا؟ وقيل: كان طالوت دباغًا فقيرًا؛ ولهذا قالوا: ولم يؤت سعة من المال ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ قال لهم نبيهم: إن الله اختاره بأن يكون عليكم ملكًا وأعطى له سعة في العلم والجسم. وقيل: كان طالوت من بني إسرائيل أعلم الناس، وكان أطول من الناس قوي الجسم ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾، أي: يؤتي ملكه لمن يشاء من عباده، والله واسع العلم وله تدبير أمر خلقه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، هذه الآية تشير إلى أنهم سألوا عن آية ملكه، فأجابهم أنه التابوت ــ والتابوت: صندوق من خشب ــ فيه سكينة من ربهم، إذا حملوه معهم في أثناء القتال كان لهم الطمأنينة والنصر على أعدائهم، وفيه

أيضًا مما ترك آل موسى وآل هارون هي العصا وبعض ألواح التوراة وعمامة هارون ونعاله تحمله الملائكة بين السماء والأرض، ولما ملك طالوت على بني إسرائيل وضعه الملائكة عند طالوت وهم ينظرون إليه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ إن في إنزال التابوت من السماء ووضعه عند طالوت لعلامة دالة على إحسان الله الملك لطالوت عليكم يا بني إسرائيل إن كنتم مؤمنين بعظمة وقدرة الله.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ فلما خرج طالوت بجنوده وانفصل عن ديارهم بيت المقدس متوجهين لقتال عدوهم العماليق وهم في الحر عطشوا عطشًا شديدًا، فقال طالوت: إن الله مختبركم بماء نهر، وهو نهر الشريعة المعروف بين فلسطين أو الأردن ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، أي: فلا يصحبني، أراد بذلك اختبار مقدار طاعتهم له، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ومن لم يشرب منه فإنه يصاحبني، ثم ترحّم عليهم وقال ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ إلاَّ من شرب غرفة بيده لا بأس ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فشربوا من النهر على ملأ بطونهم، والذين لم يشربوا إلاَّ غرفة واحدة بيده كانوا قليلاً، قيل: عدد الذين شربوا ستة وسبعون ألفًا وبقي معه أربعة آلاف، وقد اختلف المفسرون في عدد جميع الجنود.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ فلما جاوز طالوت النهر والذين أطاعوه ولم يشربوا إلاَّ غرفة بيدهم وصبروا على العطش، ورأوا جيش العدو ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ ﴿قالوا﴾، أي: الذين شربوا ملأ بطونهم، عندما رأوا جيش العدو قالوا أنه لا قدرة لهم على قتال جالوت وجنوده لأنهم كثير، ولكن ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ قال الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله بالشهادة يوم القيامة كم من جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة بنصر الله لهم على أعدائهم الكافرين، ثم أكدوا إيمانهم بنصر الله لهم فقالوا: والله مع الصابرين بالنصر والمعونة.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ ولمَّا خرجوا إلى ميدان القتال بارزين على أعدائهم قالوا: يا ربنا أفرغ علينا صبرًا لتقوى قلوبنا وثبت أقدامنا في معركة القتال، كي لا نتراجع خوفًا، وانصرنا على أعدائنا الكافرين ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ وانتصر جيش طالوت على جيش جالوت بنصرة الله لهم، وقتل داودُ جالوتَ، إذ كان في جيش طالوت، ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ وبعد وفاة طالوت أعطى الله لداود الملك والنبوة وعلمه تدبير أمر أمته وصنع الدروع. كان داود يأكل مما اكتسب من صنع يده.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ ولولا دفع الله الظالمين على خلقه ببعض المصلحين بين الناس من شؤم الظالمين لفسدت الأرض، أي: أفسدت الزروع والنسل من قحط المطر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ ذو تفضل عظيم يعم بفضله على جميع خلقه.

ثم وجه الخطاب إلى رسول الله فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ تلك القصص التي حدثت في بني

إسرائيل نتلوها عليك يا محمد لتقرأها بالصدق على أصحابك فيعتبروا بها، وإنك يا محمد لمن جملة المرسلين.

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ تلك الرسل يا محمد التي قصصنا من قصصهم عليك مع أممهم قد ميزنا بعضهم على بعض، كتفضيل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والرسل ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾، أي: من الرسل من كلم الله وهو موسى عليه السلام، كلمه بلا واسطة ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ على الأنبياء والرسل، أي: كتفضيل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والرسل، وختمت النبوة به وأرسله إلى كافة الإنس والجن ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ وأعطينا وأنزلنا على عيسى ابن مريم الإنجيل فيه أحكام شريعته، ومن المعجزات إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وأيده بجبريل عليه السلام وهو معه إلى أن رفعه الله إلى السماء.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ ولو شاء الله ما اختلفوا في ما بينهم من بعد رسلهم، وبعدما جاءتهم الدلائل الواضحات تدل على صدق رسالة رسلهم ودينهم. ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ في دينهم من سوء تقدير بعضهم ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ﴾ فمنهم من ثبت على إيمانه ومنهم من خالف وكفر ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ ولو شاء الله ما اختلفوا في دينهم ولكن الله يفعل ما يريد وذلك بقضائه وقدره وحكمة منه؛ ليكون للجنة أهلها، وللنار أهلها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾ على وجوه البر في سبيل الله ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾، أي: من قبل أن يأتيكم

يوم القيامة لا تجارة فيها تكسبون المال لتفتدوا أنفسكم به من عذاب الله ولا صاحب ينجيكم منه ولا شفيع يشفع لكم ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ والكافرون بالله وبرسالة الرسل إليهم هم الظالمون لأنفسهم، وقد أوجبوا عقاب الله على وأنفسهم، بسبب كفرهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الله اسم ذاته، أي: لا إلـه غيره يعبد، هو المعبود الحق، هو الحي الدائم، لا زوال له؛ فحياته أزلية، القيوم القائم في تدبير أمر خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، أي: لا يسبق ولا يطرأ عليه نعاس ولا نوم لأنهما من صفات الخلائق في الأرض، وهو سبحانه وتعالى منزه عن صفات المخلوقات ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا، وكلٌ عبيده وتحت سلطانه وقهره، ويصرف الأمور كيف يشاء ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لا أحد يستطيع الشفاعة يوم القيامة لأحد إلاّ بإذنه جل شأنه، إن أذن لأحد المؤمنين أن يشفع فيشفع إن كان لأقاربه أو أصحابه، والإذن بالشفاعة لمن يستحق الشفاعة ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الله سبحانه وتعالى يعلم ما يقدم الناس من خير أو شر من الأعمال في حياتهم الدنيا ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وما خلفهم سيكون لهم في الآخرة. ففيها دليل على أن علمه جلّ وعلا يحيط بأمور الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ولا يعلمون شيئًا من معلوماته جلّ شأنه إلاّ بما شاء وعلّمه لرسله وأنبيائه، وهم يبلغون أممهم ويبينون لهم ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، أورد ابن كثير في تفسيره أحاديث عن أصحاب رسول الله عن رسول الله وقد سألوا عن قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ فقال: كرسيه موضع قدميه والعرش لا يعلم قدره إلاّ الله». وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل

رسول الله عن الكرسي قال: «والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلاَّ كحلقة ملقاة في أرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل فلاة على تلك الحلقة» ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾ ولا يثقله أو يتعبه حفظ السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن، جلت قدرته فهو القاهرة لكل شيء ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ سبحانه وتعالى ذو العظمة والكبرياء والمتعال على خلقه.

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ﴾ لا إكراه ولا إجبار على أحد في الدخول في دين الإسلام، لأنه واضح جلي، قد وضح طريق الإيمان والهداية من الغي والضلالة، ولا يفيد الدخول في الدين قسرًا ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فمن يكفر بالشيطان والأوثان ويؤمن بالله وحده ولا يشرك به شيئًا فقد تمسّك بالحبل الوثيق المحكم، وهو كلمة: لا إلـٰه إلاَّ الله، محمد رسول الله. مع مقتضياتها ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ لا انقطاع ولا زوال لها من صاحبها حتى يموت بها ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾، أي: سميع بأقوالكم عليم بنياتكم.

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ الله ناصر المؤمنين، يتولى أمورهم، يخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية، إلى الصراط المستقيم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِۗ﴾ والذين كفروا بالله وبرسالة الرسل وبالكتب المنزلة إليهم أولياؤهم وأنصارهم الشيطان وأتباعه؛ يخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الشك والكفر والمعاصي ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾، أي: مقيمون في العذاب على الأبد.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ استفهام للتقريع والتعجب في مجادلة الطاغي لإبراهيم في ربه، أي: ألم تنظر وتسمع إلى قصة الذي حاج، أي: جادل إبراهيم في وجود الله وربوبيته، وهذا الطاغي هو نمروذ بن كنعان بعد أن أتاه الله الملك ادعى الربوبية وتجبّر، وسأل إبراهيم قائلاً: من ربك؟ ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ أجابه إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، أي: يحيي الموتى ويميت الأحياء ﴿ قَالَ ﴾ النمروذ ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ فدعا رجلين فقتل أحدهما وترك آخر فعلم إبراهيم عليه السلام بطلان ادعائه. ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ فتحير وعجز نمروذ عن الإجابة على سؤال إبراهيم عليه السلام ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ إلى الرشد والإجابة بل يذلهم ويخزيهم.

ثم ضرب الله مثلاً على قدرته وربوبيته وأنه المتفرد في ذلك فقال: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ استمع إلى قصة الذي مرَّ على قرية وقد صارت خاوية على عروشها ــ ورد أنه عزير عليه السلام، وقيل غيره من بني إسرائيل ــ مرَّ على بيت المقدس وقد هدمها وضربها وقتل أهلها بختنصر، فصارت ساقطة سقوفها وجدرانها، خالية من أهلها. فتساءل عزير ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، أي: كيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها. وكان راكبًا على حمار عليه طعامه وشرابه ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾، أي: أماته هو وحماره، وبعد مائة سنة أحياه ليريه كمال قدرته له.

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ قيل: أرسل الله ملكًا ليسأله، قال: كم من الزمان مكثت ميتًا ــ أو نائمًا ــ؟ قال: يومًا، ثم نظر إلى بقية الشمس قال أو بعض يوم؛ لأنه أُميت في أول النهار وأحياه الله في

آخر النهار قبل أن تغيب الشمس، ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، أي: لم يتغير طعمهما ولم ينتن ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ انظر إلى إحياء حمارك وهو عظام بالية. فركّبها وكسا عليها لحمًا فأحياه وهو ينظر عليه ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ فعلنا ذلك ليكون شأنك آية دالة على كمال قدرة الله للذين ينكرون المعاد والبعث. ثم أمر بالنظر إلى حماره ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إلى صنع الله في تركيب العظام وكساء اللحم ثم إحيائه وتيقن كمالَ قدرة الله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)﴾ لا يعجزه شيء على إماتة حيّ وإحياء ميت.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ حيث قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: كيف تحيي الموتى؟ قال تعالى: أولم تصدق يا إبراهيم؟ قال إبراهيم عليه السلام: بلى أصدق، ولكن أريد أن يسكن قلبي ويطمئن ولا يأتيه شك ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، أي: اجمعهن إليك ثم قطعهن واضمم بعضها إلى بعض بالخلط ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ففعل ذلك كما أمره الله. ورؤوس تلك الطيور في يده، ولما دعاهن سعى كل جزء إلى نوعه وانضم حتى تكمل كل طير بأجزاء نوعه بقدرة الله تعالى، وتركبن على رؤوسهن ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ واعلم أن الله غالب وقادر على كل شيء، حكيم في تدبير أمور الخلق.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ في هذا المثل ترغيب للإنفاق في سبيل الله، فثواب إنفاق المنفق كمثل حبة مبذورة في الأرض أنبتت سبع شعب وفي كل

شعب سنبلة وفي كل سنبلة مائة حبة، وفي آية أخرى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾، والزيادة على العشر إلى سبع مائة ضعف، وذلك الإضعاف على قدر إخلاص العامل في عمله وإنفاقه لله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾، أي: واسع الجود والكرم عليم في من أخلص عمله لله تعالى، هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ ثم لا يذكرون منًا على من أنفقوا عليهم فيقولون له: أعطيتك كذا وكذا، ولا يؤذونه بالتحقير والتطاول عليه ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ لهم ثواب إنفاقهم عند ربهم يجدونه يوم القيامة، ولا خوف عليهم من عذاب الله، ولا هم يحزنون على ما تركوا من زهرة الدنيا في الدنيا.

﴿۞قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾ القول الجميل للفقير وستر حال الفقير والعفو عن إساءته خير عند الله من صدقة يتبعها أذى، كأن: يُعطي الفقير ثم يقول له كلمة يتأذى بها أو يمنّ عليه صدقته فيذكّره بها حتى يحرجه ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴿٢٦٣﴾﴾ فالله غني عن صدقة المؤذي والمنانّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾، أي: لا تحبطوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى على الفقير ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مثل الذي ينفق ماله رياء وسمعة وفخرًا على الناس ﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ ولا يصدق بلقاء الله ولا يرجو ثوابه ولا يخاف عقاب الله يوم القيامة ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾ فمثل إنفاق المرائي كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه مطر فتركه صلدًا، أي: أملسًا لا شيء عليه من التراب ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾

لا يجدون لثواب إنفاقهم شيئًا من الحسنات، ولا يقدرون على ثواب شيء من أعمالهم في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ إلى الرشد والهداية إلى طريق الخير.

ثم ضرب المثل للمؤمنين المخلصين في أعمالهم لله تعالى فقال: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾، أي: ينفقون أموالهم في سبيل الله طالبين رضا الله وتثبيتًا، أي: رضًا من أنفسهم ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ﴾ كمثل بستان بأرض مرتفعة مستوية تجري فيها الأنهار أصابها مطر غزير فأثمرت أشجارها ضعفين ﴿ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ ﴾ فإن لم يصبها ماء مطر ينزل عليها الندى والرذاذ فتسقى الأشجار بها، فأرض البستان لا تمحل أبدًا، كذلك عمل المؤمن لا يبور، بل يتقبله الله ويكثره وينميه ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ وهذا أبلغ تنبيه للمسلمين ليكونوا مخلصين في أعمالهم متحذرين فيها عن السمعة والرياء والعجب.

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ أيحب أحدكم أن يكون له بستان من أصناف النخيل ومن أصناف العنب وتجري عند أصول أشجاره ماء الأنهار ـ جمع النهر وهي جداول الماء ـ وله فيها من كل الأشجار المثمرة ﴿ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ ﴾ فأصابه، أي: فبلغ عمره الشيخوخة والهرم ولا يقدر على الكسب، وله أولاد صغار، فأصاب بستانه ريح شديدة فيها نار فأحرقت أشجار بستانه، فهذا مثل لمن أنفق ماله رياء وسمعة لا يريد وجه الله، فلا ثواب له ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾ أيها المسلمون وتعتبرون بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده أنفقوا من المال الحلال ما كسبتموه وأنفقوا مما أنبتنا لكم من الزروع من الأرض ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ ولا تقصدوا إلى الرديء والحرام من الحبوب والثمار والطعام تنفقونها للفقراء ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ وإذا أُعطيتم ذلك لا تقبلونه من رداءته إلاّ أن تغمضوا بصركم، يعني تكرهونه ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ واعلموا أيها المنفقون أموالكم أن الله غني عن إنفاق أموالكم، إنما أمركم بإنفاق أموالكم في وجوه البر لينفعكم في آخرتكم، وهو سبحانه وتعالى حميد، أي: محمود في الأزل.

ثم حذَّر من الشيطان ووسوسته فقال: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ الشيطان يخوفكم الفقر ويمنعكم عن الإنفاق في سبيل الله ويأمركم بالأعمال الفاحشة، فأمْرُه تزيينه وترغيبه على البخل.

ثم بشر فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ والله يعدكم لذنوبكم مغفرة منه وفضلاً لإنفاق أموالكم في سبيله، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ والله واسع الرزق لمن أنفق ماله في سبيل الله عليم بمن يستحق الغنى، وعليم وبأحوال الخلق، ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾، أي: يعطي الله العلم النافع لمن يشاء من عباده ومن يعطى العلم النافع في أمور الدنيا والآخرة فقد أوتي خيرًا كثيرًا لأنه حاز خير الدنيا والآخرة ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ وما يتذكر ولا يتعظ بحكمة آيات القرآن ومواعظه إلاّ أصحاب العقول السليمة عن الهوى والزيغ عن الحق.

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ وأيّ شيء أنفقتم في سبيل الله من نفقة أو نذرتم من نذر، أي: أوجبتم على أنفسكم نذرًا لله من عبادة بدنية أو مالية فأوفيتم فإن الله يعلمه فيجازيكم جزاءً حسنًا ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ وما للمانعين زكاة أموالهم والشاحّين بالنفقة والعاصين في طاعة الله من أنصار من عذاب الله يوم القيامة.

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ إن تظهروا صدقاتكم من غير منّة فنعم الصدقات هي، إذ يقتدي بكم غيركم ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وإن تعطوها للفقراء خفية لا يطلع عليها أحد فهو خير لكم، يعني أبعد من الرياء والسمعة. وقيل: الأول في الزكاة المفروضة، والثاني في الصدقات النافلة ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾، يمحي من سيئاتكم بسبب الإنفاق في السرّ فإن هذا السرّ لا يخفى على الله ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ونياتكم فيها.

﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ورد أنه كان ﷺ والمسلمون يكرهون أن يجعلوا شيئًا من النفقة للأقارب من المشركين وأهل الكتاب إلاّ إذا أسلموا فنزلت هذه الآية تبيح ذلك، وتشير إلى أن الهداية للإسلام إنما هي على الله عز وجل، وأن النفقة على كل من سأل من كل دين سيعود ثوابها للمنفق ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾، أي: راجع ثوابه لأنفسكم ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ لا تريدون غيره ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾، أي: يوف لكم ثواب إنفاقكم ولا ينقص من ثوابكم.

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أعطوا صدقاتكم للفقراء المهاجرين في سبيل الله للجهاد،

لا يستطيعون سفرًا للتجارة أو لكسب المال لمعاشهم ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ يظنهم الذي لا يعرفهم أغنياء موسرين وذلك من ستر حالهم وتعففهم عن السؤال ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾، أي: إلحاحًا؛ متعففين عن السؤال فإن أعطوا رضوا من غير مسألة، وهم أهل الصفة فقراء المهاجرين ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ فأيّ شيء تنفقونه من مال حلال فإن الله عليم بإنفاقكم فيجازيكم جزاءً حسنًا.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله بالليل والنهار سرًّا وعلانية وفي جميع الأوقات لذوي الحاجات فلهم ثواب إنفاقهم عند ربهم يجدونه يوم القيامة ولا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم يحزنون على ما فات في الدنيا.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الربا هو الزيادة على أصل الدين، يزيد الداين على المديون، مثلاً إذا طلب رجل محتاج دينًا قدره ألف درهم كاملٍ من رجل غني إلى مدة سنة يدفعه له تسع مائة درهم. أو يدفع له ألف درهم ثم يطلب بعد السنة ألفًا ومائة درهم، وتلك الزيادة في النقود أو في الطعام فهي ربا وهذا حرام في شريعة الإسلام نهى الله المسلمين عن التعامل بالربا. وقوله: (الذين يأكلون الربا)، أي: مال الربا، لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلاّ كما يقوم الذي يضربه الشيطان من المس، أي: من جنون وخبل، ولا يستقيم قائمًا، وكذا أكل الربا لا يستطيع أن يقوم قائمًا من ثقل بطونهم. وهذا علامة أكل الربا في المحشر ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ

﴿مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ۗ﴾ ذلك الخزي في المحشر بسبب أنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، فماذا في الربا؟!

ورد الله عليهم ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ فمن بلغه أمر النهي عن التعامل بالربا من الله فانتهى وانزجر عنه ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾، أي: فله المغفرة عن ذنوبه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ فرجع إلى التعامل بالربا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾، أي: مقيمون في عذاب نار جهنم.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ يذهب الله بركة مال الربا، وقال ابن عباس: لا يقبل الله منه صدقة ولا حجًا ولا صلة الرحم، وقوله: ﴿ويربي﴾، أي: يزيد بركة الصدقات من المال الحلال ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ والله لا يحب كل كافر بتحريم الربا أثيم، أي: مصر بالإثم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات وصلوا الصلوات المكتوبة محافظين على شروطها وأركانها وسننها وأدوا زكاة أموالهم إذا بلغ النصاب بغير بخس لهم أجرهم عند ربهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ سبق تفسيرها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده اتقوا الله في مخالفة ما أمر به ونها عنه واتركوا ما بقي على مدينكم أو اتركوا كل أنواع الربا إن كنتم صادقين في إيمانكم بالله ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ فإن لم تتركوا التعامل بالربا فاعلموا أنكم تسببتم بإعلان الحرب من الله ورسوله عليكم ﴿وَإِن تُبْتُمْ

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ وإن تبتم أيها الدائنون عن الربا فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون على مدينكم بطلب الزيادة ولا تظلمون بنقص من رؤوس أموالكم.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ وإن كان مديون ذو حاجة لا يجد المال ليؤدي دينه فإمهال له إلى حالة يساره ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٨٠﴾ وإن تنازلتم عن حقكم تصدّقًا لله تعالى فهو خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون ما لكم من الجزاء الحسن في الآخرة ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٨١﴾ واتقوا أيها المسلمون يومًا تحشرون فيه إلى الله للحساب والجزاء ثم توفّى كل نفس جزاء ما كسبت في حياتها الدنيا، وهم لا يظلمون، أي: لا ينقصون من حسناتهم أو يزاد عليهم من العقاب ظلمًا، بل كلٌّ يحاسب بقدر ما اكتسب من غير زيادة ولا نقصان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، أي: إذا تعاملتم بدين مؤجل إلى وقت معلوم فاكتبوا قدر الدين والأجل ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، أي: ليكتب كاتب عادل بالحق لا يميل أحد الطرفين ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾، أي: ولا يمتنع كاتب أن يكتب الكتاب الموثق بينهما كما علمه الله لا يزيد ولا ينقص فليكتب الكتابة بالحق ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وليلقِ المديون إقراره بالدين للكاتب ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ ليخف المديون من الله في حالة إملائه للكاتب ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ ولا ينقص من حق الذي عليه شيئًا ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ فإن كان الذي عليه الدين سفيهًا، أي: جاهلًا ناقص العقل

أو ضعيفًا من هرم أو مرض أو لا يستطيع الإملاء لخرس أو بكم فليملل وليه بالعدل لا يزيد ولا ينقص من الواجب شيئًا.

﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾، أي: اطلبوا شاهدين من المسلمين يشهدان لإقراره على الدين الذي عليه ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ فإن لم يوجد رجلين للشهادة فرجل واحد وامرأتان عادلتان ممن تعرفون عدالتهم وأمانتهم، والسبب في أن تكون امرأتان في الشهادة: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ قد تنسى إحداهما الشهادة فلا تؤديها كما يجب عليها أداؤها، فتذكرها ما نسيت من الشهادة المرأة الثانية.

﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ ولا يمتنع الشهداء لأداء شهادتهم إذا طلبت منهم ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾، أي: لا تملّوا أو لا تتساهلوا في أن تكتبوا الدَّيْن بالضبط إن كان قليلاً أو كثيرًا إلى حلول ميعاده ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ ذلكم، إشارة إلى ما ذكر من ضبط الكتابة والشهادة أنها أعدل على الطرفين وأوفق لحكم الله وأعدل لأداء الشهادة ﴿ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ﴾ وأقرب حتى لا تشكوا ببعضكم في قدر الدين والأجل.

ثم استثنى الله تعالى التجارة الحاضرة بين الناس ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾، أي: إلاّ أن تكون التجارة تجارة حاضرة، أي: يدًا بيد تتعاملونها بينكم، فليس عليكم إثم أن لا تكتبوا الكتابة ﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ وأشهدوا أيها المسلمون الشاهدين إذا تبايعتم بينكم فهو أسلم من النزاع والمخاصمة ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ على البائع والمشتري ﴿ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾

وإن فعلتم ما نهيتكم عنه فإن فعلكم خروج عن طاعة الله وإثم عليكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ خافوا الله أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه فهو يعلمكم ما فيه خير لكم وما فيه شر لكم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ يرشد إلى ما فيه خير لكم وينهاكم عن ما فيه شر عليكم.

﴿۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ وإن كنتم مسافرين وتداينتم ولم تجدوا كاتبًا يكتب لكم المعاملة فرهن مقبوضة في يد الداين ليثق بها إلى حلول الأجل ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ فإن أمن الداين على الذي عليه الحق ولم يقبض رهنًا فليؤد الذي عليه الحق أمانة الداين بغير خصومة ولا مماطلة ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أداء حق الداين ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ وهذا الخطاب يتجه إلى الشهداء، قوله: (فإنه آثم قلبه)، أي: ومن يكتم الشهادة عند الحكام فإن قلبه يأثم ويفسد ولا يدخل الخير فيه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ونياتكم.

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وعبيدًا كل تحت قهره وسلطانه ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ وإن تظهروا ما في أنفسكم بالعمل من خير أو شر أو تخفوه، أي: لم تظهروه بالعمل، يحاسبكم به الله، قال النسفي والخازن: إن كان حديث النفس فاسد ويعزم به العمل فهو محاسب، وإن لم يعزم به العمل ويكره لا يحاسب عليه ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، أي: فيغفر لمن تاب عن ذنوبه ولم يصر عليها ويعذب من أساء ولم يتب حتى مات كل ذلك بمشيئة الله ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ له قدرة كاملة لا يعجزه شيء ويفعل ما يشاء.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾، أي: صدّق الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بما أنزل إليه في القرآن من العقائد وأحكام الشريعة وقصص الماضين، والمؤمنون معه آمنوا، ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ آمن الرسول والمؤمنون بالله وحده ولا نظير له في ذاته وصفاته وصدقوا بملائكته وبكتبه المنزلة على الرسل جميعًا، وهم يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ ونؤمن بهم جميعهم إيمانًا صادقًا من غير تفريق ولا تمييز ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾، أي: سمعنا قولك وأطعنا أمرك ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾، أي: نسألك مغفرتك يا ربنا عن ذنوبنا وإليك المرجع للحساب والجزاء.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ لا يكلف الله نفسًا إلاّ على قدر طاقتها، وذلك التوسيع على عباده المؤمنين برحمة منه ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ لها ثواب ما عملت من خير، وعليها جزاء ما اكتسبت من شر، الأول يعمل العبد المؤمن عملاً لله يرجو ثوابه، والثاني يفعل فعلاً من هوى نفسه ولا يبالي فيه خيرًا ولا شرًّا إنما يفعل بشهوة نفسه بغير تكليف، إذا وقع في المعصية فعليه جزاء معصيته وإذا وقع في أمر مباح فلا مؤاخذة عليه، والله أعلم.

وعلّم جلّ وعلا الدعاء، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ لا تعاقبنا بذنوبنا إن أصبنا الذنوب بالنسيان أو بالخطأ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾، أي: عهدًا ثقيلاً لا نستطيع القيام به فتعذبنا ﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ على السابقين كقطع موضع النجاسة من الثوب أو من جلد الإنسان وقتل النفس توبة من الذنوب وغير ذلك من الأوامر الشاقة على النفس، وكان ذلك على بني إسرائيل.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ ولا تأمرنا يا ربنا من الأوامر ما لا نستطيع القيام بأدائه ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ سيئاتنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ برحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ ولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ فانصرنا على أعدائك الكافرين بوحدانيتك في أولوهيتك وربوبيتك.

ومن فضيلة هذه السورة الآيتان في آخرها، ففي الحديث: «من قرأ ﴿آمن الرسول﴾ إلى آخر السورة في ليلة بعد العشاء، كفتاه من كل ما يحذر عنه»، وفي رواية: «أجزأته عن قيام تلك الليلة».

الحمد لله، تمّت سورة البقرة بعون الله.

* * *

سـورة آل عمران

آياتها مئتان، وهي مـدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ سبق تفسير ﴿آلم﴾ في أول سورة البقرة.

﴿الله﴾ هو المعبود الحق لا إلـه غيره، هو الحي الدائم لا زوال له، ﴿القيوم﴾ مبالغة من قائم، أي: القائم في تدبير شؤون الخلق.

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ﴾، أي: نزل عليك يا محمد القرآن بالصدق لا بالباطل، لا شبهة فيه، إنه كلام الله مصدقًا للكتب المنزلة إلى الرسل قبله ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ وأنزل التوراة لموسى عليه السلام والإنجيل لعيسى عليه السلام من قبل تنزيل القرآن لمحمد عليه الصلاة والسلام هداية لبني إسرائيل ﴿ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ﴾، أي؛ القرآن لمحمد عليه السلام يفرق به بين الحق والباطل وبين المبطل والمحق وبين الحلال والحرام.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ ﴾ إن الذين أنكروا وجحدوا القرآن والكتب المنزلة على الرسل لهم عذاب شديد يوم القيامة يذوقونه

على الأبد ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾، أي: غالب في أمره، ذو انتقام ممن كفر به وعصا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ وكل أعمال الخلق في علمه وهو لا يزال مطلع عليهم ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ هو الله يخلقكم في بطون أمهاتكم كيف يشاء على مختلف الخلقة كامل الجسم أو ناقص أو أبيض أو أسود أو ذكر أو أنثى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ لا إله يعبد إلاَّ الله، هو المعبود الحق، وعبادة غيره باطلة؛ هو الغالب في حكمه على خلقه الحكيم في تدبير شؤون الخلق.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ هو الله الذي أنزل عليك يا محمد القرآن فيه آيات محكمات واضحات معانيها لا التباس ولا شبهة فيها، وفيها بيان الحلال والحرام وفصل الحكم في مشكلات العباد، هن أصل الكتاب يرجع إليها في الحكم بين العباد. وأنزل آيات أخر متشابهات، أي: في تشابه لفظ العبارة وتخالف المعاني. وفي هذه الآية اختلفت أقوال المفسرين.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ فأما الذين في قلوبهم زيغ وهوى، أي: وهم وشك في المتشابهات في كتاب الله فيبحثون عما تشابه من آيات القرآن ابتغاء الفتنة ليلقوها على الناس فيضلوهم عن الحق إلى الضلالة ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، أي: يبحثون في تأويل المتشابهات. ولا يمكن ذلك لأنه لا يعلم تأويل الآيات المتشابهات إلاَّ الله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ والثابتون في العلم الحقيقي يقولون آمنا بما جاء من المحكمات والمتشابهات، كل من عند ربنا؛ لا يجترؤون على البحث فيها، فيما خفي

عليهم ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ وما يتذكر ولا يتعظ فيما ذكرنا إلاَّ صاحب العقل السليم عن الزيغ والضلالة.

وقال الراسخون في العلم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: يا ربنا لا تمل ولا تصرف قلوبنا عن دينك الحق بعد أن هديتنا إليه ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ﴾ وهب لنا من عندك استقامة وثبتنا بها على دينك الحق ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩﴾، أي: يا ربنا إنك جامع الناس أولهم وآخرهم في يوم القيامة التي لا شك في وقوعها، تحاسبهم وتجازيهم على أعمالهم، إنك لا تخلف الميعاد، أي: الموعود، إذا وعدت أنجزت بالعطاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ إن الذين كفروا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم لن تنفعهم أموالهم وأولادهم من عذاب الله شيئًا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ أولئك الكافرون حطب نار جهنم توقد نارها بهم.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾، أي: شأن هؤلاء الكفار كعادة آل فرعون في تكذيب الرسل والجحود بالآيات الباهرة، أي: الظاهرة والذين من قبل آل فرعون كعاد وثمود وغيرهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، أي: كذبوا بالمعجزات والآيات والحكم التي جاء بها الرسل ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾ فأهلكهم الله بكفرهم في الدنيا ليكون إهلاكهم عبرة لمن بعدهم ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝١١﴾، أي: شديد العذاب يعاقب به من كفر به وبرسله.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ قل يا محمد للذين جحدوا برسالتك قريبًا تنهزمون وتقتلون، وتحشرون يوم القيامة إلى جهنم وهي بئس المهاد والمسكن.

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ ﴾ قد كان لكم أيها المسلمون عظة ظاهرة في طائفتين التقتا ــ يوم بدر، وهما جماعة المسلمين وجماعة المشركين ــ وقيل: الخطاب لليهود، وقيل: لمشركي مكة ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ﴾، أي: جماعة المسلمين تقاتل لإعلاء كلمة الله وتعزيز دينه، وجماعة المشركين تقاتل في سبيل الطاغوت. إذ يرى الكافرون جيش المؤمنين مثليهم في العدد برؤية العين في حالة القتال وهذا نصر من الله للمؤمنين على أعدائهم المشركين، أو يرى المؤمنون المشركين مثليهم، ومع ذلك انتصروا عليهم بعون الله ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ والله يقوي وينصر من يشاء من عباده كما نصر المؤمنين على المشركين في بدر ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ إن في تكثير عدد المؤمنين بأعين أعدائهم المشركين أو في انتصار المؤمنين الأقلة على الكافرين الكثر لعبرة وموعظة لأصحاب البصيرة.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ﴾ زُيِّن للناس حب مشتهيات أنفسهم، ثم بيَّن بقوله: ﴿من النساء﴾ لأنها أقرب لنفوس الرجال في التلذذ والاستئناس بهن، وحبب لهم الأولاد لأنهم ثمرة قلوبهم، وإذا كبروا يخدمون والديهم أن هداهم الله، وحبَّب لهم القناطير المقنطرة، أي: المال الكثير من الذهب والفضة وغيرهما مما ينتفع

الإنسان، وحبَّب لهم الخيل المسومة، أي: المطهَّمة الحسنة الراعية أو التي فيها بياض في جبهتها أو في أسفل قوائمها، وحبب لهم الأنعام: هي الإبل والبقر والغنم والمعز، وحبَّب لهم البساتين ذوات أشجار المثمرة والزرع من كل نوع.

ثم حذرهم منها فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تلك الأشياء التي ذكرناها لكم هي زهرة الحياة الدنيا تتمتعون بها، فلا تغتروا بها، فإنها زائلة فانية لا بقاء لها ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾، أي: حسن المرجع.

وفي الآية تزهيد عن الاغترار بزهرة الدنيا وترغيب إلى نعيم الآخرة.

﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ قل يا محمد للناس: هل أخبركم بما هو يخير من ذلك الذي بيَّن الله لكم من حُب النساء إلى الحرث ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ للذين خافوا الله من مخالفة أمره ونهيه لهم. ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، أي: بساتين ذوات أشجار مثمرة تجري من حول أشجارها الأنهار ــ جمع نهر، هو جدول ماء ــ مقيمين فيها على الأبد، وزوجات مطهرة من دنس الحيض والنفاس ومن الأخلاق السيئة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أكبر وأعظم من هذه النعيم السرمدي ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾، أي: بصير بأحوال العباد، يعطي كل مؤمن على حسب أعمالهم وتقواهم.

ثم بين صفتهم فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ هم الذين يقولون يا ربنا آمنا بك وبكتبك المنزلة على رسلك فاغفر لنا ذنوبنا برحمتك وقنا من عذاب النار.

ثم قال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ

﴿بِٱلۡأَسۡحَارِ ۝١٧﴾ الصابرين على طاعة الله والبأساء والضراء، والصادقين في إيمانهم وأعمالهم لله تعالى، والمطيعين في أوامر الله، والمجتنبين عن المنهيات، والمنفقين أموالهم في سبيل الله على وجوه الخير، والمستغفرين بالأسحار وهم يقومون ويصلّون في لياليهم وبعد صلاتهم وقبيل الفجر يدعون الله ويستغفرون الله لأنفسهم والمؤمنين. هذه صفات الفائزين برضوان الله.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ شهد الله أنه هو المعبود الحق لا إلـه يعبد إلاَّ هو سبحانه وتعالى المعبود الحق، وعبادة غيره باطلة، وكذا يشهد الملائكة وأولو العلم من الأنبياء والعلماء قائمًا بالقسط، أي: أنه سبحانه وتعالى قائم بالعدل على أحوال الخلق وأرزاقهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ لا إلـه غيره، هو الواحد في ألوهيته وربوبيته، الغالب في تصريف أمور الخلق، الحكيم في تدبير أمورهم.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ إن الدين الحق عند الله دين الإسلام وغيره باطل ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ وما اختلف اليهود والنصارى، وهما أهل الكتاب، إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم الصحيح في التوراة والإنجيل على صدق دين الإسلام ورسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وكان اختلافهم حسدًا منهم وبغضًا بينهم، وكل فريق يطلب الرئاسة، وبذلك وقع الاختلاف في دينهم ودنياهم ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٩﴾ ومن يكفر بآيات الله الدالات على صدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فإن الله سريع الحساب له فيعاقبه في نار جهنم.

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ ﴾ فإن جادلوك، أي: اليهود والنصارى، يا محمد في دين الإسلام فقل لهم: أسلمت نفسي لله وأخلصت العبادة له وحده، ولا أشرك به شيئًا، وكذا من آمن بـي واتبع هديـي.

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ ﴾ قل يا محمد لليهود والنصارى، وهما أهل الكتاب، والأميين، مشركي العرب، ءأسلمتم لله في دين الإسلام أم باقون في دينكم، استفهام فيه تقريع ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ ﴾ فإن قبلوا ما أوجب الله عليهم في دين الإسلام فقد اهتدوا إلى نور الإيمان والإسلام وفازوا إلى الجنة ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أعرضوا ولم يقبلوا تبليغك أمري إليهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُۗ ﴾، أي: إبلاغ أمري، وقد بلغتَ أمري إليهم ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ لا يخفى عليه شيء من شأنهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ إن الذين يكفرون بآيات الله من المشركين واليهود الذين جحدوا آيات الله بعد وضوح العلم بها، ويقتلون الأنبياء بغير جريمة، ويقتلون الذين يأمرونهم بالعدل، وهم من عبّاد بني إسرائيل، فأَخْبِرهم بعذاب أليم، أي: مؤلم يذوقونه في نار جهنم، وهذه الآية توبيخ لليهود الذين في زمن رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، لأنهم أقروا بما فعل أسلافهم من أمور خاطئة ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أولئك اليهود الذين قتلوا أنبيائهم حبطت أعمالهم التي عملوها من الخير في الدنيا ولا ثواب لهم في الآخرة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ وما لهم من مانع يمنعهم من عذاب الله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: نزلت في اليهود والنصارى، ألم ترَ يا محمد إلى الذين أعطوا نصيبًا من علم التوراة والإنجيل ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إذا دعوا إلى التحاكم إلى ما في التوراة والإنجيل من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ، تولّوا وهم معرضون عنهما مخالفة وعنادًا منهم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ ذلك التولي والإعراض بسبب أنهم يدّعون أنهم أبناء الأنبياء لن تمسهم نار جهنم إلاّ أيامًا معدودات هي أربعين يومًا أيام عبادتهم للعجل أو سبعة أيام.

﴿قل أتخذتم عند الله عهدًا﴾، أي: قل لهم يا محمد أتخذتم عند الله عهدًا أنه لا يعذبكم بكفركم وبذنوبكم؟ استفهام للإنكار على دعواهم الباطلة ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وغرتهم دعواهم الباطلة أنهم أبناء الله وأحباؤه وثباتهم على دين اليهودية، الدعوى التي كانوا يكذبونها على الله ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ فكيف تكون حالهم إذا جمعناهم يوم القيامة للحساب والجزاء، وقد افتروا على الله وكذّبوا رسله وقتلوا أنبياءه؟ لا شك أن يوم حسابهم واقع وكائن ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ووفيت كل نفس جزاء ما عملت من خير أو من شر، وهم لا يظلمون، أي: لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد جزاء على جزاء سيئاتهم.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى آخر الآية، لمَّا فتحت مكة وعد رسول الله لأصحابه فتح الروم والفرس، فقال اليهود والمنافقون هيهات! أين لمحمد ذلك وهم أعز وأمنع من محمد حتى يطمع في ملك الروم والفرس؟! وقيل فيها أسباب أخرى، فأنزلت الآية: قل يا محمد لهؤلاء

الساخرين بداعية الله عز وجل: اللهم مالك الملك، كيف تشاء تصرفه ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾، أي: إنك تؤتي الملك من تشاء من عبادك وتنزع الملك ممن تشاء وذلك لمصلحة خلقك، وتعز من تشاء بالجاه والشرف وتذل من تشاء بالذل والخزي بين الناس، بيدك الخير كله إنك على كل شيء قدير.

ثم يذكر سبحانه وتعالى مُظهرًا عظمة قدرته ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾، أي: يا ربنا إنك تدخل الليل في النهار صباحًا فتزول ظلمة الليل بضوء النهار وتدخل النهار في الليل مساء فيزول ضوء النهار بظلمة الليل، وفيها معنى آخر، أي: تدخل الليل في النهار صيفًا حتى يكون طول النهار خمسة عشر ساعة وتدخل النهار في الليل شتاءً حتى يكون طول الليل خمسة عشر ساعة ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ وتخلق الإنسان والبهائم من نطفة ذكر وأنثى، تخرج البيض من إناث الطيور فيتولد منه فرخ صغير. وفيها معنى آخر: وتخلق المؤمن من نطفة كافر، وتخلق كافر من نطفة مؤمن، لأن المؤمن قلبه حي بالإيمان بالله وبذكر الله والكافر قلبه ميت بالكفر بالله بالغفلة عن ذكر الله ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ وتوسع رزق من تشاء بغير تكلف وتعب.

ثم نهى الله المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أصحابًا من دون المؤمنين فقال: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال في تفسير الخازن: إن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمس مائة من اليهود، ــ كانوا حلفاء له ــ رأيت أن نستظهر بهم على العدو، فأنزل الله الآية وقال: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ

ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ ومن يتخذ الموالاة مع الكفار فليس له من الله من ولاية في أيّ شيء وهو محروم من رحمة الله ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ إلاَّ أن تخافوا من أذاهم عليكم فتجاملوا معهم إتقاءً عن أذاهم بلسانكم، ولتكن قلوبكم مطمئنة بالإيمان بالله وبالمؤمنين ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ويخوفكم الله أيها المؤمنون عقابه فاحذروا من الأمور الموصلة إلى عقاب الله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨﴾ فإلى الله يعود الناس للحساب والجزاء.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ قل لهم يا محمد: إن تخفوا ما في صدوركم، أي: ما في قلوبكم، من موالاة الكفار أو تظهروه يعلمه الله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ونياتكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعلم كل ما خفي وما ظهر لأنه من خلقه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ وفي هذه الجملة تحذير المؤمنين عن مخالفة أمر الله ونهيه لأنه قادر على الانتقام ممن خالف أمره ونهيه.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ يوم القيامة يجد كل إنسان أعماله من خير حاضرًا في ديوان الكتبة ويسر بها، ويجد ما عمل من أعمال السوء حاضرًا في ديوان الكتبة فيسوؤه ذلك ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ يتمنى العبد لو أن أعماله السيئة بينها وبينه مكانًا بعيدًا لا يراهما أبدًا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠﴾ وكلمة التحذير تكرر لتأكيد الوعيد. ولكن الله سبحانه وتعالى رؤوف بعباده يمهل العقاب ليتوبوا فيتوب الله عليهم.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ نزلت الآية في اليهود ردًّا على دعواهم نحن أبناء الله وأحباؤه، قل لهم يا محمد: إن كنتم تحبون الله حقًّا صادقين في دعواكم

فأطيعوني بما أمرتكم يحببكم الله، أي: يوفقكم الله، محبة صحيحة لله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم التي اكتسبتموها في اليهودية؛ والله غفور لمن تاب عن ذنوبه رحيم لعباده المؤمنين والآية تخاطب كل من يدعي حب الله.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ قل لهم يا محمد أطيعوا الله في أمره ونهيه وكذا رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام فإن أعرضوا عن إرشادكم لهم إلى طاعة الله فإن الله لا يحب الكافرين. وهذا وعيد شديد على من أعرض عن طاعة الله وطاعة رسول الله جاحدًا.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ ﴾ إن الله اختار آدم بأن يكون أبًا للبشر وكان آدم عليه السلام نبيًّا، واختار نوحًا للرسالة، واختار آل إبراهيم عليه السلام ـ هم المؤمنون من أولاده ومن أحفاده ـ وكل أنبياء بني إسرائيل من أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وآل عمران، ـ ورد أن عمران أبو موسى عليه السلام ـ وقال في مختصر ابن كثير: عمران هو والد مريم أم عيسى عليه السلام، وعيسى آخر رسُل بني إسرائيل، الذين فضلهم على عالمي زمانهم.

﴿ذرية﴾، أي: أولادًا، بعضهم من بعض بالتناسل ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ بأقوالكم عليم بأحوالكم ونياتكم.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ حين قالت امرأة عمران يا رب إني نذرت ما في بطني

لك، أي: لعبادتك ولخدمة بيت المقدس، (محررًا)، أي: عتيقًا خالصًا لعبادتك، فتقبله مني إنك أنت السميع بأقوالي العليم بما في ضميري لا يخفى عليك شيء من أي شيء.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ فلما ولدت ما في بطنها قالت معتذرة لله تعالى إني وضعتها أنثى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، أي: وليس الذكر كالأنثى في الخدمة وقالت حنة أم مريم ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ مريم بلغتهم: العابدة، أي: أجرها وذريتها، وأحفظهم من شر الشيطان الرجيم، أي: لعين على الأبد.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، أي: فتقبل الله مريم نذيرة من أمها بقبول حسن وسوّى خلقها مليحًا بهيجًا، ويسّر لها أسباب القبول فتربت تربية حسنة حتى بلغت رشدها، وكفلها زكريا عليه السلام: وهو زوج خالتها، فبنى لها بيتًا في المسجد لتعبد الله فيه.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ كلما دخل زكريا عليه السلام على مريم وجد عندها رزقًا، أي: ثمارًا وطعامًا، ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قال زكريا عليه السلام: من أين لك يا مريم هذا الطعام قالت: هو من عند الله، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ إن الله يرزق من يشاء من عباده بغير محسوب عليه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ لمّا رأى زكريا عليه السلام من كرامات الله لمريم اشتهى ذرية صالحة فدعا ربه: يا رب هب لي من عندك ذرية طيبة، أي: صالحة

لعبادتك إنك سميع الدعاء، فاستجاب الله دعاءه ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ فناداه جبريل عليه السلام، إنما أتى بالذكر بصيغ الجمع تشريفًا لجبريل عليه السلام: إن الله يبشرك يا زكريا بأن يعطيك ولدًا صالحًا اسمه يحيى مصدقًا، أي: يصدق برسالة عيسى عليه السلام، وسمي عيسى عليه السلام كلمة لأنه خلق بغير أب بكلمة كن من الله فحملته أمه، وسيدًا يسود قومه، وحصورًا يحصر، أي: يحفظ نفسه عن شهوات نفسه، ونبيًّا من الصالحين من جملة الأنبياء وعباد الله الصالحين.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾ قال زكريا عليه السلام: كيف يولد لي ولد وأنا كبير السن وامرأتي عاقر لا تلد؟ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ كذلك أمر الله عظيم فلا تستغرب يا زكريا، فهو القادر على إيجاد كل شيء ويفعل ما يشاء.

ولمَّا تيقَّن بأمر الله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ﴾، أي: اجعل علامة لحمل امرأتي أعرف حملها، ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ أن لا تستطيع أن تكلم الناس ثلاثة أيام إلاَّ بالإشارة، مع أنك صحيح سوي، وهو في مدة ثلاثة أيام ولياليها لا يقدر أن يكلم الناس ولسانه يسبح ويذكر الله ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ واذكر ربك ذكرًا كثيرًا وسبحه بالعشي والإبكار. وقيل صلِّ لربك في آخر النهار وأوله.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ اذكر يا محمد لهم حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك وجعلك في الصفوة من عباده وأن تكوني أمًّا لرسوله عيسى عليه

السلام، وطهرك من الذنوب والفواحش وفضلك على نساء العالمين، فهي من المفضلات ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أطيلي القيام وأديمي الطاعة لربك وصلي مع المصلين.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ذلك من القصص الذي سبق ذكره إليك بالوحي يا محمد هو من أخبار الغيب عنك ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ وما كنت يا محمد عندهم حاضرًا وهم يلقون أقلامهم في الماء ـ جمع قلم، وهي القداح يكتب عليها اسم من يكفل ـ وذلك أنه جاءت أم مريم ببنتها إلى بيت المقدس ووضعت الطفلة عند سدنة بيت المقدس وهم خدام بيت المقدس فتنافسوا بتربيتها وأيهم يكفلها حتى اقترعوا، وخرجت القرعة على زكريا عليه السلام، فأخذها وأحسن تربيتها. وبقية القصة سبقت عند قوله تعالى ﴿فتقبلها ربها﴾ إلى آخر الآية.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ حيث قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك، أي: يخبرك بشارة منه وكرامة بكلمة، لأن عيسى ابن مريم عليه السلام خلق بكلمة كن من الله بغير أب، فحملته أمه، فكان مَثَلُه كمثل آدم، وسيكون اسمه المسيح، سُمي مسيحًا لأنه ما مس ذا عاهة، أي: علة، إلاَّ شفاه الله ببركة مسه. واسمه عيسى ابن مريم ويكون وجيهًا، أي: ذا جاه وقدر في الدنيا، وهو في الآخرة من المقربين منزلة عند الله ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ وهو طفل في المهد قبل أوان التكلم، وذلك حين برَّأ أمه كما في سورة مريم حيث قال: ﴿إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيًّا﴾ إلى قوله: ﴿ويوم أبعث حيًّا﴾ ﴿ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ ويكلم

الناس في حالة الكهولة هي حالة اجتماع القوة والعقل، أرسله ابن ثلاثين، ومكث في قومه ثلاث سنين وقيل ثلاثين شهرًا، ثم رفعه الله إلى السماء حين أراد قومه قتله، ثم يرسله بعد إنزاله فيكلم الناس وهو من عباد الله الصالحين لتبليغ أمر ربهم إلى عباده.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، أي: كيف يكون لي ولد ولم يصبني رجل، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أي: مثل هذا الذي بشرناك به ليكون آية للناس يخلق الله ما يشاء بغير سبب، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ إذا أراد الله إيجاد شيء في الحال فإنما يقول له كن كذا فيكون في الحال كما شاء الله، ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ وهذا إخبار من الله لمريم أن ولدها يعلمه الله الكتابة والحكمة، وهي الفهم الصحيح فيما شرع الله في التوراة والإنجيل، وكان عيسى عليه السلام يحفظهما ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أرسله الله رسولاً لتبليغ أمره إلى بني إسرائيل.

وقال عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: بعلامات وبمعجزات من ربكم تدل على صدق رسالتي من الله إليكم ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، أي: إني أصوِّر لكم من الطين كصورة الطير فأنفخ في تلك الصورة فيصير طيرًا حيًّا يطير بإذن الله ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الأكمه هو الذي وُلد أعمى، والبرص هو البياض يحدث في جلد البشر وقد عجز الأطباء قديمًا وحديثًا عن مداواتهما، وإحياء الموتى، وهذا لا يمكن لإنسان فعله. ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى عيسى عليه السلام ذلك معجزة له، لتصديق رسالته؛ لأن في زمان نبوته كانت تَرُوج حذاقة

الأطباء، واشتهر كما في زمن موسى عليه السلام السحر فأعطي لموسى عليه السلام العصا واليد البيضاء وسيأتي بيانهما إن شاء الله.

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ كان عيسى عليه السلام يخبرهم إذا كان في المكتب بما يأكلون، وبما أكلوا البارحة وبما سيأكلون في الغد، وقيل: إنه كان يخبرهم عن المغيبات عن علم الناس، وقد أمر الله أن لا يدخروا من طعام المائدة للغد وهم خالفوا أمر الله فادخروا، وعيسى عليه السلام كان يخبرهم: أنتم ادخرتم كذا وكذا من طعام المائدة، سيأتي بيانها في آخر سورة المائدة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ إن في ذلك من المعجزات الواضحات علامة ظاهرة لا يخفى عليكم إن كنتم مصدقين بصدق رسالتي إليكم من الله جلّ شأنه ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ولأحل لكم بعض ما كان محرمًا عليكم في شريعة موسى عليه السلام فجاء عيسى عليه السلام بحكم الله فرفع عنهم بعض الأوامر الشاقة التي كانت عليهم بأمر الله، وخففها عنهم برحمة من الله، ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وجئتكم برسالة ومعجزات ظاهرات من ربكم.

ثم خوفهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ وأطيعوني فيما أمرتكم من أمر ربي.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ إن الله خالقي وخالقكم فاعبدوه لا تعبدوا غيره ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ هذا الذي بينت لكم صراط مستقيم إلى مرضات ربكم فلا تزيغوا عنه، واستقيموا فيه.

﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ فلما استشعر بعض علامات الكفر من بني إسرائيل أراد اختبارهم، قال: من أنصاري

إلى الله، أي: من أنصاري في الدعوة إلى الله ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ هم أصفياء بني إسرائيل وهم أتباع عيسى عليه السلام أجابوه، أي: نحن أنصارك في دعوتك إلى توحيد الله في عبادته. ثم: أكدوا ذلك قائلين ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ وحده ﴿وَٱشۡهَدۡ﴾ يا نبي الله ﴿بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ منقادون وطائعون لأمره.

ثم بيّن أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ قالوا: يا ربنا آمنا بكتابك الذي أنزلته لعيسى عليه السلام واتبعنا ما أمر رسولك، فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا وصدقوا بوحدانيتك في ألوهيتك وربوبيتك، وصدقوا جميع رسلك وأنبيائك وكتبك المنزلة على رسلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ وأراد كفار بني إسرائيل المكر بعيسى عليه السلام وذلك بقتله. ومكر الله، أي: خيبهم الله في مكرهم ورفع نبيه عيسى عليه السلام إلى السماء، وقتلوا رجلاً ألقى الله شبهه على شبه عيسى عليه السلام، فادّعوا أنهم قتلوا عيسى، (والله خير الماكرين)، أي: والله أقوى على الانتقام من الماكرين بأنبيائه وبعباده الصالحين.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ حيث قال الله يا عيسى إني متوفيك، أي: قابضك من الأرض حيث أراد قومك قتلك، وأنا رافعك إلى السماء سالمًا من شرهم ثم متوفيّك بعد ذلك ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾، أي: مبعدك من القوم الكافرين طاهرًا من الذنوب محميًا في الملكوت الأعلى ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾ وجاعل الذين آمنوا بك واتبعوا أمرك فوق الذين كفروا بنبوتك إلى يوم القيامة الغالبون هم

النصارى والمغلوبون هم اليهود كما نشاهد اليوم ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ثم إليّ مصيركم للحساب والجزاء فأحكم بين الفريقين فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا.

ثم بيّن بقوله: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ فأما الذين كفروا برسالة عيسى عليه السلام ولم يتبعوا أمره فأعذبهم عذابًا شديدًا في الدنيا بالخزي والقتل وفي الآخرة لهم عذاب شديد وما لهم من ناصرين يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ وأما الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام واتبعوا أمره فيوفيهم الله جزاء أعمالهم الصالحة في الآخرة بغير بخس ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾، أي: لا يحب الباخسين في حقوق العباد فهو ليس بظالم.

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾ ذلك الخبر من القصص من أمر عيسى وأمه مريم والحواريين والذين كفروا بعيسى نقرأه عليك يا محمد بالوحي وهو من جملة آيات القرآن والذكر الحكيم، أي: والذكر المحكم لا شبهة فيه.

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ إن وجود عيسى بغير أب عند الله كوجود آدم خلقه، أي: صوره من طين ثم قال له كن إنسانًا حيًا فصار في الحال كما شاء ربه. وإيجاد آدم مقارنة مع إيجاد عيسى أعجب، وتنحصر عقول البشر عن إدراكه ويجب الإيمان بكمال قدرة الله ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الذي ذكرناه لك يا محمد هو الحق الثابت فلا تكونن من الشاكين والمكذبين.

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ فمن جادلك يا محمد في شأن عيسى من بعد ما جاءك من العلم الواضح لا شبهة فيه ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ فقل لهم يا محمد: هلموا أنتم ونحن نـدعـوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ ثم نتضرع إلى الله ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾، وخرج رسول الله في الغد ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم أجمعين إلى المباهلة، وامتنع النصارى عن المباهلة وقبلوا الجزية حيث نزلت الآية في وفد نجران.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ إن هذا الذي ذكرنا لك يا محمد لهو القصص الحق لا شك فيه ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ وما من إلـه يعبد إلاّ الله هو المعبود الحق، وإن الله لهو العزيز، أي: الغالب في أمره، الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فإن أعرضوا عن دعوتك إلى الإيمان بالله وحده فإن الله عليم بالمفسدين في أرض الله فيجازيهم شر الجزاء. وهذا وعيد على النصارى.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى: هلمّوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وهي كلمة: لا إلـه إلاّ الله، وهي تحكم أن لا نعبد غير الله ولا نشرك به شيئًا في عبادته ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ كما اتخذ اليهود العزير ربًّا والنصارى عيسى ابن مريم ربًّا من دون الله، أي: من غير الله، في اتخاذ الأرباب غير الله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فإن أعرضوا عن دعوتك يا محمد إلى توحيد

الله في أولوهيته وربوبيته فقل لهم: اشهدوا بأنا منقادون لأمر الله ومسلمون له ولا نعبد غيره، وعبادة غيره شرك بالله.

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ يا معشر اليهود والنصارى لِمَ تجادلون في إبراهيم؟ ومجادلتهم: أن اليهود يقولون: إن إبراهيم كان يهوديًا، والنصارى يقولون: إن إبراهيم كان نصرانيًا، فردَّ الله عليهما: (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاَّ من بعده) عليه السلام، وإنما حدثت اليهودية والنصرانية بعد إنزال التوراة والإنجيل. وقال الخازن: بين إبراهيم وموسى خمس مائة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى ألف سنة وتسع مائة وعشرون سنة، روى ذلك عن ابن إسحاق المؤرخ.

ذكر الله تعالى في القرآن إن إبراهيم كان حنيفًا مسلمًا، وهذه العبارة ليست في التوراة ولا في الإنجيل ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ أفلا تفهمون ذلك؟ وهذا أبلغ توبيخ وتبكيت عليهما.

﴿ هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ها أنتم يا معشر اليهود والنصارى جادلتم فيما لكم به علم، أي: في شأن عيسى وأنتم في زمنه تشاهدونه وتعرفونه فلم تحاجون في إبراهيم الذي ليس لكم بشأنه علم صحيح ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ والله يعلم بإبراهيم ودينه وأنتم لا تعلمون شيئًا من شأنه، لأنه هو الذي خلقه وأرسله.

ثم كذَّبهم فقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ولكن كان إبراهيم عليه السلام حنيفًا، أي:

متحنفًا عن الأديان كلها مائلاً إلى دين الإسلام مستسلمًا لأمر ربه، وما كان إبراهيم من المشركين. وهذا تعريض لليهود والنصارى ومشركي مكة واليهود الذين يدّعون أن عزير ابن الله ويعبدونه، والنصارى يدّعون أن عيسى ابن الله ويعبدونه، ومشركو مكة يدّعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام، ولكنهم يعبدون الأصنام.

ثم يذكر سبحانه وتعالى من هو الأقرب لإبراهيم عليه السلام والأحق به فقال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ إن أقرب الناس بالانتساب لإبراهيم والأحق به للذين آمنوا به واتبعوا ملته في عهده وبعده، وهذا النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والذين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام، وهم أولى بأن يقولوا نحن على ملة إبراهيم عليه السلام، لا أنتم، فدعواكم باطلة.

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ أحبت فرقة من أهل الكتاب وهم من أحبارهم ورؤسائهم، تمنوا أن يوقعونكم أيها المؤمنون في الضلالة حتى تكونوا مثلهم ضالين ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ولا يستطيعون إضلالكم عن دينكم، إنما يرجع وبال سعيهم على أنفسهم فيضاعف عليهم العذاب على العذاب بكفرهم وهم لا يشعرون بذلك.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ وفي هذه الآية توبيخ لأهل التوراة والإنجيل، لماذا تجحدون بآيات الله التي هي صفة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ونعته في التوراة والإنجيل والحال أنكم تشهدونها في كتابكم!.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٧١ ﴾ يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذي لا شبهة فيه بالباطل؟ ثم بيّن: وتكتمون الحق، أي: صفة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والحال أنكم تعلمون ذلك ولا يخفى عليكم، إنما فعلتم ذلك حسدًا لنبوّة محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٧٢ ﴾ وقالت جماعة، وهم علماء اليهود، لأتباعهم: آمنوا بالقرآن الذي أنزل على المسلمين وجه النهار، أي: أول النهار، واكفروا آخره، وقيل: نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة، قالت علماؤهم: صلّوا أول النهار معهم صلاة الصبح مستقبلين الكعبة واكفروا آخره، أي: اتركوا صلاتهم آخر النهار، حتى يقع الشك في دينهم لعلهم يرجعون إلى دينكم اليهودية ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ ولا تصدقوا بما يقوله لكم من هو من غير ملتكم، ولكن صدقوا من اتبع دينكم وكان على ملتكم.

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ قل لهم يا محمد: إن الهداية ليست بأيديكم إنما الهدى هدى الله يهدي من يشاء إلى الإيمان والإسلام. وهذه الجملة اعتراضية بين كلام علماء اليهود ردًّا عليهم، ثم تابع كلامهم ﴿ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ ﴾، أي: لا تظهروا للمسلمين ما عندكم من العلم خشية أن يؤتى أحد منهم مثل ما أوتيتم أو يحاجوا به عليكم عند ربكم، أو يعني: لا تصدقوا أنه سيؤتي أحد مثل ما أوتيتم من التوراة والمنّ والسلوى.

قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ من عباده ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ والله واسع بالتفضل، عليم بمن يختص برحمته من يشاء، والله ذو تفضل عظيم.

﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾، أي: ومن اليهود من إن تأمنه بقنطار، أي: إن وضعت يا محمد عنده أمانة قدرها قنطار يؤده إليك، وهم الذين أسلموا إسلامًا كاملاً لا بالنفاق من اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه. ومن اليهود من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلاَّ ما دمت عليه قائمًا بالمطالبة والمحاكمة ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ تلك الخيانة للأمانة بسبب أنهم يقولون: ليس هناك إثم ولا حرج في أخذ مال العرب ولا سبيل لهم علينا؛ لأنهم مشركون، مالهم حلال لنا.

وكذب الله دعواهم ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ كذبهم وافتراءهم على الله ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ ليس الأمر كما زعموا، بل عليهم إثم في خيانتهم الأمانة، ولكن من أوفى بعهده وأدى الأمانة إلى صاحبها وخاف الله فإن الله يحب المتقين، أي: يحب الخائفين من عقاب الله، والمجتنبين الخيانة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إن الذين يختارون حطام الدنيا ويستبدلونه بالعهد الذي عليهم من الله بأن يصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويؤمنوا بالقرآن المنزل عليه ولا يخونوا بينهم وخالفوا العهد وجحدوا برسالة

محمد عليه الصلاة والسلام، وخانوا بأيمانهم فكانت كاذبة، أولئك لا نصيب لهم من رحمة الله في الآخرة ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ولا يكلمهم بالتشريف والتكريم ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهرهم عن ذنوبهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ مؤلم يذوقونه يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ وإن من اليهود لطائفة هم علماؤهم الحساد يلوون ألسنتهم بقراءة الكتاب، والمراد منه تحريفهم بكتاب الله بالزيادة والإنقاص، ليحسب أتباعهم الجهال أن المحرف هو من كتاب الله. وردَّ الله عليهم (وما هو من الكتاب) ـ أي: وليس المحرَّف من التوراة ـ ، المنزَّل من الله ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ويقول المحرِّفون: هذا كتاب الله، هو من عند الله، قال تعالى تكذيبًا لهم: وليس ما حرَّفوه في التوراة من عند الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ وينسبون كذبهم وتحريفهم إلى الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ والحال أنهم يعلمون كذبهم وتحريفهم في التوراة.

ثمَّ ردَّ الله على النصارى وزعمهم أن عيسى عليه السلام أمرهم أن يعبدوه فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لا ينبغي ولا يصح لبشر إن أعطاه الله الكتاب فيه أحكام شريعته والحكم في فصل القضاء بين أمته، وقيل: الفهم في معاني كتاب الله والنبوة ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا لا يتصور من النبي؛ لأنه من صفوة الله، الذين اختصهم الله للرسالة والنبوة ﴿وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ولكن يقول الرسول كونوا ربانيين، جمع الرباني، بما كنتم تعلّمون الناس كتاب الله

وبما كنتم تدرسونه، أي: كونكم معلمين كتاب الله للناس بما كنتم تعلمونه بالدراسة ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ﴾ ولا يأمركم الله، ولا رسوله أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا جمع رب، أي: معبودًا ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ استفهام للإنكار والإبعاد، أي: هل يأمركم الله أو رسوله بأن تكفروا بالله بعد إذ أنتم مسلمون؟! وقيل: أيأمركم عيسى عليه السلام أو محمد عليه الصلاة والسلام بالكفر بالله بعد إذ أنتم مسلمون لأمر الله؟!

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ وحيث أخذ الله الميثاق من النبيين، ولهم من التابعين، والميثاق هو العهد المؤكد عليهم، لتبليغ أمر الله إلى أممهم بالصدق والوفاء وتصديق بعضهم بعضًا للذي أتيتكم من كتاب فيه بيان حكم الله والحلال والحرام والعبادات، وحكمة، أي: الفهم المصيب في معاني كتاب الله ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ ثم جاءكم يا معشر اليهود والنصارى رسول هو محمد عليه الصلاة والسلام أرسله إلى كافة الإنس والجن مصدق، أي: يصدق، لما معكم، أي: لما في التوراة والإنجيل ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ لتؤمنن برسالة محمد ولتنصرنه على أعدائه الكافرين.

ثم قال تعالى تقريرًا لهم ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾، أي: هل اعترفتم بالميثاق وقبلتم على ذلك عهدي الذي يثقل عليكم ﴿ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ﴾ قال النبيون اعترفنا بما عاهدت علينا، قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾، قال تعالى: فمن تولى، أي: أعرض، عن الاعتراف به بعد ذلك العهد فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

ولمَّا اختلف اليهود في دينهم وأنكروا على دين الإسلام قال تعالى ردًّا عليهم ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ عليهم، أي: أفغير دين الله وهو دين الإسلام يختار هؤلاء اليهود؟! وله، أي: ولله أسلم، أي: انقاد لأوامره، واجتنب عن نواهيه من في السموات ومن في الأرض طائعين وكارهين، والملائكة ينقادون لأمر الله طائعين، وكذا أهل الأرض المؤمنون، وأما الكافرون والمنافقون فينقادون لأمر الله حين لا ينفعهم إيمانهم ولا إسلامهم. وإليه يرجع كل الخلق فيحاسبون ويجازون على حسب دينهم وأعمالهم.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ بأن يخبر عن إيمانه وإيمان من معه من المسلمين، قل لهم يا محمد: آمنا، أي: أنا وأمتي آمنا بالله وحده، وما أنزل علينا، أي: آمنا بالقرآن المنزل علينا وآمنا بما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، هم أولاد يعقوب عليه السلام اثنا عشر كانوا أنبياء أنزل إليهم من الصحف والوحي، وآمنا بما أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام والنبيون الذين لم يذكر أسماءهم، كلهم مبعوثون من عند ربهم، لا نفرق بين أحد منهم كما فرق اليهود والنصارى، آمنوا ببعضهم وكفروا ببعضهم. ونحن، أي: أنا وأمتي، لله مسلمون، أي: منقادون لأمره ومخلصون العبادة له.

ثم أخبر سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ومن يتخذ غير الإسلام دينًا على مقتضى هواه فلن يقبل دينه وأعماله منه

﴿ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، أي: من الذين حبطت أعمالهم وهم أهل النار.

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾، قال الخازن والنسفي: نزلت في اثنا عشر رجل من العرب أسلموا وشهدوا من معجزات رسول الله ﷺ ثم ارتدوا عن إيمانهم وأتوا مكة كافرين. ومعنى قوله تعالى ﴿كيف يهدي الله﴾ استفهام للاستبعاد عن الهداية، أي: بأيّ وجه يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم بالله وشهدوا أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام حق لا شبهة فيها وجاءتهم المعجزات منه والآيات البينات من القرآن تدل على صحة رسالته ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ على أنفسهم بالكفر بعد الإيمان.

ثم توعَّد عليهم باللعنة العامة والعذاب ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾، أي: مقيمين في عذاب اللعنة في الدنيا ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ولا يؤجلون عنه أو يُنظرون بنظر الرحمة، وهم في العذاب السرمدي في الآخرة.

ثم استثنى الله منهم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ إلاّ الذين تابوا، أي: رجعوا إلى الإسلام من بعد ارتدادهم وأصلحوا أعمالهم بالامتثال لأمر الله فإن الله غفور لمن تاب عن ذنوبهِ وكُفْرِه، رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ نزلت في اليهود هم آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة ثم

كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وينطبق حكمها على أمثالهم، فلن تقبل توبتهم وإيمانهم عند احتضار الموت وأولئك هم الضالون، أي: تائهون وخارجون عن طريق الهداية إلى طريق الكفر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسله وبكتبه المنزلة على الرسل وماتوا وهم على كفرهم فلن يقبل الله من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به من عذاب يوم القيامة ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ لما أنزل الله هذه الآية قال أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله إن أحب أموالي إليّ بيرحاء وحولها أشجار وزروع هي لله تعالى صدقة أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت، قال رسول الله: «مال رابح اجعلها في أقاربك». فقسمها أبو طلحة في أقاربه بني عمه. ولما سمعوا قراءة هذه الآية بادروا إلى التصدق من أحسن أموالهم، وأبو طلحة تصدق ببستانه بيرحاء، وأعتق عمر رضي الله عنه جاريته وهي أحب جواريه، وعبد الله ابن عمر أعتق نافعًا، وتصدق زيد بن حارثة بفرسه. هكذا هم أصحاب رسول الله، شجاعتهم وهمتهم في حب الله وحب رسوله ﷺ. ومعنى الآية مفهوم.

﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ ﴾ كل أنواع الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلاّ ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وإسرائيل هو يعقوب بن

إسحاق عليهما السلام. وقد حرم على نفسه لحم الإبل وألبانها، إذ أصابه مرض عرق النَسا، يوجعه بالليل فيزعجه عن النوم ويقلع عنه بالنهار، فحلف أن لا يأكل لحم الإبل ولا يشرب ألبانها، واستنّ أولاده به، وكان تحريمه ذلك على نفسه نذرًا نذره، لا محرمًا لغيره، بل لغيره حلالاً، فادّعى اليهود أن لحم الإبل وألبانها وشحوم الغنم، نزل تحريمها في التوراة وأنها حرام من لدن آدم عليه السلام إلى موسى عليه السلام فأنزل الله الآية ليبطل دعواهم.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ قل لهم يا محمد: فأتوا بالتوراة فاقرؤها ففيها بيان ما حلَّل الله وما حرَّم الله إن كنتم صادقين في دعواكم فأبوا أن يأتوا بها وخافوا من انكشاف كذبهم لأن تلك المحرمة عندهم ليست محرمة في التوراة.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ فمن اختلق الكذب فنسبه إلى الله من بعد ذلك البيان فأولئك هم المستحقون لعذاب الله؛ لأنهم ظلموا أنفسهم، والله لا يظلم، ولا يعذب أحدًا بغير ظلمه لنفسه بالكفر والشرك والمعصية.

﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ قل لهم يا محمد: صدق الله في كتابه فيما حلل وما حرم وأنتم تفترون الكذب على الله، فاتركوا اليهودية واتبعوا ملة إبراهيم حنيفًا، أي: مائلين عن دين اليهودية مستسلمين لدين الإسلام وهو ملة إبراهيم عليه السلام حقًّا، وما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام من المشركين. وفي الجملة الأخيرة تعريض على اليهود والنصارى لأن كلاًّ منهم ادّعى أن إبراهيم كان يهوديًّا أو نصرانيًّا. وأبطل الله دعواهم فقال: (وما كان من المشركين).

وقالت اليهود: إن قبلتنا أول قبلة وقبل قبلتكم، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (إن أول بيت) هو الكعبة (وضع)، أي: بني للناس ليستقبلوها في صلاتهم، (للذي)، أي: هو الذي ببكة، يعني مكة، جعله الله (مباركًا)، أي: كثير الخير والبركة للحجاج والمعتمرين ولمن سكن حوله وهداية للناس أجمعين، ومن حج أو اعتمر لزيارته حصل له ثواب الآخرة ﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾، أي: في البيت وحول البيت آيات بينات، أي: علامات ظاهرات، ومنها الحجر الأسود، ومقام إبراهيم هو: الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة وفيه أثر قدمه، ومنها بئر زمزم، ومنها الصفا والمروة، وسميت مكة بكة لأن الحجاج والمعتمرون والطائفون يتباكون فيها، أي: يزدحمون في الطواف، ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ ومن دخل البيت الحرام وكان حاجًّا أو معتمرًا أو ساكنًا فيه أمن السوء من شر جهالة الناس، وذلك بدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهي قوله: ﴿رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات﴾، إلى آخر الآية.

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ وبعد ذكر البيت وفضيلته ألزم زيارة بيته على المؤمنين فقال: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾، أي: قصده والقدوم إليه لأداء المناسك وعبادة الله، وذلك على المستطيعين ذهابًا وإيابًا على راحلة أو ماشين بأرجلهم إن كانوا قادرين، ويشترط الزاد والصحة وأمن الطريق فقال: ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾، أي: من استطاع الذهاب لأداء نسك الحج، وقوله سبيلًا، أي: بلاغًا وزادًا وترك النفقة لأهله، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ومن جحد فريضة الحج ولم يحج مع القدرة عليه فإن الله غني عن حجه وصلاته وزكاته وأعمال الناس أجمعين.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ قل يا محمد لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى: لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن المنزل عليه، والله شاهد، أي: عالم بما تعملون من الكفر فيحاسبكم ويجازيكم عليه يوم القيامة؟

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ يا أهل الكتاب لم تصدون وتمنعون الناس ومن آمن بالله وحده عن الدخول في دين الله بإلقاء الشبهة عليهم، تختارون بذلك وتريدونها سبيلاً عوجًا وزيغًا عن دين الله ﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ والحال أنكم شاهدون في التوراة أن محمدًا خاتم الأنبياء، ويجب عليكم الإيمان به ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ من جحودكم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وكتمان صفته في التوراة.

ثم وجّه الخطاب للمسلمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾، أي: إن أطعتم جماعة من أهل الكتاب يردونكم عن دينكم الإسلام بعد إيمانكم بالله وحده وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم فتصيروا كافرين بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

ثم استبعد الكفر عن المسلمين: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ صباحًا ومساءً وفي الصلوات وغيرها ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ يبلغ إليكم أمر ربكم ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ ومن يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله واعتصم عن الزيغ إلى الضلالة فقد اهتدى إلى طريق قيم وثابت في دين الله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ ثم أمر الله المؤمنين في هذه الآية أن يتقوا الله حق تقواه، يعني أن يمتثلوا بأوامره ويجتنبوا عن نواهيه، شاكرين الله على نعمة الإسلام في كل حالهم، ثم أمرهم أن لا يموتوا إلاَّ وهم مستسلمون لأوامره وعلى عقيدة التوحيد.

ثم أمرهم بالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾، أي: تمسكوا أيها المسلمون بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جميعًا ولا تفرقوا، أي: لا تختلفوا في دين الله كما اختلفت اليهود والنصارى. قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم الثقلين كتاب الله وسنَّتي، فإن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا أبدًا».

ثم وجَّه الخطاب إلى الأنصار الأوس والخزرج وهما قبيلتان في المدينة كانت بينهما العداوة والبغضاء والحرب منذ مائة وعشرين سنة فأطفأ الله نيران الحرب بينهما بمجيء الإسلام إليهم: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ واذكروا نعمة الله حين كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضًا فألَّف الله بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا متحابين ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وكنتم يا معشر الأوس والخزرج في الجاهلية على شفا حفرة من النار لتقعوا فيها، الحفرة كناية عن جهنم، فنجاكم الله منها بسبب إيمانكم بالله وحده وتصديقكم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وهكذا بينا لكم آيات القرآن لعلكم تهتدون إلى الصراط المستقيم التي فيها رضا الله.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ولتكن منكم أيها المسلمون جماعة متعلمة لأحكام دين الإسلام فيقوموا بدعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده ولا يشركوا به شيئًا في عباداتهم ويأمرون الناس بالأمور المعروفة في شريعة الإسلام وهو ما استحسنته الشريعة والمسلمون، وينهون عن الأمور المنكرة في الشريعة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ وأولئك الداعون الناس إلى أعمال الخير هم الفائزون بالجنة. وفي الآية ترغيب إلى تعلم العلم وإلى دعوة الناس إلى الله وأعمال الخير.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ ولا تكونوا أيها المسلمون كالذين تفرقوا في دينهم واختلفوا في آرائهم من بعد ما جاءتهم الدلائل الواضحات الموجبة على الوحدة في دينهم الذي أمر الله به وأن لا يختلفوا فيه، وهم اليهود والنصارى، اختلفوا وتفرقوا بعد أنبيائهم في دينهم. ثم توعد الله عليهم ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ أولئك المتفرقون في دينهم لهم عذاب عظيم في جهنم. وفي هذه الوعيد على هؤلاء اليهود تنبيه للمؤمنين بأن لا يتفرقوا في دينهم الذي شرع الله لهم.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾، أي: يوم القيامة تبيض وجوه المؤمنين بنور الله وتسود وجوه الكافرين في ظلمة العذاب.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ بكفرهم، تقول لهم الزبانية موبخة عليهم ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ بالله وبرسله ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ فذوقوا عذاب جهنم بسبب ما كنتم تكفرون بالله وشرائعه.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ وأما الذين ابيضت وجوههم ففي نعيم الله في الجنة هم فيها مقيمون على الأبد لا خروج لهم منها أبدًا.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (تلك): إشارة إلى ما سبق ذكره من الأخبار والدلائل هي آيات الله نقرؤها عليك يا محمد بالحق، أي: بالصدق، لا شك فيها، وما كان الله ليظلم عباده من الجن والإنس وكل المخلوقات ولكن هم ظلموا أنفسهم فأوجبوا العقاب عليها بالكفر والمعاصي.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ ولله ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا كيف يشاء يصرف الأمور، وإليه ترجع أعمال الخلق وهو يحاسب ويجازي على حسب أعمالهم.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، أي: خلقتم كنتم خير أُمة أُظهرتم للناس تأمرون بالأمور المعروف في شريعة الإسلام وتنهون عن المنكر، وهو ما نهى الله ورسوله عنه ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، أي: وتلزمون الإيمان بالله وبرسله وبكتبه المنزلة إليهم.

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ ولو آمنوا أهل التوراة والإنجيل برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم لكان إيمانهم خيرًا لهم في الدنيا والآخرة ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من اليهود وحسن إسلامهم، ومن النصارى النجاشي وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ وأكثر اليهود والنصارى خارجون عن طاعة الله ولم يعملوا بما أمرهم الله في كتابهم.

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ لن يستطيعوا أن يضروكم إلاَّ أذى بلسانهم والطعن في دينكم ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ ولو قاتلوكم ينهزمون فارين عن معركة القتال ثم لا ينتصرون عليكم.

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ضربت على اليهود الذلة والهوان أينما أخذوا وغلبوا على أمرهم إلاَّ بعهد من الله وعهد من المسلمين بقبول الجزية عليهم ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾، أي: رجعوا مستوجبين على أنفسهم غضب الله، وجعل عليهم الذل والفقر والخوف من الفقر ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ ذلك الغضب والذلة عليهم بسبب أنهم يجحدون بآيات الله ويقتلون أنبياء الله بغير استحقاق للقتل، ذلك الخزي والذلة عليهم في الدنيا بسبب عصيانهم لأنبيائهم وأنهم كانوا يتجاوزون حدود الله ولم يحفظوا حقها.

﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ ليس أهل الكتاب متساوين وليسوا كلهم كافرين، إذ من أهل الكتاب جماعة مؤمنة بالله صِدق الإيمان قائمة في طاعة الله، يقرؤون آيات كتاب الله في ساعات الليل وهم يصلون ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ يوقنون أن الله هو المعبود الحق ويوقنون أن يوم الآخرة حق فيه حساب وجزاء ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ يأمرون الناس بالأمور المعروفة في شريعة الإسلام وينهونهم عن الأمور المنكرة ويبادرون في الأعمال بالخيرات. ثم شهد أنهم وأولئك من جملة عباد الله الصالحين ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن

يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ وما يفعلوا من أعمال الخير فلن يُنسىٰ، فثواب أعمالهم عند الله لا يضيع، والله عليم بالمتقين، أي: المطيعين له والمتحذرين عن الشرك وأعماله والكفر بالله والأعمال السيئات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾، إن الذين كفروا بالله وبرسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا في الدنيا بالمقاومة لقتال رسول الله ولا في الآخرة من عذاب الله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾، أي: مقيمون في عذاب جهنم على الأبد.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ يضرب الله سبحانه وتعالى المثل فيمن أنفق ماله سمعة ورياء، فمثل ما ينفقون لأجل حسن الثناء لهم ولا يريدون وجه الله كمثل ريح فيه صر، أي: حر شديد أصابت حرث، أي: زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر بالله والمعاصي، فأهلكت تلك الريح زروعهم. وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم، ولكن أنفسهم يظلمون، ولكن أوجبوا على أنفسهم العقاب بالكفر بنعم الله والمفاخرة على الناس فكانوا بكفرهم ظالمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾ يا أيها المؤمنون لا تتخذوا الكافرين والمنافقين بطانة، أي: خاصة دخلاء وولجاء في أموركم يطلعون عليها من غير المؤمنين، لا يألونكم خبالاً، أي: لا يقصرون فيكم بإيقاع الفساد في دينكم ودنياكم. وقوله خبالاً، أي: تكونون خبلاً حائرًا كمن لا عقل له ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾ وتمنوا ما يشق عليكم

وتتعبون فيه ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ قد ظهرت البغضاء والعداوة للمسلمين من ألسنتهم، وما يخفون في صدورهم أكبر مما يظهرون بألسنتهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾، أي: قد بيّنا لكم، أيها المسلمون، آيات القرآن لعلكم تفهمون ما بينا لكم وتتحذرون من موالاة الكفار والمنافقين.

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ (ها) للتنبيه، أي: أنتم أيها المسلمون تحبون اليهود والمنافقين لأجل القرابة والمصاهرة بينكم وهم لا يحبونكم ويخفون عداوتهم عليكم ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ وأنتم أيها المسلمون تؤمنون بالكتب المنزلة على الرسل وهم لا يؤمنون بكتابكم القرآن فكيف تحبونهم؟ احذروا منهم.

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ وإذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كإيمانكم ولكن نفاقًا بألسنتهم فقط، وإذا بعدوا منكم عضوا أصابعهم من شدة غيظهم عليكم ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ قل لهم يا محمد: موتوا، أي: دوموا على غيظكم حتى تموتوا بسببه إن الله عليم بما تكنون في صدوركم من الكفر والعداوة.

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ إن أصابتكم غنيمة وفتح من بلاد الكفار أساءت اليهود والمنافقين. وإن تصبكم سيئة، أي: هزيمة وقتل، يفرح المنافقون واليهود بها. وإن تصبروا أيها المسلمون على أذاهم وتتقوا الله بطاعته وعدم مخالفة أمره لا يضركم مكرهم شيئًا، إن الله عليم بما يعمل هؤلاء اليهود والمنافقون من العداوة والبغضاء على المسلمين ومحيط، وسيعاقبهم عليه.

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ اذكر يا محمد حين خرجت من أهلك أول النهار تنزل وتهيِّىء للمجاهدين أماكن للقتال وهذه عن غزوة أحد ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ سميع بأقوالكم عليم بنياتكم. وفي هذه الجملة تحذير للمسلمين لتكون مجاهدتهم خالصة لله تعالى.

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ حين همت الطائفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة أرادا الرجوع من الطريق قبل الوصول إلى أحد وتجبّنا عن الملاقاة للعدو، والله وليهما، أي: عصمهما عن الرجوع إلى المدينة فساروا مع رسول الله إلى أحد، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يخافون العدو.

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ وهذه الآية اعترضت خلال قصة أحد، أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكر للمسلمين نصرة الله لهم في بدر فلا يجبنوا عن قتال العدو، فالله ناصرهم. واتقوا الله في مخالفة أمره وأمر رسوله لعلكم تشكرون على نصرة الله لكم.

ثم رجع بالعبارة إلى قضية أُحد ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾، اختلفت أقوال المفسرين في هذا الإمداد في بدر أو في أُحد، وبشر رسول الله ﷺ أصحابه المجاهدين أن الله يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين بفتح الزاي ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (بلى) كلمة للإيجاب عن السؤال بصيغة النفي، (إن تصبروا) في معركة القتال، (وتتقوا) الله في مخالفة أمره ونهيه، (ويأتوكم) جيش المشركين، (من فورهم)، أي: من ساعتهم هذه، (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)، أي: معلمين بالعمائم.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ وما جعل، أي: وما أخبر الله بالإمداد إلاَّ بشارة لكم ولتسكن به قلوبكم عن القلق والخوف في حالة القتال ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ لا بكثرة الجنود والعدد.

وذلك الإمداد لكم ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾، أي: بالقتل، أو بالأسر فيأسر جيش المسلمين أسرى من الذين كفروا بالله ورسوله أو يكبتهم، أي: يخزيهم بالغلبة عليهم، فيرجع العدو إلى ديارهم خائبين منهزمين.

وعد الله المجاهدين يوم أحد بأن يُنزل ثلاثة آلاف من الملائكة ليعينهم في معركة القتال على عدوهم، ثم أضاف على العدد الأول بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، واشترط على الثاني الصبر في معركة القتال والتقوى في مخالفة أمر الله وأمر رسوله، وقبل الحرب أوقف رسول الله رجالاً في جبل الرماة وقال لهم لا تنزلوا وراقبوا العدو، ولمَّا غلب المسلمون على العدو فأكثرهم نزلوا من الجبل ليأخذوا الغنيمة وخالفوا أمر رسول الله ثم لم ينزل الله الإمداد لهم، ورأى المشركون أن المسلمين اشتغلوا بالغنيمة وغفلوا عن العدو وكر المشركون بالقتال وفر المسلمون من معركة القتال وبقي رسول الله ومعه سعد ابن أبـي وقاص، وقال سعد: رأيت رجلين وعليهما ثوب أبيض ما رأيتهما قبل ولا بعد هما جبريل وميكائيل، وشج رأس رسول الله وكسرت ثناياه. ولمَّا سمع الفارون من المعركة أن رسول الله موجود في معركة القتال رجعوا وكروا على العدو قتالاً وانتصروا عليهم، ورجع المشركون خائبين إلى مكة.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾
اختلفت الروايات في سبب نزول هذه الآية، فرواية تقول أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دعا على الذين خالفوا أمره ونزلوا من جبل الرماة راغبين الغنيمة فنزلت الآية ورواية أخرى تقول: نزلت في أهل بئر معونة حيث قتلوا سبعين من قراء أصحاب رسول الله أرسلهم إليهم ليعلموا كتاب الله وأحكام دين الإسلام فاشتد ذلك على رسول الله ودعا عليهم شهرًا ويسمي أسماءهم، فأنزل الآية، أي: ليس لك يا محمد من أمرهم شيء تدعو عليهم أو يعذبهم الله بعصيانهم أو يتوب عليهم، أي: يوفق الله لهم توبة صادقة فيتوبوا عن ذنوبهم ويجددوا إيمانهم فيغفر الله لهم، أو يعذبهم بسبب أنهم ظلموا أنفسهم بقتل الأبرياء.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ خلقًا وملكًا وعبيدًا ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾ لمن تاب عن ذنوبه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ وفي هذه الآية نهى الله المؤمنين عن التعامل بالربا، أي: لا تأكلوا أيها المؤمنون ما كسبتم من الربا، فقليله وكثيره حرام. وكانوا في الجاهلية يدينون إلى أجل وإذا حل الأجل والمديون ما عنده شيء يقضي دينه فيقول للدائن أخِّر الأجل وزد عليّ قدره حتى يصير الدين أضعافًا مضاعفة. فنهى عن ذلك ثم أمر بالتقوى: واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه لعلكم تنجون من عذاب الله. ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ احذروا أيها المؤمنون من الأعمال التي توصلكم إلى نار جهنم وهي أعدت، أي: هيئت للكافرين ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ وأطيعوا الله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه، والرسول، أي: اتبعوا سنة رسول الله لكي تُرحمون يوم القيامة.

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ وبادروا إلى الأعمال الصالحات أيها المؤمنون توجب لكم مغفرة الله من ذنوبكم وجنة عرضها، أي: سعتها كعرض السموات والأرض أعدت، أي: هيئت للذين خافوا الله في مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه.

ثم ذكر وصفهم ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾، أي: الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله وفي كل وجوه الخير، في حالة سعتهم بالمال وفي حالة فقرهم، ولا يبخلون في إنفاق مالهم في سبيل الله، ويمسكون غضبهم فلا يستعجلون الانتقام ممن أساء لهم، ويعفون عمن ظلمهم. ثم وعد لهم وعدًا حسنًا بقوله: ﴿والله يحب المحسنين﴾، أي: المتصفين بتلك الأوصاف المذكورة عند الله وعند الناس.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ والذين إذا فعلوا فعلاً فاحشًا من المنهيات في شريعة الإسلام وفعلها قبيح عند الناس، أو ظلموا أنفسهم، أي: أوجبوا عقاب الله على أنفسهم بالظلم للناس بادروا إلى ذكر الله ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾ بعد أن وقعوا بعمل فاحشة أو بظلمهم على للناس تذكروا عقاب الله فندموا واستغفروا الله لأجل ذنوبهم ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا يغفر الذنوب إلاّ الله ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ ولم يداوموا على فعلهم

الفاحشة أو الظلم للناس، وهم يعلمون قبح أعمالهم، ويستقيمون في توبتهم.

﴿ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ أولئك الموصوفون بالأعمال المذكورة جزاؤهم مغفرة على ذنوبهم برحمة من ربهم، وفي الآخرة لهم جنات تجري من خلال أشجارها مياه الأنهار وهم مقيمون فيها على الأبد، ونعم ثواب العاملين في حياتهم الدنيا.

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ قد مضت سنة الله في الأمم الطاغية على أنبيائهم بالإهلاك والدمار من قبلكم يا معشر المسلمين، وإن لم تيقنوا بأخبارنا عنهم فسيروا إلى ديارهم المدمرة فانظروا إليها فتعتبروا بها، كيف كان عاقبة المكذبين بأنبيائهم.

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾، أي: الذي ذكرنا لكم أيها المؤمنون من قصص الأمم الماضية فيها بيان ظاهر للناس لطريق الهداية من الضلالة والهداية إلى الصراط المستقيم وفيها موعظة للمتقين يتعظون بها.

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ نزلت الآية في شأن المجاهدين في أحد، ﴿ولا تهنوا﴾، أي: لا تضعفوا ولا تحزنوا على، أصابكم من العدو، وأنتم الأعلون على عدوكم بالنصر والغلبة عليهم إن كنتم مؤمنين بوعد الله لكم، إن قُتِلْتُم أنتم في الجنة، وإن ظفرتم عليهم فلكم الغنيمة في الدنيا وأجر المجاهدين في الآخرة.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ إن أصابكم أيها المجاهدون من عدوكم قرح، أي: جراح من أثر ضرب السيف في المعركة، أي في أحد؛ قتل من الأنصار سبعون رجلاً ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة عم رسول الله ومصعب بن عمير رضي الله عنهم أجمعين. وبعد أن كرّ المسلمون على قتال العدو فقد أصاب العدو جرح مثله، أي: مثل ما أصاب المسلمين، وقتل نيف وعشرون رجلاً وكثرت جراحات فيهم ورجعوا خائبين إلى مكة.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، أي الحروب، فيكون النصر مرة للمؤمنين بنصر الله لدينه ويكون النصر مرة للكافرين بسبب عصيان المؤمنين، بلاءًا من الله. ثم ذكر علة ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾، أي: أحدثه الله بين المؤمنين والعدو لأجل أن يعلم الذين آمنوا بالله وحده ولم يخالفوا أمره فيتميزوا عن المنافقين وليتخذ منكم شهداء، أي: يكرمهم الله بالشهادة فتصل أرواحهم إلى الجنة بنعمة سرمدية وهذا فضل عظيم من الله، والله لا يحب الظالمين الذين ظلموا على المسلمين بالاعتداء عليهم.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ وهذا بيان العلة الثانية، أي: ولأجل أن يطهر الله المؤمنين من ذنوبهم ويميزهم عن المنافقين، ويهلك الكافرين والمنافقين شيئًا فشيئًا، وهذا قد تحقق كما ذكر الله فيهما.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ استفهام على سبيل الإنكار، أي: هل ظننتم أيها المؤمنون

أن تدخلوا الجنة بغير ابتلاء، ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم في سبيل الله؟ يعني علم الظهور واقعًا لما في معلومه المسبق وحتى يعلم الصابرين في المجاهدة في البأساء والضراء.

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ نزلت الآية في جماعة من أصحاب رسول الله وهم لم يشهدوا غزوة بدر وتمنوا الشهادة في سبيل الله، وفي الآية توبيخ وعتاب لمن فر من معركة أحد وتركوا رسول الله. ولقد كنتم أيها المسلمون تتمنون الشهادة في سبيل الله من قبل أن تلقوا الموت لأن الشهادة لا تحصل إلاَّ بالموت في سبيل الله، فقد رأيتموه، أي: فقد رأيتم موت إخوانكم في الغزوات وأنتم تنظرون إليهم.

ولمَّا انهزم المسلمون أشاع الكفار أن محمدًا قد قتل، وقال المنافقون: نرجع إلى ديننا، فأنزل الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ قد مضت من قبل محمد الرسل فمنهم من مات ومنهم من قتل في تمام أجله ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الاستفهام إنكاري على من أشاع أن محمدًا قد مات. قوله تعالى: (أفإن مات)، أي: مات محمد، أو قتل، انقلبتم، أي: رجعتم على أعقابكم كافرين بالله ورسوله، وهذا الانقلاب لن يضر الله شيئًا، أي: فلن يضر الله ارتدادكم عن دين الإسلام إلى الكفر شيئًا إنما تضرون أنفسكم وتخلدون في نار جهنم، وسيجزي الله الشاكرين بنعمة الإسلام جزاءً حسنًا وهو الجنة.

ثم أخبر سبحانه وتعالى أن لكل نفس أجلاً لا يزيد ولا ينقص ولا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا

﴿مُّؤَجَّلًا﴾ وما صح لنفس أن تموت إلاَّ بإرادة الله وقدره، وجعل لأجله كتابًا موقتًا. ولمَّا تمَّ أجل حياة الإنسان أمر بقابض الأرواح أن يقبض روحه لا يتأخر عن أجله ولا يقدم عليه.

وفي الآية ترغيب على الجهاد وتحذير من الخوف والجبن عن قتال الكفار لأن الخوف والجبن يوجب الذلة على المسلمين.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ وفي الآية تعريض بمن رغب بالغنيمة فنزلوا عن مركزهم من جبل الرماة، وبشارة لمن ثبت مع رسول الله ولم يلتفتوا للغنيمة. ومعنى الآية: من يرد بعمله ثواب الدنيا أعطيناه منها وما له في الآخرة من نصيب، ومن يرد بعمله ثواب الآخرة أعطيناه منها أجرًا حسنًا مضاعفًا. وسبب نزول الآية خاص لأهل أحد وحكمها عام، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ بنعمة الإسلام جزاء حسنًا وهو الجنة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ وكم من نبي قاتل معه الربانيون وهم المصدقون له والعلماء والصالحون لإعلاء كلمة الله وتعزيز دينه، وهم كثر. واختلفت أقوال المفسرين في عددهم (فما وهنوا)، أي: فما جبنوا لأجل ما أصابهم من العدو في سبيل الله (وما ضعفوا)، أي: وما تهاونوا عن الجهاد في سبيل الله بل ثبتوا في معركة القتال (وما استكانوا)، أي: وما خضعوا لعدوهم بطلب الهدنة، ثم وعد الله لهم بقوله: (والله يحب الصابرين)، أي: الثابتين في معركة القتال. وهذه الجملة أيضًا تعريض بمن فرَّ من معركة القتال في أُحد.

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ وما كان قول الربانيين مع ثباتهم في القتال إلَّا أن قالوا: يا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا، أي: تقصيرنا، فيما أمرتنا وثبّت أقدامنا عند لقاء العدو، وانصرنا على القوم الكافرين بك وبأنبيائك ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ فأعطاهم الله ثواب الدنيا، أي: أعطاهم النصر على أعدائهم والغنيمة منهم، وأعطاهم حسن ثواب الآخرة يعني الجنة ونعيمها، والله يحب المحسنين، أي: يحب الله من أخلص عمله ونيته لله تعالى.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ وقال المنافقون لمَّا أصاب المسلمين ما أصاب في أُحد في أول معركة لو كان محمد نبيًّا ما أصابكم شيء من عدوكم، ارجعوا إلى دينكم الأول، فأنزل الله الآية وحذر المسلمين من أن يطيعوا المنافقين والكافرين ونهاهم عن ذلك. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام لا تطيعوا آراء الكافرين والمنافقين، إن أطعتموهم يردوكم إلى دين الكفر فترجعوا عن دين الإسلام إلى دين الكفر خاسرين من خير الدنيا والآخرة.

ثم ثبتهم بقوله ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ بل الله يلي أمركم وهو ناصركم على أعدائكم، وهو خير الناصرين فلا تطلبوا النصرة من غيره.

ثم وعد المسلمين بالنصر ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾، أي: سنلقي في قلوب الذين كفروا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام الخوف والقلق بسبب ما

أشركوا بالله، أي: بعبادتهم غير الله ما لم ينزل بعبادته حجة وبرهانًا ﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ ومرجعهم في الآخرة إلى نار جهنم، وبئس مقر الظالمين أنفسهم بالإشراك بخالقهم.

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ ونزلت الآية بعد أن قال بعض المجاهدين بعد المعركة: قد وعد الله لنا النصر على العدو فمن أين أصابنا ما أصابنا من العدو؟ قال تعالى: لقد صدقكم الله وعده حيث تقتلونهم قتلاً ذريعًا بإرادته ونصره لكم ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ حتى إذا فشلتم، أي: ضعفتم، وذلك الفشل في الرماة، وكان رئيسهم عبد الله بن جبير فلما انهزم المشركون وتركوا أمتعتهم وهربوا، والمجاهدون شُغلوا بالغنيمة، أراد أهل الرماة أن ينزلوا من مركزهم للغنيمة، ورئيسهم عبد الله ابن جبير نهاهم، وتنازعوا في أمر رئيسهم، وبقي مع عبد الله في المركز عشرة رجال، والباقي نزلوا للغنيمة وعصوا أمر رسول الله وأميرهم، ورأى خالد بن الوليد أن الرماة قليل، وكان ذلك قبل إسلامه، وهجم المشركون عليهم فقتلوهم، وكرّ المشركون على المسلمين، وفرّ المسلمون، وثبت رسول الله في مقامه ومعه سعد بن أبي وقاص وأبو بكر الصديق وعمر وعلي وغيرهم، وقتل من المسلمين سبعون، وكسرت ثنايا رسول الله، بحجر من المشركين. وذلك الفشل والتنازع حصل بين الرماة ورئيسهم من بعد ما أراهم الله النصر والغنيمة.

ثم بيّن بقوله ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ منكم أيها المسلمون من يريد الغنمية وتركوا مركزهم لأجل الغنيمة ومنكم من يريد ثواب الآخرة وثبتوا في المركز حتى قتلوا ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، أي: بعد مخالفتكم أمر رسول الله صرف عنكم المعونة والنصرة، وهربتم من المشركين منهزمين، وذلك الصرف ليختبر الله إيمانكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ في مخالفتكم أمر رسول الله ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ والله ذو تفضُّل على عباده المؤمنين.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ حيث تصعدون الجبل هاربين من العدو لا تلتفتون إلى أحد، ورسول الله يناديكم من ورائكم: ارجعوا إليّ ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ فجازاكم غمًّا لفراركم على غم كان بعصيانكم أمر رسول الله، ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ هذا متعلق بقوله: (ولقد عفا عنكم) لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من الهزيمة، والله خبير بما تعملون لا يخفى عليه شيء من شأنكم.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ وبعد الغم والحزن أنزل الله على المؤمنين الذين جاهدوا في سبيل الله أمنة ونعاسًا، أي: أمنًا من الخوف ونعاسًا يأتي على الإنسان قبل النوم (يغشى طائفة منكم)، أي: من المؤمنين المخلصين.

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وطائفة هم المنافقون قد حملتهم أنفسهم أن يظنوا بالله غير الحق، أي: غير الظن الذي يليق به، وظنهم بالله كظن أهل الجاهلية ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ يقول المنافقون بينهم هل أنه ليس لهم من الخروج إلى القتال أي شيء.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ قل لهم يا محمد: إن الأمر كله بيد الله، يصرفه كيف يشاء (يخفون في أنفسهم) من الكفر والعداوة والبغضاء عليك وعلى المسلمين ولا يظهرون ذلك لك.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ يقول المنافقون بينهم: لو كان أمر الخروج إلى أنفسنا في اختيارنا ما خرجنا وما قتلنا، أي إخوانهم الذين خرجوا إلى أحد فقتلوا في معركة القتال، كأنهم نسبوا قتل إخوانهم إلى أنفسهم. وقولهم هذا حسرة على إخوانهم الذين قتلوا.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: لو كنتم في بيوتكم آمنين ولم تخرجوا لَخرج الذين قضى عليهم القتل إلى مضاجع قتلهم وقتلوا، فقضاء الله لا يرد ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ وذلك ليختبر الله ما في صدوركم من الشك والنفاق وليطهِّر ما في قلوبكم من الحقد والضغينة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ والله عليم بما في صدور الناس من خير أو شر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ إن الذين تولوا وفرّوا من معركة القتال من المسلمين يوم أحد يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين في المعركة إنما استزلهم الشيطان، أي: ألقى الوسوسة والفرار من معركة القتال واستدراجهم بسبب ما كسبوا من مخالفة أمر رسول الله فتركوا المركز راغبين الغنيمة ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥﴾ ولم يعاقبهم وغفر ذنوبهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده صدق الإيمان لا تكونوا كالمنافقين وقالوا لإخوانهم المنافقين إذا ضربوا، أي: سافروا للتجارة في الأرض، أو كانوا غزًّا، أي: غازين في سبيل الله، فأصابهم الموت في تمام أجلهم أو قُتلوا في معركة القتال لو كانوا عندنا ولم يخرجوا ما ماتوا وما قتلوا.

وردَّ الله عليهم: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ﴾ ليجعل الله قولهم ذلك حسرة وندامة في قلوبهم ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾ الله هو المتصرف في الموت والحياة، والقعود في بيوتهم لا يمنع الموت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ فيجازيكم على حسب أعمالكم.

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم على فراشكم وأنتم تائبون عن نفاقكم لمغفرة لكم من الله ورحمة خير مما تجمعون من حطام الدنيا ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ بعد البعث من قبوركم للحساب والجزاء.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ فبسبب رحمة من الله لك يا محمد وهي حسن الخلق وسعة الصدر والحلم والكرم والرحمة لنت لهم، أي: خالقت وتعاملت مع أصحابك باللين والرفق، ولو كنت فظًّا، أي: قاسيًا غليظ القلب لتفرقوا من حولك ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ إساءتهم إليك وتقصيرهم فيما أمرتهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ اطلب من الله المغفرة لذنوبهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾، أي: في أمر الغزوات والسرية، وكان عليه الصلاة والسلام كثير المشورة لأصحابه ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾،

أي: فإذا جزمت على رأي صالح ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ في أمورهم كلها.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ قال النسفي في رواية: إن قطيفة فقدت يوم بدر، وقال بعض المنافقين لعله أخذها رسول الله، فنزلت الآية. وما صح لنبي أن تنسب الخيانة إليه بأن يغل، وهو أخذ الشيء من الغنيمة قبل تقسيمها للمجاهدين، ومن يغلل شيئًا من الغنيمة خفيةً يأت بما غل يوم القيامة وهو على ظهره حامله، ثم توفى كل نفس ما كسبت، أي: يجازى كل إنسان جزاءً وافيًا على ما كسب في الدنيا، وهم لا يظلمون في الجزاء.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ هل يستوي من اتبع ما يرضي الله في الدرجة كمن باء بسخط من الله ومقره في عذاب جهنم وبئس المرجع والمقر ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾، أي: الناس درجات عند الله فمنهم أهل رضوان ومنهم أهل الجحيم، والذين اتبعوا رضوان الله لهم درجات أيضًا عند الله في الجنة. وقيل نزلت في أهل أحد، ولما خرج رسول الله معه أصحابه إلى أحد لقتال المشركين تخلف جماعة من المنافقين مع رئيسهم أبـيّ ابن سلول ورجعوا من الطريق إلى المدينة فاستوجبوا غضب الله على أنفسهم، والباقون ذهبوا مع رسول الله إلى أحد راجين رضوان الله ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ كل الفريقين، فيجازي الراجعين من الطريق عذاب جهنم ويجازي المتبعين رسول الله الجنة.

ثم يذكر سبحانه وتعالى امتنانه على المؤمنين من قريش: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ لقد أحسن الله إلى الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام حيث بعث، أي: أرسل رسولاً من أنفسهم عربيًا قرشيًا يتلو عليهم آيات كتاب الله ويزكيهم، أي: يطهرهم عن الشرك وأعماله ويعلمهم قراءة كتاب الله والحكمة، أي: الفهم بمعاني كتاب الله، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ وإن كانوا قبل بعثة النبي ﷺ لفي جهالة وحيرة لا يعرفون شيئًا من أمور الدين إنما يقلدون أسلافهم المشركين، فمن آمن بالله ورسالة محمد نجا من عذاب الله، ومن لم يؤمن به هلك في عذاب جهنم.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ يوم أُحد، وقتل من المسلمين سبعون حين اشتغلوا على الغنيمة ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يوم بدر والمسلمون قَتلوا سبعين وأَسروا سبعين من المشركين ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ كيف هذه الهزيمة علينا وقد وعدنا الله بالنصر على أعدائنا المشركين ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ قل لهم يا محمد هو، أي: سبب الهزيمة من عند أنفسكم، أي: من مخالفتكم أمرَ رسول الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ ينصر من أطاع أمره ويخذل من عصا وخالف أمره.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ما أصابكم أيها المسلمون يوم أحد من قتل إخوانكم، وجرحتم من غلبة عدوكم عليكم، وذلك فبإرادة الله وقدره.

ثم ذكر علة ذلك ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ ليظهر إيمان

المؤمنين بثباتهم في المعركة، ويظهر نفاق المنافقين. الله سبحانه وتعالى عالم بأحوال الفريقين إنما أراد أن يميز بينهما.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ﴾ ولمّا انخذل ورجع أبيّ ابن سلول من الطريق ومعه ثلاثة مائة من المنافقين قال المؤمنون: تعالوا معنا تقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، أي: قفوا معنا، وإن لم تقاتلوا أكثروا سواد المسلمين ﴿ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ﴾ فأجاب المنافقون لو نعلم مكيدة القتال لذهبنا معكم، وقال تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ﴾ المنافقون لأهل الكفر حينئذ أقرب من المسلمين لأجل إيمان المسلمين، لأن المنافقين يظهرون الإيمان والإسلام بلسانهم ويبطنون الكفر في قلوبهم وكشف الله نفاقهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ يقول المنافقون تلك المقالة بألسنتهم وهي ليست في قلوبهم، إنما يظهرون الإيمان والإسلام حماية لأنفسهم وأموالهم، والله أعلم بما يكتمون من الكفر والنفاق بين المسلمين واليهود.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ المنافقون الذين لم يخرجوا إلى غزوة أحد قالوا عن إخوانهم الذين قتلوا في أحد وقعدوا في بيوتهم: لو أطاعونا في رأينا ما قتلوا. فرد الله عليهم ﴿ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: ادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في دعواكم إن الحذر عن الموت لا ينفع إذا جاء أجله. وفي الآية دليل أن المقتول يموت في أجله.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾، أي: لا تحسبوا أيها المؤمنون إخوانكم الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا ﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بل هم أحياء مقربون عند ربهم

يرزقون من طعام الجنة وأثمارها فرحين على ما رزقوا من نعيم الجنة من فضل الله لهم ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ ويستبشرون بالمجاهدين الأحياء في الدنيا لم يلحقوا بهم من بعدهم، يعني: يتمنون لإخوانهم الذين يجاهدون في سبيل الله الشهادة فينالون من نعيم الجنة كما نالوا ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ أن لا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا من أهل ومال.

﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ الاستبشار الأول للمجاهدين الذين لم يموتوا وهم أحياء في الدنيا وهذا الاستبشار لأنفسهم ولكل شهيد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ الذين أخلصوا أعمالهم في الجهاد وفي غيره لله تعالى لا رياء ولا سمعة.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ الذين أطاعوا الله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، أي: الشدة والجروح في يوم أحد، وذلك لما رجع أبو سفيان مع الذين معه إلى مكة وندب رسول الله أصحابه الذين معه في يوم أحد وانتدبوا معه للخروج وهم سبعون، وهم على ألم الجراح بقوة إيمانهم فما جبنوا عن العدو. فلما وصل رسول الله مع أصحابه إلى حمراء الأسد ولقي معبد الخزاعي رسول الله وكان كافرًا، ولكن أراد الله نصرة المسلمين، ومر معبد على معسكر أبي سفيان فسأل عن رسول الله، فقال هو خرج في طلبكم ومعه جيش كثير وهم يغيظون عليكم، ورجع أبو سفيان مع عسكره إلى مكة خائفين من ملاقاة المسلمين. ثم وعد الله لهم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ للذين أطاعوا أمر رسول الله أحسن الطاعة (منهم)، أي: من المسلمين، واتقوا في مخالفة أمر رسول الله ﷺ، لهم ثواب عظيم في الجنة.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ الناس الأولى: نعيم الأشجعي أو ركب أو المنافقون قالوا لرسول الله وأصحابه: إن الناس، أرادوا به أبا سفيان وأصحابه، ـ وجاء الكلام مؤكّدًا ـ إنَّ الناس قد جمعوا على حربكم جيوشًا كثيرًا فاخشوهم، فما بالى المسلمون بإرجافه وتحذيره عن اللحوق بأبـي سفيان وأصحابه ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ على إيمانهم ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾، أي: كافينا الله عن شر العدو وهو نعم الوكيل في أمورنا كلها.

﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾، أي: فرجعوا بنعمة من الله وهي سلامة الرجوع بغير ملاقاة للعدو، وفضل هو المكاسب في تجارتهم، ولم يصبهم سوء من العدو، وسلكوا طريقهم إلى ما فيه رضوان الله ﴿ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ والله ذو تفضل عظيم لعباده المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ إنما ذالكم القائل: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو الشيطان يخوف أولياءه المنافقين، فلا تخافوا منهم وخافوني إن كنتم مؤمنين بـي؛ لأن تصريفات أمور الخلق بيدي.

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ ولا يحزنك المنافقون الذين يسارعون بالموالاة لأهل الكفر فإنهم لن يضروا الله شيئًا، إنما يضرون أنفسهم ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ يريد الله أن لا يجعل للمنافقين نصيبًا من ثواب الآخرة، ولهم عذاب عظيم في الدرك الأسفل في نار جهنم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ ﴾ إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان كما تشترى السلعة بالدراهم لن يضروا الله شيئًا باختيارهم الكفر، ولهم عذاب مؤلم في نار جهنم سيذوقونه.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ ولا يحسب الكافرون بخالقهم أنّ ما يطيل لهم في أعمارهم وغيهم في حياتهم الدنيا خيرًا لأنفسهم، ثم ذكر علة الإمهال: إنما يطيل لهم في أعمارهم وغيهم ليزدادوا إثمًا، ولهم عذاب مهين يخزيهم ويهينهم في عذاب سرمدي.

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾ وما كان الله ليترك المؤمنين المخلصين والمنافقين على ما أنتم عليه من الدين حتى يميز الخبيث من الطيب بالابتلاء كما ميز في يوم أُحد، فالمؤمنون قاتلوا مع رسول الله والمنافقون رجعوا إلى المدينة ولم يقاتلوا ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ وما كان الله ليطلعكم على الأمور التي هي غيب عن نظركم وعلمكم ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾ ولكن الله يختار للاطلاع على علم الغيب بالوحي من رسله من يشاء ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ﴾ فآمنوا أيها المؤمنون بالله ورسله إيمانًا صحيحًا لا كإيمان المنافقين ﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ وإن تصدقوا بما أخبركم من أمور الغيب وتتقوا في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه فلكم ثواب عظيم عند الله.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ولا يحسبن الباخلون الذين لا يؤدون زكاة ما أتاهم الله من فضله من الأموال ولا

ينفقون لذوي الأرحام والفقراء ﴿ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾، أي: إن البخل شر لهؤلاء.

ثم ذكر سبحانه ما توعّدهم من الوعيد الشديد: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ ﴾ وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ: «من أتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع»، أي: حية عظيمة لا شعر في رأسها، من شدة حرارة سمها. «يطوقه»، أي: يتطوق على عنقه، و «يأخذه بلهزمتيه»، أي: بشدقيه، «له زبيبتان»، أي: نابان في شدقيه، «ويقول له أنا كنزك ومالك ثم تلا رسول الله ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون﴾ » إلى آخرها.

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ولله ملك السموات والأرض وما فيهما وجميع ما فيهما يفنى وهو حي لا يفنى ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجازيكم على حسب أعمالكم.

وقالت اليهود: إنَّ الله فقير ونحن أغنياء، فأنزل الله: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ لمَّا أنزل الله: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا﴾ إلى آخر الآية، قالت اليهود تلك المقالة الشنيعة، فردَّ الله عليهم وأنزل الآية قوله: ﴿سنكتب ما قالوا﴾، أي: سنأمر الملائكة الحفظة على أعمال العباد ليكتبوا ما قالوا في ديوان الأعمال، ويكتبوا قتلهم الأنبياء بغير حق، وقتل الأنبياء حدث في أسلافهم، واليهود الذين بعدهم رضوا على ذلك، ولهذا اشتركوا في الوعيد والعذاب، ونقول لهم يوم القيامة: ذوقوا عذاب الحريق، أي: المحرق ﴿ذلك بما قدمت

أيديكم﴾، أي: ذلك العذاب بسبب ما فعلتم بأيديكم من قتل الأنبياء وغيره من الجرائم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ إن الله لا يعذب عبدًا إلاَّ بما يستحق به من العذاب.

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ جاء علماء اليهود عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقالوا: يا محمد، إن الله عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار. القربان: هو ما يتقرب العبد به إلى الله من حيوان وغيره تنزل النار من السماء فتحرقه، وهو علامة القبول عند الله.

قال تعالى: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود: جاءكم رسل من قبلي بالبينات، أي: بالحجج الواضحات، وبالمعجزات الظاهرات تدل على صدق رسالتهم من الله إليكم وبالذي قلتم، أي: وبالقربان الذي طلبتم من الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فبأيّ سبب قتلتم أنبياءكم إن كنتم صادقين فيما زعمتم؟ فأجيبوا!!

ثم يسلي نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد هؤلاء اليهود ﴿ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ فقد كذبوا رسلاً من قبلك جاؤوا إليهم بالحجج الواضحات، والزبر: جمع زبور، أي: الصحف، والكتاب المنير كالتوراة والإنجيل.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، أي: كل ذي نسمة ذائقة الموت من الإنس والجن والأنعام والوحوش والطيور والحشرات والحيوانات البرية والبحرية، لكل أجل مقدر.

ثم وجه الخطاب على المكلفين ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وإنما تعطون جزاء أعمالكم وافيًا يوم القيامة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ فمن أبعد عن نار جهنم بفضل الله ورحمته له وأدخل دار الكرامة فقد فاز بالسعادة في النعيم السرمدي، ثم زهّد عن الغرور في نعيم الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ وما حياة الإنسان في الدنيا إلاّ متعة المغتر الذي لا يدرك أنها ستزول، يتمتعون في حياتهم الدنيا مغترين بلذاتها الفانية.

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ لتختبروا أيها المسلمون في أموالكم اختبارًا شديدًا، الاختبار في الأموال، قد يكون بخسارة في التجارة، وقد يحترق وغير ذلك من ما قدر الله عليكم، والاختبار في النفس بمرض أو بموت الأولاد وغيرهم من الأقارب، والحكمة في ذلك؛ ليمتحن الله إيمانكم بالله وقدره، وصبركم على ما أصابكم من الله.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ ولتسمعن أيها المؤمنون من الذين أوتوا الكتاب من قبل بعثة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ومن المشركين أذى كثيرًا ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ في مخالفة ما أمر الله به وما نهاكم عنه ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ فإن الصبر على المصائب والتقوى يعني الحذر والابتعاد عما نهى الله ورسوله عنه هو من أحسن الأمور عند الله.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ اذكر يا محمد حيث أخذ الله الميثاق وهو العهد الوثيق المحكم من الذين أوتوا

التوراة والإنجيل، أي علمائهم: ليبيننّه للناس ولا يكتمونه، أي: لا يخفون ذلك العهد. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو العهد الذي أخذه الله من بني إسرائيل بأن يؤمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾، أي: طرحوا ذلك العهد وراء ظهورهم ولم يلتفتوا إليه واختاروا عوضًا عنه ثمنًا قليلاً؛ لأن متاع الدنيا قليل فانية.

ثم ذم الله ما اعتاضوا من حطام الدنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ فبئس الذي اختاروه لأنفسهم.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ نزلت في علماء اليهود: لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما فعلوا بكتمانهم صفتك وتبديلها من التوراة، ويحبون أن يحمد الناس لهم بما لم يفعلوا من الخير والإصلاح، بل هم على شر وضلالة ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ فلا تحسبن هؤلاء المضلين بمفازة، أي: بمكان يلتجؤوا فيه وينجوا من عذاب جهنم، ولهم عذاب مؤلم فيها.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ وما فيها، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ كيف يشاء يفعل في خلقه وفي ملكه.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ إن في خلق السموات السبع وما فيهن من الملائكة والشمس والقمر والنجوم، وخلق الأرض ما فيها من الجبال والسهل والبحر والأنهار وغير ذلك من خلق الله، واختلاف الليل والنهار، أي: تعاقبهما

بذهاب النهار ومجيء الليل والعكس لآيات دالات لذوي العقول الصحيحة على عظمة قدرة موجدها.

ثم ذكر وصف أولي الألباب: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ هم الذين يذكرون بألسنتهم وفي قلوبهم قائمين وقاعدين ومضطجعين في كل أحوالهم ويتفكرون في خلق الله في السموات والأرض ويقولون ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾، أي: عبثًا بل خلقته لحكمة، ليستدل أولوا الألباب على عظمة قدرتك ويزدادوا إيمانًا على إيمانهم ﴿ سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ تنزيهًا لك من أن تخلق شيئًا عبثًا فأجرنا من عذاب النار.

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ فقد أهنته وفضحته في الأشهاد ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾ وما للكافرين بك وبرسالة نبيك من يمنعهم من عذابك ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ ﴾ فصدقنا وأجبنا لدعوته إلى الإيمان بك ﴿رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ يا ربنا فاغفر لنا كبائر ذنوبنا وكفر عنا صغائر سيئاتنا بطاعتنا لك في عبادتك وبرحمتك، وتوفنا في جملة عبادك الصالحين واحشرنا معهم.

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ يا ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك، وهو الجنة لمن آمن بك وبرسالة الرسل وبكتبك المنزلة للرسل، ولا تخزنا، أي: ولا تهنا ولا تفضحنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، إذا وعدت أنجزت.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ فأجاب الله دعاءهم وقال: إني لا أضيع عمل عامل من المسلمين، من ذكر أو أنثى، فكان العامل ذكرًا أو أنثى في ثواب العمل سواء بعضكم من بعض لا فرق بينكم.

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ فالذين هجروا، أي: تركوا أوطانهم وأخرجوا من بلدهم لأجل إيمانهم بالله وحده وتصديقهم برسالة رسول الله وأوذوا في سبيل الله، أي: وتحملوا أذى المشركين في ابتغاء مرضاة الله، وبعد أن جمع الله شملهم في المدينة المنورة مع رسول الله قاتلوا المشركين وقتلوا في سبيل الله حصلت لهم درجات الشهداء في الجنة، فوعد الله لهم، قال: لأكفرن عنهم سيئاتهم، أي: لأمحونّ عنهم ذنوبهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، أي: عند أصول أشجارها ماء الأنهار، فكان ذلك التفضل لهم ثوابًا من عند الله والله عنده حسن الثواب لمن آمن به وآمن برسله وجاهد في طاعة الله.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد منه أمته؛ لأنه يبلغهم، أي: لا يغرن المؤمنين تقلب الكفار والمنافقين في التجارة وفي البلاد، فهو متاع زائل يتمتعون فيها ويفرحون بها وبعد الموت مرجعهم ومقرهم جهنم وبئس الفراش.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ قال تعالى: لكن الذين اتقوا في مخالفة ما أمر به وما نهى عنه لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين، أي: مقيمين فيها، وكان ذلك الخلود فيها منزلاً مهيئًا لهم من عند الله، والثواب الذي عند الله خير للمؤمنين الأبرار من تقلب هؤلاء الفجار في البلاد والتجارة.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن بعض مؤمني أهل الكتاب ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ قال الخازن: قال ابن عباس: نزلت في النجاشي ملك الحبشة لما مات جاء جبريل عليه السلام أخبر للنبي ﷺ في اليوم الذي مات قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، النجاشي، فخرجوا إلى البقيع وكشفت له أرض الحبشة وأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني ليس هو على دينه ولم يره قط. وذكر الخازن أيضًا غير هذه الرواية.

ومعنى الآية: وإنَّ من أهل الكتاب، أي: التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله وحده وما أنزل إلى المسلمين يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني التوراة والإنجيل خاشعين لله، أي: خاضعين وطائعين لأمر الله لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً، أي: لا يستبدلون بآيات الله ولا يعتاضون بها ثمنًا قليلاً، أولئك الموصوفون بصفات مرضية عند الله لهم ثواب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، إن الله سريع الحساب؛ لأن كل الأشياء في معلومه لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه.

ثم وجَّه الأمر على المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده اصبروا في طاعة الله وتكاليف الأمور ورابطوا وصابروا، أي: واصلوا صبركم حتى يأتيكم اليقين، ورابطوا في الثغر على تجاه أعداء الله الكافرين، واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه لعلكم تفوزون بجنات النعيم.

والحمد لله، تمَّت سورة آل عمران بعون الله.

* * *

سـورة النسـاء

آياتها مائة وست وسبعون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ خاطب الله جميع بني آدم: يا أيها الناس خافوا ربكم الذي خلقكم، أي: أوجدكم، من نفس واحدة هي نفس آدم وخلق منها زوجه حواء وبث، أي: فرق، منهما رجالاً كثيرًا ونساء كثيرة ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾، أي: خافوا الله الذي يتساءل بعضكم بعضًا به، حيث يقول: سألتك بالله وأنشدك بالله، واتقوا الله من قطع الأرحام لأن صلتها تجب عليكم بالإنفاق والصدقة لهم، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله الرحم معلّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾، أي: مطلعًا على جميع أحوالكم.

﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ٢ ﴾ والأمر على أولياء اليتيم، أي: أعطوا أيها الأولياء والأوصياء أموال اليتامى ــ جمع يتيم ــ إذا بلغوا رشدهم ويستطيعون التصرف في أموالهم بغير تبذير، ولا تستبدلوا الحرام بأموالكم الطيب

الحلال. وقال العلماء: كان بعض أولياء اليتيم يأخذ من مال اليتيم الطيب ويضع مكانه الرديء من ماله فنهى الله عن ذلك: (ولا تأكلوا أموالهم) مخلطين إلى أموالكم، إنه كان ذنبًا عظيمًا عند الله.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ إن رغب أحدكم أن يتزوج اليتيمة التي في حجره، فإن خشيتم أن لا تعدلوا في صداقها فتزوجوا غيرها مما طاب لكم من النساء اثنين أو ثلاثًا أو أربع على قدر استطاعتكم بالنفقة والباءة والجماع ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بينهن بالنفقة ﴿ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: تزوجوا واحدة من الأحرار أو ما ملكتم بملك اليمين ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ ذلك الاقتصار بواحدة أو بما ملكتم بملك اليمين أقرب أن لا تميلوا ولا تجوروا عليها بالنفقة أو لا تضلوا، أو لا تكثر عيالكم.

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وأتوا أيها الأزواج مهور نسائكم نحلة، أي: من طيب أنفسكم. وفي الحديث: أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفرج ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ فإن وهبت شيئًا من صداقها لكم تطيب نفسها منه ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾﴾، أي: حلالاً طيبًا بلا شبهة فيه.

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ الخطاب لأولياء اليتامى، أي: ولا تعطوا السفهاء جمع سفيه أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا، وإضافة أموال اليتيم للأولياء لأنهم يتولون بمحافظة أموال اليتيم كما يحافظون أموالهم و ﴿جعل الله لكم قيامًا﴾ في أموالهم يعني بأن تحافظوا أموالهم ولا تضيعوها وأطعموهم

واكسوهم منها، وإذا طلبوا منكم أموالهم قبل بلوغ الرشد ﴿ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝ ﴾، أي: وقولوا لهم قولاً لينًا، وإذا رشدتم سلمنا لكم أموالكم فلا تستعجلوا حتى تبلغوا رشدكم.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى الأولياء بأن يختبروهم قبل تسليم أموالهم إليهم فقال: ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ ﴾ اختبروا اليتامى في عقولهم ودينهم وحفظ أموالهم إلى أن يبلغوا رشدهم وسن زواج النساء ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ فإن عرفتم منهم رشدًا، أي: عقلاً كاملاً يستطيعون التصرف في أموالهم فاعطوا إليهم أموالهم ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ﴾ ولا تأكلوا أموال اليتيم إسرافًا، أي: مسرفين بغير حاجة ضرورية وبدارًا، أي: مسرعين، قبل أن يكبروا.

﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وإن كان ولي اليتيم غنيًّا فلا يأكل من مال اليتيم ولكن ليستعفف منه، وإن كان فقيرًا فليأكل منه على قدر حاجته الضرورية.

﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝ ﴾ فإذا أردتم أن تعطوا أموالهم لهم فأشهدوا شاهدين من المسلمين عند استلامهم أموالهم كيلا يجحدوا، والإشهاد أسلم لكم من النزاع والمخاصمة وكفى بالله محاسبًا على أعمال الخلق.

وكان في الجاهلية لا يورث الأطفال والنساء، ويقولون: لا يرث إلاَّ من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة، أي: جمع المال، فجاءت أم كُجَّة إلى رسول الله تشتكي وتقول: أنا امرأة أوس بن ثابت مات وترك بنات

ومالاً حسنًا، وما عندي مال لأنفق عليهن، والمال عند سويد وعرفجة ولم يعطياني شيئًا من مال أوس، فدعاهما رسول الله ﷺ فسألهما فقالا: يا رسول الله، لا يرث إلاَّ من قاتل العدو وحاز الغنيمة فصرفهما رسول الله ﷺ منتظرًا الوحي فأنزل الله ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ فأرسل رسول الله إلى سويد وعرفجة فقال لهما: لا تفرقا شيئًا من تركة أوس حتى يبين الله القسمة فأنزل الله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلى آخرة الآية. وسيأتي إن شاء الله الكلام فيها.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ وإذا حضر وقت تقسيم التركة أولو القرابة للميت الذين لا ميراث لهم واليتامى والمساكين فأعطوا لهم من المال لتطيب أنفسهم، وقولوا لهم قولاً لينًا حسنًا فلا يتأذون منكم. والأمر للوارثين، وقيل الأمر للندب.

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ وليخشى الأوصياء، والورثة أو الذين يسمعون الوصية التي فيها جور أنهم لو تركوا من خلفهم، أي: من بعدهم أولادًا صغارًا خافوا عليهم الفقر والضياع، فليخافوا الله في حق الآخرين كما يخافون على أولادهم الصغار فإن الله كفيل بأرزاقهم، وليقولوا قولاً صوابًا عدلاً لا يخالف حكم وإرادة الله.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ إن الذين يأكلون أموال اليتامى

ظالمين لهم بغير حق، إنما يأكلون ما يصير في بطونهم نارًا يوم القيامة، وسيصلون نارًا مستعرة، وقيل: تخرج النار من أفواههم وآذانهم وخياشيمهم.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وهذا شروع في تقسيم الميراث: ﴿يوصيكم الله﴾، أي: يعهد الله إليكم، ويأمركم في ميراث أولادكم، أنه للذكر مثل نصيب البنتين.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ فإن كان الوارث إناثًا: بنتين أو أكثر فلهن ثلثا ما ترك الميت والباقي للعصبة ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ وإن كانت الوارثة بنتًا واحدة فقط فلها نصف ما ترك الميت والباقي للعصبة ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾، أي: ولأبوي الميت لكل واحد منهما السدس فرضًا والباقي للأولاد تعصيبًا.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ فإن لم يكن للميت ولد ذكر أو أنثى وورثه أبواه فلأم الميت الثلث والثلثان لأب الميت ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ فإن كان للميت إخوة ذكرًا أو أنثى فلأم الميت سدس ما ترك والباقي للأب لا يرث الإخوة وإذا اشتبه عليك أيها القارىء راجع على تفسير الخازن ذكر فيه اختلاف أقوال العلماء سلفًا وخلفًا ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، أي: الإسهام للورثة من بعد أداء الوصية أو الدين الذي على الميت؛ لأنهما واجب على الميت، ويجب على الوارث أداءهما قبل إسهام التركة.

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾، أي: الذين يرثونكم

هم آباؤكم وأبناؤكم فلا تدرون الحكمة في ما قسم الله بينهم، أيّهم أقرب لكم نفعًا. اختلفت أقوال العلماء في معنى هذه العبارة، والله المستعان بما أقول لأن الأبوين إذا عجزا عن العمل والابن يخدم لهما ويدعو لهما في حياتهما وبعد مماتهما وعلى هذا المعنى منفعة الولد على أبوين أقرب نفعًا عند الله ثوابًا.

ثم تابع العبارة على أحكام الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾، أي: ما ذكر لكم من إسهام تركة الميت فريضة واجبة عليكم، لا تخالفوا أيها المسلمون ولا تغيروا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ إن الله كان عليمًا بأحوال الخلق قبل إيجادهم وبعد، لا يخفى عليه شيء، حكيمٌ فيما افترض وأسهم من الموارث.

ثم ذكر سبحانه وتعالى سهم الزوج والزوجة: ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ ولكم نصف ما تركت زوجاتكم إن لم يكن لهن ابن أو بنت لأن لفظ ولد يطلق على الذكر والأنثى في باب الميراث ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ فإن كان لهن ولد صبي أم بنت منكم أو من غيركم، فلكم الربع مما تركن من بعد أداء وصية أو دين عليهن، وتنفيذ الدين أحق من الوصية، ثم الوصية، ثم إسهام التركة لمستحقيها.

﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ فإن كانت الزوجات متعددة تشترك في الثُّمن أو الرُّبع.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ

﴿مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ وإن كان رجل يورث ميتًا كلالة. الكلالة: من ليس له والد ولا ولد يرثه وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما السدس.

﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ وإن كانوا، أي: الأخ والأخوات أكثر من ذلك فهم شركاء في ثلث التركة من بعد أداء الدين والوصية وتكون الوصية غير مضارة على الوارثين. يوصيكم الله أيها المسلمون أن تلك الأسهم بين ورثة الميت لا تخالفوا حكم الله فيها، والله عليم فيما حكم في المواريث، حليم لا يعجل العقوبة لمن خالف أمره، ليتوبوا فيغفر له. وتفصيل مسائل الميراث وبيانها في كتب خاصة للميراث.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾ تلك الأحكام التي بيَّن الله لكم، أيها المسلمون، حدود شريعة الله، لا تخالفوا فيها ولا تعتدوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ ومن يطع الله فيما أمر وأمر رسوله والتزم واتبع به يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، أي: يجري من أصول أشجارها ماء الأنهار، مقيمين فيها وذلك الفوز العظيم.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ ومن خالف أمر الله وأمر رسوله ولم يرض بما قسم الله له من الميراث وتجاوز عما قسم الله له يدخله نار جهنم؛ خالدًا، أي: مقيمًا فيها وله عذاب مهين في جهنم؛ لأنه أوجب الخلود على نفسه في جهنم، وذلك الخلود فيها إن لم يتب قبل موته. وفي حكم الخلود اختلاف بين العلماء.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ والنساء اللاتي يزنين من نسائكم فاطلبوا عليهن أربعة من المسلمين ليشهدوا مع شروط الإثبات عند الحاكم.

﴿فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾ فإن ثبت فعلهن الفاحشة بشهادة أربع رجال عادلين فاحبسوهن في البيوت إلى أن يتوفاهن أجل موتهن أو يجعل الله لهن سبيلاً للخروج من الحبس قبل موتهن. ونُسِخَ حكم هذه الآية بآية الرجم في سورة النور.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ واللذان، أي: الرجلان، مع بعضهم يأتيان فعل الفاحشة فأذوهما بالتوبيخ والضرب بالنعال فإن تابا عن فعلهما الفاحشة ولم يصرا عليها وأصلحا شأنهما فأعرضوا عنهما ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ لعباده المؤمنين، وقال فخر الدين الرازي: الحبس للمرأة والأذى للرجل، قال النسفي: الآية الأولى في السحاقيات من النساء والثانية في اللواط من الرجال.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ إنما قبول التوبة على الله للذين يعملون عملاً سيئًا بجهالة وغفلة عن عاقبة عملهم ثـم يندمـون ويتوبون إلى الله من قريب، أي: قبل مفاجأة الموت، ولا يسوّفون التوبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾، أي: يتقبل الله توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾﴾، أي: عليمًا بأحوال خلقه حكيمًا فيما شرع عليهم.

﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ

﴿ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ ولا يقبل الله توبة الذين يعملون الأعمال السيئات، يعني: يرتكبون المعاصي ويصرون عليها إلى أن يحضر عليهم الموت، يعني علامة الموت فيقول أحدهم: إني تبت الآن، كما فعل فرعون ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ ولا يقبل الله توبة الذين ماتوا وهم وكافرون بالله ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾، أي: هيأنا لهم عذابًا مؤلمًا يذوقونه يوم القيامة ذوقًا سرمديًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ قال ابن عباس: كان في الجاهلية إذا مات رجل وترك امرأة، فولي الميت أحق بها، إن شاء تزوجها وإن شاء تركها وزوّجها غيره، وإن شاء منعها عن التزوج، فأنزل الله الآية ينهى فيها المؤمنين عن ظلم الجاهلية للنساء.

﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ ولا يحل لكم أن تمنعوهن عن الزواج أو تضيقوا عليهن لتأخذوا بعض ما آتيتموهن من الصداق ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ اختلف أقوال العلماء بقوله: (بفاحشة مبينة) بعضهم قال: هي الزنا، وقال ابن عباس: هي سوء الخلق والنشوز للزوج حتى تنخلع من زوجها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾، أي: صاحبوهن بالمعاملات الحسنة لتلين قلوبهن لكم، ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾، أي: كرهتم صحبتهن ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ فلعل الله في أن تكرهوا شيئًا منهن ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا، أي: من ذرية صالحة تنفعكم في الدنيا وتدعوا لكم لآخرتكم أو غيره.

﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾ وإن أردتم أيها المسلمون زوجة مكان زوجة طلقتموها ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ

شَيْـًٔا﴾ وأعطيتم إحداهن مهرًا كثيرًا يبلغ قنطارًا فلا تأخذوا من المهر شيئًا ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ، أي: أتأخذون من مهر المطلقة باطلًا وإثمًا ظاهرًا ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ وكيف يحل لكم أن تردوا عليكم من مهورهن وقد أفضى بعضكم إلى بعض، أي: وقد وصل بعضكم إلى بعض، كناية عن الجماع، وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا، وهو العهد الوثيق لعقدة النكاح أمام الشهود، وفي الحديث: «اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

ثم بيّن سبحانه وتعالى المحرمات زواجهن على الرجل: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ ولا تتزوجوا أيها المسلمون ممن تزوج آباءكم من النساء، وما مضى في الجاهلية فإنه معفوّ عنه، فإن زواج منكوحة الآباء كان فاحشة، أي: قبيحة، ومقتًا، أي: يوجب الغضب والبعد عند الله، وكان بئس الطريق وأقبح خُلُقًا عند الناس.

ثم بيّن سبحانه وتعالى المحرمات بالنسب وبالسبب: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ حرمت عليكم أيها المسلمون زواج أمهاتكم، وتدخل فيها الجدات من طرف الأب والأم وإن علون، وحرمت عليكم بناتكم وإن سفلن، وعماتكم، وهن أخوات أبيكم لأنهن مشتركات في الأصل، وخالاتكم وهن أخوات أمكم لأنهن مشتركات في الأصل، وبنات الأخ وبنات الأخت وإن سفلن، فهذه أصناف المنع بالنسب.

ثم يذكر المحرمات بالسبب ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ

﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ الله سبحانه وتعالى أجمل فيهما، والسنة تبين، قال عليه الصلاة والسلام: «يحرم من الرضاع كما يحرم من النسب» ويثبت الرضاع إذا كان في سن الصغر دون الحولين، لقوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ وتحرم للرجل مرضعته وأمها وجداتها وكذا أم زوج المرضعة وأخواتكم من الرضاع وكذا بناتهن وعماتهن وخالاتهن.

ثم يذكر سبحانه وتعالى اللاتي تحرم بالمصاهرة ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ وتحرم أمهات زوجاتكم بعقد النكاح سواء إن دخلتم بهن أو ما دخلتم بهن والمعنى بالدخول الجماع، وربائبكم: جمع ربيبة وهن في حجوركم تتولون تربيتهن من زوجاتكم اللاّتي جامعتم بهن، يحرم عليكم زواجهن فإن لم تكونوا جامعتم بهن فلا جناح عليكم في زواج الربيبة، ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ وزوجات أبنائكم الذين من أصلابكم، جمع صلب، يحرم عليكم زواجهن، وإن كان الابن بالتبني، أي: بالتربية فلا حرج عليكم في زواج امرأته المطلقة، لأنه ليس ابنًا على الحقيقة.

ثم تابع ذكر ما يحرم فقال: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلاّ الذي مضى في الجاهلية فعفى الله عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣)﴾ لعباده المؤمنين.

﴿۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ويحرم عليكم المتزوجات من النساء ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، أي: التي ملكتموها بالسبي من دار الحرب

وأزواجهن في دار الحرب لا عصمة لهم فيحل لكم وطأهن بعد استبرائهن بحيضتين وإن كانت حاملة حتى تضع حملها.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، أي: الزموا عليكم كتاب الله، فيه بيان ما حلَّل الله لكم وما حرم عليكم ولا تعتدوا عنه.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾ وأحل لكم أيها المسلمون ما سوى المذكور من المحرمات ﴿أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ﴾ أن تطلبوا نكاحهن بالمهر الشرعي محافظين على أنفسكم غير زانين ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ﴾ فما دام قد انتفعتم بهن بالمهر المسمى فآتوهن مهورهن فريضة، أي: أوجب الله عليكم تسليم مهورهن لهن ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ﴾ ولا حرج عليكم فيما تصالحتم به مع زوجاتكم بأن تهب مهرها أو بعض مهرها أو تضاعفوا على مهرها شيئًا، وذلك بعد تسمية المهر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾، أي: عليمًا بأحوالكم حكيمًا بما حلل لكم وما حرم عليكم.

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ ومن لم يستطع منكم طولاً، أي: لم يجد مالاً وسعة وقدرة لدفع المهر لينكح المحصنات المؤمنات من الحرائر فليتزوج مما ملكت أيمانكم، ثم بين: من فتياتكم المؤمنات، أي: من فتيات المؤمنين برضا سيدها. وإضافة ملك اليمين على الذين يريدون زواج الإماء لأن المؤمنين إخوة في الدين ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾، وهذه الجملة اعتراضية لبيان السر في زواج الإماء، أي والله أعلم بإيمانكم، أي: بإيمان الحرائر والإماء، بعضكم من بعض، أي: من ذرية بني آدم، فلا تكرهوا نكاح الإماء فرب إماء أتقى وأحصن من الحرائر.

ثم أوصل العبارة ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ ﴾، أي: بإذن سيدهن ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ أدوا مهورهن من طيب أنفسكم بغير بخس ﴿ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ ﴾، أي: تزوجوا حافظات لفروجهن غير مجاهرات بالزنى ولا متخذات أخدان جمع خدن، أي: صاحبًا تزني به سرًّا.

﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ﴾ فإذا حفظن أنفسهن عن الفواحش فنعم الزوجة ﴿ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ﴾ فإن زنين زنى بينة لا شبهة فيها فعليهن نصف ما على الحرائر من العذاب وهو الحد.

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ ﴾ ذلك الترخيص لزواج الإماء إنما هو لمن خاف على نفسه أن يقع بالزنى من غلبة الشهوة والغفلة وهو من المسلمين. ﴿ وَأَن تَصۡبِرُواْ ﴾ على عدم الزواج أو نكاح الأمة فهو ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ ﴾ لإنه إذا جاء ولد منها يكون رقيقًا لسيد أمه ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٥ ﴾ لعباده المؤمنين.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٢٦ ﴾ يريد الله ليبيِّن لكم أحكام شريعته ويرشدكم إلى سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم، أي: ويتقبل توبتكم عن الآثام والجرائم، والله عليم بأحوال خلقه حكيم فيما شرع وحكم لعباده المؤمنين.

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ۝٢٧ ﴾ والله يريد أن يوفقكم لتوبة صادقة عن ذنوبكم فيغفر لكم، ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم، قيل: هم اليهود، وقيل: هم

الفجرة من المسلمين، أي: ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم أن تميلوا إلى هواهم ميلاً تامًّا حتى تكونوا مثلهم في الإجرام.

وفي الآية تحذير المسلمين عن الموافقة والمصاحبة لآراء الكفار والفجرة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ والله يريد أن يخفف عنكم أيها المسلمون ويسهل لكم أحكام شريعته، وخلق الإنسان ضعيفًا لا يتحمل تكاليف أمر الله ولا يصبر عليها.

ثم حذّر المسلمين عن أكل أموال الناس بالباطل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام لا تأكلوا أموال بعضكم بالباطل، أي: بالحرام والخيانة في المعاملة والسرقة والغصب والربا والقمار وبالتجارة بما حرم الله عليكم، ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ ﴾ ولكن أن تكون معاملتكم تجارة بينكم عن تراض من طيب أنفسكم بما هو حلال ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ ﴾ ولا يقتل بعضكم بعضًا أو المعنى على ما سبق لا تخونوا بعضكم بعضًا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ برحمته لكم ينهاكم عن كل ما يوجب عليكم عقابه ويأمركم بكل ما يوجب لكم جنته.

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ ومن يفعل ذلك، إشارة إلى ما نهى الله عنه، فيفعله عدوانًا، أي: تجاوزًا عن الحد المشروع وظالمًا لأخيه المسلم فقريب، ندخله أي: يوم القيامة ندخله نار جهنم، وكان هذا العقاب للظالم على الله يسيرًا، ولا ينظر إليه بنظرة الرحمة.

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ (إن تجتنبوا) فتتركوا أيها المسلمون كبائر ما تنهون عنه، الكبائر: الإثم، وهو ما نهى الله عنه وتوعَّد على فاعله عذاب جهنم، (نكفر عنكم سيئاتكم)، أي: صغائر ذنوبكم بصلواتكم وبأعمالكم الخيرة وندخلكم يوم القيامة في دار الكرامة تتنعمون فيها بنعيم سرمدي.

أخرج الإمام أحمد عن مجاهد قال: قالت أم سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف السهم في الميراث، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ ولا تتمنوا أيها المسلمون ما فضل الله به بعضكم على بعض بالجاه والعلم والنسب والمال والميراث والجهاد ذلك من فضل الله لهم، هو عالم بأحوال الخلق.

ثم صرَّح بالجواب على سؤال أم سلمة رضي الله تعالى عنها ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ ﴾ للرجال نصيب، أي: ثواب مما اكتسبوا في الجهاد في سبيل الله وللنساء نصيب، أي: ثواب مما اكتسبن في طاعة أزواجهن والمحافظة على فروجهن، لأن ثواب الأعمال سواء بين الذكر والأنثى في الآخرة. وأما الميراث فقال تعالى: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ لقصرهن في خدمة الآباء والأقارب وذلك الإسهام لحكمة منه جلّ وعلا لا اعتراض له ولا حسد لمن فضل الله من الجاه والمال وغير ذلك. ثم أمر الله المؤمنين أن يسألوا منه لا من غيره ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ ﴾ واسألوا أيها المؤمنون حاجاتكم من فضل الله يعطيكم ويقضي حاجاتكم في وقت مقدر فلا تستعجلوا لأن الاستعجال إساءة لربكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ ولحكمة وعلم منه جلّ وعلا جعل الناس طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات.

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ ولكل إنسان جعلنا موالي، أي: وارثة يرثون مما ترك الأب أو الأم، والأقربون، أي: الأقارب من جهة الأب والأم ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ وهذا متعلق بجعلنا، أي: والذين حالفتموهم في الجاهلية أو في الإسلام فاعطوهم نصيبهم من الميراث، وحكم هذه الآية منسوخ بآية أولي الأرحام. ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾، أي: مطلع على أعمالكم ونياتكم فامتثلوا بأمره واجتنبوا نواهيه.

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ الرجال قائمون على أزواجهم بسبب ما فضل الله الرجال على بعض يعني فضل الله الرجال على النساء بالعقل وحسن التدبير في شأنهن وبسبب ما أنفقوا لهن من أموالهم.

ثم وصفهن ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ فالصالحات، أي: العابدات لله تعالى والقانتات المطيعات لأمر الله في حقوق الزوجية ولأمر أزواجهن بأمر معروف والحافظات فروجهن لوقت غيب أزواجهن وبما أمر الله بحفظ أسرار بيتهن بينهن وبين أزواجهن.

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ وزوجاتكم التي تخافون نشوزهن، أي: ارتفاعهن وتكبرهن وبغضهن عليكم فعظوهن بالكلام الجميل فتلين قلوبهن، وإن لم يقبلن وعظكم ونصيحتكم فاهجروهن في المضاجع، أي: اتركوهن في الفراش وارقدوا على غير فراش، وإن لم يرتدعن عن نشوزهن وشراسة أخلاقهن فاضربوهن بغير تبريح، فإن أطعنكم وتركن

نشازتهن ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾، أي: لا تجنوا أو تعتدوا عليهن بأي طريقة، بقول أو فعل. وهذا نهي عن ظلمهن أو تكليفهن بما لا يستطعن.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ إن الله أعلى وأكبر منكم وهو قادر على الانتقام من الظالمين لهن.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ وإن علمتم شقاقًا بين الزوجين فابعثوا حكمًا عدلاً من أقاربه وحكمًا عدلاً من أقاربها لأنهما أعلم بشأنهما فإن يريد الحكمان الإصلاح بينهما أو يريد الزوجان الإصلاح يوفق الله بينهما بحسن نية الحكمين، فإن الله كان عليمًا بأحوال خلقه خبيرًا فيما شرع لهم من النكاح والطلاق والخلع والإصلاح بين زوجين.

﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ واعبدوا الله، أي: استقيموا في العبودية أيها المؤمنون ولا تخالفوا على أمر الله ولا تشركوا في عبادة الله شيئًا وتكون عبادتكم خالصة من السمع والرياء، ثم أمرهم بالإحسان بالوالدين وإلى ما ملكت أيمانكم ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، أي: أحسنوا بوالديكم إحسانًا تامًّا في خدمتهما وقضاء حاجاتهما، والكلام اللين والخلق الحسن لهما أيضًا من جملة الإحسان.

﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ ﴾ أحسنوا إلى ذوي القرابة، واليتامى: هم من لا أب لهم ولا يستطيعون العمل، والمساكين: هم الفقراء يحتاجون على قوتهم، والجار ذي القرابة، والجار بجنب البيت، والصاحب في السفر، والزوجة، وابن السبيل: هو المنقطع في

السفر عن ماله، وما ملكت أيمانكم: هم الرقيق في ملك سيدهم يجب على سيدهم أن لا يكلفهم عملاً لا يستطيعون عليه ولا يضيق عليهم بالطعام، ويكسوهم كساء حسنًا ولا يؤذيهم بالسب ولا بالضرب إلاَّ إذا عصوا عليه، ولا يتجاوز عن الحد الذي يستحقون بالتأديب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ إن الله لا يحب من كان متكبرًا في نفسه وفخورًا على الناس بنسبه أو بجاهه أو بغناه أو بعلمه.

ثم ذكر صفات الذين لا يحبهم ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ هم الذين يبخلون بما أوجب الله عليهم من الإنفاق على المحتاجين ويأمرون الناس بالبخل ويخفون ويكتمون ما أتاهم الله من فضله، أي: من سعة المال، وكذا يكتمون صفة النبي عليه الصلاة والسلام في التوراة، وقيل: نزلت في اليهود وكانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم لمحمد وأصحابه، نخشى عليكم الفقر. وظاهر الآية تدل أنها نزلت في اليهود والمنافقين.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾ وهيأنا للكافرين بما أنعم الله عليهم من المال والعلم فيبخلون بالمال ويكتمون العلم الصحيح عن الناس، هيأنا لهم عذابًا مهينًا يهينهم ويخزيهم في جهنم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ والذين ينفقون أموالهم سمعة وافتخارًا على الناس ومرائين عليهم ولا يؤمنون بالله إيمانًا صادقًا ولا يوقنون بيوم القيامة فيشكون فيها، قيل: نزلت في المنافقين، قال تعالى توبيخًا عليهم: ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ ومن يكن الشيطان له صاحبًا يطيع أمره وإغواءه فساء، قرينًا أي: بئس القرين.

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾ وأيّ ضرر عليهم لو آمنوا بالله إيمانًا صحيحًا وبيوم القيامة وأنفقوا مما رزقهم الله في سبيل الله لا سمعة ولا رياء، وكان الله بأعمالهم عليمًا سيجازيهم على سوء نيتهم ونفاقهم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ ﴾ إن الله لا يظلم، أي: لا يبخس من أجور أعمال العباد قدر مثقال ذرة أو وزن ذرة ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ وإن تكن أعمال العبد حسنة يضاعف أجورها الحسنة بعشر أمثالها ويؤت من عنده أجرًا عظيمًا سوى أجور الأعمال.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾

قال الخازن رواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل، قال: «أحب أن أسمع من غيري» فقرأت سورة النساء ولما وصلت إلى قوله: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾، فقال لي: «حسبك». فالتفت فإذا عيناه تذرفان، أي: تدمعان. ومعنى الآية: فيكف تكون حال كل أمة إذا أتيناهم بنبيهم شاهدًا يشهد عليهم وأتينا بك لتشهد على أمتك.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾، أي: يوم الشهادة يتمنى الذين كفروا بالله لو يدفنوا في الأرض. فيسويهم الله بها. فيصيروا ترابًا كالبهائم ولا يكتمون، أي: لا يستطيعوا أن يكتموا أمام الله حديثًا لأن جوارحهم تشهد عليهم.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده لا تقربوا إلى المسجد لأداء

الصلاة أو لا تقوموا إلى الصلاة وأنتم في حالة السكر وفقدان العقل من الخمر، وذلك حتى تعرفوا ما تقرؤون. ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ ولا تدخلوا المسجد أو تصلوا بحال كونكم جنبًا إلاَّ في حالة المرور من جانب المسجد إلى جانبه الآخر لحاجة، وهذا رخصة للمار ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ من جنابتكم.

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ وإن كنتم أيها المسلمون في حالة المرض الذي يضره استعمال الماء، أو كنتم مسافرين، أو جاء أحد منكم من غائط أو بول، أو لامستم، أي: جامعتم النساء فلم تجدوا ماء، فتيمموا صعيدًا طيبًا، أي: فاقصدوا ترابًا طاهرًا فاضربوا كفيكم عليه فامسحوا وجوهكم، واضربوا ثانيًا وامسحوا بإيديكم إلى المرافق، إن الله كان عفوًا عن تقصيركم في إتمام الطهارة لعدم استطاعتكم عليها بالماء، وكان غفورًا لذنوبكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ ألم تنظر يا محمد إلى الذين أوتوا حظًّا من علم التوراة يختارون الضلالة، أي: اليهودية ويريدون أن تضلوا أيها المؤمنون مثلهم فتكونوا ضالين عن سبيل الحق؟ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ وكفى بالله وليًّا، أي: يتولى أموركم أيها المسلمون، وكفى بالله نصيرًا، أي: ناصرًا على أعدائكم فلا تبالوا غيري وثقوا بـي.

﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يأتي قوم من اليهود عند رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم

يسألون عن أمر فيخبرهم ولما يخرجوا من عنده يحرفون، أي: يغيرون الكلام لقومهم. وقيل: إن علماء اليهود يحرفون صفة النبي ﷺ في التوراة، وآية الرجم وإذا جاؤوا عند رسول الله ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، أي: سمعنا أمرك يا محمد وخالفنا عليك، يقولون بالسر ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ اسمع منا غير مسمع تكرهه، وتلك الكلمة قولهم للنبي ﷺ ﴿وَرَٰعِنَا﴾ هي في لغتهم كلمة السب والشتم وفي لغة العربية انظرنا، ويريدون عند النبي ﷺ المعنى الذي في لغتهم. وقال تعالى تكشيفًا وتقبيحًا عليهم: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾، أي: يقولون تلك الكلمة عند المسلمين مجاملة للمسلمين، ولكنها في لغتهم طعنًا، أي: سبا في أهل دين الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، أي: ولو أن هؤلاء اليهود قالوا سمعنا أمرك بما أمرتنا واسمع بما أجبنا لأمرك وانظر إلينا مكان راعنا لكان خيرًا لهم عند الله وعند المسلمين وأعدل للصواب.

وقال تعالى ردًّا وتوعُّدًا عليهم: ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ ولكن أبعدهم الله وطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة بسبب كفرهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى أن اليهود لا يؤمنون بالله إيمانًا كاملاً إلاَّ قليلاً كاعترافهم أن الله خلقهم ورزقهم ولا يقال هذا إيمان، إن الإيمان بالله يوجب الإيمان بجميع ما أمر الله به الإيمان، ولا ينفعهم اعترافهم، وقيل: لا يؤمنون إلاَّ قليلاً منهم كعبد الله ابن سلام وأصحابه.

ودعا رسول الله ﷺ أحبار اليهود إلى الإيمان بالله وحده وبرسالته ﷺ وبالقرآن الكريم فقالوا: لا نعرف هذا، وقولهم إنكار وجحد برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ يا معشر اليهود الذين أوتيتم التوراة وفيها ذكر توحيد الله في ذاته وصفاته وذكر رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وكتابه خاتم الكتب، وشريعته ناسخة للشرائع السابقة، وأنتم قد درستم وعلمتم ذلك، لا تأنفوا عن الإيمان برسالة محمد وبالقرآن الكريم، آمنوا إيمانًا صادقًا بالقرآن الذي يوافق ويصدق لما في التوراة.

وإن لم يؤمنوا بالقرآن، فيخوفهم بذكر عقاب أسلافهم: ﴿من قبل أن نطمس وجوهًا فنردها على أدبارها﴾، الطمس هو المسح، أي: نذهب حدقة الأعين وارتفاع الأنوف والفم، فتكون وجوههم كقفاهم، ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾، أو نطردهم من رحمتنا كما طردنا أصحاب السبت الذين قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾، أي: ناجزًا لا يتأخر عن الميعاد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ إن الله لا يغفر لمن يشرك به ومات على إشراكه، ويغفر الذنوب غير الشرك، ثم قيد ﴿لمن يشاء﴾ على خطر المشيئة، ومن يشرك بالله في ذاته أو في صفاته أو في عباداته فقد كذب كذبًا عظيمًا.

ثم يذكر سبحانه وتعالى تزكية اليهود أنفسهم مع كفرهم بكتاب الله وتحريف بعض كلام الله في التوراة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى

مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ ألم تنظر يا محمد إلى هؤلاء اليهود والنصارى يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم: لن يدخل الجنة إلاَّ من كان هودًا أو نصارى، فردَّ الله عليهم: ﴿بل الله يزكي﴾، أي: يطهِّر من يشاء من ذنوبه بفضله وإحسانه ويدخله الجنة، ﴿ولا يظلمون فتيلاً﴾، أي: قدر فتيل.

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ انظر يا محمد إلى افتراء هؤلاء اليهود، كيف يفترون على الله الكذب، وكفى بافترائهم على الله إثمًا عظيمًا ظاهرًا.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ ألم تنظر يا محمد إلى كلام علماء اليهود الذين أوتوا حظًّا من علم التوراة، مع علمهم بما في التوراة يؤمنون بالجبت والطاغوت، أي: يعبدون الأصنام ويطيعون إغواء الشيطان ويقولون للذين كفروا بمحمد: هؤلاء، يعني المشركين أهدى من الذين آمنوا بمحمد سبيلاً، أي: طريقًا إلى الهداية.

وتوعّد الله عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ أولئك اليهود أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة، ومن يلعن الله، أي: ومن يُبعده الله من رحمته فلن تجد يا محمد له ناصرًا يمنعه من عذاب الله.

﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾﴾ كان اليهود يدّعون أنهم أولى بالنبوة والملك من العرب، فرد الله عليهم وأنكر، بأنه ليس لهم نصيب من الملك، فإن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس شيئًا قدر نقير لفرط بخلهم عن الخير.

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ بل يحسدون محمدًا عليه الصلاة والسلام على النبوة. وأصحابه لا يزالون يزدادون إيمانًا واستقامة في الإسلام ومنتصرين على أعدائهم الكافرين والمشركين وذلك من فضل الله لهم فقد آتينا آل إبراهيم الصحف والحكمة، أي: الفهم في كلام الله، وآتيناهم ملكًا عظيمًا، جمع الله لداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام النبوة والملك فلم لا يحسدونهم. وفي الآية ذمّ لليهود لبخلهم وحسدهم.

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ فمن اليهود من آمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ومنهم من أعرض عن الإيمان به، وكفى بعذاب جهنم مسعَّرًا لهم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا ﴾ إن الذين كفروا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن سوف ندخلهم يوم القيامة نار جهنم ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ ﴾ كلما احترقت جلودهم في النار غيَّرنا لهم جلودًا غيرها ليدوم عليهم تذوق عذاب النار ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾، أي: غالبًا في الانتقام من الكافرين في عذاب جهنم، حكيمًا فيما حكم على الكافرين في العذاب الدائم.

ثم يذكر سبحانه وتعالى ما وعد للمؤمنين من نعيم الآخرة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئًا وعملوا الأعمال الصالحات للقبول عند الله، وهي إذا وافقت السنة النبوية، سندخلهم جنات تجري ماء الأنهار عن أصول

أشجارها، مقيمين فيها أبدًا، لهم فيها أزواج، أي: زوجات من الحور العين مطهرة من دنس الحيض ومن الأخلاق الذميمة، (وندخلهم ظلاً ظليلاً) وصف الله الجنة فقال: (ظلاً ظليلاً) لأنه لا شمس فيها تؤذي أهلها بحرها ولا برد، وظلّها طبيعي دائم.

ويوم الفتح أخذ رسول الله مفتاح الكعبة ليصلي فيها، وقال عباس رضي الله عنه: أعطنيه ليجمع عندي السدانة والسقاية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ فدعا رسول الله عثمان بن طلحة فسلّم له المفتاح، فأسلم عثمان. ومعنى الآية: أن الله يأمركم أيها المسلمون أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها إذا اؤتمنتم عليها فلا تخونوها، وحكم الآية عام لكل أمانة يجب تسليمها إلى أهلها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ وإذا حكمتم أيها الحكام بين الناس أن تحكموا بالعدل فلا تميلوا لأحد الخصمين، إن الله نعمّا يعظكم وينصحكم به إن الله كان سميعًا بما حكمتم بصيرًا بأحوالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده أطيعوا ما أمركم الله به وما نهاكم عنه، وأطيعوا الرسول بما بلغكم من أمر الله وأطيعوا أولي الأمر من المسلمين، فإن اختلفتم في حكم شيء بينكم وبين الحكام فردوا حكمه إلى كتاب الله وسنة رسول الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر لا تخالفوا أمر الله وأمر رسوله، (ذلك) إشارة إلى المحذوف، أي: طاعتكم لأمر الله وأمر رسوله خير لكم وأحسن تأويلاً، أي: عاقبة.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ ألم تنظر يا محمد هؤلاء المنافقين كيف يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن الذي أنزل إليك وما أنزل من قبلك، أي: التوراة والإنجيل وفيهما حكم الله العدل، هؤلاء المنافقون لا يقنعون ولا يطيعون حكم الله يريدون أن يرفعوا خصومتهم إلى الطاغوت، أي: إلى علمائهم الضالين وقد أمروا في التوراة أن يكفروا بمن حكم بغير حكم الله، ويريد الشيطان أن يضل هؤلاء المنافقين ضلالاً بعيدًا عن الحق ويوقعهم في الباطل.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ وإذا قيل للمنافقين تعالوا إلى حكم كتاب الله وحكم رسول الله في حل مشكلاتهم، رأيت يا محمد المنافقين يعرضون عن حكمك إعراضًا إلى حكم غيرك ليرشوه ويحكم لهم لأن علماءهم يأخذون الرشوة ويحكمون بالباطل.

﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ كيف تكون حال هؤلاء المنافقين إذا أصابتهم عقوبة من الله بسبب ما قدمت أيديهم من التحاكم إلى الطاغوت وعدم الرضى بحكم رسول الله.

﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ وبعد التحاكم إلى غيرك يا محمد جاؤك يحلفون بالله ما أردنا بالتحاكم إلى حكم غيرك إلاَّ إحسانًا وتوفيقًا بين خصمين.

فكذبهم الله دعواهم ويمينهم الكاذبة:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل

﴿لَهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ أولئك المنافقون يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والحسد والعداوة للمسلمين، فأعرض عنهم ولا تقبل اعتذارهم، وعظهم وازجرهم عن نفقاهم، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغًا يؤثر على قلوبهم ويتعظوا به.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وما أرسلنا رسولاً من الرسل إلاّ ليطاع له فيما بلغ إلى أمته بأمر الله وقدره.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ ولو أن المنافقين الذين ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك يا محمد معتذرين تائبين عن نفاقهم وتحاكمهم إلى الطاغوت فاستغفروا الله عن ذنوبهم واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّابًا رحيمًا. اللام لتأكيد وجدان قبول التوبة، رحيمًا لعباده المؤمنين.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ لا نافية لتأكيد القسم، أو المعنى: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء. ويقسم سبحانه بذاته المقدسة: وربك يا محمد لا يؤمنون إيمانًا صحيحًا حتى يحكموك، أي: يجعلوك حكمًا فيما اختلفوا فيه بينهم، وحكمت بينهم بالعدل ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾، أي: بعد حكمك بينهم لا يجدون في أنفسهم حرجًا، أي: ضيقًا ولا شكًّا فيما حكمت وينقادون لحكمك انقيادًا تامًّا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ ولو فرضنا عليهم أن يقتل بعضهم بعضًا كما أمرنا في أسلافهم أو أمرناهم أن اخرجوا من دياركم مهاجرين إلى الله، ما فعلوه، أي: ما

أطاعوا لأمرنا إلاَّ قليل منهم أطاعوا لأمرنا خائفين من عقابنا ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ ولو أنهم أطاعوا ما يؤمرون به وامتثلوا لأمر الله لكان امتثالهم لأمر الله خيرًا لهم في الدنيا والآخرة وأشد تثبيتًا في دين الله ﴿ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ ولو أنهم أطاعوا أمرنا لأتيناهم من عندنا ثوابًا عظيمًا ولهديناهم طريقًا مستقيمًا إلى مرضاتنا.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ ومن يطع الله فيما أمر به وما نهى عنه ولم يخالف أمره، ويجتنب نواهيه، ويستن بسنة رسوله، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم، ثم بين: من النبيين والصديقين: هم الذين صدقوا في إيمانهم وأعمالهم لله تعالى، والشهداء: هم الذين قتلوا في سبيل الله، والصالحين: هم الذين أطاعوا الله ورسوله في كل حالهم ولم يخالفوا، وحسن أولئك رفيقًا في الجنة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (ذلك) إشارة إلى ما سبق ذكره، أي: ذلك التفضل لهم من الله، وكفى بالله عليمًا بمن يستحق ومن لا يستحق ذلك التفضل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده خذوا السلاح واستعدوا لقتال أعدائكم الكافرين فانفروا جماعة بعد جماعة أو انفروا جميعًا مع نبيكم إلى قتال أعدائكم الكافرين.

﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ وإن منكم يا معشر المسلمين لمن ليتثاقلن ويريدون التخلف عن الجهاد، إنما قال (منكم) لإظهار الإيمان بألسنتهم، وهم المنافقون يبطنون الكفر في قلوبهم ﴿ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ من هزيمة

وقتل في أصحابكم ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾ قال المنافق البطيء الذي لم يخرج: قد أنعم الله علي بالقعود في أهلي حيث لم أكن معهم حاضرًا في القتال ﴿وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من غنيمة ونصرة على أعدائكم ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ ليقول المنافق البطيء عن الجهاد يا ليتني كنت معهم فأفوز بالغنائم فوزًا عظيمًا. وقوله تعالى: ﴿كأنّ لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ جملة اعتراضية للتنبيه على تحسرهم وندامتهم لعدم الخروج مع المسلمين.

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾، أي: فليقاتل المؤمنون في سبيل الله المنافقين الذين يختارون حياة الدنيا الفانية بنعيم الآخرة، ليرتدعوا عن نفاقهم ويصحح إيمانهم أو المعنى فليقاتل المؤمنون الذين يبيعون الدنيا الفانية ويشترون بها نعيم الآخرة ليفوزوا بها يوم القيامة.

ثم وعد سبحانه وتعالى المجاهدين في سبيل الله بالأجر العظيم: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ ومن يقاتل في سبيل الله فيستشهد أو يظفر على عدوه فسوف نؤتيه ثوابًا عظيمًا في الآخرة.

ثم خاطب الله المؤمنين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ استفهام للحث والتحريض على الجهاد في سبيل الله لتخليص المستضعفين من أيدي المشركين: أيّ شيء

منعكم أيها المسلمون عن القتال في سبيل الله، وإخوانكم المؤمنون من الرجال والنساء والولدان: جمع ولد، هم أولاد المستضعفين، قد منعهم المشركون عن الهجرة إلى المدينة المنورة وهم يتضرعون إلى الله ويقولون يا ربنا أخرجنا من هذه القرية، يعني مكة، أهلها ظالمون علينا، واجعل لنا من عندك وليًّا يتولى أمرنا ويخلصنا من أعدائنا المشركين، واجعل لنا من عندك ناصرًا ينصرنا على أعدائنا المشركين. فاستجاب الله دعاءهم فسلط الله على مشركي مكة نبيه محمدًا ﷺ فخلصهم من أيدي المشركين سالمين يوم فتح مكة.

ثم شجع المسلمين على قتل المشركين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء كلمته ولنصرة دين الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾، أي: يقاتلون الكفار في سبيل الشيطان، ﴿فقاتلوا﴾ أيها المؤمنون ﴿أولياء الشيطان﴾ إن كيد الشيطان، أي: مكره ووسوسته، كان ضعيفًا لا يؤثر على المؤمنين الصادقين في إيمانهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ألم تنظر يا محمد إلى الذين قيل لهم: كفوا أيديكم عن قتال المشركين، وأقيموا الصلاة، أي: الصلوات الخمس، محافظين على شروطها وأركانها وسننها وأدوا زكاة أموالكم. ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ فلما فرض عليهم قتال المشركين وأمروا للخروج إلى القتال إذا جماعة منهم وهم المنافقون يخافون قتال المشركين حبًّا لحياتهم كخوفهم من عذاب الله، (أو) بمعنى الواو، أي: وأشد خشية.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقال الذين جبنوا عن قتال المشركين لم كتبت علينا القتال؟ وامتنعوا عن الخروج إلى قتال المشركين، وقالوا: لولا أخرتنا إلى أجل قريب، أي: لو أخرتنا إلى أجل موتنا فنقاتل فنموت فيه.

﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ قل لهم يا محمد الاستمتاع في لذة الحياة الدنيا وقت قليل، ونعيم الآخرة سرمدي، وهو خير لمن اتقى عن مخالفة أمر الله ورسوله. ولا ينقص من أجور أعمالهم قدر فتيل، وهو الخيط في النواة.

ثم ردَّ الله عليهم: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أيّ مكان كنتم متحذرين عن الموت فيه يدرككم الموت فيه ولو كنتم في قصر مرفوع حصين.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وإن تصب المنافقين خصوبة في زروعهم وغنيمة في القتال يقولون: هذه من عند الله. قولهم هذا لا اعتقادًا ولا شكرًا لله تعالى إنما يريدون الإبعاد من بركة رسول الله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ وإن تصب المنافقين جدوبة في زروعهم وهزيمة في القتال وقتل إخوانهم نسبوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وقالوا: هذه من شؤمك يا محمد.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ قل لهم يا محمد: كل الحسنة والسيئة من عند الله، فهو المصرف للأمور كلها. ثم وبخهم ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ فما شأن هؤلاء المنافقين واليهود لا يكادون يفهمون معاني كتاب الله وأحاديث رسول الله، إن الأشياء كلها بتقدير الله.

ثم وجه الخطاب إلى رسول الله لأنه يبلغ أمته ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ وقيل الخطاب لكل سامع. وعلى هذا القول يتوجه الخطاب إلى المكلفين عامة. والقول الأول أقرب لسياق الآية، لأنه ﷺ مأمور بتبليغ ما أمر الله به على أمته، ولذلك قال: (وأرسلناك للناس رسولًا) لتبليغ أمري إليهم وكفى بالله شاهدًا على ما بلغت إليهم.

ثم أوجب الله الطاعة لرسول الله فيما أمر به وما نهى عنه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ من يطع الرسول محمدًا عليه الصلاة والسلام فيما بلغ من أمر الله فقد أطاع الله، ومن أعرض عن أمرك ولم يقبل فلا تحزن ولا تبال، فما أرسلناك يا محمد عليهم حفيظًا تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها إنما عليك إبلاغ أمري عليهم.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ نزلت في المنافقين، أي: وإذا حدثتهم يا محمد وبلّغت أمري إليهم، ويقول المنافقون: طاعة لأمرك، فإذا خرجوا من عندك، (بيّت)، أي: دبّر جماعة من المنافقين في الليل خلاف أمرك، والله يأمر حفظة الأعمال أن يكتبوا ما يبيت المنافقون من الأمور الفاسدة. فأعرض عنهم وتوكل على الله في شأنك كله وكفى بالله وكيلًا عن شرهم.

ثم وبخهم وجهّلهم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ أفلا يتدبرون ويتفقهون في معاني آيات القرآن الذي فيه بيان العقائد الصحيحة والفاسدة، والأمر والنهي، وفيه بيان

الحلال والحرام، وقصص الماضين، وفيه ذكر أحوال الخلائق يوم القيامة، وذكر أهل النار وأهل الجنة، ولو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا في البلاغة والفصاحة، والتناقض في نظم العبارة وفي أخبار الماضين.

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ وإذا جاء المنافقين خبر سرية فيها انتصار المجاهدين على الكافرين أو الهزيمة أفشوا به إلى أصحابهم المنافقين واليهود ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله وإلى أولي الأمر وهم كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من علماء الصحابة لعلمهم حقيقة الخبر فيستخرجون حقيقة الخبر منهم.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ ولولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون لاتبعتم خبر الشيطان إلاَّ قليلاً منكم.

ثم أمر الله رسوله بقتال الكفار ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ فقاتل يا محمد المشركين لإعلاء كلمة الله ونصرة لدين الإسلام، لا تكلف أحدًا إلى القتال إلاَّ نفسك، وحرض المؤمنين بالتذكير بما وعد الله للمجاهدين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا عنكم. وهذا وعد من الله للمسلمين المجاهدين أن ينصرهم على أعدائهم الكافرين. وفي وعده تشجيع المسلمين لقتال الكافرين. والله أشد وأقوى بأسًا وأشد تنكيلاً، أي: تعذيبًا، ممن ظلم المسلمين.

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ ﴾ من أعان ذا حاجة إعانة حسنة فقضى حاجته بها يكن له ثوابًا من أجل إعانته في الآخرة ﴿ وَمَن يَشْفَعْ

شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ﴾ ومن أعان ظالمًا إعانة سيئة يكن له نصيب، أي: وزر من أجل إعانته الظالم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥﴾، أي: مقتدرًا فيحاسب ويجازي على حسب أعمال العباد.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ وإذا سلم عليكم أخوكم مسلم فسلموا بأحسن من سلامه، أي: زيدو: رحمة الله وبركاته، أو ردوا عليه بمثل سلامه: وعليكم السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيحاسبكم ويجازيكم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ قيل: نزلت في منكر البعث، ولفظ اسمه الجلالة تقريع لمنكر البعث، أي: الله هو المعبود الحق، لا إلـه يعبد إلاَّ هو المعبود الحق، ليحشرنكم في قبوركم إلى صعيد واحد يوم القيامة، لا شك في وقوعها، فيحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها. وقوله ﴿ومن أصدق﴾ استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحد أصدق من الله وعدًا وأخبارًا.

﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ فما شأنكم أيها المسلمون في شأن المنافقين، صرتم فرقتين تختلفون في شأنهم، والله أركسهم، أي: ردهم إلى كفرهم بسبب نفاقهم ومخالفتهم لأمر الله وأمر رسوله ﷺ. ثم أنكر على اختلاف المسلمين في شأن المنافقين: (أتريدون) أيها المسلمون أن تهدوا من أضل الله عن الهداية إلى الضلالة؟ ليس هذا من شأنكم، إنما الهداية والضلالة من الله، ومن يضلل الله عن سواء السبيل فلن تجد يا محمد له طريقًا إلى الهداية.

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ وتمنى الكفار لو تكفرون أيها المؤمنون كما كفروا فتكونون سواء في الكفر.

ثم حذر الله المؤمنين عنهم ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فلا تتخذوا أيها المؤمنون أحدًا من الكافرين أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويهاجروا عن آثار كفرهم ويحققوا إيمانهم بالجهاد في سبيل الله.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان بالله وحده ولم يهجروا معاصيهم فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم لا عصمة لهم ﴿ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ ولا تتخذوا أيها المؤمنون من الكافرين صاحبًا ولا نصيرًا على أعدائكم.

ثم استثنى الله منهم ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾ إلاَّ الذين يلتجؤون إلى قوم بينكم وبينهم عهد وثيق فهم مثلهم في حقن دمائهم ﴿ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ﴾، أي: إلاَّ الذين جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم من أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم معكم ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ﴾ ولو أراد الله لجعل هؤلاء الذين ضاقت صدورهم أو التجئوا إلى قوم بينهم وبين المؤمنين عهد، فامتنعوا عن قتالهم، لو أراد الله لجعلهم يقاتلون المؤمنين ولكن الله بلطفه بالمؤمنين ألقى الرعب في قلوب أولئك فاستنكفوا عن قتال المؤمنين.

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ فإن اعتزلوا عن قتالكم، ولم يريدوا قتالكم، وانقادوا إليكم فيما أمرتم، ويكفوا أيديهم عن قتالكم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً لقتالهم. قال العلماء: هم المعاهدون مع رسول الله.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ ستجدون أيها المؤمنون قومًا آخرين يريدون بإظهار الإيمان عندكم أن يأمنوا على أنفسهم، وإذا أتوا عند قومهم يظهرون الكفر لهم ويأمنوا منهم، كلما دعاهم قومهم إلى الكفر والشرك رجعوا إلى الكفر والشرك ووقعوا فيها ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ فإن لم يعتزلوا عن قتالكم ولم يلقوا إليكم السلم، أي: الصلح بدفع الجزية إليكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوا ذراريهم أسرى واقتلوا رجالهم حيث أدركتموهم أو لقيتموهم، وأولئك الذين ذكرنا لكم جعلنا لكم عليهم سلطانًا، أي: حجة بينة قاهرة ظاهرة لقتلهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ ولا يصح ولا ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنًا إلاَّ خطأً، يعني رمى سهمًا على كافر أو على صيد فأصاب شخصًا مؤمنًا. وسبب نزول الآية أن عياش بن ربيعة قتل الحارث بن زيد العامري وكانت بينهما عداوة والحارث قد أسلم والعياش ما يدري إسلامه.

ويذكر سبحانه وتعالى دية القتل بالخطأ ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا﴾، أي: إلاَّ إن عفى أهل المقتول عن القاتل ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فإن كان المقتول من قوم عدو لكم والمقتول مؤمن فعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة كفارة عن خطئه ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ وإن كان المقتول من قوم بينكم وبينهم عهد وثيق فعلى القاتل دية مسلمة إلى أهل المقتول

وتحرير رقبة مؤمنة كفّارة عن خطئه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ فمن لم يجد، أي: لم يستطع على تحرير رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين بدلاً من الرقبة وكان ذلك توبة عن خطئه وكان الله عليمًا بمن قتل خطأ حكيمًا فيما أوجب على القاتل خطأ من الدية والكفارة.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ ومن يقتل إنسانًا مؤمنًا متعمدًا باستحلال دمه فجزاؤه جهنم خالدًا، أي: مخلدًا فيها وغضب الله عليه وطرده من رحمته في الدنيا والآخرة وهيأ له عذابًا عظيمًا في جهنم. وهذا وعيد شديد لمن قتل مؤمنًا عمدًا ليحذر المؤمنون عن قتل أخيهم المؤمن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ يا أيها الذين آمنوا إذا سافرتم لغزو أو سرية في سبيل الله فلا تستعجلوا قتل أحد، فتثبتوا من كفرهم أولاً، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنًا ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ نزلت الآية إلى آخرها في سرية أرسلها رسول الله إلى قوم كافرين وكان رجل يقال له مرداس بن نهيك، قد أسلم سرًّا ولم يشعر قومه إسلامه ولما وصلت سرية رسول الله إلى فدك وسمع مرداس تكبيرهم فألجأ غنمه على كثف من الجبل، وصعد الجبل، ولما دنت السرية كبّر وتشهّد ونزل من الجبل وقال: السلام عليكم، فتغاشت عليه السرية وقتله أسامة بن زيد وساق غنمه. ووصل الخبر إلى رسول الله ﷺ فوجد رسول الله ﷺ في نفسه وجدًا شديدًا فقال: قتلتموه تريدون ما معه؟ فقرأ رسول الله ﷺ الآية.

وفي رواية: قال أسامة: إنما تشهّد خوفًا من السلاح فقال رسول الله: هلاّ شققت قلبه حتى تعلم، كيف أنت بلا إلـه إلاّ الله، كررها ثلاثًا، فقال أسامة: استغفر الله لي يا رسول الله، فاستغفر له، فأعتق أسامة رقبة.

وقوله تعالى: ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾، أي: تريدون أيها المجاهدون حطام الدنيا وهي زائلة لا بقاء لها فعند الله مغانم، أي: غنائم كثيرة لا زوال لها، ولا تغتروا بغنائم الدنيا ﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾، أي: كنتم مثل هؤلاء المشركين من قبل هذا فمنَّ الله عليكم بالإيمان والإسلام فلا تستعجلوا قتل أحد، فتبينوا هل هو مؤمن أو كافر، حربي أو ذمي.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾ كونوا محترزين عن التوقُّع في الخطأ والعصيان.

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ ﴾ ولمّا نزلت الآية جاء عبد الله بن مكتوم قال: يا رسول الله، أنا رجل أعمى لا أستطيع أن أجاهد هل لي رخصة للقعود؟ فأنزل الله: ﴿غير أولي الضرر﴾. وهذه الجملة كتبت بين (من المؤمنين) (والمجاهدين). وأولي الضرر: هم الأعمى والمقعد والأعرج أو مقطوع إحدى يديه، أي: الذي لا يستطيع أن يمسك السلاح ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ وكل فريقين وعد الله الجنة. ثم بين التفاوت بينهما ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ وفضل الله المجاهدين في سبيل الله على القاعدين بغير عذر ثوابًا عظيمًا درجات في الجنة منه جل إحسانه ومغفرة لذنوبهم ورحمة لهم وكان الله غفورًا رحيمًا لعباده المؤمنين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وقيل: نزلت في المسلمين الذين لم يهاجروا وأخرج كفار قريش بعضهم إلى بدر، وقُتِلوا في يوم بدر، يقول لهم الملائكة: في أيّ شيء كنتم من دينكم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، أي: في مكة ﴿ قَالُوٓا۟ ﴾، أي: الملائكة، قالوا توبيخًا لهم ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾ وتقدروا فيها على إقامة دينكم وتخلصوا أنفسكم من أذى المشركين؟ فكذَّب الله اعتذراهم وتوعَّد عليهم ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ فأولئك مرجعهم جهنم وساءت جهنم عليهم مصيرًا.

ثم استثنى الله المسلمين المستضعفين ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ ﴾، أي: لا يستطيعون حيلة ولا قوة لهم للخروج من مكة ولا يعرفون سبيلاً إلى دار الهجرة.

ثم وعد لهم بالعفو والغفران ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ لعباده المعذورين حقيقة. عسى ولعل في كلام الله لتحقيق الوعد.

ثم رغب المؤمنين إلى الهجرة لله ولرسوله لإقامة دينهم ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ ﴾ ومن يهاجر عن وطن الشرك والكفر حماية لدينه في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا، أي: مكانًا كثيرًا برغم أنف أعدائه الكافرين، وسعة في الرزق.

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾، أي: ثم يدركه الموت في الطريق قبل الوصول إلى مهاجره فقد وقع ثواب هجرته على الله وكان الله غفورًا لذنوب المهاجرين إليه رحيمًا لعباده المؤمنين.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ وإذا سافرتم أيها المسلمون في الأرض لتجارة أو غزو أو زيارة الأقارب أو لحج وعمرة فليس عليكم جناح أن تصلوا الصلاة الرباعية ركعتين، كل صلاة على وقتها، وقوله: ﴿إن خفتم﴾ إلى آخر الآية: ليس بشرط لقصر الصلاة في السفر بل متعلق بما بعد، وشرط قصر الصلاة في السفر موفر في كتب الفقه.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ وإذا كنت يا محمد في غزوة مع أصحابك وحضرت الصلاة فأردت أن تقيم الصلاة لهم فاجعلهم فرقتين فلتقم فرقة منهم فليصلوا معك وليأخذوا أسلحتهم ما لم يشغلهم عن صلاتهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ فإذا صلوا معك ركعة فليكونوا من ورائكم تجاه العدو ولتأت الطائفة الثانية الذين لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم، ومعنى الحذر من العدو: الانتباه والتحرز، وكل فرقة يتموا صلاتهم بركعة بقيت عليهم.

ثم ذكر علة الحذر عن العدو ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾، أي: تمنى الكافرون أن تغفلوا عن أسلحتكم وحوائجكم فيحملون عليكم حملة واحدة فتعجزون عن دفعهم ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ ولا حرج عليكم أيها المجاهدون في أن تضعوا أسلحتكم في المطر تحفظًا لأسلحتكم أو إذا كنتم مرضى يثقل عليكم حملها، وخذوا حذركم

فلا تغفلوا عن عدوكم، إن الله هيأ للكافرين عذابًا مهينًا في جهنم يهينهم ويخزيهم في العذاب.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فإذا صليتم أيها المجاهدون صلاة الخوف من العدو وزال الخوف عنكم ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ يعني فاذكروا الله في كل أحوالكم ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ فإذا سكنتم واسترحتم عن العدو أو رجعتم من السفر، فصلوا صلاة الإقامة على الوجه المشروع، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا، أي: فرضًا مؤقّتًا لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها عن وقتها إلاَّ لعذر.

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ ولا تضعفوا ولا تجبنوا في طلب عدوكم الكفار لقتالهم إن تكونوا تألمون في الجراحة فإنهم يألمون في الجراحة وترجون من الله النصرة عليهم والغنيمة والشهادة والثواب في الجنة، والكفار لا يرجون ذلك بل طمعهم الغلبة على المسلمين والاستيلاء على بلاد المسلمين وكان الله عليمًا بما قدر على خلقه وحكيمًا في حكمه عليهم.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباس: نزلت في رجل اسمه طعمة بن أبيرق وهو من الأنصار، سرق درعًا من جاره اسمه قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فانتشر الدقيق من خرق الجراب إلى دار طعمة، ولكنه كان خبأ الدرع عند يهودي اسمه زيد بن السمين، وجاء قتادة وأصحابه فالتمسوا الدرع ورأوا أثر

الدقيق إلى دار طعمة بن أبيرق، فطلبوا الدرع منه، فحلف أنه ما أخذها، فتركوه ثم اتبعوا أثر الدقيق حتى بيت اليهودي زيد بن السمين، فطلبوا منه، فقال اليهودي: طعمة بن أبيرق وضعه عندي، وجاء أصحاب طعمة عند رسول الله يخاصمون على اليهودي، فهمّ رسول الله أن يقطع يد اليهودي، فأنزل الله الآية: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦﴾، ومعنى الآية: إنا أنزلنا إليك القرآن بالحق لتحكم بين الناس بما بصرّك الله من العلم والفهم في الحكم ولا تكن للخائنين خصيمًا تدافع عنهم على خيانتهم، واستغفر الله عما هممت بالخطأ إذ لا علم لك فيه، إن الله كان غفورًا رحيمًا لذنوب عباده المؤمنين.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ وهذا تنبيه للنبي ﷺ بعد أن أمره الله بالاستغفار عما هَمّ بالخطأ فقال: (لا تجادل) يا محمد عن الذين يخونون أنفسهم بالتهمة على البريء كيلا تقع في مثل ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ إن الله لا يحب من كان خائنًا، أي: بالغًا بالخيانة أثيمًا، أي: بالغًا بالإثم مثل طعمة وقومه الذين يخونون الله ويتّهمون غيره البريء، يستخفون خيانتهم حياء من الناس ولا يستخفون من الله، والحال أنه سبحانه وتعالى معهم حيثما كانوا لا يخفى عليه شأنهم وهم يدبّرون براءة لطعمة بيمين كاذبة عند رسول الله بالليل وكان الله بما يعملون من أمر طعمة محيطًا بعلمه.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩﴾ ها للتنبيه لقوم من المسلمين دافعوا عن طعمة وقومه، أي: أنتم يا قوم جادلتم وخاصمتم عن السارق وقومه

تريدون براءة السارق في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم إذ أخذهم بالعقاب يوم القيامة؟ هل أحد يكون عليهم حفيظًا ومحاميًا من عقاب الله؟ وقيل: إن طعمة السارق هرب إلى مكة مرتدًا عن دين الإسلام وأراد أن يسرق ونقب جدار بيت فسقط الجدار عليه فمات.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ ومن يعمل عملاً سيئًا قبيحًا، أو يظلم نفسه، أي: يرتكب المعاصي ويوجب عقاب الله على نفسه، ثم ندم وتاب إلى الله، ويستغفر الله لذنوبه يجد الله غفورًا رحيمًا لعباده المؤمنين التائبين عن ذنوبهم. وفي الآية ترغيب للتوبة والاستغفار.

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ ﴾ ومن يكسب عملاً يأثم به فإنما يكسبه على نفسه، أي: ضرر كسبه يرجع على نفسه، وكان الله عليمًا بما كسب من المعاصي حكيمًا فيما أوجب عليه من العقاب. وفي الآية تحذير وترهيب عن الاكتساب من المعاصي ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ ومن يكسب عمل خطيئة أو عمل عملاً يأثم به ثم يرمي بعمله نفسًا بريئة فقد احتمل على نفسه بهتانًا وإثمًا مبينًا، أي: ظاهرًا.

ثم وجّه الخطاب للنبي ﷺ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ ولولا فضل الله عليك يا محمد وعصمته لك من أن تحكم بالخطأ لقصد جماعة من بني ظفر أن يضلوك عن الحكم الحق إلى الباطل، وذلك أن النبي ﷺ أراد أن يقطع يد اليهودي بيمين طعمة، وأطلع الله نبيه على حقيقة الأمر ولم يقطع يد اليهودي، وهرب

طعمة إلى مكة ﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾، أي: لا يستطيعون أن يضلوك يا محمد عن الحق لأن وبال إرادتهم بإضلالك راجع على أنفسهم، وما يضرونك من أيّ شيء والله عاصمك من شرهم.

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ وأنزل الله عليك يا محمد القرآن والفهم في معانيه الذي لم تكن تعلمه وكان فضل الله عليك يا محمد عظيمًا، وذلك الفضل النبوة والرسالة والسيادة على جميع الخلق والمقام المحمود والحوض المورود.

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ لا خير في ناس كثير من نجواهم، والنجوى: هو ما يدبّر من الأمور بين الناس بالسر. ثم استثنى الله منهم إلاَّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، أي: ولكن من أمر بصدقة، أي: بأداء زكاة المال والإنفاق على ذوي الحاجة أو أمر بأمر معروف في الشريعة أو أمر بإصلاح ذات بين ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ ومن يفعل تلك المذكورات ابتغاء مرضاة الله، لا سمعة ولا رياء، فيوم القيامة نؤتيه ثوابًا كثيرًا.

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ ومن يخالف أمر رسول الله من بعد ما ظهر وتوضّح له طريق الهداية والرشد وثم يسلك غير سبيل المؤمنين يعني يفارق الجماعة، نوله ما تولى، أي: نتركه فيما تولى في الدنيا وندخله جهنم في الآخرة وساءت جهنم مرجعًا له.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في شيخ كبير السن جاء عند رسول الله قال: يا رسول الله إني رجل منهمك في الذنوب غير أني لم أشرك بالله منذ آمنت به ولم أتخذ وليًا غيره وإني مستغفر الله فما حالي عند الله؟ فأنزل الآية، ومعنى الآية أن الله لا يغفر أن يشرك به لأن الشرك ظلم عظيم. ويغفر غير الشرك من الذنوب لأهل التوحيد لمن يشاء، أي: إن لم يتب عن ذنوبه على خطر المشيئة، إن شاء غفر له وإن شاء عاقبه على قدر ذنوبه ثم أدخله الجنة، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا، أي: أخطأ عن طريق النجاة من عذاب الله خطأ بعيدًا عن كل خير وقيل نزلت في طعمة بن أبيرق أنه مات على الشرك. والأول أوفق على سياق الآية.

ثم يذكر سبحانه وتعالى شأن مشركي مكة ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ ما يعبد هؤلاء المشركون إلاّ إناثًا، جمع أنثى، وكان المشركون يسمون أصنامهم باسم الأنثى اللات والعزى ومناة، لكل قبيلة صنم يعبدونها وما يعبدون إلاّ شيطانًا مريدًا، أي: بالغ بإضلال الناس، لعنه الله، أي: طرده من رحمته.

﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ﴾ وأقسم الشيطان لأتخذن من عبادك الذين طردتني من رحمتك من أجلهم حظًا مقدورًا أغويهم إلى طاعتي ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ واللام في صدد الكلمات الأربعة للقسم، أي: ولأضلنهم عن الحق إلى الضلالة وألقي لهم أماني لا حياة ولا جزاء، ولآمرنهم فليقطعن آذان الأنعام: هو الشق أو قطع بعض الأذن

كانوا يفعلون ذلك للبحيرة والسائبة علامة لها لا يصيبها أحد، ولآمرنهم أن يغيروا خلق الله، أي: فطرة الله التي خَلَقَ الخلق عليها.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ ومن يتخذ الشيطان وليًّا، أي: ناصرًا يطيع إضلاله إياهم من دون هداية الله فقد خسر خسرانًا ظاهرًا في الدنيا والآخرة.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ وما يعد الشيطان أتباعه إلاَّ بما يغرهم بالكذب والباطل، أولئك الذين اتبعوا إغرار الشيطان مرجعهم ومقرهم جهنم ولا يجدون عنها مفرًّا ولا ملجأ.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات: هي ما شرع الله لهم في كتابه العزيز وما سن لهم رسول الله من الأعمال والأذكار ووعد لهم بقوله: سندخلهم يوم القيامة جنات تجري عن أصول أشجارها الأنهار، مقيمين فيها، أبدًا لا خروج لهم منها، وكان ذلك الوعد للمؤمنين من الله حقًّا لا خلاف فيه. ومن أصدق من الله قيلاً؟ استفهام معناه النفي، أي: لا أحد أصدق من الله قولاً؛ إذا وعد أنجز.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ ولما تجادل المسلمون واليهود والنصارى، وقال اليهود: كتابنا أولى من كتابكم ونبينا أولى من نبيكم وقال المسلمون كتابنا أفضل من كتابكم وناسخ شرائع كتابكم ونبينا خاتم الأنبياء أفضل من نبيكم فأنزل الله الآية، حكم بينهم أنه ليس بأمانيكم

أيها المسلمون كما تدعون ولا أماني أهل الكتاب كما يدّعون إنما تحصل أمنيتكم بالأعمال الصالحات ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ من يعمل عملاً سوءًا يحاسب عليه ويجازى يوم القيامة ولا يجد له من دون الله وليًّا يتولى أمره ولا نصيرًا يمنعه من عقاب الله.

وقال ابن عباس: وحكم هذه الآية عام للمسلمين والكافرين ولهذا ذكر سبحانه وتعالى ما يخصّ للمؤمنين قال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ ومن يعمل عملاً من الأعمال الصالحات، والعامل كان ذكرًا أو أنثى وهو مؤمن بالله وحده وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام فأولئك يدخلون الجنة ولا ينقص عليهم من ثواب أعمالهم قدر نقير، هو نكتة في النواة.

ثم ذكر سبحانه وتعالى عباده المخلصين في أعمالهم لله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ لا أحد أحسن دينًا ممن أسلم، أي: أخلص كليته لله، وهو مخلص في أعماله لله تعالى لا سمعة ولا رياء واتبع ملة إبراهيم حنيفًا، أي: مائلاً عن جميع الأديان الباطلة إلى دين الإسلام. قال ابن عباس: ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي الاستقبال للكعبة في الصلاة ومناسك الحج، وأمر الله إبراهيم بأمور لم يأمر بها قبله فأتمهن الختان وحلق العانة ونتف شعر الإبط وتقليم الأظافر وحلق الرأس وقص الشوارب وإعفاء اللحا.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام مأمورًا بها؛ وليأمر أمته بالامتثال بها.

ثم يذكر سبحانه وتعالى مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام عنده: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ الخلة هي المحبة الخاصة، قال ابن كثير: هي منتهى المقامات والدرجات عند الله.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾ قال النسفي: فيها دليل على أن اتخاذ الله إبراهيم خليلاً لا حاجة إليه له، إنما اتخذه خليلاً لانقياده واستسلامه لأمر الله بغير تأمل ولا تهاون في الحال، ومعنى الآية: ولله ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا كيف يشاء يصرف الأمور وكان الله بأحوال خلقه محيطًا بعلمه.

ولما سألوا رسول الله عن اليتيمة في حجر الرجل أنزل الله ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ﴾ يسألونك يا محمد في ميراث النساء ومهورهن وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا أولادًا صغارًا، يقولون: لا يرث إلاَّ من حاز الغنيمة ودافع عنهم العدو. قل يا محمد: يفتيكم الله في شأنهن والأحكام التي تقرأ لكم في القرآن في أول سورة النساء في شأن يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن، أي: فرض لهن من الميراث ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ وترغبون أيها الأولياء أن تتزوجوا اليتيمات اللاتي في حجوركم لجمالهن أو مالهن أن تعطوا مهورهن كاملاً ولا تبخسوا من حقهن شيئًا، ويفتيكم أن تعطوا حقوق الأيتام من تركة آبائهم إذا بلغوا الرشد، ويفتيكم أن تقوموا بتربية اليتامى بالعدل ولا تجوروا عليهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ وأيّ شيء تفعلوا من خير في تربية اليتامى ودفع الميراث لهم فإن الله به عليم فيجازيكم جزاءًا حسنًا يوم القيامة.

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ ﴾ وإن امرأة خافت من زوجها نشوزًا، أي: كرهًا يكره عليها لدمامتها أو لسوء أخلاقها أو يعرض عنها إعراضًا لا يرقد معها فعندئذ

لا جناح عليهما أن يتصالحا بينهما صلحًا يوافق الطرفين، كل واحد منهما يرضى به ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ من المفارقة.

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ وألزمت الأنفس الشح، والشح أشد من البخل، لا ينفك عن الإنسان ولكن يتفاوت في الإنسان ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ وإن تحسنوا أيها الأزواج لزوجاتكم في النفقة وبالمساواة في المجالس والمضاجع وتتقوا في بخس حقوقهن فإن الله بما تعملون خبير لا يخفى عليه شيء من إحسانكم لهن فيجازيكم.

﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ ولن تستطيعوا أيها الأزواج أن تعدلوا بين زوجاتكم في تسوية المحبة والمعاشرة والإنفاق بينهن ولو حرصتم، أي: اجتهدتم لأن المحبة وميلان النفس تغلب عليكم فلا تميلوا، أي: فلا تعرضوا، عن التي تكرهها نفوسكم كل الإعراض فتتركوها كالشن المعلقة، هي القربة القديمة لا تصلح للسقيا إن تركتموها فتفسد، فتكون المرأة لا هي زوج ولا هي مطلقة وهذا من الظلم وكأنها مسجونة ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩﴾ وإن تصلحوا أيها الأزواج بين زوجاتكم وتحذروا من الجور عليهن أو على بعضهن فإن الله كان غفورًا عما سبق منكم عليهن من الجور والكره أو على بعضهن، رحيمًا لعباده المؤمنين يرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾ وأن يتفرقا، أيّ: الزوجان بتطليقة بائنة أو بخلع ولم يصطلحا يغن الله كل واحد منهما عن الآخر من سعة رحمته، وكان الله واسع العلم بأحوال خلقه حكيمًا فيما أمر وحكم.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ خلقًا وملكًا وعبيدًا كيف يشاء يصرف الأمور بعدله لا اعتراض عليه.

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ويخبر سبحانه وتعالى عما أوصى به الأمم السالفة: (ولقد وصينا)، أي: أمرنا الذين أوتوا التوراة والإنجيل وغيرهما من الصحف، (من قبلكم): يا أمة الإسلام ووصيناكم في القرآن أن اتقوا الله وهذه الوصية عامة من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام. وقوله: (أن اتقوا الله)، أي: احذروا عقاب الله فلا تخالفوا أمره ولا تعصوه.

﴿ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ وأن تكفروا أيها الناس بخالقكم ورازقكم ولم تمتثلوا بأمره فإن لله ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا كيف يشاء يفعل بهم وكان الله غنيًّا عنكم وعن طاعتكم حميدًا، أي: محمودًا في الأزل.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تكرارها للتأكيد ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ﴾، أي: حفيظًا لأعمال العباد.

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ إن أراد الله إهلاككم بسبب عصيانكم له يهلككم أيها الناس ويخلق خلقًا آخرين أطوع وأمثل منكم لأمره، وكان الله على إفناء خلق وإيجاد خلق آخر مكانه قادرًا ولا يعجزه ذلك.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾ من كان يريد بعمله خير الدنيا فعند الله خير الدنيا والآخرة يؤتيه

لمن يشاء وكان الله سميعًا بأقوالكم بصيرًا بما في ضمائركم. وفي الآية معنى التزهيد عن ثواب الدنيا والترغيب بثواب الآخرة.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده كونوا قائمين بأداء الشهادة بالعدل لله تعالى ولو كانت الشهادة على أنفسكم والوالدين والأقربين، إن يكن المشهود عليه غنيًّا أو فقيرًا فلا تميلوا عليه بأداء الشهادة فالله أولى بمصالحهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ ولا تتبعوا هوى أنفسكم أيها الشاهدون فيجب عليكم أن تشهدوا بالعدل. وإن تلووا ألسنتكم عن الحق في أداء الشهادة أو تعرضوا عنها وتكتموها فإن الله كان بما تعملون خبيرًا فيجازيكم عليه يوم القيامة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ والخطاب لليهود: يا أيها الذين آمنوا بموسى عليه السلام والتوراة، آمنوا بالله وحده وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن والكتاب الذي أنزل من قبل، أي: قبل القرآن وهو الإنجيل، لأن اليهود لا يؤمنون بالقرآن ولا الإنجيل ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ وبهذه الآية أوجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه المنزلة على الرسل، وجميع الرسل أرسلهم الله إلى قومهم ليبلغوا رسالات ربهم إلى أممهم، واليوم الآخر.

ومن يكفر بالله أو بعض ملائكته أو بعض كتبه أو بعض رسله واليوم الآخر؛ لأن الإيمان يجب على الجميع، والتبعيض كفر بالجميع. وفي

الآية تعريض باليهود والنصارى؛ فقد أخطؤا خطأً بعيدًا عن الرشد والهداية إلى الإيمان الكامل؛ لأن الإيمان بالله يوجب الإيمان بجميع ما أمر الله به من التصديق والإيمان.

ويذكر سبحانه وتعالى شأن اليهود في إيمانهم وكفرهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾، قال ابن عباس: اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا ثم كفروا بعيسى والإنجيل ثم ازدادوا كفرًا بكفرهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم. وتوعّد الله عليهم بقوله: لم يكن الله ليغفر لهم كفرهم ومعاصيهم ولا ليهديهم إلى سبيل الهداية إلى الإيمان لأنهم طبعوا بالكفر في قدر الله.

وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾، أي: أخبر يا محمد المنافقين بأن لهم عذابًا مؤلمًا شديدًا.

ثم ذكر وصفهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هؤلاء المنافقون يتخذون اليهود ويصاحبونهم من دون المؤمنين فوبخهم الله ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ أيطلبون من اليهود العزة والقوة فإن العزة والقوة لله جميعًا يعز من يشاء ويذل من يشاء.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ وكان المنافقون يجلسون في اجتماع علماء اليهود يستمعون استهزاءهم وكفرهم بآيات الله، فنهى المؤمنين عن المجالسة معهم. ومعنى الآية: وقد نزل الله عليكم أيها المؤمنون في القرآن أنه إذا سمعتم آيات الله يُكْفر هؤلاء بها ويستهزؤون بها ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾،

أي: فلا تجلسوا معهم أيها المؤمنون في حالة استهزائهم وكفرهم بآيات الله حتى يأخذوا ويشرعوا في حديث غير استهزائهم وكفرهم بآيات الله وبمحمد عليه الصلاة والسلام فإن جلستم معهم وسمعتم كلامهم ورضيتم بها ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في الكفر سواء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ يتعذبان في جهنم سواء.

ثم يذكر سبحانه وتعالى تربصهم بالمؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هؤلاء المنافقون ينتظرون الدوائر أن تدور عليكم أيها المسلمون فلا تغتروا بمجاملتهم معكم فإن كان لكم فتح من بلاد الكفار، وغنيمة من نصرة الله لكم قال المنافقون: ألم نكن معكم على دينكم فاعطونا مما غنمتم من الكافرين. وإن كان للكافرين نصيب، أي: ظفر وغنيمة من المسلمين، قال المنافقون ألم نستحوذ عليكم، أي: ألم نغلب عليكم في الآراء ومكناكم، ونمنعكم بالنصرة لكم من غلبة المؤمنين عليكم فاعطونا مما غنمتم من المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، أي: يحكم بين المؤمنين والمنافقين والكافرين بحكم العدل يوم القيامة.

ثم ردَّ الله على دعوى المنافقين: (ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين)، فقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ ولن يجعل الله لغلبة الكافرين على المؤمنين سبيلاً على الأبد ولذلك مهما أراد الكافرون تعذيب المؤمنين واستئصالهم كالشيوعيين لم يبلغوا مقاصدهم وثبت الله المؤمنين بالصبر على إيمانهم.

ثم يذكر الله شأن المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ ﴾ إن المنافقين يعاملون المؤمنين بالخداع ويظهرون الإيمان والإسلام بظواهر أعمالهم ويبطنون الكفر والعداوة في قلوبهم على المؤمنين وهم غافلون عن علم الله فيهم وهو سبحانه وتعالى خادعهم، أي: يمهلهم في خداعهم استدراجًا لهم في حياتهم الدنيا. ثم يذكر سبحانه علامات نفاقهم: وإذا قاموا إلى أن يصلوا قاموا كسالى وكارهين خائفين من المسلمين، ولا يرجون ثوابها ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾، أي: يصلون مرائين للمؤمنين ولا يذكرون الله في صلاتهم إلاَّ قليلاً من ذكر اللسان وقلوبهم غافلة عن ذكر الله وهم في الغفلة.

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، أي: حال كونهم مترددين بين الكفر والإيمان لا هم منتمون إلى المؤمنين ولا منتمون إلى الكافرين ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾، أي: طريقًا إلى الهداية وسعادة الآخرة.

ثم حذر المؤمنين عن موالاة الكافرين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم هددهم تأكيدًا للنهي ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾، أي: حجة واضحة لتعذيبكم مع الكافرين في نار جهنم.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حالة المنافقين ومقرهم في الآخرة ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾، أي: في الطبقة السفلى من نار جهنم في أشد العذاب ﴿ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ ولن تجد لهم يا محمد مانعًا من عذاب الله.

ثم استثنى الله منهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦﴾، أي: الذين تابوا إلى الله توبة صادقة من بعد نفاقهم، وأصلحوا أعمالهم الفاسدة، أي: تركوها، واعتصموا بكتاب الله، وأخلصوا دينهم لله، فأولئك مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يؤت الله المؤمنين ثوابًا كثيرًا في الآخرة.

﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ١٤٧﴾ ما استفهامية للتقرير، أي: أيّ شيء يفعل الله بعذابكم أيها المؤمنون، إن شكرتم بما أنعم لكم من نعمة الإسلام ونعيم الآخرة وآمنتم به صدق الإيمان، وكان الله شاكرًا بأعمالكم وعليمًا بما في ضمائركم من صحة إيمانكم يجزيكم جزاء حسنًا في الجنة.

﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾ لا يحب الله القول السوء والشتم، يعني: ما رخص الله لأحد من المسلمين أن يتكلم في حق أخيه المسلم بالغيبة أو الحاضر أو بالشتم والأذى ولكن من ظلم فله أن يرد بمثله لظالمه وكان الله سميعًا بأقوالكم عليمًا بما في ضمائركم من خير أو شر.

﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ إن تظهروا أيها المسلمون أعمال البر من صلاة وصيام وصدقة أو تخفوه فإن الله يعلمه فيجازيكم جزاء حسنًا، وهذه الأعمال محمولة على الأعمال النافلة، أو تعفوا عمن أساء عليكم فإن الله كان عفوًا لذنوبكم قادرًا على الانتقام من الظالم على مظلومه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ الآية، نزلت في حق اليهود والنصارى، والمعنى: أن اليهود والنصارى يكفرون بالله حيث نسبوا الولد إلى الله، فاليهود يدعون أن العزير ابن الله ويدعي النصارى أن عيسى ابن الله، فتعالى الله عن ذلك، أنه لم يلد ولم يولد وكفرهم بالرسل، واليهود آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والإنجيل ثم كفروا جميعهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم، وهذا كفر بالله وجميع الرسل وجميع الكتب التي أنزلها الله على الرسل، ويريدون بذلك أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض على هوى أنفسهم ويريدون أن يتخذوا بين الإيمان والكفر سبيلاً باطلاً، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ لا شبهة في كفرهم وتمردهم، ثم توعَّد عليهم: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾، أي: هيئنا للكافرين عذابًا مهينًا يهينهم ويخزيهم في نار جهنم على الأبد لا نجاة لهم منها.

ثم يذكر سبحانه صفة المؤمنين الصادقين في إيمانهم، وهذه سنة الله في كتابه العزيز ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وصدقوا بجميع رسله وبكتبه المنزلة على الرسل ولم يفرقوا بين أحد من الرسل ولم يفرقوا بين الكتب السماوية أولئك هم المؤمنون حقًّا، سوف يؤتيهم الله ثواب إيمانهم، وكان الله غفورًا لذنوبهم رحيمًا لعباده المؤمنين.

﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ

مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ يسألك يا محمد أهل الكتاب، وهم علماء اليهود، وكان سؤالهم تعنتًا واقتراحًا، أن تنزل عليهم كتابًا جملة واحدة من السماء كما أنزلت التوراة جملة واحدة لموسى عليه السلام. قال تعالى مسليًا للنبي ﷺ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك، أي: من سؤالهم ذلك، فقالوا: أرنا الله جهرة، أي: عيانًا ننظر إليه ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ فنزلت نار من السماء فأحرقتهم بسبب سؤالهم رؤية الله جهرة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلـهًا عبدوه، وكانت عبادتهم أربعين يومًا، سيأتي قصتها في سورة طه، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾، أي: اتخاذهم العجل إلـهًا من بعد ما جاءتهم الدلائل الواضحات على وحدانية الله تعالى في ألوهيته وربوبيته فلا يصح صرف عبادته لغيره ﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ ولما تابوا عن اتخاذهم العجل إلـهًا عفونا عنهم.

﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣﴾، أي: حجة واضحة تدل على صدق رسالته من الله على بني إسرائيل، أو المراد: التوراة فيها آيات بينات وأحكام تشريعية على بني إسرائيل. وبعضهم فسرها بالآيات التسع، والآيات التسع أعطاها الله لموسى عليه السلام قبل إهلاك فرعون وقومه، والتوراة أنزلها الله بعد إهلاك فرعون، وسيأتي بيانها في سورة الأعراف.

﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤﴾ وأخذ الله من بني إسرائيل العهد الوثيق بأن يعملوا بما في التوراة من الأحكام الشرعية، وكذا أخذ العهد الوثيق بأن لا يصطادوا يوم السبت الحوت ليتفرغوا لعبادة الله، وقبلوا ثم خالفوا أمر الله ونقضوا العهد المؤكد عليهم. وأمر الله جبريل بأن يرفع جبل الطور فوق رؤوسهم تخويفًا لهم ليعملوا بما في التوراة من الأوامر بسبب عهدهم على ذلك، وأمرهم الله أن يدخلوا باب بيت المقدس سجدًا، أي: مطئطين

رؤوسهم كالراكع، ودخلوا الباب على أستاهم متزحزفين استهزاءًا وكرهًا فاستوجبوا على أنفسهم لعنة الله.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، أي: لعناهم بسبب نقضهم العهد الوثيق عليهم وكفرهم، أي: بجحودهم أوامر الله عليهم وبقتلهم أنبياء الله بغير استحقاق لقتلهم، وقولهم للنبي ﷺ قلوبنا غلف لا نعي كلامك.

فرد الله عليهم ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ بل ختم الله على قلوبهم الكفر والعناد للمسلمين فلا يؤمن منهم إلاَّ قليلاً، أي: كان المؤمنون منهم قليلاً كعبد الله ابن سلام وأصحابه رضي الله عنهم.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، أي: لعناهم بسبب كفرهم بقدرة الله بخلق عيسى عليه السلام بغير أب، وقولهم على مريم عليها السلام بهتانًا عظيمًا، فرموها بالزنا وهي بريئة طاهرة، وبقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، إنما قالوا رسول الله استهزاءً لا اعترافًا برسالته.

وكذب الله دعواهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ قال البيضاوي: أن رجلاً كان ينافق بين عيسى وقومه فخرج ليدل عليه فألقي عليه شبه عيسى فقتلوه وصلبوه وادعوا أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ إن الذين اختلفوا فيمن قتلوه لفي شك من المقتول، قال بعضهم: هو عيسى، وقال بعضهم: أين صاحبنا؟ المقتول هو صاحبنا، فأين عيسى؟ ليس لهم من علم يقين إلاَّ اتباع الظن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾، أي: وما قتلوا عيسى قتلاً

حقيقيًا ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ ولكن رفعه الله إليه حيًّا وكان الله عزيزًا فيما أراد حكيمًا في إنجاء عيسى من قوم متمردين ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ ليس من اليهود والنصارى إلاَّ ليؤمنن عند احتضار الموت عليه ورجاء أن يكون عيسى عليه السلام شاهدًا يوم القيامة أنهم آمنوا به لا يقبل الله الإيمان ولا التوبة عند ظهور علامات الموت وقيل: وكل نبي أوصى أمته بأن يؤمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ليشهد لهم يوم القيامة.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾ فبسبب ظلم اليهود على أنفسهم بارتكابهم المنهيات حرمنا عليهم طيبات كانت حلالاً لهم المذكورة في سورة الأنعام وبسبب صد الناس عن الدخول في دين الله خلقًا كثيرًا ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ وأخذهم التعامل بالربا وقد نهوا عنه في التوراة وبأكلهم الرشوة بالحكم والشهادة بالباطل وهيأنا للكافرين بيوم القيامة من اليهود عذابًا مؤلمًا سيذوقونه على الأبد. وقوله تعالى: (منهم) دلالة أن منهم من يؤمن ويتوب عن ارتكابهم المنهيات وهم مع المؤمنين في دار النعيم.

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ لكن الثابتون المتفقهون في علم كتاب الله من اليهود كعبد الله ابن سلام وأصحابه والمؤمنون الذين هاجروا والأنصار من أهل المدينة يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد وما أنزل من قبلك من كتب على الأنبياء، لا يفرقون بينها، والمقيمين الصلاة، أي: المداومون على إقامة الصلوات

المكتوبة على المسلمين، والمؤدون لزكاة أموالهم بغير بخس، وهم المؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا يقينًا، أولئك سنؤتيهم ثوابًا عظيمًا وهو الخلود السرمدي في الجنة.

﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ قال الخازن: وهذه الآية إلى آخرها رد على اليهود في سؤالهم رسول الله ﷺ أن ينزل كتابًا جملة واحدة، والمعنى: نحن أنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن بالوحي كما أنزلنا إلى نوح بالوحي وأنزلنا الصحف على الأنبياء من بعد نوح.

ثم ذكر سبحانه وتعالى بالتفصيل بعد الإجمال ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ هم أولاد يعقوب عليه السلام اثنا عشرة ﴿ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾، أي: كتابًا مزبورًا، أي: مكتوبًا فيه تسبيح وتحميد وتمجيد ومواعظ لا يعني أن فيه أحكام التشريع. وقيل: إن داود عليه السلام يحكم قومه بما في التوراة من الأحكام. ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ وأوحينا إلى رسل قد بينا أحوالهم وذكرنا أسماءهم عليك يا محمد من قبل هذا الذكر ورسلاً آخرين لم نذكر أحوالهم عليك يا محمد، وكلم الله موسى عليه السلام، تكليمًا بلا واسطة جبريل عليه السلام، وذكر المصدر للتأكيد ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ أرسل الله رسلاً إلى أممهم مبشرين بالجنة لمن آمن وأطاع أمره، ومنذرين بعذاب النار لمن كفر وعصى أمره، وذلك التبشير والإنذار لأجل لا يكون للناس على الله حجة بعد إرسال الرسل إليهم، وكان الله عزيزًا في أمره لعباده حكيمًا في تدبير أمر خلقه.

ثم رد الله على اليهود في إنكارهم على رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ إن لم يشهد هؤلاء اليهود بالقرآن الكريم فإن الله يشهد بما أنزل إليك يا محمد، أنزله بعلمه أنك أهل لرسالته، ولإنزال القرآن إليك، والملائكة يشهدون أنك رسول الله، وإنزال القرآن إليك حق، وكفى بالله شاهدًا لك يا محمد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ إن الذين جحدوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ومنعوا الناس عن الدخول في الإسلام بإلقاء الشبهة عليهم في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام قد ضلوا ضلالاً بعيدًا عن الرشد والهداية عن الإيمان بالله وحده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي لم يكن الله ليغفر لهم كفرهم ومعاصيهم ولا ليهديهم طريقًا يسلكوا بها إلى خير الدنيا والآخرة ولكن يمهلهم في بغيهم فلا يزالون يسلكون طريق جهنم يدخلون فيها يوم القيامة مخلدين أبدًا.

وكان ذلك التخليد في جهنم وتعذيبهم فيها على الأبد سهلاً على الله ولا يبال فيهم.

ثم يخاطب الله عامة الناس، وقيل مشركي مكة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ يا أيها الناس قد جاءكم محمد بالرسالة من ربكم فآمنوا بـه وأطيعوا بمـا بلـغ إليكم مني فيكون إيمانكم خيرًا لكم في الدنيا والآخرة ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

﴿وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ وإن تكفروا بما جاء به محمد من ربكم فإن الله غني عن إيمانكم لأن لله ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، عليمًا بأحوالكم حكيمًا فيما حكم عليكم.

ثم وجه الخطاب إلى النصارى ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ﴾، أي: لا تتجاوزا عن الحدود التي شرع الله لكم في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ القول الحق الذي يليق به، وهو منزه عن الشريك في ألوهيته وربوبيته وعن اتخاذ الولد والصاحبة.

ثم أرشدهم إلى العقيدة الصحيحة في حق عيسى عليه السلام ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ إنّ المسيح عيسى ابن مريم ليس ابنًا لله كما زعمتم إنما هو رسول الله أرسله إليكم وكلمته (كن) ألقاها إلى مريم فحملت بغير نطفة أب، أي: أمر الله جبريل عليه السلام بأن ينفخ في جيب مريم بها، فهي ـ أي: روح عيسى ـ منه جلت قدرته ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾ فآمنوا بالله وحده ولا تشركوا به شيئًا وآمنوا بجميع رسله ولا تفرقوا بينهم ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌۚ﴾، أي: آلهة ثلاثة ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ﴾، أي: انتهوا عن تثليث الإله يكن ذلك خيرًا لكم.

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ إنما الله إلـه واحد لا شريك في ألوهيته وربوبيته. وصف نفسه بالأحدية سبحانه من أن يكون له ولد لأن الولد جزء من أبيه وهو منزه عن التجزء والحدوث، له ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا وهو غني عن اتخاذ الولد، وكفى بالله حفيظًا على أعمال خلقه وتدبير شؤونهم.

ثم رد على النصارى في دعواهم الباطلة أن المسيح إلـهًا ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ لن يستنكف ولا يتكبر المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون وهم أفاضل الملائكة ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ ومن يستنكف ويتكبر عن عبادة ربه فسوف يبعث ويحشر إلى الله جميعًا للحساب والجزاء.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ فأما الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئًا في عبادتهم لله وعملوا الأعمال الصالحات ممتثلين لأمر ربهم فيوفيهم ثواب أعمالهم ويزيدهم ثوابًا على ثوابهم المستحق من فضله وكرمه.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ وأما الذين استكبروا واستأنفوا عن عبادة ربهم فيعذبهم الله عذابًا مؤلمًا ولا يجدون لأنفسهم غير الله وليًّا يتولاهم ولا نصيرًا يمنعهم من عذاب الله.

ثم وجه الخطاب على كافة الناس ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ قال المفسرون: البرهان هو محمد عليه الصلاة والسلام أرسله الله حجة على الناس، أي: قد جاءكم محمد بالرسالة من ربكم وأنزلنا إليكم القرآن نورًا مبينًا يهتدون به من ظلمات الحيرة والكفر إلى نور الإيمان بخالقكم ورازقكم.

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ فأما الذين آمنوا بالله وحده وتمسكوا

بكتاب الله في شؤونهم فسيدخلهم الله في جنته رحمة منه وفضل، أي: تفضل وإنعام لهم ويهديهم صراطًا مستقيمًا إلى رضا ربهم.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾ قال الخازن: نزلت في جابر ابن عبد الله الأنصاري وقال جابر: مرضت فجاء رسول الله وأبو بكر يعوداني، قلت: يا رسول الله كيف أصنع بمالي؟ فلم يرد عليّ شيئًا. فأنزلت الآية: يسألونك يا محمد، قل لهم: الله يفتيكم في ميراث الكلالة، وهو الميت الذي ليس له أب ولا ولد.

﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ إن امرء مات ليس له ولد يرث ولا أب وللميت أخت من أب ومن أم فلها نصف التركة فرضًا والباقي لبيت المال وإن ماتت امرأة ولها أخ من أب وأم يرثها إن لم يكن لها ولد وله جميع التركة بالتعصيب، وأما الأخ من الأم فله فرض لا تعصيب.

﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ﴾ فإن كانتا، أي: كان للميت أختان فلهما ثلث التركة ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ﴾ وإن كان الوارثون رجال ونساء فللذكر مثل نصيب أختين ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾ يبين الله لكم أحكام ميراث أمواتكم حذرًا من أن تخطئوا في إسهام التركة والله بكل شيء عليم لا يخطىء في حكمه.

الحمد لله، تمّت سورة النساء بعون الله.

* * *

سورة المائدة

آياتها مائة وعشرون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ قال ابن عباس: العقود، أي: العهود، يشمل كل عهد بين إنسان وربه وبين إنسان وإنسان، الخطاب للمؤمنين: يا معشر المؤمنين أوفوا بالعهود التي أوجب الله عليكم إيفاءها وهي ما افترض الله على عباده المؤمنين من العبادات، والعدل في الحكم والشهادة وفي المعاملات.

ثم ذكر ما حلل الله من البهائم ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ ﴾ أحلت لكم أيها المؤمنون بهيمة الأنعام والمراد من البهيمة. الحيوانات الوحشية التي أحلها الله كالظبي وبقر الوحش وحمار الوحش وغيرها، غير ذي ناب ومفترس، وكذا من الطيور، إلاَّ ما يتلى عليكم فهو حرام لكم سيأتي بيانها قريبًا. وقوله غير محلي الصيد وأنتم حرم، أي: أحلت لكم الأنعام البرية إلاَّ وأنتم محرمون لا تصيدوها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ ﴾ إن الله الذي هو مالك الكل يشرِّع ما شاء كما يشاء، فيحب التسليم والامتثال لما حكم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ الشعائر جمع شعيرة، وهي العلامة لمناسك الحج والعمرة، أي: لا تتجاوزوا عن حدود الإحرام والمواقف لأداء نسك الحج والعمرة ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ ولا تحلوا الشهر الحرام للغارات والنهبة والقتال، سيأتي بيانها في سورة براءة عند قوله إنما النسيء زيادة في الكفر. ولا تحلوا الهدي حتى يبلغ محله ولا تتعرضوا للقلائد: جمع قلادة، وهي ما تعلق على الهدي التي تساق للحرم. ولا تتعرضوا للذين يقصدون البيت الحرام آمنين لأداء نسك الحج أو العمرة ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾، أي: يرجون فضلاً، أي: بركة لحياتهم ومغفرة لذنوبهم ورضوانًا من ربهم ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ﴾ وإذا قضيتم مناسك حجكم أو العمرة يحل لكم أن تصطادوا في غير أرض البيت الحرام.

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ ولا يحملنكم بغض قوم وعدوانهم بأن صدوكم عن الدخول إلى المسجد الحرام لأداء نسك العمرة أن تعتدوا عليهم بغير إذن الله لقتالهم ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ وتعاونوا أيها المسلمون على أعمال الخير والتقوى، وهو ترك الشبهات، ولا تعاونوا على الأعمال التي فيها إثم، ولعاملها مؤاخذة عند الله والعدوان، وهو الانتقام من العدو ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ وخافوا أيها المسلمون في مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه، إن الله شديد العقاب لمن خالف أمره وعصاه.

ويذكر سبحانه وتعالى ما يحرم أكله على المسلمين ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ﴾ حرمت

عليكم أيها المسلمون أكل لحم الميتة: هي التي ماتت حتف أنفها من الأنعام، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل، أي: ذبح بغير اسم الله، يعني باسم الأصنام، والمنخنقة: هي التي ماتت بالاختناق بالحبل، والموقوذة: التي ماتت بالضرب بالعصا أو بالحجر، والمتردية: هي التي تردت من مكان عال إلى الأسفل فماتت، والنطيحة: هي التي نطحتها بهيمة أخرى فماتت، وما أكل السبع: هي التي أكل بعضها حيوان مفترس فماتت.

ثم استثنى الله منها: إلاَّ التي وجدتموها حية فذبحتم باسم الله عليها فهي حلال لكم.

ثم رجع إلى التحريم فقال: ﴿وما ذبح على النصب﴾، أي: وحرم عليكم التي ذُبحت على الأحجار المنصوبة حول الكعبة، وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام: هو طلب المعرفة لعلم الغيب، وكانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرًا أو زواجًا كتب على قداح: أمرني ربي وفي الآخر نهاني ربي وفي الآخر غَفْلٌ، فإذا خرج أمْرٌ مضى لغرضه، وإذا خرج نهيٌ أمسك، وإن خرج غَفْلٌ فيعاد الاستقسام ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ ذلكم الذي تصنعونه خروج عن طاعة الله وكفر بما أقسم الله لكم.

﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ اليوم: ــ والمراد من اليوم يوم فتح مكة ــ يئس المشركون وانقطع طمعهم من أن ترجعوا عن دينكم إلى دينهم الشرك، فلا تخشوهم أبدًا واخشوني، وأنا ناصركم عليهم.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ نزلت يوم عرفة بعد العصر والرسول ﷺ على ناقته. والمعنى

اليوم أكملت لكم أيها المسلمون فرائض عبادات دينكم وأتممت عليكم نعمة الإسلام، وإضافة النعمة لنفسه أنها صادرة من الله لإكمال دينه. ورضيت لكم الإسلام دينًا. وفي قوله هذا دلالة أن غير دين الإسلام باطل لا يقبل الله أيًا منها أبدًا.

ثم عاد بالعبارة إلى ما تقدم ذكره من المحرمات ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ فمن اضطر لأكل المحرمات من شدة جوع لا يوجد غيرها فله أن يأكل قدر حاجته غير مائل لإثم أو حرام، والمعنى: غير قاصد في أكلها للذة أو فوق الشبع، وفي ذلك إثم عليه.

ثم بدأ بذكر الحلال من الصيد، فقد جاء رجلان طائيان وهما عدي بن حاتم وزيد الخيل وقد سمّاه رسول الله زيد الخير، قالا: يا رسول الله إنا نصيد بالكلاب والباز فندركه حيًا نذكيه ومنه ما ندركه ميتة وإن الله قد حرم الميتة فماذا نفعل بها؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ﴾ يسألونك يا محمد أيّ صيد يحل لهم أكله؟، قل لهم: أحل لكم الطيبات، يعني: الحلالات من الصيد التي أدركتموها حية وذبحتموها باسم الله، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾، أي: صيد التي علمتموها من الكلاب طريق الاصطياد، تعلموها بأن لا تصيد لنفسها، تعلمونهن مما علمكم الله، أي: تعلمون الجوارح مما أرشدكم الله طرق الاصطياد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ فكلوا مما أمسكن لكم، واذكروا اسم الله عند إرسالها إلى الصيد، واتقوا الله من مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، إن الله سريع الحساب فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم.

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾، والمراد من اليوم، يوم سألوا: ماذا أحل لهم؟ وتكرارها للتأكيد. فأحل لكم ما ذكر من الحلال الطيب، وأحل لكم ذبائح أهل الكتاب لأنهم مأمورون أن يذبحوا ذبائحهم باسم الله، وإذا عرف منهم أنهم يذبحوا بغير اسم الله فلا يحل للمسلمين أكل ذبائحهم، وذبائحكم حلال لهم.

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ اختلفت أقوال المفسرين في المحصنات من المؤمنات، والله أعلم هن الإماء من المؤمنات العفيفات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، والمقصود إذا لم يجد رجل مؤمن المهر لزواج المؤمنة الحرة يجوز له أن يتزوج أمة مؤمنة أو نصرانية أو يهودية لأن مهورهن أقل من مهور الحرائر من المؤمنات. واشترط دفع المهر لهن.

﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ تزوجوهن محصنين أنفسكم عن الوقوع بالزنا، غير زانين ولا متخذي صديقات تزنون بهن ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ ﴾ ومن يرتدد عن دين الإسلام ويكفر بما شرع الله لعباده فقد حبط عمله لا ثواب له وهو في الآخرة من الهالكين في عذاب جهنم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده إذا أردتم القيام لأداء الصلاة وأنتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وأيديكم مع المرافق وامسحوا برؤوسكم. وعند الحنفية فرض المسح ربع الرأس، استدلوا لذلك بحديث مغيرة بن شعبة: (توضأ رسول الله فمسح

على ناصيته)، وهي مقدمة الرأس، ومسح جميع الرأس سنّة عنده. واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، أي: مع الكعبين ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ بالغوا في الغسل لجميع أبدانكم ثلاثًا حتى يتطهر عن الجنابة ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ وإن كنتم مرضى: جمع مريض، أو مسافرين، أو جاء أحد منكم من الغائط: هو ما يخرج من سبيلين فيفسد الوضوء، أو جامعتم النساء فلم تجدوا ماء، فاقصدوا ترابًا طاهرًا فاضربوا كفيكم عليه فامسحوا بوجوهكم، وبضربة ثانية فامسحوا أيديكم من أثر التراب، وهذا يجزيء لكم عن الوضوء والغسل.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞٦﴾ ما يريد الله بتلك التكاليف أن يجعل عليكم من حرج وتعب، ولكن يريد ليطهركم من خبث الجنابة ونواقض الوضوء، وليتم نعمة شرائع الإسلام عليكم لعلكم تشكرون الله بتلك النعم.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم، وهي نعمة الإيمان بالله وحده والتزام شرائع الإسلام لأنفسهم بتوفيق الله، وميثاقه الذي واثقكم به وهو العهد الموثق على المؤمنين بأن لا يخالفوا أمر الله. حيث قلتم: سمعنا قولك وأطعنا أمرك. وقيل: هو ميثاق بيعة أهل الرضوان في ليلة العقبة. وقيل: حين أخذ الله الميثاق من عباده: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها المؤمنون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ وفي هذه الجملة تحذير المؤمنين أن لا يدنسوا قلوبهم بأفكار فاسدة لأنها تفسد القلب السليم عن الزيغ والفساد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ يا أيها المؤمنون ﴿كونوا قوامين﴾ صيغة مبالغة، أي: قائمين بأداء شهادتكم بالعدل لله تعالى، فلا تميلوا إلى أحد الطرفين.

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ لا يحملنكم بغض أعدائكم على أن لا تعدلوا بأداء الشهادة، اعدلوا بشهادتكم ولو كان المشهود عليه ذا قرابة، أو المشهود له ذا عداوة، واتقوا الله أيها المؤمنون في كل أحوالكم، إن الله خبير بما تعملون فيحاسبكم ويجازيكم يوم القيامة.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩﴾ وعد الله المؤمنين بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات ممتثلين لأمر ربهم أن لهم مغفرة لذنوبهم، وثوابًا عظيمًا هو الجنة، لها درجات، فأهل الجنة يتفاوتون، درجاتهم فيها على قدر أعمالهم.

ثم يذكر سبحانه وتعالى صفة أهل النار ومصيرهم يوم القيامة وهذه سنة الله في كتابه العزيز ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾ والذين كفروا بالله وكذبوا بما جاء محمد عليه الصلاة والسلام من آيات واضحات أولئك أصحاب الجحيم، هم مخلدون فيها على الأبد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ روي أن رسول الله ﷺ أتى بني قريظة ومعه الشيخان

أبو بكر وعمر والختنان علي وعثمان، يستقرض منهم دية لمسلمين قتلهما عمر بن أمية الضمري خطأً يحسبهما مشركين، فقالوا: اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونقرضك، فأجلسوه في صفة، فقال اليهود بينهم: إنكم لن تجدوا فرصة غير هذه في قتله، من يظهر على البيت فيرمي عليه حجرًا، قال عمر بن جحاش: فأنا له، فظهر على البيت، فعمد إلى رحى، وهو حجر لطحن الحب، فأراد أن يطرح الرحى على رسول الله ﷺ، فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ ما أراد اليهود به، فخرج رسول الله ﷺ متوجهًا إلى المدينة ومعه علي رضي الله عنه فقال: لا تبرح مكانك حتى يخرج أصحابي، فإذا سألوك عني قل لهم: توجّه إلى المدينة، حتى تناهوا إليه فذهبوا إلى المدينة فأنزل الله الآية.

ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده اذكروا نعمتي عليكم. ثم بين هذه النعمة وأنها حين همّ اليهود أن يبطشوا بأيديهم بالنبي ﷺ وأصحابه فيقتلوهم، ﴿فكف﴾ الله أيديهم عنكم ونجاكم من شرهم، واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، وعلى الله فليتوكل المؤمنون في كل شأنهم.

ثم يذكر سبحانه وتعالى ما عاهد على بني إسرائيل وخيانتهم ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يخبر سبحانه وتعالى: لقد أخذ الله العهود الموثقة على بني إسرائيل حين أمرهم بقتال الجبارين الساكنين في فلسطين، وبعث الله من بني إسرائيل اثني عشر نقيبًا يتحسّسون أحوال القوم، وقال الله لبني إسرائيل: إني معكم بالنصرة والمعونة.

ثم اشترط على ذلك: لئن أقمتم الصلاة على وقتها، وآتيتم زكاة أموالكم للفقراء، وآمنتم برسلي، أي: صدقتم بما أخبركم به رسلي، وأطعتموهم وعزرتموهم، أي: ونصرتموهم على أعدائهم، وأقرضتم الله قرضًا حسنًا، أي: أنفقتم أموالكم على وجوه الخير لله تعالى، لا سمعة ولا رياء، وجواب الشرط ﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ بأعمالكم الصالحات ﴿ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ ولأدخلنكم يوم القيامة جنات تجري فيها مياه الأنهار أمام غرفهم وعند أصول أشجارها ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ فمن نقض العهد وجحد به بعد الوعد العظيم وهو إدخالهم الجنة، فقد أخطأ سواء السبيل في الضلالة.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾ فبسبب نقضهم العهد الموثَّق عليهم طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم قاسية لا يدخل فيها الإيمان ولا التذكير والموعظة، والسبب أنهم: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ يغيرون بعض الأحكام من التوراة وصفة محمد عليه الصلاة والسلام في التوراة، وتركوا نصيبًا مما ذكروا به في التوراة.

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ولا تزال يا محمد تطلع على خيانتهم عليك وعلى المؤمنين، إلاَّ قليلاً من اليهود الذين أسلموا وثبتوا في إسلامهم كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ﴾ فاعف عن خيانتهم عليك وأعرض عنهم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ وأنت يا محمد من المحسنين تحب العفو عمن ظلمك.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ وأخذنا ميثاق الذين قالوا إنا نصارى، يسمون أنفسهم بهذا الاسم، فتركوا نصيبًا مما ذكروا به في كتابهم الإنجيل، وقد أمر الله بأن يؤمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، فتركوا الإيمان به وجحدوا عليه ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، أي: فألزمنا وألصقنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، ولو أنهم يتجاملون في الظاهر، فلا تنفك عنهم عداوتهم وذلك جزاؤهم في الدنيا ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾ وقريبٌ يوم القيامة حيث يخبرهم الله بما كانوا يفعلون من ترك الإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ونقض العهد، فيحاسبهم ويجازيهم على كفرهم وسائر أعمالهم الشركية.

ثم وجه الخطاب على اليهود والنصارى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ يا أهل التوراة والإنجيل قد جاءكم رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم، ليظهر لكم مما كنتم تخفون من التوراة والإنجيل ما يخالف آراءكم الفاسدة، ويترك كثيرًا مما أخفيتم ولا يتعرض له.

﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ قد جاءكم محمد بالرسالة من الله وهو إلى كافة الناس، سميّ نورًا يهتدي الناس بإرشاده من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان بالله وحده، (وكتاب مبين)، أي: ومعه كتاب فيه بيان أحكام دين الإسلام، ويقرأه ويبين لكم أحكامه ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يهدي الله بإرشاد القرآن ومواعظه من اتبع رضوانه، أي: ما رضيه الله من سلوك طرق

السلامة عن الزيغ والضلالة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾ ويخرج المتبعين رضوانه من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان بإرادته وتوفيقه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ ويرشدهم ويوفقهم إلى طريق السلامة ويرزقهم الاستقامة فيها حتى يأتيهم اليقين.

ثم ذكر سبحانه وتعالى ضلالة النصارى عن دين الحق فقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ وقيل: إنهم اليعقوبية من النصارى، يزعمون أن المسيح هو الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا. ورد الله عليهم وأبطل دعواهم الخبيثة.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قل لهم يا محمد: فمن يقدر أن يمنع من عقاب الله شيئًا، إن أراد الله أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعًا؟ والمسيح خلق من خلق الله وعبد من عبيده، ولوكان المسيح إلـهًا كما تزعمون لدفع عن نفسه إساءة اليهود عليه حتى أرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ ولله ملك السموات السبع والأراضين السبع وما بينهما، أي: وما فيهن من المخلوقات، كيف يشاء يصرفها، ويخلق ما يشاء، كما خلق آدم من تراب وزوجته حواء من ضلعه الأيسر، خلق عيسى من نفخة جبريل في جيب أمه مريم بغير نطفة أب، والله على إيجاد كل شيء وإفنائه قادر وحده.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عما يزعم اليهود والنصارى احتجاجًا للنبي ﷺ أنهم أبناء الله وأحباؤه فقال الله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾، أي: نحن بمنزلة أبناء الله وأحبائه ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ﴾ والمعنى: فبأيّ سبب يعذبكم الله في نار جهنم وأنتم تقولون: نحن نعذب أربعين يومًا على عبادتنا العجل، فأبطل الله دعوتهم: (بل أنتم) يا معشر اليهود والنصارى بشر، أي: إنسان ممن خلق الله ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ يغفر لمن تاب عن اليهودية والنصرانية بمشيئته وفضله، ويعذب من يشاء لكفره وعصيانه بعدله وإرادته، ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ وهو يصرفهما وما فيهما من المخلوقات، وإلى الله ترجع الأمور كلها فيحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ يا معشر اليهود قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ، وهو يبين لكم أحكام دينكم، على فترة من الرسل، وكان زمن انقطاع الرسل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وستون سنة.

ثم ذكر علة إرسال محمد عليه الصلاة والسلام: حتى لا تقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير حين تحاسبون يوم القيامة، فقد جاءكم بشير بالجنة إن آمنتم بالله وحده وصدقتم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ونذير من عذاب جهنم إن كفرتم وأشركتم بالله وكذبتم رسوله، والله على كل شيء قادر، لا يعجزه شيء عن تعذيب الكافرين والعاصين.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ اذكر يا محمد. قول موسى لقومه بني إسرائيل: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم. ثم بين تلك النعمة: حيث جعل فيكم أنبياء يرشدوكم، وجعلكم ملوكًا، أي: أحرارًا بعد أن كنتم عبيدًا مقهورين في خدمة القبط وفرعون، وآتاكم أموالاً كثيرة ومساكن كثيرة بعد غرق فرعون وقومه، وملككم أموالهم ومساكنهم. وأعطاكم الله ما لم يعطه لأحد من العالمين.

وقال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ كان قوم جبارون ساكنين في فلسطين فأمر موسى عليه السلام قومه بالخروج إلى قتال الجبارين، قال: ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تخافوا منهم ولا ترجعوا على أدباركم خائفين منهم، وإن خفتم ورجعتم بدون القتال عليهم فتنقلبوا خاسرين من ثواب الدنيا والآخرة.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ فيها سالمين بغير قتال.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (قال رجلان)، هما من النقباء الذين يخافون الله، أنعم الله عليهما بالثبات في لقاء العدو: قالا: ادخلوا باب مدينة العدو، لا تجبنوا، فإذا دخلتم المدينة فإنكم غالبون على عدوكم. وعلى الله فتوكلوا واعتمدوا عليه إن كنتم موقنين بإن الله ناصركم على عدوكم. فلم يقبلوا نصيحتهما.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قالوا هذه المقالة لموسى عليه السلام فأساؤوا إليه وخالفوا أمره. اختلف العلماء في قولهم: فاذهب أنت وربك. والله المستعان بما أقول. وإذا حملناه على ظاهر العبارة فهو كفر بالله. وقال بعض المفسرين: فاذهب أنت يا موسى وسيدك هارون، وكلمة الرب تطلق على السيد والمالك، وهارون عليه السلام أكبر من موسى عليه السلام بالسن.

ولما يئس موسى من قومه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وقال موسى عليه الصلاة والسلام معتذرًا لربه يا رب، إني لا أملك قومي إلاّ نفسي وأخي هارون، هو في طاعتي، فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك وطاعتي. فقبل الله معذرته ودعاءه.

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ قال تعالى: فإن بيت المقدس محرمة عليهم أن لا يدخلوها أربعين سنة يتيهون في الأرض التي تاهوا فيها، فكانوا يرتحلون صباحًا ويمسون في المكان الذي ارتحلوا منه، وذلك عقوبة عليهم، فلا تحزن يا موسى على القوم الخارجين عن طاعة ربهم وطاعة نبيهم.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ اقرأ يا محمد على أهل الكتاب خبر ابني آدم بالصدق، وهما قابيل وهابيل: ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ وذلك

أن الله أمر آدم أن يزوج توأمة قابيل على هابيل وتوأمة هابيل على قابيل، وكانت توأمة قابيل جميلة وتوأمة هابيل دميمة، فأبى قابيل أن تزوج أخته لهابيل، فأمرهما آدم عليه السلام عند ذلك أن يقربا قربانًا.

وكان قابيل صاحب زرع فقرّب أردأ شيء من زرعه، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب كبشًا سمينًا، فتقبل الله قربان هابيل، وعلامة القبول أنها تنزل نار من السماء فتحرقه، فنزلت نار فأحرقت قربان هابيل، فغضب قابيل وقال: لأقتلنَّك، وقال هابيل: لم تقتلني؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

ثم قال هابيل: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ لئن مددت يدك إليّ لتقتلني فما أنا بمادٍّ يدي إليك لأجل قتلك؛ إني أخاف الله رب العالمين.

ثم قال هابيل: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إني أريد أن تحمل إثمي وإثمك فتكون من أهل نار جهنم، وذلك العذاب جزاء من قتل نفسًا بريئة ظلمًا، وهو من الظالمين على أنفسهم ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ فسوّلت وسهّلت لقابيل نفسه أن قتل أخاه، فقتله، فصار من الخاسرين في الدنيا والآخرة. ثم بعد قتله أخيه احتار ماذا يصنع به، وقعد يبكي، ثم حمله على عاتقه وبقي يحمله لا يدري ما يصنع به، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ﴾ قيل: فبعث الله غرابين اقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر بمنقاره ورجله الأرض فدفنه. وقابيل ينظر إليه.

﴿ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ ولما رأى قابيل الغراب كيف يدفن غرابًا آخر في الأرض قال تحسُّرًا وندامة على حمل ميتة أخيه سنة: يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأدفن ميتة أخي؟ فصار من النادمين من أجل قتل أخيه وحمله ميتة أخيه سنة لا يدري كيف يصنع فيه. وقيل: رجفت الأرض سبعة أيام وشربت الأرض دمه وبعد ذلك حرم الله دم ابن آدم أن تشربه الأرض.

قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قتل نفسًا واحدة بغير استحقاق للقتل فهو كمن قتل الناس جميعًا، ومن امتنع عن قتل نفس صيانة لحياته وخوفًا من الله كأنما أحيا الناس جميعًا.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ولقد جاءتهم رسلنا بالآيات الواضحات وبالمعجزات الظاهرات فلم يصدقوا، وجحدوا؛ ومع ذلك فإن كثيرًا من اليهود أسرفوا في قتل أنبيائهم وارتكاب ما نهى الله عنه. وفي الآية تهديد وتوبيخ لليهود.

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ إنما جزاء الذين يخالفون أمر الله وأمر رسوله بعد الإيمان بالله وبرسوله ويسعون في أرض المسلمين ليفسدوا فيها فمنهم من يأخذ أموالهم ظلمًا، ويقطعون الطريق، أو يلقوا الاختلاف بين المسلمين، فجزاء هؤلاء أن يقتلوا إن قتلوا إنسانًا فقط. وإن قتلوا إنسانًا وأخذوا ملكه يقتلوا ويصلبوا

ليكونوا عبرة وزجرًا لغيرهم. وإن قطعوا الطريق فأخذوا أموال الناس تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف يعني تقطع يدهم اليمنى ورجلهم اليسرى أو يخرجوا من بلادهم إلى مكان بعيد يستوحشوا فيه ويتحزنوا. ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ ذلك، إشارة إلى قطع أيديهم وأرجلهم أو نفيهم من الأرض كان لهم خزي وذلة في حياتهم الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

ثم استثنى منهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ﴾ إلاَّ الذين تابوا عن صنيعتهم الوحشية بظلم المسلمين وحربهم، فتابوا من قبل أن تقدَّر عليهم حكم الجزاء بحكم الشرع، أو: قبل أن تقدروا عليهم وتسيطروا عليهم وتأسروهم، فلا سبيل لكم عليهم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ لعباده المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ اتقوا الله أيها المؤمنون فلا تخالفوا ما أمر الله به ولا تفعلوا ما نهى عنه، وابتغوا إليه الوسيلة، أي: التقرب إليه بطاعته، وجاهدوا في سبيله لإعلاء كلماته وتعزيز دينه لعلكم تفوزون بنعيم الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ إن الذين كفروا بالله في حياتهم الدنيا لو أن لهم ما في الدنيا من صنوف الأموال جميعًا ومثله معه ليفدوا أنفسهم به من عذاب الله يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب مؤلم في جهنم. ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ يريد هؤلاء أن يخلصوا أنفسهم بالفداء من نار جهنم ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ وما هم

بمخلصين أنفسهم من عذاب جهنم، ولهم عذاب أليم لا ينفك عنهم.

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ السارق هو الذي أخذ مال إنسان خفية، مقدار عشرة دراهم فأكثر، أو المسروق عروضًا تبلغ قيمته عشرة دراهم، تقطع يده اليمنى من الكوع جزاء بما كسب من الجريمة، عقوبة من الله، وعبرة لغيره، والله عزيز في الانتقام ممن خالف على أمره، حكيم فيما حكم من الجزاء.

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ ومن تاب عن السرقة بعد أن ظلم نفسه بالسرقة وأصلح شأنه بالتوبة الصادقة فإن الله يتقبل توبته، والله غفور لذنوب من تاب عن جريمته رحيم بعباده المؤمنين.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ استفهام للتقرير، والخطاب للنبي ﷺ؛ لأنه يبلغ أصحابه، ويسري الخطاب على كافة الناس إلى يوم القيامة. والمعنى: ألم تعلم يا محمد أن الله له ملك السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات؟ والجواب: بلى، كيف يشاء الله يصرف الأمور، فيعذب من يشاء لجريمته بعدله ويغفر لمن يشاء عن جريمته بتوبته، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، هو المتصرف في ملكه يفعل ما يشاء.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ (يا محمد)، وإنما قال: (يا أيها الرسول) تكريمًا وتشريفًا له، (لا يحزنك)، أي: لا يوقعك في الحزن،

ولا تسأل عن الذين يسارعون في موالاة الكفار والكيد للمصلين. ثم بين: من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، يكتمون كفرهم وعداوتهم للمسلمين ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ ومن اليهود أناس يستمعون الكلام في مجلسك يا محمد لأجل الكذب والتحريف سماعون لقوم آخرين لم يأتوا في مجلسك ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ يغيرون الكلام الذي سمعوا منك عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة، يقولون لقومهم: إن أوتيتم ما تريدون فخذوه واعملوا به وإن لم تؤتوه فاحذروا، أي: لا تقبلوا.

قال تعالى ردًا عليهم ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ومن يرد الله كفره وضلالته فلن تملك له يا محمد من الله شيئًا لهدايته ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ أولئك اليهود والمنافقون الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الكفر والنفاق، فإن لهم في الدنيا خزي وذلة، ولهم في الآخرة عذاب عظيم في قعر جهنم على الأبد.

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ هم علماء اليهود الذين يرتشون في الحكم ويحكمون لمن رشاهم، ويحبون أن يأكلوا المال السحت، سميت الرشوة سحتًا لأنها تستأصل دِينَ المرتشي، قال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله الراشي والمرتشي».

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ فإن جاؤوك، أي: هؤلاء اليهود، ليتحاكموا إليك فيما شجر بينهم، فأنت مخير بين الحكم بينهم

أو الإعراض عنهم ﴿ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ﴾ وإن تتركهم فلا تحكم بينهم فلن يقدروا عليك شيئًا، الله وليك وناصرك عليهم ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ وإن حكمت بينهم يا محمد فاحكم بالعدل إن الله يحب العادلين في الحكم بين خصمين.

وقال تعالى منكرًا على مخالفتهم لحكم التوراة ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ وكيف يحكمونك يا محمد، أي: هؤلاء اليهود، فيما شجر بينهم وعندهم التوراة فيها حكم الله، وأنت تحكم بحكم الله ويوافق حكمك ما في التوراة، ثم يعرضون من بعد حكمك ولا يقبلوا حكمك فهؤلاء ليسوا بمؤمنين بكتاب الله.

ثم ذكر الله ما أنزل في التوراة: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ إنا أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام فيها هدى إلى الإيمان بالله وحده وبرسله وبكتبه المنزلة على الرسل، ونور، أي: بيان حكم الله فيهم، يحكم بها، أي: بحكم التوراة. النبيون الذين جاؤوا بعد موسى وانقادوا لحكم التوراة، ويحكمون بأحكام التوراة للذين هادوا ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ ويحكم الربانيون والعلماء بين بني إسرائيل بما وفقهم الله لحفظ أحكامه من كتابه وكانوا على حكم الله شهداء، أي: رقباء لا يغيرون حكم الله.

ثم وجه الخطاب لعلماء بني إسرائيل ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

فلا تخشوا الناس أيها العلماء في الحكم الحق واخشوني، ولا تشتروا بحكم الله ثمنًا قليلاً. ثم حذرهم وتوعد عليهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ بحكم كتاب الله.

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾، أي: وفرضنا في التوراة على بني إسرائيل أن النفس تقتل بالنفس المقتولة، والعين تفقأ بالعين المفقوءة، والأنف يجدع بالأنف المجدوع، والأذن تقطع بالأذن المقطوعة، والسن تقلع بالسن المقلوعة، والجروح فيها قصاص إن أمكن فيها قصاص، والدية، فمن عفا عن الجاني فهو كفارة لذنوبه، وفيها ترغيب للعفو، ومن لم يحكم بما أنزل الله في كتابه فأولئك أوجب عقوبة الله ظالمين على أنفسهم بتغيير حكم الله.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وأتبعنا على آثار النبيين بعيسى ابن مريم بالرسالة مبعوثًا إلى بني إسرائيل، مصدقًا لما في التوراة من الأحكام، وآتيناه الإنجيل فيه هدى إلى الإيمان بالله وحده ونور يهتدى به في أحكام شريعته، ومصدقًا لما بين يديه في التوراة من العبادات والأحكام، وهدى إلى الرشد والهداية، وموعظة للمتقين يتعظون وينتفعون بها.

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ ﴾ وهذا إخبار من الله، قلنا: ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله في الإنجيل من الأحكام. ثم حذرهم

وتوعّد عليهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ومن لم يحكم بحكم الله في كتبه المنزلة على الرسل فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله، وإن كان حكمه خلاف حكم الله جحدًا لحكم الله فهو كافر لا شك.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ وأنزلنا إليك يا محمد القرآن بالحق لا شبهة فيه مصدقًا لما سبق من الكتب السماوية ومهيمنًا، أي: شاهدًا وحاكمًا عليها، فاحكم يا محمد بين هؤلاء إذا جاؤوك متخاصمين بينهم بحكم القرآن، ولا تتبع أهواءهم الفاسدة في الحكم عما جاءك من الله بحكم الحق ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ ولكل أمة جعلنا من الناس شريعة يحكم بها نبيهم بينهم بحكم شريعته بالعدل ومنهاجًا ليسلكوا فيها في عباداتهم ومعاملاتهم لعلهم يفوزون بالجنة.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ ﴾ ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة على شريعة واحدة لا تختلفوا، ولكن أراد ليختبركم فيما أمركم هل تطيعون أم تخالفون أمره.

ثم أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام بالمبادرة إلى الأعمال الصالحات: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ فيخبركم بما كنتم تختلفون في عباداتكم ومعاملاتكم.

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ وأن أحكم يا محمد بين المتخاصمين من اليهود بما

أنزل الله إليك في القرآن، ولا تمِلْ إلى أهوائهم الفاسدة، واحذر منهم أن يصرفوك عن بعض ما أنزل الله إليك في القرآن من الحكم بالعدل.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ فإن أعرضوا عن حكمك يا محمد فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم بمصيبة يعاقبهم فيها بسبب بعض إجرامهم في حياتهم الدنيا، وتلك العقوبة قد تحققت عليهم، وضربت الجزية عليهم، وقتل بنو قريظة، وأجلي بنو النضير، وفي الآخرة لهم عذاب شديد، وإن كثيرًا من اليهود لخارجون عن طاعة الله.

ثم أنكر عليهم مخالفتهم لحكم الله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ أهؤلاء اليهود يختارون حكم الجاهلية ويعرضون عن حكم الله؟ وأيُّهم أحسن حكمًا من حكم الله لقوم يوقنون بأن حكم القرآن من الله، لا يزيغون عنه أبدًا. وهذا استفهام على جهة الإنكار عليهم، يعني: لا أحد أحسن حكمًا من الله عند قوم يوقنون به.

ثم حذَّر الله المؤمنين عن الموالاة لليهود والنصارى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء تنتصرون لهم وتنصرونهم على أعدائهم؛ بعضهم أولياء بعض، يعني اليهودي ينصر أخاه اليهودي والنصراني ينصر أخاه النصراني. كل فريق مع فريقه لا تغرنكم أيها المؤمنون مجاملتهما لكم فإنهما عدو لكم ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ ومن يتولهم من المسلمين بالمودة فإنه من جملة اليهود أو النصارى لا قيمة له عند الله.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الذين يوالون على اليهود والنصارى قد ظلموا أنفسهم بموالاة القوم الكافرين فإن الله لا يهديهم إلى

الرشد والهداية إلى الإيمان الصحيح والاستقامة في الدين المرضي عند الله ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ فترى يا محمد المنافقين في مرض النفاق والكفر يبادرون إلى موالاة اليهود يقولون تلك الموالاة معهم نخشى أن تصيبنا حوادث الدهر كأنهم يطمعون من اليهود يدفع عنهم المصائب فرد الله عليهم ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ عسى ولعل لتحقيق وعده للمؤمنين، أي: فعسى الله أن يأتي بفتح مكة لرسوله والمؤمنين، وبفتح مكة تتم نصرة رسول الله في جزيرة العرب، أو يأتي أمر من عند الله على اليهود، حيث أجلاهم من المدينة إلى خيبر، فيصبح المنافقون على ما أسروا فيما بينهم من موالاة اليهود والعداوة على المسلمين نادمين متحسرين.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ويقول المؤمنون: أهؤلاء المنافقون أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم معكم، يعني مع المسلمين، حبطت أعمالهم بالموالاة مع اليهود فأصبحوا خاسرين في الدنيا والآخرة. أو المعنى حبطت أعمالهم الخيرية فلا تعويض لهم في الدنيا ولا ثواب لهم في الآخرة.

ثم نبه الله المؤمنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ يخاطب الله المؤمنين أنه من يرتد منكم عن دينه جاحدًا لدين الإسلام فسوف يأتي الله بقوم مؤمنين يحبهم الله ويحبونه، أذلة، أي: خاضعين للمؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون أعداء الله في

مرضاة الله، ولا يخافون، أي: لا يبالون لومة لائم ثقة بالله بسبب إيمانهم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ إشارة إلى ما وهب الله للمؤمنين الواثقين في إيمانهم، أي: ذلك التوفيق على الإيمان، والاستقامة فيه والمجاهدة على أعداء الله، تفضل من الله لهم يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع الفضل عليم بمن يضع فيه فضله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ إنما وليكم الله أيها المؤمنون. ثم بين: الذين يصلون الصلاة بالمحافظة على شروطها وأركانها وسننها، ويؤدون زكاة أموالهم على الفقراء والمساكين، وهم خاضعون منقادون لأمر الله وأمر رسوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين فإنه من حزب الله، فإن حزب الله هم الغالبون على أعداء الله بنصرة الله لهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ نهى الله المؤمنين عن موالاة المنافقين، أي: لا تتخذوا أيها المؤمنون المنافقين الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا أولياء، ثم بينهم: من الذين أوتوا الكتاب: التوراة والإنجيل، وسائر الكفار أولياء؛ بعضهم من بعض. واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه إن كنتم المؤمنين الصادقين في إيمانكم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يذكر العلماء في سبب نزول هذه الآية أن اليهود والكفار كانوا إذا سمعوا المنادي يؤذن إلى الصلاة تضاحكوا وتغامزوا واستهزؤوا،

ذلك لأنهم قوم لا يعقلون حقيقة الصلاة وأنها مناجاة الرب جلَّ وعلا، ومثل الكفار واليهود المنافقون الذين يتَّخذون الصلاة هزوًا بلا خشوع ولا خضوع.

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قل يا محمد يا أهل التوراة والإنجيل، استفهام للتعجب معناها النفي، أي: ما تعيبون ولا تسخرون منا إلاَّ لأجل إيماننا بالله وإيماننا بالقرآن الذي أنزل إلينا والكتب التي أنزلت قبل القرآن للرسل، ولكن أكثركم خارجون عن طاعة ربكم.

﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ قل لهم يا محمد: هل أخبركم بشر من ذلك، الذي تعيبوننا وتسخرون علينا، وهذا عقوبة لكم عند الله، وَضَع مثوبة محل عقوبة للتهكم. ثم ذكر الله شأن اليهود في الدنيا وبيّن الأسوأ لهم: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾، لفظ (مَن) فيه معنى الجمع، أي: الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم قردة: هم أصحاب السبت، وجعل منهم خنازير: هم أصحاب المائدة من اليهود في زمن عيسى عليه السلام، وجعل منهم عبد الطاغوت: وهو الشيطان، أطاعوه وعبدوا غير الله، أولئك شر مكانًا في الآخرة وأضل وأخطأ عن سواء السبيل في الدنيا. ولما نزلت هذه الآية قال المسلمون لليهود يا أهل القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا.

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ وإذا جاءكم، أي: جماعة من اليهود نافقوا فادَّعوا الإيمان،

وكانوا إذا أتوا مجلس رسول الله قالوا آمنا، فردَّ الله عليهم: أنهم قد دخلوا في مجلس رسول الله بكفرهم، وقد خرجوا من عند رسول الله بكفرهم، ولا يؤثر عليهم تذكير رسول الله ولا مواعظه ولا زواجره. والله أعلم بما يكتمون من الكفر والنفاق على المسلمين فيعاقبهم يوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ترى يا محمد كثيرًا من اليهود يبادرون ويخوضون في المعاصي التي توجب الإثم على صاحبها والعدوان على المسلمين، وفي أكلهم الحرام، لبئس الذي كانوا يعملونه.

ثم وبخ الله علماءهم وأحبارهم: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ لم لا ينهاهم الربّانيون والأحبار عن قولهم المفتري على الله وأكلهم الحرام والربا. ثم قبحهم بتركهم النهي والأمر بالمعروف لبئس الذي كانوا يعملون من مخالفة أمر الله.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ وقالت اليهود: يد الله ممسوكة عن الإنفاق بخلاً. فرد الله عليهم، وأنهم لُعنوا بسبب ما قالوا، بل يداه مبسوطتان ليلاً ونهارًا، ينفق كيف يشاء لمن يشاء وهو كريم جواد.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ﴾ وليزيدن كثيرًا من اليهود ما أنزل إليك يا محمد من ربك من آيات القرآن ليزيدنهم ذلك طغيانًا على طغيانهم وكفرًا على كفرهم.

ثم توعّد عليهم: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قيل: ألقينا بين اليهود والنصارى العداوة والبغضاء فلا يزالون مختلفين، وقيل: بين اليهود بعضهم ببعض لا يزالون مختلفين وقلوبهم شتى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ كلما أراد اليهود محاربة رسول الله والمؤمنين فرقهم الله، أي: دفعهم الله بالنصرة للمؤمنين عليهم، ولا يزالون يسعون مفسدين في أهل الأرض إما بمحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم ومنع الإسلام أو الكفر أو الظلم أو المعاصي، والله لا يحب المفسدين في خلقه.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾ ولو أن اليهود والنصارى، وهما أهل الكتاب، آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم واتقوا في مخالفة ما أمر الله به ونهى عنه لمحونا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم في جنات النعيم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ولو أن اليهود والنصارى عملوا بما في التوراة والإنجيل من الأوامر واستقاموا فيه، وما أنزل إليهم من ربهم، والحال أن القرآن أنزل لمحمد عليه الصلاة والسلام وهم من جملة المأمورين بالإيمان بالقرآن، ولهذا قال: وما أنزل إليهم من ربهم، وآمنوا بالقرآن وعملوا بما فيه من الأوامر ـ وجواب (لو): ـ لأكلوا من فوقهم، أي: لأكثر الله المطر من السماء وأنبت النباتات والزروع بماء المطر فلأكلوا حبوب الزرع، وأكلت أنعامهم النباتات، وتوسعوا بالرزق. ولكن منهم جماعة مقتصدة، أي: عادلة مستقيمة في

أمر الله كعبد الله ابن سلام وأصحابه بيد أن جماعة كثيرة منهم سيئة بئس ما يعملون من أعمال الكفر والغلو في ذات الله.

ثم خاطب الله رسوله ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ يخاطب الله محمدًا عليه الصلاة والسلام، يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من الأوامر والنواهي من ربك، وإن لم تبلِّغ بعض ما أمرك فما أدّيت رسالته، ولا تخاف من أحد فالله يعصمك من شر الناس فكن واثقًا بالله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ إلى الرشد والتوفيق إلى الخير. وهذه الجملة وعيد للكافرين.

﴿ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ ﴾ قل يا محمد لأهل التوراة والإنجيل: لستم على دين يرضى الله عنه حتى تعملوا بما أمركم في التوراة والإنجيل ممتثلين لأمر الله، وتعملوا بما أنزل إليكم في القرآن؛ لأن القرآن أنزل من ربكم يوافق ما في التوراة والإنجيل، فيجب الإيمان به والعمل بما فيه.

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ وليزيدن هذا القرآن كثيرًا من هؤلاء الكفرة كفرًا بسبب أنه أنزل إليك يا محمد من ربك، فحسدًا منهم يزدادون طغيانًا في حياتهم وكفرًا بك وبالقرآن، فلا تحزن ولا تبال على القوم الكافرين، وهم مختوم عليهم بالكفر.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾ سبق تفسيرها في سورة البقرة (صفحة ٢٨)

﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فلا خوف من عذاب الله ولا هم يحزنون بما تركوا من أولاد وأموال وعشيرة.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ لقد أخذنا العهد الموثَّق من بني إسرائيل بأن يعملوا بما في التوراة من الأوامر، وأرسلنا إليهم رسلاً ليعلموا أممهم أحكام الدين، ولكن كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم، أي: بما يخالف على هواهم كذبوا فريقًا من الرسل، ويقتلون فريقًا من الرسل، جيء بالفعل بلغة المضارع لحكاية الحال ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ﴾ وظنوا أن لا تأتي عليهم عقوبة من الله أو بلاء واختبار بسبب أعمالهم، واستمروا في طغيانهم فعموا في بصيرتهم غافلين كالأعمى لا يرون الحق عن الباطل، وصموا عن سماع المواعظ والزواجر ﴿ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ ثم وفقهم الله إلى التوبة عن عصيانهم فتقبل الله توبتهم ﴿ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ ولكن بعد ذلك كثير منهم عموا في طغيانهم غافلين عن رؤية الحق، وصموا عن سماع المواعظ والزواجر، والله بصير بما يعملون من أعمال الكفر والمعاصي.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ ﴾ وهذا شروع بالكلام على قبائح النصارى بكلمة الكفر. لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قيل: هم اليعقوبية من النصارى.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾، أي: وإنما

قال المسيح عليه السلام: يا بني إسرائيل اعبدوا الله، أي: خصّوا عبادتكم له، هو ربي وربكم لا رب ولا معبود سواه، إنه من يشرك بالله في عبادته أو في ذاته فقد حرم الله عليه الجنة ومرجعه ومقره نار جهنم، فهو ظالم لنفسه وما للظالمين من أنصار يمنعهم عن عذاب الله.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍۢ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌۭ وَٰحِدٌۭ ۚ﴾ القائلون بتثليث الإلـه قيل: هم النسطورية والملكانية من النصارى، ويقولون: الإلـهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، تعالى الله عما يقولون. فرد الله عليهم أنه ما من إلـه يُعبد إلاَّ إلـه واحد، وغيره باطل وعبث.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ وإن لم يترك هؤلاء القوم قولهم واعتقادهم بتثليث الإلـه ليصيبن الذين استمروا على كفرهم بذلك عذاب أليم في الآخرة.

ثم رغبهم الله على التوبة عن قولهم الكفر، والاستغفار عن ذنوبهم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌۭ رَّحِيمٌۭ ﴿٧٤﴾﴾ قال الخازن: استفهام بمعنى الأمر، وقال البيضاوي: للتعجب، أفلا يتوبون إلى الله عن قولهم بتثليث الإلـه ويستغفرون الله عن ذنوبهم والله غفور لمن تاب عن ذنوبه رحيم بعباده المؤمنين.

ثم ردَّ الله على زعمهم الباطل بتأليه عيسى أو ادعاء التثليث: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌۭ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۭ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ ليس المسيح ابن مريم إلاَّ رسول من الله إلى بني إسرائيل قد مضت من قبله الرسل، أرسلهم الله إلى أممهم، وأمه صديقة في إيمانها وطاعتها لأمر ربها، والمسيح وأمه مريم كانا يأكلان الطعام،

والله سبحانه وتعالى منزه عن أكل الطعام وشرب الشراب، ومنزّه عن اتخاذ الولد والصاحبة، فكل ذلك من صفات المخلوق.

﴿ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾
انظر يا محمد كيف نبين ونوضح لهم الآيات الدالات على وحدانيتنا في أولوهيتنا وربوبيتنا ثم انظر لهم كيف يفترون الكذب على الله بعد علمهم أن الله إلـه واحد لا إلـه غيره فيدعون سواه!؟

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ استفهام للإنكار، قل لهم يا محمد: أتعبدون غير الله ما لا يملك لكم نفعًا ولا يدفع عنكم ضرًّا وهي جمادات تصنعونها بأيديكم، والله هو خالقكم من العدم، هو المعبود الحق لا غيره، هو السميع بأقوالكم العليم بأحوالكم وضمائركم، وهو يحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم الفاسدة.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: يا أهل الكتاب لا تغلوا، أي: لا تتجاوزوا الحد الذي شرع الله في دينكم، غير الحق، أي: غير المأمور به، ولا تتبعوا أهواء أسلافكم وهم قد ضلوا في دينهم من قبلكم، وأضلوا كثيرًا من الناس عن الدين المرضي عند الله، وأضلوا غيرهم عن سواء السبيل. ومعنى عن سواء السبيل، أي: عن الطريق المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا باطل من الأمور.

ويخبر سبحانه وتعالى عمن خالفوا أمر الله من بني إسرائيل: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ﴾

لعن الله الذين كفروا به وخالفوا أمره وأمر رسوله وبينهم من بني إسرائيل، على لسان داود وعيسى عليهما الصلاة والسلام. الذين لعنوا على لسان داود عليه السلام هم أصحاب السبت؛ مسخهم الله قردة بدعاء داود عليه السلام عليهم، والذين لعنوا على لسان عيسى عليه السلام هم أصحاب المائدة؛ مسخهم الله خنازير بدعاء عيسى عليه السلام عليهم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ذلك المسخ قردة وخنازير بسبب عصيانهم لأنبيائهم، وكانوا يعتدون، أي: يتجاوزون عن حد دينهم ويخالفون أمر رسولهم ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ وكانوا من عصيانهم لا ينهون بعضهم بعضًا عن فعل منكر فعلوه ويسكتون عنه، واشتركوا في العقاب، لبئس الذين كانوا يسكتون عنه.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ترى يا محمد كثيرًا من اليهود يوالون الذين كفروا، وهم مشركو مكة، وقال ابن عباس: يوالي المنافقون اليهود، كلا المعنيين يحتمل على نص الآية، فهؤلاء لبئس ما قدمت لهم أنفسهم لآخرتهم؛ إن موالاتهم أوجبت عليهم غضب الله، وهم في عذاب جهنم مقيمون لا خلاص لهم منها ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ ولو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر صادقين في قلوبهم وما أنزل إلى محمد، ــ وجواب (لو) ــ : ما اتخذوهم أولياء، أي: ما اتخذوا الكفارَ أنصارًا وأعوانًا من دون المؤمنين، ولكن كثيرًا منهم خارجون عن الإيمان بالله ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن المنزل إليه.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ اللام للقسم، لتجدن اليهود أشد الناس عداوة، وكذا الذين أشركوا بالله؛ بعبادتهم أصنامًا ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ ولتجدن يا محمد أقرب الناس محبة للمؤمنين الذين قالوا إنا نصارى. قيل: نزلت في النجاشي وأصحابه الذين آمنوا بالله وحده وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ذلك القرب والمودة للمؤمنين بسبب أن من النصارى علماء وعبادًا يعرفون صفة النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم في الإنجيل، ولذلك لا يستكبرون عن الإيمان بالله وحده وبرسالة محمد عليه السلام وبالقرآن الكريم.

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ وإذا سمعوا قراءة القرآن من المهاجرين إلى الحبشة ترى يا محمد أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا أنه من الحق في الحال، يقولون: يا ربنا آمنا بما أنزلت لنبيك محمد عليه الصلاة والسلام فاكتبنا مع الشاهدين؛ لأن أمة محمد عليه الصلاة والسلام يشهدون على سائر الأمم يوم الإشهاد، والنبي ﷺ يزكي أمته أنهم صادقون في شهادتهم. وإذا قال لهم الذين لم يؤمنوا: لم تركتم دين آبائكم وآمنتم بالله؟ قالوا: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ وأيّ مانع يمنعنا عن الإيمان بالله وحده والإيمان بما جاءنا من الله على لسان رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ونحن نرجوا أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين في الجنة ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فجازاهم الله بما قالوا عن إيمانهم بالله وتصديقهم بالقرآن الكريم جنات تجري من تحت قصورهم فيها وأشجارها مياه الأنهار وهم خالدون فيها لا خروج لهم منها أبدًا، وذلك الثواب للمخلصين أعمالهم لله تعالى.

ثم يذكر سبحانه وتعالى صفة الأشقياء ومعادهم، وذلك سنة الله في كتابه العزيز: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ والذين كفروا بالله وجحدوا بآيات القرآن وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام أولئك أصحاب النار ولهم عذاب الجحيم، أي: شديدة الحرارة، يدخلون فيها ولا خلاص لهم منها.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ اجتمع رجال من أصحاب رسول الله في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم عشرة واتفقوا على أنهم يصومون الدهر، ويقومون الليل، ولا يقربون النساء، ولا يأكلون اللحم ولا الدسم، وبلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ فسألهم فقالوا: بلى يا رسول الله. فقال لهم: «لم أومر بذلك»، إذ لا رهبانية في الإسلام، ونزلت هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده لا تحرموا على أنفسكم لذيذات ما أحل الله لكم، ولا تتجاوزوا عن الحد المشروع لكم، واتبعوا سنّة نبيكم، ولا تخالفوها؛ إن الله لا يحب المعتدين عن الحد المشروع لعباده.

ثم أمرهم الله ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ كلوا أيها المؤمنون مما رزقكم الله من كسبكم حلالاً طيبًا، واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه الذي أنتم به مؤمنون، لا تخالفوا أمره. قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا

عليها؟ فأنزل الله ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ اليمين اللغو: يتكلم الإنسان به بغير نيّة، ولا يريد به عقد اليمين، كقول الناس: لا والله، فلا مؤاخذة عليه، ولكن يؤاخذكم الله بما وثقتم بالنية.

وإذا حنثتم ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فكفارة حنث اليمين إطعام عشرة مساكين من أعدل ما تطعمون أهليكم أو تكسونهم من أعدل الكسوة. وفي قوله تعالى: (من أوسط) يقدر أحوال الحانث إن كان غنيًا تجب الكفارة على قدر غناه وإن كان فقيرًا تجب عليه على قدر فقره. (أو تحرير رقبة)، أي: عتق رقبة مؤمنة ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ فمن لم يجد ذلك المذكور لكفارة يمينه فعليه صيام ثلاثة أيام، والواو للتخيير لا للترتيب ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حنثتم فيها. وإذا حلفتم أيها المؤمنون فاحفظوا أيمانكم ولا تكثروا منها، أو لا تحنثوا فيها، أو راعوها وانتبهوا لها حتى تؤدوا كفارتها إذا حنثتم فيها. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ وهكذا يبين الله لكم أحكام كفارة أيمانكم؛ لعلكم تشكرون الله تعالى لتسهيلها لكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ آخر ما نزلت في تحريم الخمر هذه الآية، نهى الله المؤمنين عن شرب الخمر، وهو كل ما خامر العقل وغيّر شعور الإنسان، ويدخل تحتها غير الخمر مثل الأفيون والحشيش والتنباك، قال عليه الصلاة والسلام: كل مسكر حرام. والميسر هو القمار، يلعب السفهاء فيأخذ أحدهم مال صاحبه إذا غلب عليه، فهو حرام. والأنصاب

هي الحجارة المنصوبة حول الكعبة، كان المشركون يذبحون عليها ويعتقدون أنها قربة إلى الله. والأزلام هي القداح، فإذا أرادوا السفر أو الزواج وغيرهما من الأمور كتب على واحد من القداح: أمر ربي، وعلى الثاني: نهى ربي، وترك الثالث غفلاً، فإذا خرج: أمر ربي، توجه على ما أراد، وإذا خرج: نهى ربي، أمسك نفسه ولم يخرج، وإذا خرج غفلٌ أعاد القداح، فهذه الأمور رجس من أعمال الشيطان فاجتنبوها أيها المسلمون ولا تقربوها لعلكم تفوزون بالجنة.

ثم ذكر علة النهي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ إنما يريد الشيطان بذلك أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شرب الخمر ولعب القمار، ويشغلكم عن ذكر الله وعن أوقات الصلاة، فهل أنتم تجتنبون وتتركون تلك الأعمال الخبيثة؟ قال النسفي: وهذا أبلغ النهي؛ لأن في قوله: (فهل) عتاب شديد للمسلمين.

ثم أمر الله المسلمين بالطاعة لأمره وأمر رسوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فيما أمركم به وما نهاكم عنه واحذروا مخالفة أمر الله ورسوله، فإن أعرضتم ولم تقبلوا أمره لا يضر إعراضكم عليه، فإنما على رسولنا إبلاغ أمري إليكم بالظاهر ما هو مكلف على بحث ضمائركم.

وعندما قال أصحاب رسول الله ﷺ: مات من أصحابنا بشرب الخمر؟! فأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

ليس على الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحات إثم فيما شربوا من الخمر قبل التحريم ما داموا اتقوا عن الشرك بالله وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى، ثم تحذروا عن المنهيات وازدادوا إيمانًا بالله ثم ازدادوا يقينًا بالله وأخلصوا أيمانهم وأعمالهم وأحسنوها لله تعالى، والله يحب المخلصين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده ليختبركم الله في حالة إحرامكم للحج أو العمرة بشيء من الصيد: إما تأخذونه بأيديكم (الصغار)، أو برماحكم (الكبار)، وذلك الاختبار ليميز الله منكم الخائفين من مخالفة أمر الله والطائعين لأمره بالغيب ممن لا يخاف ولا يبالي أمر الله، فمن اعتدا على الصيد وهو محرم بعد بلاغ الأمر فله عذاب أليم يوم القيامة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ ﴾ وأنتم محرمون لحج أو لعمرة ﴿ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ ﴾ ومن قتل الصيد وهو محرم لحج أو لعمرة متعمدًا فجزاؤه مثل ما قتل من النعم، وهو الإبل والبقر والغنم، يحكم بالجزاء ذوا عدل من المسلمين. هديًا بالغ الكعبة، أي: يهدى ويساق إلى الكعبة، ويذبح ويتصدق لحمه على مساكين الحرم أو يقوّم قيمته ويتصدق بالثمن على مساكين الحرم، أو كفارةً طعامُ مساكين، أو يشتري طعامًا بالثمن يتصدق لكل مسكين مدًّا، وذلك يجزء عن الهدي، أو عدل ذلك صيامًا أو لا يقدر على الثمن المقوم بقيمة الصيد المقتول، فعليه صيام لكل مرة يومًا، وذلك الجزاء ليذوق

وبال اعتدائه على الحيوانات البرية، ولكن ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ قبل النهي ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ لقتل الصيد وهو محرم ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ يوم القيامة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ والله غالب على أمره ذو انتقام ممن عصى أمره.

ثم رخص للمحرم صيد البحر ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ أحل لكم أيها المسلمون صيد البحر وأنتم محرمون لحج أو لعمرة وطعام البحر كالسمك وغيره الذي يحل أكله زاد لكم وللمسافرين وحرم عليكم صيد البر، أي: لا يحل لكم صيد البر وأنتم محرمون، واتقوا الله أيها المسلمون في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه، وإلى الله تحشرون يوم القيامة بأعمالكم وتحاسبون وتجازون عليها.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ جعل الله الكعبة المشرفة هي البيت الحرام قيامًا للناس، أي: يقوم الناس فيه آمنين لأداء نسك حجهم وعمرتهم، لا يحل اعتراض الناس لهم، ويقوم أهله في مواسم الحج في التجارة ويكتسبون لمعاشهم، وجعل الشهر الحرام أمنًا للحجاج والمعتمرين من النهب والقتل، وجعل الهدي والقلائد أمنًا لا يتعرض لها أحد. و (القلائد): جمع قلادة، هي ما يقلد للهدي إشعارًا أنها إلى الحرام، (ذلك) إشارة إلى ما ذكر، (لتعلموا) أيها المسلمون أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، أي: وجميع ما فيهن في علمه وهو عالم لمصالح دينكم ودنياكم. ثم أكّد وجود علمه في كل شيء، وأن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ثم حذر المسلمين عن مخالفة أمره ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ اعلموا أيها المسلمون أن الله شديد العقاب لمن عصا أمره، وأن الله غفور لمن تاب عن ذنوبه، واستقام في توبته، رحيم بعباده المؤمنين، يرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في دنياهم وأُخراهم.

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ ليس على الرسول إلاَّ إبلاغ أمري لعبادي، وقد بلّغ إليكم أمري، وألزم عليكم حجتي، والله يعلم ما تظهرون من أعمالكم وأقوالكم وما تضمرون.

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ قل لهم يا محمد لا يستوي المال الحلال والمال الحرام عند الله ولو أعجبكم أيها الناس كثرة المال الحرام بعد إبلاغ أمر ربي إليكم؛ لأن عاقبته سوء لصاحبه ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ فاتقوا الله من كسب المال الحرام يا أصحاب العقول السليمة عن الشوائب لعلكم تنجون من نار جهنم وتفوزون بالجنة.

ونبّه الله المسلمين أن لا يكثروا من السؤال عن رسول الله بغير ضرورة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون، لا تسألوا رسول الله عن كل شيء، إن ظهرت لكم مسألتكم بتغليظ تسوؤكم فتندموا عنها، وإن شئتم أن تسألوا عن مسألة تحتاجوا إلى سؤالها فاسألوا حين ينزل الوحي بأحكام القرآن، فتظهر لكم مسألتكم، عفا الله عما سألتم رسول الله قبل النهي، فلا تعودوا لأمثالها، والله غفور لمن تاب عن ذنوبه، حليم لا يعجل العقوبة ليتوبوا عن ذنوبهم.

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ قد سأل قومٌ أنبياءهم من قبلكم، فأعطاهم الله مسألتهم، ثم لم يقنعوا بها فأصبحوا بها كافرين، فانتقم الله منهم بالعقوبة العاجلة، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ كان في الجاهلية، إذا ولدت الناقة خمسة أبطن وآخرها أنثى بحروا أذنها، أي: شقوا أذنها وحرموها على النساء وأباحوا أكلها للرجال، يسمونها البحيرة، وكان الرجل يعهد: إن قدمتُ من سفر سالمًا أو شفيتُ من مرضي فناقتي سائبة، يحرمها فلا تحبس عن رعي ولا ماء ولا يعمل عليها أو يركبها أحد. وإذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكرًا فهو لآلهتهم وإذا ولدت ذكرًا وأنثى في بطن واحد قالوا وصلت أخاها وهي الوصيلة، وإذا انتجبت من صلب الفحل من الإبل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره وهو الحام، فلما جاء الإسلام أبطل الله تلك العادات الباطلة. ولكن الذين كفروا بالله يختلقون الكذب وينسبون إلى الله ما ليس منه، وأكثرهم لا يعقلون، قبح أعمالهم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ وإذا قيل لهم تعالوا إلى حكم ما أنزل في كتابه العزيز وإلى حكم رسول الله قالوا: كافينا ما وجدنا عليه آباءنا فرد الله عليهم منكرًا على عاداتهم الباطلة: (أولو كان أباؤهم لا يعلمون شيئًا) من أمور الدين (ولا يهتدون) إلى الرشد والهداية إلى الحق ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون ألزموا أنفسكم بالصلاح والاستقامة في دينكم، لا يضركم ضلالة من ضل عن دين الحق

إذا اهتديتم إلى ما أمركم به ربكم وعملتم به، فلا يؤاخذ أحد بذنب أحد، فاحفظوا أنفسكم عن المعاصي، أيها المؤمنون ولا تضيقوا على أنفسكم من ضلالتهم وعصيانهم بالله، فإلى الله مرجعكم جميعًا فيخبركم بما كنتم تعملون من خير أو شر فيحاسبكم ويجازيكم. وليس في هذه الآية دلالة على إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهما ماضيان إلى يوم الساعة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ يا أيها المؤمنون إن كنتم مسافرين إذا حضر أحدكم الموت في السفر إن أردتم الوصية لأهليكم فأشهدوا حين الوصية ذوا عدل من المسلمين، وإن لم يوجد أحد من المسلمين فأشهدوا رجلين آخرين من غير ملتكم ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ توقفوا شاهدين بعد صلاة العصر عند مجمع الناس فيحلفان بالله إن شككتم في شهادتهما قائلين حين يشهدان: لا نشتري به شيئًا، أي: لا نستبدل شيئًا من عرض الدنيا بعهد الله، ولو كان المشهود عليه ذا قرابة، ولا نكتم شهادة الله أبدًا، إن كتمنا الشهادة التي أوجب الله علينا أداءها بالصدق إنا إذًا لمن الآثمين، أي: لمن المحتملين الإثم.

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ فإن اطلع وعرف على أنهما خانا في شهادتهما واستحقا إثمًا فأشهدوا آخرين يقومان مقامهما في أداء الشهادة من الذين استحق عليهم الأوليان بأداء الشهادة، فيحلفان بالله قائلين لشهادتنا أحق وأصدق من

شهادتهما ولا تجاوزنا عن الحد المشهود وإن تجاوزنا أو كتمنا إنا إذًا لمن الظالمين على أنفسنا وما تجاوزنا أو فرطنا سابقًا ولا نفرط بالشهادة، فإن تجاوزنا أو كتمنا أو فرطنا إنا إذًا لمن الظالمين على أنفسنا بإيجاب العقوبة علينا ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ ذلك الحكم والتعليم في أداء الشهادة أقل شيء يأتوا به فيه الشهادة على الوجه المطلوب من الشاهدين ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أو يخاف الشهداء أن ترد أيمانهم أو أيمان غيرهم بعد أيمانهم فيفتضحوا في رد اليمين على المدَّعى عليه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ واتقوا الله أيها المسلمون في أداء الشهادة، واسمعوا ما حكم وبين لكم فأطيعوا أمر الله وأمر رسوله ﷺ، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ يوم القيامة يجمع الله الرسل والخلائق فيقول الله للرسل: ماذا أجابتكم أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان بـي في ذاتي وصفاتي؟ قالوا: لا علم لنا مثل علمك بذلك فيهم، وأنت يا ربنا علام الغيوب، لا يخفى عليك شيء من شأن خلقك.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ﴾ يقول الله تعالى لعيسى عليه السلام: اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك مريم حيث قويتك ونصرتك بروح القدس، هو جبريل عليه السلام، هو معه إلى أن رفعه الله إلى السماء، (تكلم الناس) وأنت طفل في المهد قبل أوان التكلم في براءة أمك، (وكهلاً)، أي: وأنت تكلم الناس في حالة كهولتك لتبلغ أمر ربك إليهم. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ﴾ حيث علمتك

الكتابة والحكمة، أي: الفهم في علم التوراة والإنجيل ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ﴾ حيث تصوّر من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيها فتكون طيرًا حيًا تطير كسائر الطيور بأمري. وتشفي الأعمى الذي لا دواء له بأمري، وتشفي الأبرص، ــ والبرص هو بياض يحدث في جلد الإنسان حتى يعم جميع البدن لا يُعرف دواء له ــ وحيث تخرج الموتى من قبورهم أحياء بأمري. وتلك المعجزات كلها أعطاها الله لعيسى عليه السلام حين بلغ علم الأطبّاء في علم الطب إلى ما بلغ، حتى صاروا يفتخرون بعلم الطب.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ اذكر يا عيسى حيث منعت اليهود عنك حين أرادوا قتلك بعد أن جئتهم بالمعجزات الباهرات، وعجزوا عن المقاومة عليك، فقال الذين كفروا، أي: جحدوا بالمعجزات: ما هذا الذي يصنع عيسى إلاّ سحر ظاهر. ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ وإذ ألهمت قلوب الحواريين: هم أول من آمن بعيسى عليه السلام، أن آمنوا بـي صادقين في أيمانكم وبرسولي عيسى الذي أرسلته إليكم. قالوا: آمنا بك وبرسولك واشهد بأننا منقادون لأمرك وأمر رسولك.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وقيل: هذا السؤال صدر من بعض الجهال، وقيل في ابتداء أمرهم لا تعنُّتًا، بل ليكونوا مطمئنين، فقال

عيسى عليه السلام: اتقوا الله في سؤالكم هذا إن كنتم مصدقين بعظمة قدرة الله. ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ قال الحواريون: نريد بإنزال المائدة من السماء أن نأكل منها تبركًا وتطمئن قلوبنا ونعلم أنك رسول الله يقينًا وأنك قد صدقتنا بما جئت بالرسالة من عند الله، ونكون عليها، أي: على المائدة من الشاهدين عيانًا فإذا جئنا بني إسرائيل نخبرهم بما عاينّا.

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ قال عيسى عليه السلام مجيبًا لسؤالهم: اللهم يا ربنا أنزل علينا مائدة من السماء: ـ هي خوان ـ فيها من أصناف الطعام من طعام الجنة، يكون لنا يوم إنزال المائدة عيدًا لأولنا وآخرنا، أي: نعظم ذلك اليوم نحن ومن بعدنا. (وآية)، أي: حجة دالة على عظمة قدرتك، (وارزقنا) بما أرادوا، ولا تحرمنا من سؤالنا، وأنت يا ربنا خير الرازقين، أي: خير من يعطي للسائل.

فأجاب الله دعاءه ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ قال الله تعالى: إني منزل المائدة عليكم لتأكلوا منها وتطمئن نفوسكم، ثم اشترط عليهم: فمن يكفر بنعمتي بعد استطعامه من طعام المائدة فإني أعذبه عذابًا في حياته الدنيا والآخرة لا أعذبه أحدًا من العالمين.

قال عليه الصلاة والسلام: أمرهم الله أن لا يدخروا للغد فادخروا ولم يطيعوا أمر الله، فمُسخوا قردة وخنازير، وقيل: كانت المائدة تنزل

يومًا ويومًا لا تنزل، ولهذا ادخروا لليوم الذي لا تنزل، ولم يصبروا، فأوجبوا على أنفسهم عقوبة الله.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾ قيل: هذا إخبار من الله أنه يسأل عيسى عليه الصلاة والسلام يوم الإشهاد أمام الخلائق: يا عيسى ابن مريم، هل أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلـٰهين من دون الله؟ وهذا الاستفهام للتوبيخ والتبكيت على النصارى الذين يزعمون أن الله ثالث ثلاثة، فأجاب عيسى عليه السلام: سبحانك، أي: تنزيهًا لك يا الله، أن أقول قولاً كهذا، إذ ليس لي به علم إلاَّ بالقول الذي يحق لجلالك وهو أنك الواحد الأحد.

ثم قال عيسى عليه السلام ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ إن كنت قلت ذلك القول فأنت تعلمه وما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك من العلوم، وأنت يا الله علام ما يغيب عن إدراك الخلق.

ثم قال معتذرًا ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ ما بلغت لهم إلاَّ ما أمرتني بإبلاغه إلى بني إسرائيل، أن اعبدوا الله، هو ربي وربكم، ولا تصرفوا عبادته لغيره، فإنه شرك بالله ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ وكنتُ على أعمالهم شاهدًا ما دمتُ بين أظهرهم، فلما استوفيتَ مكثي فيهم، ورفعتني إلى السماء فإنك أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا يخفى عليك شيء من أحوال خلقك.

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ إن أردت أن تعذبهم فإنهم عبيدك لا يقدرون على دفع شيء من عذابك ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) ﴾ وإن أردت أن تغفر لهم وفقت لهم توبة صادقة عن كفرهم وعصيانهم على أمرك وغفرت لهم، إنك أنت الغالب فيما أردت، الحكيم فيما حكمت.

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ قال الله: هذا اليوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة. ثم وعد ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) ﴾ لهم جنات تجري مياه الأنهار من أمام غرفهم وتحت أشجار جناتهم، مقيمين فيها أبدًا، رضي الله عنهم ورضوا عنه بما أثابهم في الجنة، (ذلك)؛ إشارة إلى ما ذكر من ثواب الآخرة، لهم الفوز العظيم.

ثم ختم السورة بالرد على النصارى لقولهم إن الله ثالث ثلاثة ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠) ﴾ لله ملك السموات والأرض وجميع ما فيهن خلقًا وملكًا وعبيدًا، يصرفهم كيف يشاء، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، لا يعجزه إيجاد الأشياء وإفناؤها، والمسيح وأمه من جملة خلقه، فكيف يكونان إلـٰهين؟! وهذا أبلغ تبكيت على النصارى.

الحمد لله، تمَّت سورة المائدة بعون الله.

* * *

سـورة الأنعـام

آياتها مئة وخمس وستون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ الله سبحانه بدأ هذه السورة بالحمد لنفسه تعليمًا لعباده المؤمنين. ومعنى الحمد لله سبق تفسيرها في سورة الفاتحة.

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجميع ما فيهن من الخلائق، (وجعل الظلمات والنور): وخلق الظلمات والنور، اختلفت أقوال المفسرين في الظلمات والنور. والمراد من الظلمات ظلمة الليل وظلمة الكفر والضلالة وظلمة الجهل، والنور هو نور الإيمان والعلم وضوء النهار، والله أعلم بما هو الصواب. وإفراد النور لإرادة الجنس. ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ بعد هذا البيان فإن الذين كفروا بربهم يشركون في عبادتهم لغير الله أو في ألوهيته أو في ربوبيته أو جميعًا فيجعلون لله عدلاً وشريكًا، وهو الذي خلق هذه الأشياء وحده، العدل هو المساواة بين شيئين.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ﴾ هو الله الذي خلق أباكم آدم من طين

وبثكم منه رجالاً ونساءً ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ ثم حكم لكم أجلاً في حياتكم الدنيا تعيشون فيها إلى انتهاء آجالكم وكل واحد يموت في تمام أجله، (وأجل مسمى) عند الله للبعث من القبور والحشر للحساب والجزاء، وبعد ذلك البيان أنتم تشكُّون في قدرة خالقكم؟! وهذا رد على المنكرين للبعث.

ثم يذكر سبحانه ألوهيته وسعة علمه في السموات والأرض ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ وهو الله في السموات إلـه، وفي الأرضين إلـه، هو إلـه واحد لا غيره، وغيره باطل، يعلم ما تضمرون في أنفسكم وما تظهرون من أقوال أو أعمال، ويعلم أيّ شيء تعملون في الحال أو من بعد.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ وما تأتي كفار مكة من آية من آيات القرآن فيها إرشاد إلى توحيد الله في ألوهيته وربوبيته، وإنذار عن الشرك وأعماله، إلاَّ كانوا عنها معرضين ولم يلتفتوا إليها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ فقد كذبوا بالقرآن لما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام به، ولم يؤمنوا به، واستهزؤوا به، فسوف يأتيهم أخبار استهزائهم ونتيجته حين يحاسبون ويجازون بعذاب سرمدي.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ في هـذه الآيـة تعريض وتهديد لمشركي مكة: ألـم ينظر

هؤلاء خلال أسفارهم إلى الشام وإلى اليمن أثار أقوام مدمّرين في العذاب العاجل، كم من الأقوام أهلكناهم بكفرهم بأنبياءهم وعصيانهم ولقد مكناهم في الأرض بسعة الأموال والقصور ما لم نعطكم وأرسلنا عليهم المطر من السماء متتابعًا وجعلنا الأنهار تجري من تحت أشجار بساتينهم وجناتهم وأمام قصورهم، ما نفعتهم أموالهم وقصورهم من العذاب بسبب كفرهم، وأنشأنا من بعد إهلاكهم قومًا آخرين مكانهم.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ ولو نزلنا عليك يا محمد كتابًا مكتوبًا في قرطاس فعاينوه ومسّوه بأيديهم؛ لأن المس باليد أوقع للعلم من المعاينة، لقال الذين كفروا عند رؤية الكتاب: ما هذا إلاّ سحر ظاهر، قالوه تعنُّتًا وجحدًا.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ وقالوا: هلا أنزل على محمد ملك يشهد أن محمدًا نبي من عند الله؟ فأجاب الله لاقتراحهم: ولو أنزلنا ملكًا لقضي أمر العذاب عليهم إن لم يؤمنوا، ثم لا يمهلون عن وقوع العذاب عليهم.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ولو أرسلنا إليهم ملكًا لأرسلناه على صورة رجل؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن ينظر إلى ملك؛ لأنه نور كما لا يستطيع النظر إلى الشمس في الظهيرة. (وللبسنا)، أي: لألقينا عليهم الشبهة والشك بما يشكونه.

ثم يسلي رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ ولقد استهزؤوا أقوام ضالون برسلهم من قبلك يا محمد فحاق أمر العذاب العاجل على

الذين سخروا من أنبيائهم، بسبب ما كانوا به يستهزؤون. وفي الآية ترهيب وتهديد للمستهزئين برسول الله.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: سيروا في الأرض فانظروا آثار الأمم المستهزئين بأنبيائهم كيف فعلنا بهم واعتبروا، وذلك العذاب كان عاقبة المكذبين أنبياءهم.

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين: لمن الكائنات خلقًا وملكًا وعبيدًا وتصرُّفًا؟ وإذ لم يجيبوك، ولن يستطيعوا فقل لهم: ﴿ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قل لهم يا محمد: هي كلها لله، هو خالقها ومالكها، كيف يشاء يصرِّفها، أوجب على نفسه الرحمة، ويرحم خلقه كله. ثم قرر إليهم: (ليجمعنكم) أولكم وآخركم، إلى يوم القيامة للحساب والجزاء، لا شك في وقوعه، ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الذين غبنوا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فهم لا يؤمنون بيوم القيامة وهم غافلون عنها لما سبق من القضاء.

﴿ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ ولله ما استقر في الليل وما تحرك في النهار، والمراد: جميع ما في الأرض إن كان برِّيًا أو بحريًا خَلْقُ الله، وهو سبحانه وتعالى السميع لأقوالهم وأصواتهم، العليم بأحوالهم.

ولما دعا المشركون رسول الله إلى دين آبائه أنزل الله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ الاستفهام للإنكار، قل لهم يا محمد: أتريدون أن أتخذ غير الله ربًّا ومعبودًا؟ لا أتخذ غيره معبودًا ولا

ناصرًا لمشكلاتي، هو سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض وما فيهن، وهو يرزق جميع ما فيهن من الحيوانات ولا يُرْزَقْ، فهو غني عن خلقه.

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إني أمرت أن أكون أول من أسلم، أي: أنقاد لأمر ربي، وقال لي: لا تكونن من المشركين.

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إن عصيت ربي أخاف عذاب يوم القيامة ﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ فمن يُمْنَعُ عنه عذاب يوم القيامة فقد رحمه المصرِّف وهو الله، صرف عنه عذابه برحمته له، وذلك التصريف عن العذاب هو الفوز الظاهر والنجاة من النار.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ يخاطب الله نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: وإن أصابك الله بضر، أي: مرض أو فقر أو غير ذلك من البليّة، فلا كاشف عنك تلك البلية إلاَّ هو، وإن أصابك الله بخير، أي: عافية في بدنك وسعة في رزقك وأمنًا من أعدائك فلا راد لفضله، وهو على كل شيء قدير.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ وهو سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده، الغالب على خلقه، وهم خاضعون لأمره؛ وهو الحكيم في تدبير أمر خلقه، الخبير بما يعملون.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ ﴾ قل لهم يا محمد: أيّ شيء أكبر وأعظم شهادة، أي: أصدق شهادة لصدق رسالتي إليكم من الله؟ فإن لم يجيبوك ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ قل لهم

يا محمد: الله شاهد بيني وبينكم إن كذبتموني ولم تؤمنوا برسالتي، وأنزل الله إليّ هذا القرآن بالوحي لأنذركم يا أهل مكة من عذاب الله بزواجره، (وَمَنْ بَلَغَ) أمر رسالتي إليه إلى قيام الساعة؛ لأن رسالته عليه الصلاة والسلام إلى كافة الثقلين إلى يوم النفخة الأولى، وبها تنتهي الدنيا.

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ استفهام للتهديد والإنكار والتوبيخ والتقريع، أي: إنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى، قل لهم: لا أشهد، أي: فإن شهدتم فإني لا أشهد معكم ولا أصادق على شهادتكم؛ لأن شهادتكم على هذا باطلة، وقل لهم: إنما هو إلـه واحد في ذاته وصفاته، لا شريك له في ألوهيته وربوبيته، هو المعبود الحق، وإنني بريء مما تشركون من أصناف معبودكم.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ والمراد من (الذين آتيناهم الكتاب): اليهود والنصارى، آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون أن محمدًا رسول الله أرسله إلى كافة الثقلين، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين من صلبهم، ولما جاء محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة وهو من العرب، حسدوا وجحدوا رسالته، لأنهم كانوا يريدون أن يكون منهم، فهؤلاء هم الذين غبنوا أنفسهم؛ فهم لا يؤمنون برسالة محمد وبالقرآن الكريم في علم الله.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾،

أي: لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب أو كذب بالقرآن الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام. إن المفتري على الله الكذب والمكذب بآيات القرآن لا ينجون من عذاب الله، وهم ظالمون أنفسهم.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ويوم القيامة نحشرهم وجميع الناس للحساب والجزاء ثم نقول للذين أشركوا بالله توبيخًا وتهديدًا عليهم: أين شركاءكم، أي: آلهتكم الذين كنتم في حياتكم الدنيا تزعمون أنها تشفع لكم عند ربكم، أو المعنى أين آلهتكم التي تعبدونها.

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ثم لم تكن محبتهم للأصنام إلاَّ أن تبرَّؤوا منها حين شاهدوا المغفرة والرحمة للمؤمنين فقالوا: والله ربنا ما كنا من المشركين.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ وهذا إخبار من الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام عن أحوال المشركين يوم القيامة: انظر يا محمد وتأمل بما نخبرك كيف كذبوا، أي: جحدوا على ما تَصَنَّعوا أنفسهم من عبادة الأصنام وغاب عنهم بعد فصل الحكم الذي كانوا يختلقونه على الله كذبًا.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ ﴾ ومن المشركين من يستمع تلاوتك يا محمد، وجعلنا على قلوبهم أغطية حتى لا يفقهوا معاني القرآن، وفي آذانهم ثقلاً وصمًا.

﴿ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ ﴾ وإن ير هؤلاء المشركون كل معجزة ظهرت منك يا محمد لا يصدقوا بها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ حتى إذا جاؤوك ليجادلوك يا محمد عن القرآن

يقول الذين كفروا بالقرآن: ما هذا، يشيرون إلى القرآن، إلاَّ أساطير السابقين، جمع أسطورة، أي: كتابة الماضين.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وكفار مكة ينهون الناس عن استماع تلاوة القرآن وعن الإيمان برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويبعدونهم عن محمد وأتباعه، مانعين لهم، فهم لا يهلكون إلاَّ أنفسهم، وما يشعرون بهلاكهم في الضلالة، وسوف يشعرون به حين يروا عقاب الله.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ولو ترى يا محمد الكفار حين وقفوا على باب جهنم فقالوا: يا حسرتنا ليتنا نُرَدُّ إلى الدنيا فنعمل عملاً صالحًا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين.

وردَّ الله عليهم ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (بل): للإضراب عن الوفاء بما تمنوا وادعائهم الإيمان لو ردّوا، أي: بل ظهر لهم الذي كانوا يخفونه من الناس في الدنيا من قبائح أعمالهم وكفرهم، خائفين من الفضيحة حين ظهرت لهم أعمالهم وكفرهم بالله في صحيفتهم فتمنوا الرجوع إلى الدنيا. قال تعالى ردًّا على أمنيتهم: ولو ردوا إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون في قولهم: نُرَدُّ ولا نكذب بآيات ربنا.

ثم يخبر سبحانه وتعالى عن إنكار المنكرين للبعث ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وقال المنكرون للبعث يوم القيامة للحساب والجزاء: ما هي الحياة بعد الموت إلاَّ حياتنا الدنيا. ثم أكّدوا مقالتهم الباطلة فقالوا: وما نحن بمبعوثين من قبورنا.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ ولو ترى يا محمد أحوال الكفار حين حُبِسُوا عند الملائكة أو وقفوا على ما يكون من أمر الله فيهم للحساب والجزاء فقال الله تقريعًا ومعاتبًا لهم: أليس هذا الذي شاهدتموه بالحق؟ قالوا: بلى، وأنت ربُّنا. قال تعالى: فذوقوا عذاب جهنم بسبب ما كنتم تكسبونه من الكفر والمعاصي.

ثم يخبر سبحانه وتعالى عن أحوال المكذبين بلقاء الله: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ قد خسر المكذبون بلقاء الله يوم القيامة، فإذا جاءهم قيام الساعة فجأة قالوا: يا حسرتنا على ما قصرنا وتركنا من الأعمال التي أمرنا الله بها في حياتنا الدنيا. ثم قال تعالى: وهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم. (ألا) للتنبيه، بئس الذي يحملونه من أثقال الذنوب.

ثم قال تعالى مزهدًا عن الدنيا ومرغبًا للآخرة: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ليس في الحياة الدنيا إلَّا لعب ولهو لأهل الدنيا، وللدار الآخرة خير للذين يتقون الله في مخالفة أمره، أفلا تعقلون ما ذكرنا لكم أيها المسلمون؟ بلى فهمنا يا ربنا.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ قد علمنا أن كلام المشركين فيك ليحزنك يا محمد؛ يقولون فيك: إنك ساحر، وكاهن، وشاعر مجنون، فإنهم لا يكذبونك فيما أخبرت لهم، إنك لصادق عندهم، قد عرفوا صدقك وأمانتك، ولكن الظالمين منهم بآيات الله يجحدون بعد علمهم أنها حق من الله.

ثم يسلي نبيه ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ولقد كُذِّبت رسل من قبلك يا محمد فصبروا على ما نالوا من قومهم من التكذيب والاستهزاء، وأوذوا إلى أن أتى نصرنا للرسل على قومهم الطاغين، فأنت أيضًا يا محمد اصبر على أذى قومك إذ لا مبدل لكلمات الله، أي: لوعد الله، فإنه إذا وعد أنجز، ولقد جاءك يا محمد من أخبار المرسلين ما يواسيك فلا تحزن على أذى قومك.

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ ﴾ وإن كان عظم عليك يا محمد إعراض قومك عن الدخول في الإسلام، فإن قدرت أن تبتغي نفقًا، أي: سربًا في جوف الأرض أو سلمًا إلى السماء تصعد إليها فتأتيهم بآية ليصدقونك بها فلن يصدقونك. وفي الآية دليل على قطع الطمع عن إيمان من لم يؤمنوا من قريش. ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ فلا تكونن من الذين يجهلون على قدر الله ومشيئته.

﴿ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ إنما يستجيب لدعائك الذين يستمعون لتذكيرك لهم من آيات القرآن سماع إصغاء وتفهُّم وإرادة للحق، وهم المؤمنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به ويعملون. أما الذين قلوبهم ميتة فلا يستمعون لتذكيرك، ولا يدخل في قلوبهم خير، ثم يرجعون إلى الله بكفرهم وأعمالهم الفاسدة ويجازون بالعذاب.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ وقال كفار مكة: هلا نُزِّل على محمد معجزةٌ من

ربه فنصدقه، يعنون بها: كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم الصلاة والسلام. قل لهم يا محمد: إن الله قادر أن ينزل آية تدل على صدق رسالتي من الله إليكم. ولكن أكثرهم لا يعلمون عاقبة إنزال آية إن لم يصدقوها ولم يؤمنوا برسالتك، فإن عاقبتها العذاب المعجل عليهم.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾ (وما من دابة): وهو كل ما يمشي برجليه كالإنسان، أو بأربعة أرجل كالبهائم حتى النملة، (ولا طائر يطير بجناحيه) في جوّ السماء، إلاَّ أمم مخلوقة أمثالكم. يا بني آدم: ما تركنا في القرآن مما تحتاجون إليه من أمور دينكم ودنياكم شيئًا إلا وذكرناه ثم يوم القيامة يحشر الخلق للحساب والجزاء حتى البهائم يقتص بعضها من بعض. وفي الآية دليل على كمال قدرة الله في إيجاد الخلائق وعدله بينهم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾ والذين كذبوا بآيات القرآن حين قُرئت عليهم أو أنزلت لهم ولم يؤمنوا بها، فهم صمٌّ عن سماعها وبكم عن التكلم بالإيمان بها وهم في ظلمات الكفر والشرك والعناد، لا يهتدون إلى الرشد والهداية إلى دين الإسلام، وهم حائرون وغافلون في كفرهم. ثم يذكر سبحانه وتعالى مشيئته في ذلك: من يشأ الله ضلالته في الدنيا يضلله عن الحق إلى الكفر والضلال، ومن يشأ هدايته إلى الإيمان يجعله على صراط مستقيم إلى رضوانه لا زيغ ولا عوج فيها، وذلك تفضل من الله للمؤمنين.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: أخبروني، إن أتاكم عذاب الله كما أتى على قوم ضالين عن طاعة الله وطاعة أنبيائهم. أو أتتكم الساعة القيامة بغتة، أغير الله تدعون لكف العذاب والدهش في هذا اليوم؟ فأجيبوا سؤالي إن كنتم صادقين في دعواكم، أن أصنامكم تنفعكم.

فجاء الجواب من الله: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ قال تعالى: بل تدعون الله عند نزول العذاب عليكم، فيكشف عنكم الضر الذي دعوتم الله ليكشفه عنكم، فيكشفه إن شاء، وتتركون أصنامكم التي تعبدونها وقت قضاء حاجاتكم.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ولقد أرسلنا رسلاً إلى أمم: جمع أمة، من قبلك يا محمد، فكذبوا رسلهم ولم يؤمنوا برسلهم، فعاقبناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون إلى الله لكف الضر والبؤس عنهم.

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال تعالى: هلا حيث جاءهم بأسنا تضرعوا، فكان تضرعهم أحسن لهم؟ ولكن لم يتضرعوا إلى الله، إذ قست قلوبهم فامتنعوا عن التضرع متكبرين على الله، وزين لهم الشيطان الذي كانوا يعملون من عبادة غير الله.

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ فلما تركوا ما ذكروا ووعظوا به فتحنا عليهم أبواب كل الخير، حتى إذا فرحوا وبطروا بما أوتوا من أصناف

النعم، ولم يشكروا الله بها أخذناهم بالعذاب فجأة، فإذا هم آيسون ومنقطعون من كل خير في الدنيا والآخرة ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ قطع دابر القوم الذين ظلموا على أنفسهم بالكفر والمعاصي، أي: استؤصلوا وقطع آخرهم واجتث أصلهم بالعذاب المستأصل عليهم فلم يبق منهم أحد، والحمد لله رب العالمين وهذا تعليم من الله للرسل والمؤمنين فليحمدوا الله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أخذ الله سمعكم وجعلكم صمًّا لا تسمعون الخطاب الموجه لكم، وأَخَذَ أبصاركم فجعلكم عميًا لا تبصرون شيئًا، وختم على قلوبكم فلا تفهمون ولا تعقلون شيئًا، من إلـه غير الله يأتيكم بما أخذ منكم؟ انظر يا محمد كيف نبين ونوضح الآيات، ثم هم يعرضون عنها ولا يؤمنون بها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أتاكم عذاب الله فجأة وأنتم غافلون عنه أو جهرة، أي: عيانًا وأنتم تنظرون إليه، ولا تقدرون أن تهربوا منه، وهو نازل عليكم، فهل من رادٍّ له؟ فإنه لا يهلك في العذاب إلاّ القوم الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وما نرسل رسلاً إلى الأمم إلاّ مبشرين بالجنة لمن آمن بالله وبرسله، منذرين من عقاب الله لمن كفر بالله وبرسله. فمن آمن بالله

وبرسله واستقام في إيمانه وأصلح أعماله لله فلا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم يحزنون بما فاتهم في الدنيا من أولاد وأهل ومال. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ والذين كذبوا بآياتنا ولم يؤمنوا بها حين بلغ رسلهم إليهم يصيبهم العذاب بسبب ما كانوا يكفرون بآيات الله ويخرجون عن طاعة الله وطاعة رسله.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ قل لهؤلاء المشركين: لا أقول لكم عندي خزائن الله أصرفها لكم بغير إذن الله، إنما المصرف هو الله، ولا أقول لكم إني أعلم علم الغيب؛ إن علم الغيب يخص الله تعالى، ولا أقول لكم إني ملك وأنا بشر آكل وأشرب، والملائكة لا تأكل ولا تشرب، إذ لا أتبع إلاَّ ما يوحى إليّ إبلاغه لكم، قل لهم: هل يستوي الأعمى والبصير، أفلا تتفكرون؟ الاستفهام للتعجب والتقريع عليهم. والجواب: لا يستويان.

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾، أي: خوّف يا محمد بزواجر القرآن ومواعظه المؤمنين الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة للحساب والجزاء على أعمالهم ليس لهم هناك من دون الله ناصر ولا شفيع يمنعهم من عذاب الله، (أفلا يتقون)، أي: أفلا يتحذرون من عذاب الله بطاعة ربهم والاستقامة فيها.

وقال المشركون لرسول الله: لو طردت عن مجلسك، هؤلاء الضعفاء لجلسنا بمجلسك، فأراد رسول الله ﷺ ذلك فأنزل الله ﴿ وَلَا تَطْرُدِ

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ولا تبعد يا محمد عن مجلسك الذين يعبدون ربهم بالغداة والعشي دائمين في عبادة الله يريدون بتلك الطاعات وجه الله لا يريدون غيره، ما عليك يا محمد من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء، فَلِمَ تطردهم من مجلسك؟ إن طردتهم من مجلسك تكون من الظالمين الذين أرادوا إبعاد ضعفاء المسلمين عن مجلسك فاصبر نفسك مع الضعفاء.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ كمثل ذلك الابتلاء ابتلينا بعض الأغنياء ببعض الفقراء ليقول الأغنياء متسائلين ومنكرين لتفضيل الله للفقراء المسلمين ومَنِّهِ عليهم بالطاعات لأمره ودوام أحوالهم في العبادات له سبحانه، فقال الله توبيخًا وردًّا عليهم: أليس الله أعلم بالشاكرين الذين يخلصون أعمالهم له سبحانه؟

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ قيل نزلت في ضعفاء المسلمين. وإذا جاءك يا محمد الذين يوقنون بآياتنا ولا يشكون فيها فابدأ لهم بالسلام، وبعد ذلك كان عليه الصلاة والسلام يبدأ عليهم بالسلام؛ جعل الله على نفسه الرحمة ليرحم عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ﴿أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾﴾ (أنه) للشأن، (من عمل) عملاً سوءًا بجهالة وغفلة ثم ندم وتاب إلى الله من بعد وقوعه في المعصية وأصلح أعماله للقبول عند الله فإن الله غفور لذنوب التائبين عن ذنوبهم رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ وكذا فصلنا لك يا محمد في هذه السورة الآيات الدالة على وحدانيتنا في ألوهيتنا وربوبيتنا وإبطال دعوى المشركين؛ لتظهر لك طريق المجرمين الكافرين بربهم حتى تعلمها.

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إني نهيت أن أعبد أصنامكم التي تزعمونها آلهة وأنتم تعبدونها من دون الله.

﴿ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لا أتبع أهواءكم؛ إن اتبعت أهواءكم قد ضللت عن طريق الرشد والهداية إذًا، وما أنا من المهتدين إلى دين الله.

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: إني على حجة واضحة من ربي وهي القرآن؛ إن الحكم إلا لله، وقد كذبكم به لما جئتكم به. وليس عندي الذي تستعجلون إنزاله عليكم وهو العذاب. ما الحكم بإنزال العذاب إلاَّ لله يقص الحق، أي: يخبر الحق ويقضي بيني وبينكم، وهو خير الفاصلين بين المختلفين بالحكم العدل.

﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المعاندين عليك: لو كان عندي العذاب الذي تستعجلونه بإنزاله عليكم لأنزلته عليكم، ولقضي الأمر بيني وبينكم، ولاسترحت منكم؛ ولكن ما عندي حكم إنزال العذاب، والله أعلم بالظالمين على أنفسهم بالشرك والمعاصي والعناد لرسوله.

﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ اختلفت الروايات في معنى مفاتيح الغيب، والخلاصة عن ابن عباس أنها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والآجال والأرزاق للمخلوقات. وقال رسول الله ﷺ: خمس لا يعلمهن إلاَّ الله، وقرأ الآية: (إن الله عنده علم الساعة) إلى آخرها ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ أولاً ذكر إجمالاً ثم شرع للبيان: ويعلم جميع ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة من الأشجار إلاَّ يعلم عددها ولا حبة في بطن الأرض ولا رطب ولا يابس من الأشجار والعشب إلاَّ في اللوح المحفوظ مكتوب من علم الله.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ وهو الله الذي يتوفاكم أيها الإنسان، أي: بقبض أرواحكم بالنوم في الليل ثم يوقظكم من نومكم في النهار ويعلم ما كسبتم في النهار، وذلك النوم والبعث من النوم في النهار للاكتساب لمعاشكم ليقضي أجل مسمى إلى تمام حياتكم، ثم بعد الموت إلى الله مرجعكم، ثم يخبركم بما كنتم تعملون من خير أو شر.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ وهو الله القاهر فوق عباده يحكم عليهم ما يشاء بحكمة، ويرسل إليكم أيها الناس الملائكة تحفظ أعمالكم بالكتابة في ديوان الأعمال، وذلك حتى الموت، فإذا جاء أحدكم وقت الموت توفته، أي: قبضت روحه رسلنا وهم لا يفرطون عن وقت مسمى له.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ ثم يوم القيامة يحشرون جميع الناس إلى الله للحساب والحكم والجزاء، هو سبحانه وتعالى مولاهم الحق لا مولى غيره يوم القيامة، ألا للتنبيه، (الحكم) له يوم القيامة، والخلق كلهم محكوم تحت حكمه، وهو أسرع الحاسبين: لا يعطله حساب الخلائق.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قل لهم يا محمد من ينجيكم من ظلمات البر إذا ضللتم عن الطريق وتحيرتم وأظلمت عليكم الطرق وكذا ظلمات البحر إذا عكست الريح والسفينة تجري على غير مقصودكم وأنتم متحيرون، فعندئذ تدعون الله متضرعين إليه خفية وجهرة قائلين: لئن أنجيتنا يا ربنا من هذه الظلمات لنكونن من الشاكرين لك.

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: الله ينجيكم من هذه الشدائد ومن كل كرب وحزن وغم، أبعد تخلصكم منها وأنتم تشركون بالله.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المعاندين لك ولأهل الإسلام: هو الله القادر على أن يرسل عليكم عذابًا لإهلاككم من فوقكم، أي: من السماء، كما أنزل الله العذاب إلى قوم نوح بالطوفان، وقوم صالح بالصيحة، وقوم لوط بالحجارة، أو من تحت أرجلكم بالخسف والزلزلة كما فعل بقوم شعيب وقارون، أو يخلطكم ويفرقكم شيعًا تقاتلوا بعضكم بعضًا، وذلك ليذيق بعضكم بأس بعض، وذلك الاختلاف والمقاتلة بينهم بسبب مخالفتهم

أمر الله، وذلك لا يزال في أمة محمد عليه الصلاة والسلام. انظر يا محمد كيف نبين ونوضح الآيات الدالة على كمال قدرة الله لعلهم يفقهون وينزجرون عن إشراكهم بالله الذي خلقهم من العدم.

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾ وكذب قومك بالقرآن إذ جئتهم به وهو الحق من عند الله قل لهم يا محمد لست عليكم بحفيظ على أعمالكم إنما أنا مبشر ومنذر ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ لكل خبر من أخبار الله وقت يقع فيه لا خلاف في وعده وإخباره، فسوف تعلمون صحة إخباره تعالى بما شاهدتموه في الدنيا أو حين تشاهدونه في الآخرة.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾ وإذا رأيت يا محمد المشركين يخوضون، أي: يستهزئون في القرآن فأعرض عنهم ولا تجلس في مجلسهم حتى يخوضوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن، حتى يشرعوا في حديث غير القرآن. والخوض في اللغة: عبور الماء.

﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ إن أنساك الشيطان النهي، ثم تذكرت، فقم عنهم فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، الذين أوجبوا العقاب على أنفسهم بكفرهم واستهزائهم بكتاب الله.

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ وما على المؤمنين الذين يتقون الله في كتابه من حساب المستهزئين في كتاب الله من شيء، فحساب استهزائهم عليهم، ولكن

يجب على المؤمنين التذكرة والموعظة الحسنة على المستهزئين لعلهم ينزجرون عن الاستهزاء ويخافون الله.

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ اترك يا محمد المشركين الذين اتخذوا دين الإسلام لعبًا ولهوًا إنهم مأمورون بالإيمان به والانقياد لما أمروا به، ولكن غرتهم الحياة الدنيا في حبها فأعرضوا عن الإيمان بالله والاستسلام بما أمروا به، فذكِّرْهم بمواعظ القرآن وزواجره قبل أن تبسل نفس بما كسبت، أي: تحبس نفس في جهنم بسبب ما كسبت من أعمال الكفر والمعاصي ليس لها يوم القيامة من دون الله ناصر ولا شفيع يخلصهم من عذاب جهنم.

﴿ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ وإن تَفْدِ هذه النفس الخاطئة بشركها بالله والمعاصي كل فداء لا يؤخذ منها، فأولئك المشركون أبلسوا، أي: حبسوا في جهنم لا خلاص لهم منها بسبب ما كسبوا في حياتهم الدنيا، لهم شراب من ماء حميم يقطِّع أمعاءهم إذا شربوه وعذاب مؤلم بسبب ما كانوا يكفرون بعذاب الله حين أُنذروا.

وقال المشركون: ارجع يا محمد إلى دين آبائك فأنزل الله ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ قل لهم يا محمد: أنعبد من دون عبادة الله الأصنام التي لا تنفعنا ولا تضرنا فإنهم جمادات، ونرجع على أعقابنا إلى الضلالة بعد إذ هدانا الله إلى الإيمان به وبالانقياد إلى أوامر دين الإسلام؟

ثم ضرب الله مثلاً للذي يرتد: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ

حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾، أي: مثل إنسان أخذته الغيلان ألقته في أرض هوية صحراء لا يدري إلى أين يذهب وهو حيران، له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا إلى الطريق المستقيم، وهو لا يستطيع أن يجيبهم من الحيرة في الصحراء، وهذا مثل لمن ضل عن طريق الهداية إلى الضلالة ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ قل لهم يا محمد: إن الهداية الحق هداية الله، وغيرها ضلالة، وأمرنا لنسلم وجهنا وكليتنا لرب العالمين استسلامًا تامًا.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ وأمرنا بإقامة الصلوات المكتوبة على أوقاتها، وبالتقوى في مخالفة ما أمرنا به وما نهانا عنه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ وهو الله الذي إليه تحشرون يوم القيامة للحساب والجزاء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ وهو سبحانه خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن من الموجودات بالحق لا بالعبث، وإذا أراد إيجاد شيء يقول: كن كذا، فيكون في الحال كما أمر ربه.

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ قوله سبحانه وتعالى حق في أمره كن للموجودات، وله يختص ملك كل شيء، يوم ينفخ في الصور، وهو القرن، ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام. فيفنى جميع الأحياء، والنفخة الثانية للبعث للحساب والجزاء وفصل الحكم بين الظالم والمظلوم حتى بين الحيوانات، وبعد الحكم فريق إلى الجنة وفريق إلى النار، والله هو عالم الغيب والشهادة، لا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الحكيم في إيجاد الخلائق الخبير في أحوالهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ اذكر يا محمد لقومك حيث قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصنامًا آلهة تعبدونها؟ إني أراك وقومك في ضلال ظاهر لا شبهة فيه. وهذه الآية تعريض بكفار مكة في دعواهم، إنهم على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ومثل ذلك الإبصار لإبراهيم من بطلان عبادة قومه الأصنام نريه ملكوت السموات والأرض، الملكوت جمع ملك، زيدت التاء والواو للمبالغة، وهو ما يغيب عن نظر البشر. وليكون من الموقنين فلا يشك فيما أخبرناه من أخبار المغيبات.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ فلما أظلم الليل وستر كل شيء بظلمته رأى كوكبًا مضيئًا، قال: هذا ربي، فلما غاب بنور الصبح قال: لا أحب الغائبين المتغيرين من حال إلى حال أخرى؛ هذه ليست من صفة الرب الحق.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ فلما رأى إبراهيم عليه السلام القمر طالعًا منيرًا قال: هذا ربي، فلما غاب بضوء النهار قال: لئن لم يهدني ربي إلى دينه الحق لأكونن من القوم الضالين، أي: التائهين في الخطأ.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ فلما رأى إبراهيم عليه السلام الشمس طالعة ذات ضوء وأكبر من القمر قال: هذا ربي، هذا أكبر. فلما غابت وسقطت عن منزلها قال: يا قوم إني بريء مما تشركون، أي: مما تعبدونه.

ثم قال لقومه ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ إني صرفت وجهي في عبادتي وفي كل شيء للذي خلق السموات والأرض حنيفًا، أي: مائلاً ومتبرئًا عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، وما أنا من المشركين. ثم عيّب على قومه بعبادتهم للأصنام واستهزأ عليهم.

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ ﴾ وجادله قومه بالاحتجاج عليه في ذلك، قال إبراهيم عليه السلام منكرًا على مجادلة قومه عليه: أتحاجونني في دين الله وقد هداني الله إلى دينه الحق ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ وقال إبراهيم عليه السلام: ولا أخاف من أصنامكم التي تعبدونها من دون عبادة الله، فهي لا تنفعني ولا تضرني، إلاَّ أن يشاء ربِّي بي شيئًا يصيبني، وسع ربي كل شيء علمًا، يعني: لا يغيب عن علمه شيء. أفلا تتذكرون؟ فتتركون عبادة الجمادات التي لا تضر ولا تنفع.

ثم زاد الاحتجاج والإنكار عليهم ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ ﴾ قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: وكيف أخاف آلهتكم وإنها جماد تصنعونها بأيديكم وتعبدونها وتشركون بالله، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله بعبادتكم لغير الله ما لم ينزل الله به حجة لكم ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ وختم إبراهيم عليه السلام احتجاجه مع قومه: فأيّ الفريقين أحق بالأمن من عذاب جهنم؟ نحن المسلمون أم أنتم المشركون إن كنتم تعلمون عاقبة أمركم أيها المشركون بخالقكم من العدم؟

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ وهذه الآية تؤيد وتقرر قول إبراهيم عليه السلام: فأيّ الفريقين أحق بالأمن؟ ومعنى قوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا)، أي: ولم يخلطوا إيمانهم بظلم، أي: بشرك من أعمال الشرك، أولئك لهم الأمن من عذاب الله يوم القيامة وهم مهتدون في حياتهم الدنيا إلى الرشد والهداية إلى الصراط المستقيم.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (تلك) إشارة إلى ما تقدم، احتجاج إبراهيم على قومه، أعطاها الله لإبراهيم عليه السلام ليحتج على قومه، فالله يرفع درجات من يشاء من عباده المؤمنين على القوم الكافرين، إن ربك يا محمد حكيم فيما صنع، عليم بأحوال خلقه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ وهبنا لإبراهيم إسحاق، وُلِد من صلبه، ويعقوب ولدًا من صلب إسحاق، كُلًّا من هؤلاء هدينا إلى الصراط المستقيم، ونوحًا هدينا إلى الرشد والهداية من قبل إبراهيم، ومن ذرية إبراهيم داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون صلوات الله وسلامه عليهم، وكذا جازينا إبراهيم حسنًا ذريةً صالحة فكذلك نجزي المحسنين بإحسانهم في طاعة الله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ كل هؤلاء من عباد الله الصالحين ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وكل ما ذكرنا من إبراهيم إلى آخر المذكور فضلناهم بالنبوة والرسالة على

عالمي زمانهم، ومحمد ورسالته عليه الصلاة والسلام فضلاً على الإطلاق على جميعهم.

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾ ومن بعض آبائهم ومن بعض ذرياتهم ومن بعض إخوانهم اخترناهم للرسالة والنبوة وهديناهم إلى طريق مستقيم لا زيغ ولا ضلالة فيه.

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ ﴾ ذلك الهدى والتوفيق إلى صراط مستقيم هي هداية الله لهم، يهدي به من يشاء من عباده ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ولو أشركوا في أعمالهم غير الله لحبطت أعمالهم الصالحات عنهم التي كانوا يعملون، لا يكون لهم ثواب منها. والجملة هذه تحذير عن الشرك وأعماله.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ أولئك الأنبياء آتيناهم الكتاب والحكم والفهم في معاني الكتاب، أو يحكمون بين أمتهم بحكم الكتاب والنبوة، فإن يكفر قومك بها فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بكافرين بها.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ أولئك الأنبياء الذين هداهم إلى دينه الحق وأنت يا محمد اقتد بطريقهم بالصبر على أذى قومك والطاعة لأمر ربك. الهاء في اقتده للسكت.

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لا أسألكم على إبلاغ أمر ربي إليكم أجرًا، ليس القرآن إلاَّ ذكرى، أي: للتذكرة والموعظة لعالم الإنس والجن.

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ ﴾ ولكن

المشركين ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء.

قال الله تعالى ردًّا على القائلين وهم علماء اليهود والمشركين: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ قل يا محمد لهؤلاء المعاندين عليك وبالقرآن الذي أنزل إليك: مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام وهو التوراة، نورًا يستضيؤوا ويستنيروا به لأمور دينهم ومعاملاتهم، وهداية للناس إلى الصراط المستقيم. قال تعالى منكرًا وموبخًا عليهم: (تجعلونه قراطيس)، أي: تجعلون التوراة في قراطيس، تظهرون ما يوافق على آرائكم الفاسدة، وتخفون كثيرًا من التوراة، مثل نعت محمد عليه الصلاة والسلام وأوصاف أصحابه وكآية الرجم وقطع يد السارق وغير ذلك.

ثم يذكر سبحانه وتعالى امتنانه عليهم ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ وعلمكم الله في التوراة والقرآن وبين لكم الأمور التي ما كنتم تعلمونها أنتم ولا آباؤكم وها أنتم تجحدونها ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ هذا جواب السؤال: (من أنزل الكتاب...) قل يا محمد لهؤلاء الذين أنكروا إنزال الكتب من عند الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام: الله أنزل هذه، ثم اتركهم ولا تلتفت إليهم، هم في أباطيلهم يخوضون ويتحيرون مثل الصبيان في لعبهم.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ وهذا القرآن أنزلناه على محمد بالوحي، هو مبارك لمن يؤمن به يرشده إلى خير الدنيا والآخرة، ومصدق للكتب الذي أنزل الله على الرسل قبله. ثم ذكر وجه

إنزال القرآن: لتنذر يا محمد أهل أم القرى، وهي مكة، سُمِّيت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت منها، ولتنذر مَنْ حولها، والمراد بمن حولها: جميع أهل الأرض من الجن والإنس، والذين يصدقون بقيام الساعة للحساب والجزاء، يخافون من عقاب الله. وهم على صلاتهم يحافظون، أي: يصلون الصلوات المكتوبة محافظين على شروطها وأركانها وسننها على وجه الأكمل بالخشوع فيها. الله سبحانه وتعالى خصها بالذكر دون غيرها لأنها أفضل العبادات، هي عماد الدين، لا يستقيم الدين إلاّ بها كما جاء في الحديث: «الصلاة عماد الدين».

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (من) استفهامية، معناها النفي، أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، أي: ألفه من عنده ثم ينسب كذبه على الله، أو قال: أوحي إليّ كذا وكذا ولم يوح إليه شيء من عند الله، والذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، أي: قد أُنزل إليّ مثل ما أنزل الله على محمد. وقيل: القائل: مسليمة صاحب اليمامة من النجد.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ولو ترى يا محمد حين يكون الظالمون في سكرات الموت، والملائكة، أي: قابضي الأرواح مادين أيديهم إليهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم، يقولون للظالمين: أخرجوا أرواحكم من أبدانكم، اليوم تجزون عذاب الهون، أي: عذاب الإهانة والذلة بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن الإيمان بآياته تستكبرون في حياتكم الدنيا.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ يخاطب الله يوم القيامة المشركين: لقد جئتمونا وحدانًا لا مال ولا أولاد ولا أزواج لكم، كما خلقناكم أول مرة غرلاً عراة حفاة، وتركتم ما أعطيناكم من أولاد ومال وغيرهما مما منّ الله على الإنسان وراء ظهوركم، ولا تقدرون عليها، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء. وكان المشركون يزعمون أن أصنامهم تشفع لهم عند الله، ويجعلهم شركاء في عبادة الله، لقد تقطعت الصلة بينكم وبين أصنامكم، وغاب عنكم ما كنتم تزعمونه أنهم يشفعون لكم.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ يخاطب الله على المشركين بالأدلة المحسوسة: إن الله فالق الحب اليابس تحت التراب، (والنواة): هي التي في الثمرة، إذا وقعت أو دفنت في أرض لينة ذات ري نبتت منها شجرة خضراء، ويخرج الحي من الميت، أي: ويخرج الحيوانات من النطفة الميتة، والطيور من البيضة الميتة، ومخرج الميت من الحي، أي: ومخرج النطفة من حيوان حي، والبيض من طير حيّ. وفي الآية معنى آخر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يخلق الله المؤمن من صلب كافر والكافر من صلب مؤمن، وذلك لحكمة منه جلت قدرته. وبعد ذلك يعاتب الله عليهم. (فأنى يؤفكون)، أي: فكيف يشركون بخالقكم بالكذب ويصرفون عبادته لغيره.

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ هو سبحانه وتعالى فالق الإصباح، أي: فالق الصبح من ظلمة الليل بنور النهار وجعل الليل سكنًا ليسكن فيه كل ذي نسمة عن الحركات

وجعل الشمس والقمر حسبانًا، أي: محسوبًا، فبالشمس يعرف الزراع فصل الزرع، وبالقمر يعرف الأشهر أوله وآخره، ويسجل التاريخ للصكوك والسندات وتاريخ السنة الهجرية، ويعرف المؤمنون أيام عبادتهم كأيام شهر رمضان وأيام الحج، ذلك الحساب بالشمس والعبادات بالقمر تقدير العزيز العليم في صنعه لمصالح خلقه.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ وهو الله الذي خلق النجوم، جمع النجم، لتهتدوا بها أيها الناس المسافرون في البر والبحر، في الليل لا تعرفون إلى أيّ جهة تتوجهون في مقاصدكم، فتعرفون الجهة التي تريدونها بالنظر إلى النجوم، قد فصلنا الآيات الدالات لكمال قدرتنا لقوم يعلمون ويتأملون فيها.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ وهو الله الذي أنشأكم وفرقكم من نفس واحدة هي نفس آدم أبو البشر، لكم مستقر وأنتم في أصلاب آبائكم ثم في أرحام أمهاتكم، ومستودع في الأرض بعد مماتكم. قد فصّلنا وبيّنا الآيات الدالات على كمال قدرتنا في إنشاء الخلائق لقوم يفقهون ويتأملون في عظمة قدرتنا.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ﴾ وهو الله الذي أنزل من السماء ماء، أي: أنزل من السحاب المطر. ثم التفت عن ضمير الغائب إلى المتكلم: فأخرجنا بماء المطر نباتَ كلِّ أصناف الزرع، من أرض يابسة، فأخرجنا من النبات شيئًا خَضِرًا فينموا ويخرج منه حبًّا متراكبًا، مثل سنبل الحنطة والذرة والشعير وغير ذلك من الثمرات، ومن النخل من طلعها قنوان دانية، أي:

عذق دانية للاجتناء، وجنات، أي: بساتين، ثم بين: من أعناب، والزيتون، والرمان، وكل صنف يشتبه بعضه ببعض في اللون ويختلف في الطعم والقدر.

﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ انظروا أيها المؤمنون إلى أثمار تلك الأشجار حين خروج أثمارها خضراء لا تصلح للأكل، (وينعه)، أي: ثم كيف ينضج ويصلح للأكل ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ إن ذلك الانتقال من حالة النمو إلى حالة الاستواء والنضج فيه آيات دالات على كمال قدرة الله في إنشاء الأشياء، وإفنائها لقوم يؤمنون بقدرة الله ويعتبرون بها.

وبعد ذلك يذكر سبحانه وتعالى أحوال المشركين ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (وجعل)، أي: هؤلاء المشركون لله شركاء الجن، أي: إبليس؛ لأن إبليس أبو الجن، والمشركون أطاعوه في وسوسته وإغوائه عليهم في عبادة غير الله. والحال: إنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس، فكيف يعبد هؤلاء المخلوق؟! ويجعلوا لخالقهم شريكًا؟ وخرقوا، أي: نسبوا لله بنين وبنات بغير علم منهم، ولا دليل لهم، سبحانه وتعالى عما يصفون، أي: تنزيهًا له عما يصفه به هؤلاء المشركون.

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ هو خالق السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهن على غير مثال سبق، كيف يكون له ولد وهو سبحانه وتعالى لا يجانس المخلوق؟ والولد من جنس أبيه، ولم تكن له زوجة؛ لأن الولد من نطفة أبيه ويولد من بطن أمه، وهو سبحانه وتعالى خلق كل الأشياء

وهو بكل شيء عليم، أي: كل الأشياء محاط بها في علمه، لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (ذلك): إشارة إلى ما تقدم ذكره من وحدانية الله في ذاته وصفاته، لكم أيها المؤمنون، هو ربكم وحده لا إله بحق إلاّ هو، الحق، خالق كل شيء، فاعبدوه، أي: خصوا العبادة له. وهو على كل شيء حفيظ من أعمالكم.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ أبصار: جمع بصر، وهناك معنى آخر: أبصار: جمع بصيرة، هي بصيرة القلب. وعلى هذا يكون المعنى لا تدرك أبصار الخلق كنه ذات الله، وهو الله يدرك أبصار الخلق؛ لأن علمه يحيط كل شيء ظاهرًا وباطنًا، والله أعلم بما هو الصواب. وهو سبحانه وتعالى اللطيف بعباده المؤمنين، الخبير بأحوال خلقه. واختلف المفسرون في معنى هذه الآية.

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ قد جاءكم أيها المؤمنون بصائر من ربكم، أي: جاءكم القرآن فيه الدلائل والحجج، فمن أبصر وعرف وعمل بها فثواب عمله لنفسه، ومن عمي وغفل عنها فجزاء غفلته عليها. وقل لهم بعد الإبلاغ: وما أنا عليكم بحفيظ إنما عليّ إبلاغ أمر ربي إليكم ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ وكذلك نصرف، أي: نبين الآيات لك لأجل أن يقول المشركون درست من كتب السابقة يا محمد، ولنبينه ونوضحه لقوم يعلمون ويؤمنون به.

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ اتبع يا محمد ما أوحي إليك في القرآن، ولا تحزن لقولهم عليك درست، لا إلـه إلاَّ هو المعبود الحق، وأعرض عن المشركين، لا تجادلهم، قيل: الآية منسوخة بآية القتال.

وكان أصحاب رسول الله يسبون آلهة المشركين، فنهى الله عن سب أصنامهم: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ ولا تسبوا أيها المؤمنون آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله، فيسبوا الله عدوانًا منهم على الخالق المعبود الحق، وفعلهم هذا بغير علم أو فهم منهم لحرمته ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ كما بيّـنّا لك يا محمد فيما سبق من أحوال المشركين زينا لكل أمة أعمالهم من خير أو شر أو طاعة أو معصية، ثم إلى ربهم مرجعهم يوم القيامة للحساب والجزاء فيخبرهم بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا.

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ وأقسم هؤلاء المشركون بالله أوثق إيمانهم: لئن جاءت لهم آية، أي: معجزة من عند محمد أو من مقترحاتهم ليؤمنن بها. قل لهم يا محمد: الآيات عند الله، ليست من عندي، وأي شيء يدريكم أيها المؤمنون أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون بها؟

ثم توعد عليهم: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۙ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ ونقلب قلوبهم وأبصارهم فلا يفهمون الحق حقًّا ولا يرون الباطل باطلاً، كما لم يؤمنوا بالقرآن أول مرة حين دعوا إلى الإيمان به، ونتركهم في طغيانهم وضلالتهم يعمهون، أي:

يتحيرون ولا يعرفون الهدى من الضلال والحق من الباطل.

﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ قيل: نزلت الآية في جماعة من قريش، قالوا: ابعث لنا موتانا يا محمد حتى نسأل منهم أئنك رسول الله؟ أو ائتنا بالملائكة نسألهم عنك، يشهدون لك أنك رسول الله؟ فأنزل الآية ردًّا على اقتراحهم: (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) يشهدون لك يا محمد أنك رسول الله، وأحيينا آباءهم الموتى فكلموهم وأخبروهم عن صحة رسالتك، وجمعنا كل شيء سألوه قبلاً، أي: أمامهم عيانًا ما كانوا ليؤمنوا برسالتك يا محمد وبالقرآن الكريم إلاَّ أن يشاء اللَّهُ إيمانهم وهدايتهم، ولكن أكثرهم يجهلون ويجحدون بما شاهدوا من آيات الله.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ يعزِّي الله نبيه ويسلِّيه، بأنه مثل ما جعلنا لك يا محمد أعداء فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء من شياطين الإنس والجن ليعظم أجرهم، فاصبر يا محمد على أذى قومك كما صبر الأنبياء على أذى قومهم. (يوحي بعضهم)، أي: يلقي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، أي: الكلام المزين بالباطل والكذب لأجل أن يغتر أصحابهم بها، ولو شاء ربك ما فعلوا ذلك، فاتركهم يا محمد وما يفترون من الأكاذيب.

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ ولتميل إلى القول المزخرف بالباطل قلوب الكافرين الذين لا يصدقون بيوم القيامة، وليرضوا بتلك المقالات الباطلة، وليكتسبوا الذنوب التي هم مكتسبونها.

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ قال المشركون اجعل بيننا وبينك يا محمد حكمًا يحكم بيننا. فأنزل الله الآية مجيبًا عليهم بها. والاستفهام للإنكار، قل لهم: أفغير الله أطلب حاكمًا بيننا، وهو الله أنزل القرآن فيه حكمٌ بين الحق والباطل مفصلاً حقًّا؟

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ والذين آتيناهم التوراة والإنجيل يعلمون أن القرآن منزل بالحق من ربك يا محمد، وهم شاهدون ذلك في التوراة والإنجيل، فلا تكونن يا محمد من الذين يشكون فيه.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ وتمت كلمات ربك في القضاء والحكم بين المحق والمبطل صدقًا في الحكم وعدلاً بينهما لا يميل إلى أحد الطرفين، لا مغيّر لأحكامه، وهو السميع لأقوالكم في الحكم والشهادة، العليم بما أضمرتم وما أظهرتم. وفي الآية تنبيه على الحكام والشهداء ليتحذروا عن الباطل والزور في الحكم والشهادة.

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ وإن تطع يا محمد أكثر من في الأرض؛ لأن أكثر الناس كفار يدينون بأهوائهم ويريدون أن يضلوك عن دين الله، ولا يتبعون إلاّ الظن والأهواء، ويقلدون آباءهم في دينهم، وليسوا وآباؤهم على دين الحق، ولكن هم يخرصون، أي: يفترون على الله: إن الله أمرنا بكذا ونهانا عن كذا، كذبًا وبهتانًا على الله.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ إن ربك

يا محمد هو أعلم بمن ضل عن دينه الحق وهو أعلم بالمهتدين إلى دين الإسلام واستقاموا فيه.

وقال المشركون للمسلمين: أنتم تأكلون ما قتلتموه ولا تأكلوا ما قتله الله؟ يعنون الميتة بغير ذبح، فأنزل الله ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ فكلوا أيها المؤمنون مما ذكر اسم الله عليه في حالة ذبح ذبيحتكم إن كنتم بأحكام الله في التحليل والتحريم مؤمنين حقًّا.

ثم يؤكد سبحانه وتعالى بأكل ما ذبح باسم الله ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ وأيّ شيء يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقت ذبحه؟ وأدخلت لا نافية لتأكيد الأمر بأكل ما ذبح باسم الله عليه ــ وقد بين الله لكم ما حرم عليكم، كما في سورة المائدة: (حرمت عليكم الميتة والدم) إلى آخر الآية. إلاَّ ما اضطررتم لأكله من جوع لسد الرمق، ولا يوجد غيره للأكل، لا للذة، ولا بالعود إليه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ وإن كثيرًا من الناس ليضلون الناس بأهوائهم بالباطل، بغير علم في حقائق الأمور، وإن ربك يا محمد هو أعلم بالمعتدين لحدود ما أمر الله به في التحليل والتحريم.

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ واتركوا واحذروا أيها المسلمون ظاهر الإثم وباطنه، وظاهر الإثم هو ما يعمل جهرًا، وباطنه هو ما يعمل سرًّا، حياء من الناس من أعمال قبيحة عند الناس. إن الذين يكسبون الأعمال التي توجب الإثم على

صاحبها سيجزون يوم القيامة بسبب ما كانوا يقترفون، أي: يكتسبون في حياتهم الدنيا.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ ولا تأكلوا أيها المؤمنون مما ذبح ولم يذكر عليه اسم الله، أو ذبح بأسماء الأوثان، وهذا ذبيحة المشركين، وإنّ أكله لفسق، أي: خروج عن طاعة الله ومحرم على المؤمنين. وأما ذبيحة أهل الكتاب إن ذبحوها على اسم العزير والمسيح فحرام أكلها، وإن سموا عليها اسم الله فحلال؛ لأنهم مأمورون أن يسموا اسم الله على ذبائحهم.

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾ وإن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم المشركين ليجادلوا المؤمنين، فإن أطعتم أيها المؤمنون آراءهم الباطلة فإنكم لمشركون في أباطيلهم، وتجازون مثل جزائهم يوم القيامة، احذروا منهم ومن الطاعة لهم.

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ أو من كان ميتًا، أي: ميت القلب في الكفر والضلالة، فأحييناه، أي: هديناه إلى الإيمان فآمن بالله، وجعلنا له نورًا: هو نور الإسلام، يمشي به في جملة المسلمين يسلم من شر الدنيا والآخرة، كمن مثله في ظلمات الكفر والضلالة ليس بمتخلص منها؟ أي: من كفره وضلالته. فمثل ما بينا لك يا محمد، زين للكافرين أعمالهم، يعملونها ليعظم إجرامهم فيعاقبهم الله يوم القيامة بالعذاب الدائم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ وكما جعلنا في أهل مكة كبراءهم ليفسدوا أهلها وكذلك جعلنا في كل بلد كبراء أهلها مجرمين ليفسدوا فيها، وما يفسدون إلاَّ بأنفسهم، أي: وبال إفسادهم راجع على أنفسهم وهم لا يشعرون بذلك.

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ قيل: نزلت الآية حين قال الوليد بن المغيرة: لو كانت النبوة حقًّا لكنتُ أولى بها منك يا محمد؛ لأني أكبر سنًّا وأكثر مالاً في قريش، فنزلت الآية، وإذا جاءت آية من آيات القرآن أو معجزة من معجزات الله تظهر صدق محمد ﷺ وصدق رسالته قال كفار قريش: لن نصدق بها حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله، فرد الله عليهم: الله أعلم حيث يضع رسالته، لا باختياركم يا كفار قريش. ثم توعّد عليهم أنه سيصيب الذين أجرموا وعاندوا رسوله تكبرًا وعنادًا ذل وهوان وضيم عند الله ولهم عذاب شديد بما كانوا يمكرون على المؤمنين ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ فمن يرد الله أن يهديه إلى الإيمان والإسلام يشرح صدره بتكاليف الإسلام. وانشراح الصدر يكون بأعمال الإسلام كالزكاة والصلاة والصوم والحج وغيرها من الأعمال المأمورات، علامة لإيمانه بالله وبرسوله.

ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقًا متحرجًا كأنه يتصعد إلى

السماء، لا يقبل الدعوة إلى الإيمان بالله، وهو مختوم بالكفر والشقاوة، مثل ما بينا لك يا محمد يجعل الله الرجس، أي: الغلظ والقساوة واللعنة في الدنيا على قلوب الذين لا يؤمنون بخالقهم من العدم وفي الآخرة لهم عذاب أليم.

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾ وهذا الذي ذكرنا لك يا محمد صراط مستقيم لا زيغ ولا عوج فيه، فالزمه واستقم فيه ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ قد بينا آيات القرآن لقوم يتذكرون ويتعظون بها.

ثم وعد الله للمؤمنين ﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ للمؤمنين دار السلامة من كل المكاره عند ربهم والدار هي الجنة، وهو سبحانه وتعالى حافظ لثواب أعمالهم جزاء بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ قال تعالى ويوم القيامة نحشر الخلائق جميعًا.

ثم يخاطب الله الجن ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ يا معشر الجن قد استكثرتم بدعائكم إلى الضلالة من الإنس.

وقال أولياء الجن من الإنس يا ربنا استمتع، أي: انتفع بعضنا ببعض، وبلغنا الأجل الذي أجلت لنا للموت.

قال تعالى معاتبًا لهم: مثواكم جهنم مقيمين فيها إلاّ ما شاء الله. اختلف المفسرون في هذا الاستثناء، فقال بعضهم: منقطع، أي: إلا ما

شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب، وقال بعضهم: يرجع الاستثناء إلى النار، أي: إلا ما شاء الله من تعذيبكم بغير النار في بعض الأوقات، وقال بعضهم: الاستثناء لأهل الإيمان. وغير ذلك من الأقوال، والله أعلم بما هو الصواب. إن ربك يا محمد حكيم بما حكم، عليم بأحوال خلقه.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ مثل ما بينا لك يا محمد نولي، أي: نسلط بعض الظالمين على بعضٍ جزاء بما كانوا يكسبون من المعاصي والإجرام على الضعفاء.

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ يخاطب الله يوم القيامة كافة الإنس والجن الذين لم يؤمنوا بالتوبيخ والتهديد: ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آياتي لتؤمنوا بي وحدي وتتعظوا بها، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا؟؟ فيقول الكافرون: شهدنا على أنفسنا، أنك أرسلت لنا من يعظنا، فلم نؤمن، ولم نجد شيئًا من أعمالنا ترضى بها عنا. وقال تعالى: وغرتهم الحياة الدنيا بلذات متاعها، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بخالقهم وبنعمة الإسلام.

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ ذلك الإنذار بلقاء يوم القيامة في حياتهم الدنيا؛ لأن الله لم يكن ليهلك أهل القرى بظلم منه لأنه ليس بظلام للعبيد، أو بظلم ارتكبوه بشركهم عن غفلة منهم بلقاء يوم القيامة قبل إرسال الرسل إليهم كيلا يحتجوا إلى الله: لِمَ لَمْ ترسل إلينا رسلاً ليبلغوا أمرك إلينا فنتبع رسلك ونكون من المؤمنين؟

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ ولكل عامل، من طاعة ومعصية أو خير وشر، درجات، أي: مقام في الآخرة من أجل ما عملوا في حياتهم الدنيا، وما ربك يا محمد بغافل عما يعملون، وسيحاسبهم على أعمالهم فيجازيهم بها.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ وربك يا محمد هو الغني عن خلقه وعن طاعتهم، وهو ذو الرحمة يرحم عباده. إن يشأ يذهبكم أيها العصاة بإهلاك يستأصلكم به، ويستخلف من بعدكم من يشاء من ذرية قوم آخرين أطوع منكم لأمر الله. وإن الذي وعدكم به من عقاب عليكم لآت لا محالة، وما أنتم بفائتين من عذاب الله.

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ قل لهم يا محمد على سبيل التهديد: يا قوم اعملوا على طريقتكم ومنزلتكم والأعمال التي أنتم عليها، إني عامل بما أمرني ربي، فسوف، أي: فيوم القيامة تعلمون من تكون له حسن العاقبة، نحن أم أنتم؟ إنه لا يفوز الكافرون، لا يحصلوا على مرامهم في الدنيا والآخرة.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن معتقدات المشركين في الجاهلية: وجعل

المشركون لله مما خلق نصيبًا، أي: قسموا من الحرث والأنعام نصيبًا، أي: قسمًا لله، وقسمًا لشركائهم، أي: لأصنامهم، فقالوا بزعمهم: هذا لله وهذا لشركائنا، فما كان لشركائهم، أي: لأصنامهم فيكون إلى سدنة الأصنام، ولا يكون منه للفقراء والضعفاء، وأما كان لله فهو يصل إلى شركائهم، أي: يجعلونه لسدنة الأصنام، ويقولون: الله غني عن إنفاقنا. ساء الحكم حكمهم هذا، وسيرتد عليهم يوم القيامة عذابًا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ مثل ذلك التقسيم: هذا لله وهذا لشركائنا: زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم، أي: شياطينهم، هنا تقديم وتأخير، أي: زين الشركاءُ الشياطينُ للمشركين قتل الأولاد، كانوا يقتلون البنات بالوأد خشية العار ويقتلون الأولاد خشية الفقر. ثم ذكر علة ذلك: ليُرْدُوهم، أي: ليهلكوهم، وليلبسوا، أي: ليخلطوا عليهم دينهم بالباطل، ولو شاء الله هدايتهم ما فعلوا ذلك كله، فذرهم يا محمد مع ما يفترون على الله الكذب فنجازيهم في عذاب جهنم إن لم يتوبوا إلى الله عن أباطيلهم.

﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ وقال مشركو مكة هذه أنعام وزروع لآلهتنا، (حِجْر)، أي: ممنوع لغيرها، (لا يطعمها إلاَّ من نشاء) بزعمهم الباطل، بغير حجة من الله، (وأنعامٌ حرمت ظهورها) كالسوائب والبحائر والحوامي من الإبل، (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) عند الذبح (افتراء) على الله،

ويقولون: الله أمرنا بذلك. فتوعد الله عليهم: (سيجزيهم) في عذاب جهنم بسبب ما كانوا يفترون على الله كذبًا.

﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ وقال مشركو مكة: (ما في بطون هذه الأنعام) يريدون بها البحائر والسوائب والحوامي، ما في بطونها من الأجنة، (خالصة لذكورنا) دون النساء (ومحرم) عليهن أكلها، (وإن يكن) المولود ميتًا، فهم فيه شركاء في أكلها. (سيجزيهم وصفهم) في التحليل والتحريم، إن الله حكيم فيما حكم عليهم من الجزاء، عليم بأحوال خلقه.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ قد خسر الذين قتلوا أولادهم، أي: قتلوا بناتهم بالوأد سفهًا وجهلاً بغير علم خسروا على قباحة صنيعتهم، وحرموا ما رزقهم من الأنعام والزروع، ـ سبق تفسيرها قبل هذه الآية ـ افتراء على الله بالكذب، قد ضلوا عن دين الحق، وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب.

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ وهو الله الذي أنشأ لكم أيها المسلمون البساتين ذات أشجار مثمرة، معروشات، كالكرم والدباء والبطيخ، وغير معروشات، ثم بين: النخل، والزرع: كالحنطة والأرز والذراء، وكل زرع وشجر يقف على ساقه لا يتعرش

على الأرض، والزيتون والرمان وغيرهما من الأشجار المثمرة، متشابهًا لونها وغير متشابه طعمها، أو العكس، كلوا من ثمر كل نوع إذا أثمر ونضج. وصلح للأكل، وآتوا حقه يوم حصاده، أي: أدوا زكاته يوم جنائه للفقراء والمساكين، ولا تسرفوا في إخراج أموالكم للفقراء فتحرموا عيالكم عنه، إن الله لا يحب المتجاوزين عن الحد المشروع في الإنفاق أو غيره.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ ومن الأنعام حمولة: هي التي يركب عليها صاحبها ويحمل عليها أثقال حاجاته للسفر، وأما الفرش فيعني الصغار منها، أو الغنم، كلوا أيها المسلمون مما رزقكم الله من الحرث والثمار والأنعام حلالاً طيبًا، ولا تتبعوا طريق الشيطان، وتحذروا عن إغوائه، إن الشيطان لكم عدو مبين.

ثم بين: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾، أي: خلق لكم ثمانية أصناف: من الضأن اثنين ذكرًا وأنثى، ومن المعز اثنين ذكرًا وأنثى، ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ﴾ قل لهم يا محمد، لهؤلاء المشركين توبيخًا وتقريعًا عليهم: هل حرم الله عليكم الذكرين من الضأن والمعز، أم الأنثيين منهما، أم حرم عليكم ما حملت أرحام الأنثيين من الضأن والمعز؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ أخبروني بعلم صحيح، إن حرم عليكم تلك الأصناف، إن كنتم صادقين في دعواكم: إن الله حرم عليكم؟!

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ﴾ وهاتان من الأزواج الثمانية ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ﴾ تقدم تفسيرها

في الضأن والمعز، وتكرارها للتقريع والتوبيخ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ﴾ قل يا محمد لهؤلاء الضالين: أم كنتم حاضرين إذ وصاكم، أي: أكنتم حاضرين إذ أنزل الله أمره، فهل أمركم الله بهذا الذي تزعمون أن الله أمركم به في أباطيلكم؟

ثم توعد عليهم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ لا أحد أظلم على نفسه ممن افترى على الله كذبًا وزورًا بغير علم من الله، ليضل الناس عن طريق الهداية إلى الضلالة، إن الله لا يهدي القوم الظالمين إلى الرشد، والهداية إلى دين الحق ما داموا على ظلمهم.

ثم زاد الاحتجاج والتبكيت عليهم: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾ قل لهم يا محمد: لا أجد فيما أوحي إليّ، يعني في القرآن، شيئًا محرمًا أكله على آكل يأكله إلاَّ أن يكون الطعام ميتة أو دمًا مسفوحًا، أي: سائلاً عند الذبح، أو لحم خنزير، فإنه رجس، أي: نجس أو فسقًا. ثم بين: وما أهلّ لغير الله به، أي: أهل بغير اسم الله عند الذبح، يعني ذبح باسم الأصنام، ذلك خروج عن طاعة الله وعن الإيمان بالله.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ فمن اضطر لأكل المحرم، أكله من جوع شديد لا يوجد غيره للأكل، غير متجاوز عن سد الرمق ولا متعدٍّ للذة، فإن ربك يا محمد غفور لمن أكل المحرم مضطرًا لأكله وقت الحاجة إليه، رحيم بعباده المؤمنين، أباح لهم ما حرم عليهم وقت الحاجة.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ قال تعالى: وعلى اليهود حرمنا أكل لحم كلِّ ذي ظفر، قال ابن عباس: هو ما لم يكن منفرج الأصابع أو الحافر كالإبل والنعام، ومن الطيور كالبط والوز. (ومن الغنم والبقر حرمنا عليهم شحومهما)، المراد من الشحم الثروب اللاصق على المصارين، والكلية، (إلاَّ ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم) استثنى ما علق بالظهر من الشحوم وهو ما يلصق على اللحم إذا سمن الغنم والبقر، والحوايا: هي المباعر أو بنات اللبن، وما تحوَّى من البطن، أي: استدار. أو ما اختلط بعظم: هي الإلية، العظم الذي يقال له العصعص.

ذلك التحريم على اليهود جزاء عليهم بسبب بغيهم وعدوانهم على أنبيائهم والمسلمين، (وإنا لصادقون) فيما قصصنا لك يا محمد.

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ﴾ فإن كذبك قومك يا محمد فيما بلغت إليهم من أمري فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة حيث لا يعجل عليكم العقاب، وإن جاء عقابه عليكم ليس له مانع ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ فيها ترهيب لمشركي مكة واليهود.

وقال تعالى مخبرًا عن مقالة المشركين، والمشركين فيما بعد من الزمن: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عما يقوله المشركون محتجين إذا لزمتهم الحجة يوم القيامة: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا، ولا حرمنا من شيء.

فرد الله عليهم مثل ذلك الاعتراف على إجرامهم: كذب الذين من قبلهم على أنبيائهم حتى نزل العذاب المعجل عليهم فذاقوا عذابنا، قل لهم يا محمد: هل عندكم من علم يصح الاحتجاج به فتخرجوه لنا؟ وإن لم تستطيعوا فإذًا لا تتبعون إلاَّ الظن والأوهام الفاسدة، وليس أنتم على علم صحيح، فأنتم تخرصون بالكذب والافتراء على الله.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ قل لهم يا محمد: فللّه الحجة البالغة التامة بإرسال الرسل، وبإنزال الكتب على الرسل، ليبلغوا أمر الله على أممهم، ويبشروا لهم بالجنة إن أطاعوا أمر الله، وينذروهم من عقاب الله إن كفروا بالله وإن عصوا أمر الله وأمر رسلهم، فلو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين، ولكن اقتضت مشيئته ذلك، وحَكَمَ: فريقًا إلى الجنة وفريقًا إلى النار؛ لحكمة منه جلت قدرته. وكل الخلق ملكه وعبيده.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أحضروا شهداءكم عندي يشهدون أن الله حرم هذا الذي ادعيتم: إن السوائب والبحيرة والحوامي وبعض الحرث، فإن شهدوا شهداؤهم بالكذب والافتراء على الله فلا تشهد معهم يا محمد، إنهم لكاذبون في شهادتهم، ولا تتبع يا محمد أهواء الذين كذبوا بآياتنا ولا يصدقون بها، وهم الذين لا يصدقون بيوم القيامة، وهم بربهم يشركون.

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ قل

لهم: تعالوا عندي أقرأ لكم الذي حرم ربكم عليكم، ثم بين: أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تقتلوا أولادكم خشية من فقر، نحن نرزقكم وإياهم، إنما رزقهم على الله لا على الآباء، وأمركم الله بأن تحسنوا بوالديكم إحسانًا بالطاعة لأمرهما، وبالإنفاق لهما، وبالقول اللين لهما.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ ولا تقربوا أيها المسلمون الفواحش أو ما يدعو إلى الفواحش، والفواحش: جمع فاحشة، وهي ما يستقبح في الشرع وعند المسلمين كالزنا واللواط والسرقة، وعلى فاعلها الحد، (ما ظهر منها وما بطن). وقال ابن عباس: كانوا في الجاهلية لا يرون الزنا فيه بأسًا بالسر فيستقبحونه بالعلانية، فحرم الله الزنا بالسر والعلانية.

(ولا تقتلوا) أيها المسلمون (النفس التي حرم الله) قتلها (إلاَّ بالحق) الموجب للقتل: الثيب الزاني، وتقتل النفس بقتل نفس أخرى عمدًا بغير الحق والمرتد عن دينه كافرًا المفارق للجماعة. ذلك الذي ذكر لكم ربكم من الأوامر والنواهي، وأمركم به، لعلكم تعقلون وتمتثلون بأوامره وتجتنبون عن نواهيه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ﴾ ولا تقربوا أيها المسلمون مال اليتيم إلاَّ بالخصلة التي هي أحسن، أي: بالمعروف لمصلحة اليتيم، حتى يبلغ كمال عقله فيستطيع مسك ماله عن التبذير والإهلاك.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ وأوفوا أيها المسلمون الموزون بالكيل أو بالميزان بالعدل، لا نكلف نفسًا بالأوامر والنواهي إلاَّ على قدر طاقتها، وإذا حكمتم بين خصمين فاعدلوا في الحكم أو في الشهادة، ولو كان المحكوم عليه أو المشهود عليه ذا قرابة، وأفوا بعهد الله عليكم، لا تخالفوا ذلك الذي ذكرنا لكم وأمرناكم بالتزامه، لعلكم تتذكرون وتتعظون به وتصلحون شأنكم.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ وإن هذا الذي ذكرنا لكم وأمرناكم به سبيل الله صراطًا مستقيمًا لا زيغ ولا عوج فيه، فاسلكوا فيه ولا تتبعوا السبل المختلفة، فتفرّق بكم عن سبيل الله ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ ذلك الذي أمرناكم بالالتزام به من أجل أن تتحذروا عن الطرق المختلفة المضلة.

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ وبعد ما ذكرنا لكم نخبركم بما تفضلنا به على بني إسرائيل، فقد آتينا موسى التوراة تمامًا، أي: كاملاً على الذي هو أحسن أعماله، وتفصيلاً وبيانًا لكل ما يحتاج بنو إسرائيل إليه في أمر دينهم ومعاملاتهم، وهدى ورحمة، لعلهم بلقاء ربهم يصدقون ولا يخالفون أمره.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ وهذا القرآن أنزلناه على محمد عليه الصلاة والسلام مبارك، أي: كثير الخير والفوائد فاتبعوا إرشاده، وأتمروا أوامره، واجتنبوا نواهيه، واحذروا مخالفته، لعلكم ترحمون يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ثم بين علة إنزال القرآن: ﴿ أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ حتى لا تقولوا أيها المشركون: إنما

أنزل التوراة والإنجيل على طائفتين، أي: اليهود والنصارى من قبلنا وقد كنا عن دراسة كتابهم لغافلين، وكتابهم ليس على لغتنا ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أو تقولوا أيها المشركون: لو أنه أنزل علينا الكتاب فيه بيان ديننا لكنا أهدى من اليهود والنصارى. فردَّ الله عليهم: فقد جاءتكم بينة ظاهرة، وهو القرآن، فيه هدى إلى الإيمان بالله وحده ورحمة لقوم يؤمنون به ويعملون بما فيه من الأوامر ويجتنبون عن نواهيه.

ثم توعد الله عليهم ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾، أي: لا أحد أظلم وأعظم جرمًا ممن كذب بآيات الله، دون الإيمان بها، وأعرض عن الإيمان بها، فإننا سنجزي الذين يعرضون عن الإيمان بآياتنا سوء العذاب في جهنم بسبب ما كانوا يعرضون عن الإيمان بها.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ ما ينتظر هؤلاء المشركون إلَّا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو تأتيهم بالعذاب المعجّل عليهم، أو يأتي ربك يوم القيامة للحكم وفصل القضاء بين الخلائق، أو يأتي بعض آيات ربك، وهي من أشراط قيام الساعة كخروج دابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وغيرها من الآيات الدالة على قرب قيام الساعة. (يوم يأتي)، أي: يظهر، بعض آيات ربك يا محمد، لا ينفع نفسًا كافرة إيمانُها لم تكن آمنت من قبل عِيانها، أو كسبت نفس في إيمانها خيرًا بعد رؤية آية من آيات أشراط الساعة؛ لأنهم آمنوا حين رأوا الآية خائفين من عذاب الله،

لا يقبل الله إيمانهم ولا أعمالهم الخير. قل لهم يا محمد: انتظروا مجيء العذاب عليكم، إنا، أي: نحن المسلمون منتظرون ما يحل عليكم من العذاب.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ إن الذين فرقوا دينهم، أي: جعلوا دينهم فرقًا مختلفة، وكانوا أحزابًا وكل حزب يخالف على الآخر، لست من اختلافهم يا محمد في شيء، وليس عليك شيء منه وأنت بريء منهم، إنما أمرهم راجع إلى الله، ثم يخبرهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم. وقيل فيها تقريع وتنبيه لهذه الأمة المحمدية كيلا يتفرقوا في دينهم، وأن يستقيموا في دين الإسلام، ويتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ من جاء يوم القيامة وقد عمل حسنة في الدنيا فله ثواب عمله بعشر أمثالها، ومن جاء بعمل سيئة فلا يجزى إلاَّ مثلها وهم لا يظلمون في الجزاء. وفي الآية ترغيب بالأعمال الصالحات.

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إنني هداني وأرشدني ربي إلى طريق مستقيم لا عوج ولا زيغ فيه، ارتضاه الله لعباده المؤمنين، هو دين الإسلام، وغيره باطل.

ثم وصف هذا الدين: ﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ دين الإسلام، دينًا قيِّمًا ثابتًا من عند الله، ملة، أي: دين إبراهيم عليه السلام، حنيفًا، أي: مائلاً إلى الحق، وما كان إبراهيم من المشركين. وفي الجملة الأخيرة رد وتعريض على ادعاء مشركي مكة أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن صلاتي وذبحي وحجي وغيرها من العبادات، وحال حياتي وحال موتي، لله رب العالمين، لا شريك له في ذاته وصفاته وبتلك الأوامر أمرت أن أعمل بها، وأنا أول المسلمين، وأنا أول من خضع وانقاد لأمره.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال لهم يا محمد: أغير الله أبغي ربًّا وهو سبحانه وتعالى رب كل الموجودات؟ لا أعبد غيره، ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ إلاَّ جزء عملها عليها ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ولا تحمل حاملة حمل أخرى، أي: لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، وأصل الوزر: الثقل، وهنا المراد منه الذنب فلا تأثم نفس بإثم نفس أخرى وكل واحدة تحمل جزاء عملها ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ وبعد تمام آجالكم في حياتكم الدنيا تردون إلى ربكم فيخبركم بما كنتم تختلفون في أمور دينكم.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ هو الله الذي جعلكم يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام خلائقَ بعد إهلاك من كان قبلكم من الأمم الماضية تخلفونهم في الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض في الرزق والجاه والنسب والعلم. ثم ذكر علة ذلك ليختبركم فيما أتاكم من سعة الرزق والجاه أتكفرون نعمة الله أم تشكرونها؟ إن ربك يا محمد سريع العقاب لمن كفر به وبنعمته في الدنيا وإنه لغفور لمن تاب عن ذنوبه، رحيم بعباده المؤمنين.

الحمد لله، تمَّت سورة الأنعام بعون الله.

* * *

ســورة الأعــراف

آياتها مئتان وست آيات، وهي مكية إلا ثمان آيات أو عشر فهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

وعن ابن عباس إنها مكية إلاَّ خمس آيات مدنية، أولها: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾. وفي رواية قال مقاتل: ثمانية آيات مدنية، إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾.

﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ سبق تفسيرها في أول سورة البقرة.

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ هذا القرآن أنزل إليك يا محمد فلا يكن في صدرك ضيق من أجل تبليغه إلى قومك، وفيه ذكرى، أي: تذكرة وموعظة للمؤمنين به.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ اتبعوا أيها المشركون ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا غير إرشاد القرآن، واتركوا ما أنتم عليه من الشرك والكفر، ولا تتخذوا أولياء غير الله، قليلاً ما تتذكرون فيما ذكَّرناكم.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ وكثير من أهل

القرى أهلكناهم والقرية معهم بشؤمهم، فجاءهم عذابنا بغتة في الليل وهم نائمون أو جاء العذاب عليهم في النهار وهم قائلون، أي: نائمون في الظهيرة.

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ ﴾ فما كان دعاءهم واستغاثتهم حين شاهدوا نزول العذاب عليهم إلاَّ أنهم قالوا إنا كنا ظالمين على أنفسنا.

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ قال تعالى للذين أرسل إليهم: فلنسألن المرسلين يوم القيامة عن أممهم. فيخبر سبحانه وتعالى أنه يسأل يوم القيامة الأمم الذين أرسل إليهم الرسل ليبلغوا أمر ربهم إليهم: ماذا أجبتم الرسل حين دعوكم إلى توحيدي وطاعتي؟ ولنسألن المرسلين عن إجابة أممهم، فلنقصن على الرسل بعلم صحيح عن أحوال أممهم، وما كنا غائبين عن أحوالهم، وفي هذه الآية تقرير على وجود علم الله في أحوال خلقه.

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ ﴾ وزن أعمال العباد يوم القيامة يكون بالعدل، فمن ثقلت موازين أعماله الخيرية فأولئك هم الفائزون بالجنة؛ ومن خفَّت موازين أعماله بجحوده بآيات الله وبأعماله السيئات فأولئك الذين غبنوا أنفسهم في حياتهم الدنيا وخسروا في الآخرة، لا نجاة لهم من عذاب الله بسبب ما كانوا يجحدون بآيات الله ويرتكبون المعاصي، فأوجبوا عقاب الله على أنفسهم.

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠ ﴾

الله سبحانه وتعالى يذكر امتنانه على الإنسان في هذه الآية: ولقد مكناكم أيها الناس في الأرض تتصرفون فيها كيف تشاؤون، وجعلنا لكم في الأرض معايش: جمع معيشة، ترتزقون وتحيون فيها إلى منتهى آجالكم، ولكنكم تشكرون قليلاً على تلك النعم شكرًا لا يكافىء قدر النعم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ ولقد خلقنا أباكم آدم من طين ثم صورناه على صورة البشر وأنتم أيها الناس من صلبه. وبعد إكمال خلق آدم قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم تحية وتكريمًا له، فسجدوا له إلاَّ إبليس. وكان إبليس من جملة المأمورين، وأبى وتكبر أن يسجد لآدم، ولم يحصل له أن يكون من الساجدين.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ قال تعالى: أيّ شيء منعك يا إبليس من أن تسجد لآدم حين أمرتك؟ قال إبليس أنا خير من آدم خلقتني من نار وخلقته من طين.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ قال تعالى: فاهبط من الجنة، فما يجوز لك الإقامة فيها لأجل تكبُّرك وامتناعك عن إطاعة أمري، وعصيت عليّ، فاخرج منها إنك من الذليلين عندي وعند عبادي المؤمنين.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ قال إبليس عليه لعنة الله: يا رب امهل حياتي إلى يوم يبعث الخلائق من قبورهم. قال تعالى: إنك من المنظرين، أي: من المؤخرين إلى تمام أجلهم، إلى النفخة الأولى.

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ قال إبليس لعنة الله عليه فبسبب ما أوقعتني في الضلالة لأقعدن لبني آدم فأصدهم عن صراطك المستقيم التي توصلهم إلى جنتك، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، يعني: أصدهم عن كل خير من كل جهتهم، وأزين لهم الأعمال السيئات، ولا تجد يا رب أكثرهم شاكرين بنعمتك.

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ قال تعالى: اخرج من الجنة ممقوتًا ومطرودًا من رحمتي، وإن من تبعك من بني آدم فلأملأن منكم جهنم أجمعين، أي: من الجن ومن بني آدم أيضًا.

ثم أمر الله لآدم ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة فكلا من ثمارها رغدًا، أي: واسعًا، حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة، أي: ولا تقربا لتأكلا من هذه الشجرة لأنها من شجر الدنيا، إن أكلتما منها فتكونا من الظالمين على أنفسهم.

ولما سمع إبليس خطاب الله لهما، حسدهما عليه، وأراد أن يغويهما، قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ فألقى اللعين الوسوسة بصوت خفي إليهما ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وأراد اللعين افتضاحهما، إذا أكلا من تلك الشجرة تُسقط عنهما لباس الجنة، وقال اللعين لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاَّ كراهية أن تكونا ملكين من الملائكة أو تكونا من الخالدين في الجنة.

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ ﴾ وحلف إبليس بالله أني لكما لمن الناصحين، فدلاهما فأوقعهما في الهلاك وغرر بهما عندما أقسم لهما لِأكْلِ ثمرة تلك الشجرة حتى خدعهما بيمينه الكاذبة.

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ ﴾ فلما أكلا من ثمرة تلك الشجرة ظهرت عليهما عوراتهما وافتضحا، وطفقا، أي: وشرعا يستران عوراتهما فيقطعان من ورق أشجار الجنة فيلزقانه ليستترا به، وهما على هذه الحالة.

﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ وناداهما ربهما على وجه العتاب: ألم أنهكما عن أكل تلك الشجرة؟ وأقل لكما: إن الشيطان لكما ولذريتكما عدو ظاهر؟ وقال آدم عليه السلام: ما كنت أظن أنه يحلف بك بالكذب أحدٌ. قال تعالى: لأهبطنكما إلى الأرض تعيش فيها بالكد، فعندئذ اعترفا على خطيئتهما ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وهي الكلمات التي تلقى آدم من ربه، الكلمات المذكورة في سورة البقرة، فتقبل الله توبتهما فغفر لهما.

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال الله تعالى: انزلوا يا آدم وحواء وإبليس إلى الأرض بعضكم لبعض عدو. ولهذا لا يزال إبليس وأعوانه يعاندون المؤمنين ويلقون عليهم الوسوسة ليضلوهم عن دينهم الحق حتى يكونوا من حزبهم. وقال تعالى: ولكم في الأرض مستقر، أي: محل استقراركم إلى تمام آجالكم. ومتاع إلى حين، أي: تتمتعون فيها في حياتكم الدنيا إلى حين النفخة الأولى؛ لأن الدنيا تنقضي بها.

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ قال تعالى لآدم وحواء وإبليس: تعيشون حياتكم فيها، وفيها تموتون في تمام آجالكم، وتقبرون فيها، ومنها تبعثون وتحشرون إلى ربكم للحساب والجزاء.

ثم يذكر سبحانه وتعالى امتنانه على بني آدم ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يا بني آدم قد أنزلنا لكم لباسًا تستترون به عوراتكم ولباسًا تتجملون به، والريش هو ما ستر من لباس أو معيشة، وهو الرزق والمال، ومنه ريش الطير لأنه يستره. ثم نبّه عليهم: (ولباس التقوى) خير لكم لآخرتكم، وحقيقة التقوى الورع والخشية من الله في كل حال. (ذلك)، أي: تلك النعم من آيات الله الدالة على فضل الله ورحمته لعباده المؤمنين لعلهم يتذكرون فضل الله عليهم وأنه الخالق، فيشكرونه عليها ويعبدونه وحده.

ثم يحذر بني آدم من فتنة الشيطان عليهم ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ يا بني آدم احذروا كيد الشيطان فلا يوقعنكم في المعصية، كما أخرج أبويكم آدم وحواء من الجنة فنزع عنهما لباسهما، وأسند نزع اللباس إلى الشيطان لأنه تسبب بالوسوسة واليمين الكاذبة بالله للأكل من الشجرة التي نهاهما عنها. لأجل أن يريهما عوراتهما فيفتضحان، إن الشيطان يراكم وأعوانه من حيث لا ترونهم. وفي هذه الجملة تحذير المؤمنين أن لا يغتروا بإغواء الشيطان وتزيينه لأعمال السوء عليهم. ثم ذكر الله أنه هو الذي خلق الشيطان: إنا جعلنا الشياطين قرناء للذين لا يؤمنون بالله وحده ويشكون فيه، ﴿ وَإِذَا

فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ قال ابن عباس: هي طوافهم عراة: الرجال والنساء، وقال الخازن: كلمة الفاحشة تطلق على كل فعل قبيح، وإذا قيل لهم: لم تطوفون البيت عراة؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، أي: بأن نطوف عراة، قل لهم يا محمد: إن الله لا يأمر بالفحشاء، أي: بالأعمال المنكرات، أتقولون على الله بالكذب والافتراء بما لا تعلمون حقيقة قبحه؟ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قل لهم يا محمد: أمرني ربي بأن آمركم بالأمور المعروفة في شريعة الله بالعدل، وأقيموا وجوهكم عند كل صلاة إلى الكعبة، وادعوه، أي: واعبدوه مخلصين العبادة له، ولفظة (الدين) كلمة جامعة تشمل كل العبادات، وسُمِّي يوم القيامة يوم الدين لأن فيه الحساب والجزاء.

ثم زهّد العباد عن رغبة الدنيا: كما بدء خلقكم فرادى لا مال ولا أولاد لكم ترجعون إلينا وتحاسبون عن أعمالكم وتجازون عليها. (فريقًا)، أي: جماعة (هدى) الله إلى الإيمان به، وجماعة (حَقّ)، أي: وجب (عليهم الضلالة). ثم ذكر علة ذلك: (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء)، أي: قرناء ونصراء لمشكلاتهم. (ويحسبون أنهم مهتدون) إلى الحق.

﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ وجه الله الخطاب إلى بني آدم والمراد منه المؤمنون. (خذوا زينتكم)، أي: البسوا ثيابكم الطاهرة عند كل صلاة وطواف، (وكلوا

واشربوا) من ما رزقكم من الكسب الحلال. (ولا تسرفوا)، أي: ولا تتجاوزوا عن حد المعروف في معيشتكم إن الله لا يحب المسرفين.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ قل لهم يا محمد: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده لينتفعوا ويتجملوا به والطيبات من الرزق والمستلذات من الأطعمة؟ والاستفهام للإنكار. وفي الآية رد على المشركين الذين يطوفون عراة، ويحرمون على أنفسهم ما حلل الله من المأكل. سبق تفسيرها في سورة الأنعام.

﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ قل لهؤلاء المشركين: تلك الطيبات من الطعام والملابس للمؤمنين ولكم أيها المشركون، إنها لكم في حياتكم الدنيا، ولكن وهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة وليس لكم أيها المشركون إلاَّ النار في جهنم، يخلدون فيها.

مثل ما بينا لك يا محمد نوضح الآيات الدالات على كمال قدرتنا لقوم يفقهون ويتذكرون ويتعظون بها، وهم المؤمنون بالله وحده.

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين حرموا على أنفسهم ما حلل الله لعباده: (إنما حرم ربي الفواحش)، جمع فاحشة: هي الفعلة القبيحة في الشرع وعند الناس كالزنا واللواط والسرقة والنهب وشرب الخمر، يجب على فاعلها الحد الشرعي. (ما ظهر منها وما بطن)، أي: الذي خفي عن رؤية الناس كلها سواء في الجرم والإثم والبغي، أي: حرم الله عليكم الأعمال التي تشتمون

بها، وحرم عليكم الاعتداء على الناس بغير الحق، وحرم عليكم أن تشركوا بالله شيئًا لم ينزل بصحته حجة، وحرم عليكم أن تتقولوا على الله افتراء وكذبًا للقول الذي لا تعلمون قبحه في التحريم والتحليل.

ثم توعد الله على المخالفين أمره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ولكل أمة من المكذبين على أنبيائهم وقت معلوم لإهلاكهم، فإذا جاء وقت إهلاكهم لا يؤخرون عن وقت هلاكهم لحظة، (ولا يستقدمون) عنها، أي: لا يعجل عليهم قبل أجله.

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إن الله يخاطب بني آدم: إنما يأتيكم رسلي منكم ليبلغوا أمري إليكم، يقرأون عليكم آياتي لتؤمنوا بها. فمن اتقى، أي: خاف في مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه، وأصلح أعماله موافقًا لأمر الله فلا خوف عليهم من عذاب الله ولا هم يحزنون على ما تركوه في الدنيا من أولاد وعشيرة ومال.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ والذين كذبوا بآياتنا وتكبروا عن الإيمان بها أولئك أصحاب النار هم خالدون فيها على الأبد لا خروج لهم منها.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ فمن أعظم ظلمًا ممن افترى على الله كذبًا أو كذب بآيات كتاب الله، أولئك ينالهم حظهم من المقدر لهم في الكتاب، أي: في اللوح المحفوظ لحياتهم الدنيا، حتى إذا

جاءتهم رسلنا لقبض أرواحهم قالوا لهم: أين الذي كنتم تدعون، أي: تعبدون من دون عبادة الله؟ قالوا: غابوا عنا وتركونا وذهبوا ولم نرهم. فاعترفوا على كفرهم، قال تعالى: (وشهدوا) على خطئهم حين لا ينفعهم اعترافهم، أنهم كانوا في حياتهم الدنيا كافرين بخالقهم وبكتابه المنزل إليهم.

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يقول الله مخاطبًا لأهل النار: ادخلوا وانضموا في جملة أمم قد مضت من قبلكم من الجن والإنس في نار جهنم، كلما دخلت أمة في جهنم لعنت ولامت أختها التي قبلها. (حتى إذا تداركوا) في جهنم جميعهم، (قالت أخراهم)، أي: آخرهم دخولاً في جهنم (لأولاهم) دخولاً في جهنم: يا ربنا هؤلاء أضلونا عن دينك الحق. (فآتهم عذابًا ضعفًا من النار) قال تعالى: (لكل) الأولى والأخرى، عذاب ضعف، ولكن لا تعلمون عذاب بعضكم.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ وقالت أولاهم دخولاً في جهنم لأخراهم دخولاً في جهنم: فما لكم علينا من فضل، نحن متساوون في استحقاق العذاب، فذوقوا العذاب الذي استحققتم به بسبب ما كنتم تكسبون في حياتكم الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ

وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن أحوال الكافرين يوم القيامة: إن الذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا، وتكبروا عن الإيمان بها، لا تفتح لهم أبواب السماء لتصعد أعمالهم إليها، ولا يدخلون الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب إبرة. وهذا مثل لبعدهم عن دخول الجنة. (وكذلك نجزي المجرمين): لهم من نار جهنم فراش، ومن فوقهم غواش، أي: أغطية من نار جهنم. يعني: يحيط عليهم عذاب النار. وكذلك نجزي الظالمين على أنفسهم بالكفر بخالقهم.

ثم يذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة، وذلك سنة الله في كتابه العزيز ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ والذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى، (لا نكلف نفسًا إلَّا) على قدر طاقتها، وهذه الجملة اعتراضية بين الخبر والمبتدأ. وذكر هذه الجملة يدل على سعة رحمة الله على المؤمنين: (أولئك) الذين آمنوا بالله وحده وامتثلوا بأوامره واجتنبوا عن نواهيه هم (أصحاب الجنة) هم فيها مقيمون ومتنعمون بنعيمها على الأبد.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل وحقد وعداوة كانت بينهم في حياتهم الدنيا. ولما دخل أهل الجنة الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا النعيم، وما كنا لنهتدي إلى الإيمان به لولا أن هدانا الله. ثم أظهروا إيمانهم بالله وبرسله، فقالوا: لقد جاءت رسل ربنا بالحق، أي: بالوعد الحق. ونودوا عند ذلك: إن الجنة التي وعدها الله

لكم أورثتموها اليوم وجعلت لكم بسبب ما كنتم تعملون من الأعمال الصالحات.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ يخبر سبحانه عن تنادي أهل الجنة وأهل النار، وذلك بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وجاء بالذكر بصيغة الماضي لتحقق وقوع التنادي بينهما. أي: وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار: إنه قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا في كتابه العزيز وعلى ألسنة الأنبياء والرسل، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا لا خُلْفَ في وعيده علينا.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فينادي المنادي بينهما وهو الملك فيقول: إن لعنة الله على الظالمين لأنفسهم بالكفر على خالقهم وعلى الرسل، هؤلاء الذين يصدون الناس عن الدخول في دين الله، ويريدون أن يغيّروا دين الله وطريقه المستقيم، وهم بالآخرة كانوا كافرين لا إيمان لهم بوقوعها.

﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ وبين أهل الجنة وأهل النار حجاب، أي: سور ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ الأعراف جمع عرف وهو السور، أي: وعلى السور رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم يعني بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم وزرق عين.

﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ونادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة بالسلام، فقالوا: سلام عليكم، أي

سلمتم من العقوبة، ولكن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم يطمعون بدخولها.

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ قال المفسرون: إن أصحاب الأعراف هم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، لم يدخلوا الجنة وهم على الأعراف، فإذا صرفت، أي: حولت أبصارهم تلقاء أهل الجنة سلموا عليهم، وإذا حولت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار يعرفونهم بسيماهم، أي: بعلامات فيهم أو بسواد وجوههم، وهم رؤساء الكفار وأغنياؤهم، قالوا لهم توبيخًا عليهم: ما أغنى عنكم من عذاب الله جمعكم من الأموال والأتباع في الدنيا، وما أغنى عنكم استكباركم عن الإيمان بالله.

ثم قالوا توبيخًا لهم ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ أهؤلاء المؤمنون، وهم ضعفاء المؤمنين، الذين حلفتم بالله أنهم لا يدخلون الجنة ولا يصيبهم الله برحمة؟ وبعد ذلك يقول الله لأصحاب الأعراف ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ لا خوف من عذاب جهنم ولا أنتم تحزنون على ما تركتم من أولاد وعشيرة ومال.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ يخبر سبحانه وتعالى بعد أن استقر أهل الجنة في

الجنة وأهل النار في النار عن محاورتهما، وينادي أهل النار أقاربهم من أهل الجنة مستغيثين بهم أن صبوا لنا من ماء الجنة نشرب فيزول عطشنا وأعطونا مما رزقكم الله من نعيم الجنة نطمئن به من الجوع. (قالوا) ـ أي: أهل الجنة ـ: إن الله حرمهما، أي: شرابها وطعامها، على الكافرين الذين اتخذوا دين الله الذي أمرهم بأن يسلكوا ويتأدبوا به ولا يزيغوا عنه، فتركوا العمل به واستهزؤوا ولعبوا وغرتهم لذات حياة الدنيا واستمتعوا بشهواتهم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ فيوم القيامة نتركهم في جهنم كما تركوا العمل والإيمان بلقاء يومهم هذا بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا فلم يؤمنوا بها.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ولقد جئنا لكفار مكة بكتاب بيّنّا فيه أحكام ما شرعنا وأمرنا به، على علم منا، هداية إلى الإيمان بخالقهم وحده، ورحمة لقوم يؤمنون ولا يجحدون الإيمان بالله وحده.

هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ ما ينتظر هؤلاء المشركون بما وعدوا من العذاب إلاّ عاقبة أمرهم، يوم القيامة يأتي تأويله، أي: الوعيد الذي عليهم، يقول الذين تركوا الإيمان بوقوعه من قبل هذا: قد جاءت رسل ربنا بالخبر الحق لا شبهة فيه.

ثم يستغيثوا من عذاب الله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ويقول

أهل النار متمنين: هل لنا من شفعاء فيخلصونا من عذاب الله، أو نرد إلى الدنيا فنعمل فيها عملاً صالحًا غير العمل الذي كنا نعمل في الدنيا؟ فرد الله عليهم: قد غبنوا أنفسهم وظلموها بمخالفة أمر ربهم فخسروا، وغاب عنهم ما كانوا يفترون وكانوا يزعمون أن أصنامهم يشفعون لهم من عذاب الله.

ثم ذكر الله وحدانيته في إيجاد الخلائق فلم يشاركه في إيجادهم أحد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إن خالقكم ومعبودكم الله الذي خلق السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، ثم استوى على العرش، فاستواؤه على العرش كما يليق بجلاله بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل كما هو مذهب السلف رحمهم الله. وروي أن رجلاً سأل الإمام مالك رحمه الله عن الاستواء على العرش، فقال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، إنك رجل مبتدع، أخرجوه من المسجد. ولو ذكرنا أقوال العلماء في الاستواء لطالب العلم يتشوش ويتحير، ويجب على المؤمنين الإيمان به كما ذكر الله في كتابه وثبت في سنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، ونكل العلم به إلى الله.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، أي: يجعلُ الليل كالغطاء بظلمته للنهار فيذهب ضوء النهار، بظلمة الليل، يطلبه، أي: يتبعه سريعًا ودائمًا من غير فتور وكذلك يغشي النهارَ الليلَ بضوئه على ظلمة الليل ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ خلق الله الشمس والقمر والنجوم ــ جمع النجم والمراد منه الكواكب السيارة ــ كلها مسخرات بأمره لمصالح خلقه.

ثم يمجد نفسه جلّ وعلا كما يليق بجلاله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ألا له جل شأنه الكائنات كلها، وله التصرف فيها كيف يشاء، يفعل ويحكم ما يريد، تبارك الله، أي: تعاظم الله وارتفع، وكثّر خيراته لعباده فهو رب العالمين، أي: خالقها ورازقها.

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ادعوا ربكم أيها المسلمون في قضاء حاجاتكم، تضرعًا، أي: تذللاً وخشوعًا، وخفية، أي: لا ترفعوا أصواتكم صارخين؛ لأن رفع الصوت هكذا ينافي الخشوع، إن الله لا يحب المعتدين في دعائهم.

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ولا تسعوا أيها المسلمون مفسدين في أهل الأرض بعد إصلاحها وأهلها، وذلك بإرسال الرسل إليهم، وقيل معناها: ولا تفسدوا أيها الناس في الأرض بالمعاصي والشرك والكفر فيمسك الله المطر فتهلك البهائم والزروع بعد أن أصلحها الله بطاعة صالح المؤمنين وبدعائهم.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ وادعوا الله أيها المسلمون خائفين من عقابه وراجين رحمته، إن رحمة الله قريب لإجابة دعاء المطيعين لأوامر الله والمجتنبين عن نواهيه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وهو الله الذي يرسل الرياح بشارة قبل نزول المطر، سمي المطر رحمة لأنه من رحمة الله، حتى إذا أقلّت، أي: حملت الرياح سحابًا ثقالاً سقنا السحاب إلى أرض ميتة، أي: يابسة جرداء، فأنزلنا بها الماء فأخرجنا بماء المطر من كل أصناف الثمرات

والزروع والعنب لبهائمكم، وكذلك نخرج الموتى من قبورهم لعلكم تتذكرون وتدبرون فيما بيّـنّا لكم، وتتعظون بها.

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذان مثلان للمؤمنين والكافر والمعنى: والأرض طيبة التربة نباتها يخرج منها سهلاً، وينمو زرعها مترعرعًا ومبتهجًا. وهذا مثل للمؤمنين، أما الأرض التي خبثت تربتها سبخًا لا يخرج نباتها إلاّ عسرًا قليلاً، وهذا مثل للكافرين، مثل هذا البيان نبيّن الآيات الدالات على كمال قدرتنا لقوم يشكرون على ما وفقهم الله بالإيمان بالله وحده وبرسله وبكتبه المنزلة على الرسل وباليوم الآخر. وحقيقة الشكر الاعتراف بنعماء الله والاستقامة في أوامر الإسلام والاجتناب عن نواهيه.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن إرسال نوح عليه السلام إلى قومه، أي: قد أرسلنا نوحًا إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان بـي وحدي ولا يشركون بـي شيئًا. فقال نوح عليه السلام: يا قوم اعبدوا الله، هو ربكم، ليس لكم من إلـه يعبد إلاّ هو، المعبود الحق، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم إن لم تؤمنوا بخالقكم ولم تعبدوه.

فأجاب قومه ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ قال أشراف قومه: إنا لنراك يا نوح في خطأ ظاهر.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ قال نوح عليه السلام: ليس بـي ضلالة كما تزعمون عني ولكني رسول إليكم من

ربي وربكم ورب الكائنات ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾، أي: أنا أبلغ إليكم رسالات، أي: أوامر ربي، وأنصح لكم بما فيه صلاحكم في الدنيا والآخرة، وأنا أعلم من أمر الله بما أخبرني الله به ما لا تعلمونه.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال نوح عليه السلام منكرًا على استكبار قومه عن الإيمان بالله وحده: أوعجبتم يا قومي إن جاءكم ذكر، أي: رسالة من ربكم على رجل منكم تعرفون نسبه وشأنه لينذركم من عقاب ربكم إن لم تؤمنوا به وحده ولم تصدقوا برسالتي إليكم من ربكم، ولتتحذروا يا قومي من مخالفة ما أمركم ربكم لعلكم ترحمون، أي: تسلمون من عقاب الله في الدنيا والآخرة برحمة ربكم.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فكذبه قومه ولم يقبلوا دعوته إلى الإيمان بالله وحده، فأنجينا نوحًا والذين آمنوا معه من ماء الطوفان في السفينة، وأغرقنا الذين كذبوا بكتابنا وبرسالة رسولنا نوحًا وبأخبار أهوال يوم القيامة، إنهم كانوا قومًا عمين، أي: عميت بصيرة قلوبهم فلا يقبلون الحق.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا ليبلغ رسالة الله إليهم، قال هود عليه السلام: يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، ليس لكم من إلـٰه يُعْبَد إلاَّ الله، هو المعبود الحق، أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم غيره؟

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ

﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦﴾ قال أشراف قومه إنا لنراك يا هود في جهل وخفة في عقلك، وإنا لنظنك في دعوتك من الكاذبين.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧﴾ قال هود عليه السلام مجيبًا على قومه: ليس بي جهل فيما دعوتكم إلى توحيد ربكم ولكني رسول إليكم من رب العالمين ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ قال هود عليه السلام: أبلغ أمر ربي إليكم، وأنا فيما دعوتكم إلى توحيد ربي وربكم صادق أمين لا أكذب فيها.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ قال هود عليه السلام: أوعجبتم يا قومي إن جاءكم رجل منكم تعرفونه برسالة من ربكم، لينذركم من عقابه إن لم تؤمنوا به وحده وإن لم تصدقوا برسالتي إليكم؟ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾ قال هود عليه السلام مذكرًا قومه بما وهب الله لهم من القوة في أبدانهم وسعة الرزق لهم: اذكروا يا قومي حيث جعلكم الله خلفاء في الأرض من بعد إهلاك قوم نوح بالطوفان، وزادكم قوة وضخامة في أبدانكم. ثم أكد التذكرة وقال: اذكروا آلاء الله، أي: نعماء الله، ولا تشركوا به شيئًا، واستقيموا في دين الله، ولا تزيغوا عنه لعلكم تفوزون بما وعد الله لكم في الجنة.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ قال قومه مجيبين لهود عليه السلام: أجئتنا بدعوة لنعبد الله وحده، وهذا أمر عجيب، ونترك الذين يعبدهم آباؤنا؟ فائتنا بما تعدنا من نزول العذاب إن لم نعبد الله وحده إن كنت من الصادقين في وعيدك علينا.

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ قال هود عليه السلام مخبرًا قومه: (قد وقع)، أي: نزل عليكم عذاب وغضب من ربكم، ثم أنكر عليهم مجادلتهم له، قال: أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم آلهة، فتعبدونها، ما نزل الله بصحة العبادة لها من حجة تصح بها عبادتكم لها، فانتظروا نزول العذاب عليكم إني معكم من المنتظرين لما ينزل عليكم من العذاب.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ قال تعالى: فأنجينا هودًا والذين آمنوا بالله وحده وبرسالة هود عليه السلام فكانوا مع هود. (وقطعنا)، أي: استأصلنا بالريح العقيم المدمرة فهلكوا فيها (الذين كذبوا بآياتنا)، أي: كذبوا هودًا وكذبوا بالمعجزات التي وهبها الله هودًا عليه السلام لتدل على صدق رسالته. وما كانوا مؤمنين بالله وحده وبرسالة هود عليه السلام.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا ليبلغ أمر الله إلى قومه، قال صالح عليه السلام: يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، ليس لكم من إله يعبد إلاّ هو المعبود الحق. وكان قومه سألوا صالحًا عليه السلام آية تدل على صدق نبوته، فأخرج الله الناقة من حَجَر صلد، فقال صالح عليه السلام لقومه: قد جاءتكم بينة، أي: آية ظاهرة من ربكم، هذه ناقة الله لكم آية تدل على صدق نبوتي إليكم، فاتركوها تأكل وتعيش في أرض الله ولا تتعرضوا لها بسوء من

الأذى، وإن أسأتم إليها فسيأخذكم عذاب أليم.

وسيأتي بيان إساءتهم إليها في سورتي هود والقمر.

﴿ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ وقال صالح عليه السلام لقومه: اذكروا نعمة الله لكم حيث جعلكم خلفاء، جمع خليفة، في الأرض من بعد هلاك عاد، أسكنكم فيها تتخذون من سهولها بيوتًا تسكنون في الصيف وتنحتون من الجبال بيوتًا تسكنون فيها في الشتاء، فاذكروا نِعَمَ الله عليكم، ولا تسعوا في أرض الله مفسدين في خلق الله بالنهب وارتكاب المعاصي.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ قال أشراف قوم صالح عليه السلام، الذين تكبروا وتعاظموا على قومهم، قالوا: للذين استضعفوا، لمن آمن بالله وبرسالة صالح عليه الصلاة والسلام من الضعفاء: أتعلمون يا قوم أن صالحًا مرسل من ربه؟ وخطاب الملأ للذين آمنوا بالله وحده كان استهزاءً بهم. فأجاب المؤمنون: نحن بما أُرْسِلَ صالحٌ من ربه مؤمنون، لا نشك فيه أبدًا.

ولما أجاب المؤمنون بالإيمان بصالح عليه السلام أظهر الملأ كفرهم بصالح عليه السلام ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ صرّح الذين تكبّروا عن الإيمان بالله وبرسالة صالح عليه السلام أنهم كافرون بالذي آمن به الضعفاء من قوم صالح.

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن

﴿كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾ فعقروا، أي: نحروا الناقة، وفجروا وتكبروا عن الامتثال لأمر ربهم، وقالوا لصالح عليه السلام مستهزئين: ائتنا بما توعدتنا به من العذاب إن كنت من المرسلين إلينا من ربك.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾ فأخذتهم الزلزلة من تحتهم ومن فوقهم، والرجفة هي الصيحة القوية، فصاروا في بيوتهم ملتصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر، أي: صاروا خامدين من شدَّة العذاب بالرجفة ميتين فما استطاعوا خلاصًا منها.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ فتولى صالح عليه السلام عنهم بعد هلاكهم معرضًا، وقال مخاطبًا موتاهم: يا قوم، لقد بلَّغت رسالة ربي إليكم ونصحت لكم في إبلاغها ولكن كنتم لا تحبون الناصحين، أي: الصادقين في كلامهم، فلم تقبلوا نصحي.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾ وأرسلنا لوطًا إلى أهل سدوم، بلدة تقع بين الأردن وفلسطين، ليبلغ أمر ربه وينهاهم عن أفعالهم الخبيثة، حيث قال لقومه: أتأتون الفعلة الفاحشة؟ ما سبقكم أحد بتلك الفعلة الخبيثة من عالم البشر. ثم زاد التوبيخ والإنكار، قال: إنكم يا قوم لتأتون الرجال لقضاء شهواتكم بهم من دون نسائكم كالبهائم! بل أنتم قوم متجاوزون حدود الله وهاتكون ما حرم الله عليكم.

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وبعد أن وبخهم وهددهم لوط عليه السلام، (قالوا)، أي: بعضهم لبعض: أخرجوا لوطًا وأتباعه من بلدكم، إنهم أناس يدّعون الطهارة ويكرهون فعلتنا.

﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ قال تعالى: فأنجينا لوطًا ومن آمن به من عقابنا، إلاّ امرأته من أهل بيته كانت من الباقين في العذاب المهلك ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ وأُمطر عليهم حجارة مثل المطر، كل حجر مكتوب فيه اسم من يرمى عليه ـ سيأتي في سورة هود أتم من هذا إن شاء الله ـ ، فانظر يا محمد بنظر العبرة كيف كان عاقبة المجرمين، فعاقبتهم الهلاك في عقاب الله.

فخطاب الله محمدًا عليه الصلاة والسلام بقوله: انظر فيه معنى الأمر، ليبلغ أمته ليتحذروا.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم شعيبًا ليبلغ أمرنا إليهم، قال شعيب: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله يعبد إلاّ الله، هو المعبود الحق ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ قال شعيب ليقنع قومه: قد جاءتكم حجة واضحة بأني رسول الله إليكم، فأوفوا الموزون بالكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس حقوقهم بتطفيف الكيل والميزان، ولا تسعوا في الأرض بالأعمال الفاسدة بعد إصلاحها بإرسال الرسول إلى

أهلها، ذلكم الذي ذكّرت لكم من الإصلاح إن عملتم به فهو خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم مصدقين بما نصحت لكم.

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ قال شعيب عليه السلام لقومه الضالين: ولا تقعدوا بكل طريق توعدون، أي: تخوفون المار في الطريق وتمنعون عن دين الله من آمن به وتبغونها عوجًا وزيغًا، واذكروا يا قوم حيث كنتم قليلاً في النفوس والمال فكثّر الله نفوسكم ومالكم. وانظروا يا قوم إلى قضية من قبلكم من الأمم السالفة كيف كان عاقبة المفسدين في أرض الله بالكفر بخالقهم والعصيان عليه.

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ قال شعيب عليه السلام لقومه منبّهًا: (وإن كان) جماعة منكم (آمنوا) بالذي أرسلني الله به إليكم، وجماعة لم يؤمنوا برسالتي من الله (فاصبروا) أنتم على كفركم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين بالعدل، وفيها وعيد وتهديد.

﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ قال أشراف قومه الذين استكبروا عن الإيمان بالله وحده وبرسله: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من بلدنا أو لتعودن في ديننا، فردَّ عليهم شعيب قائلاً: أوتجبروننا على ملتكم إن كنّا كارهين لها؟ أو تجبرونا على الخروج؟

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن

نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ وقال شعيب عليه السلام جوابًا وردًّا على قومه الذين يدعونه إلى دينهم: قد افترينا على الله كذبًا إن رجعنا إلى دينكم بعد إذ نجانا الله منها، وما ينبغي لنا أن نرجع إلى دينكم إلاَّ أن يشاء الله في سابق علمه علينا، وسع ربنا كل شيء علمًا، وحكمه وقضاؤه لحكمة وعلم. ثم توجه بالدعاء إلى الله: يا ربنا افتح، أي: افصل بيننا وبين قومنا الكافرين بالعدل، وأنت يا ربنا خير الفاتحين، أي: الفاصلين بالحكم العدل.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ قال الأشراف من قوم شعيب الذين كفروا بالله وبرسالته: قالوا لقومهم: لئن اتبعتم شعيبًا في دينه إنكم إذًا لخاسرون، فجاء الردّ من الله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ فأخذتهم زلزلة شديدة فصاروا في ديارهم جاثمين على ركبهم ميّتين.

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ الذين كذبوا شعيبًا برسالات الله إليهم حين أخذتهم الرجفة كأنهم لم يقيموا في ديارهم. ثم أكّد: الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرون. وهذا على مقابلة قول الأشراف لقومهم: إنكم إذًا لخاسرون.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فتولى شعيب عليه السلام عنهم وقال مخاطبًا قومه: يا قوم، لقد بلغتكم رسالات ربـي، ونصحت لكم، ولم تقبلوا نصيحتي، وكذبتموني، وأصررتم على كفركم بالله حتى نزل عليكم العذاب، فكيف أحزن على قوم كافرين بخالقهم؟

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ قال تعالى: وما أرسلنا رسولاً إلى أهل بلد، (من نبي) ليبلغ رسالات ربه إليهم فكذبوه ولم يقبلوا دعوته إلَّا عاقبناهم بالبأساء، أي: بالفقر وعسر الحال في عيشتهم، والمرض في أبدانهم، لعلهم يتضرعون إلى ربهم ويتوبون عن ذنوبهم.

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال تعالى: بعد تضرعهم وتوبتهم عن ذنوبهم بدلنا مكان البؤس والفقر أو الشدَّة والشرّ حسنة، أي: نعمة حسنة واسعة ورخاءً وخيرًا: في عيشتهم، وصحة في أبدانهم تنعموا فيها حتى عفوا، أي: كثروا وكثرت أموالهم، وتركوا أوامر الله واغتروا في سعة أرزاقهم وصحة أبدانهم وقالوا: قد أصاب آباءنا الضرَّاء والسَّرَّاء، ولم يبالوا عاقبة أمرهم، فأخذناهم بالعذاب المهلك فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب عليهم.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بالله وبرسله واتقوا الله واجتنبوا المعاصي لفتحنا عليهم بركات، أي: لنزلنا عليهم أمطارًا من السماء وأنبتنا به الزروع والعشب، ولكن كذبوا برسلنا فأخذناهم بالعذاب المهلك بسبب ما كانوا يكسبون من المعاصي.

أخبر الله عن الأمم السابقة الطاغية وكيف أهلكهم بكفرهم بالله وعصيانهم لرسله، وذلك تخويفًا وتحذيرًا لكفار مكة ومن حولها.

ومن قوله تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا) إلى قوله: (ولا يأمن

مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون) تخويف وتحذير لكفار مكة ومن حولها من الكفار.

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ أفأمن أهل مكة ومن حولها أن يأتيهم عذابنا في الليل وهم نائمون غافلون عنه ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ أو أمن كفار مكة ومن حولها أن يأتيهم عذابنا نهارًا وهم يلعبون في طغيانهم غافلون عنه ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ أفأمن كفار مكة ومن حولها مكر الله؟ ولا يأمن مكر الله إلاَّ القوم الخاسرون أنفسهم. سبقت ثلاثة استفهامات كلها للتوبيخ والتقريع على كفار مكة ومن زاواهم وكان مثلهم، وقوله: مكر الله، أي: إمهاله في طغيانهم استدارجًا لهم.

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ قال تعالى منكرًا على غفلة كفار مكة: (أولم يهد)، أي: يتبين، للذين يخلفون على الأرض من هلاك أهلها أنا لو نشاء أخذناهم بذنوبهم بالعذاب المدمر، وإن شئنا إمهالهم نطبع على قلوبهم خَتْمَ الجهل والغفلة فهم لا يسمعون التذكير والموعظة حتى يعظم إجرامهم؟

ثم وجه الخطاب للنبي ﷺ تذكيرًا له ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (تلك): إشارة إلى القرى السابقة قبل بعثة النبي ﷺ، (نقص عليك) يا محمد من أخبار أهلها، (ولقد جاءتهم رسلهم) بالآيات الواضحات وبالمعجزات الباهرات، فما كانوا

ليؤمنوا بها، واستمروا على تكذيبهم الذي كان من قبل هذا، مثل ذلك يطبع الله على قلوب الكافرين بخالقهم وبرسله إليهم ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ وما وجدنا لأكثر الأمم الماضية من وفاء للعهد الذي أوصيناهم، وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين عن طاعتنا وطاعة رسلنا الذين أرسلناهم إليهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ ثم بعثنا من بعد الأمم الخالية موسى بن عمران بالمعجزات الباهرات إلى فرعون وقومه؛ لأن في عهد فرعون السحر والكهانة راجت وكثرت، وظهرت معجزات موسى عليه السلام على سحر الساحرين وأبطلتها، فجحدوا بها بعد المشاهدة، فأهلكناهم، فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين في خلق الله.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وقال موسى عليه الصلاة والسلام: يا فرعون إني رسول إليك وإلى قومك من رب الكائنات وموجدها من العدم، وواجب عليّ أن أبلغ رسالته إليكم، وأن لا أقول على الله إلاّ القول الذي يليق به ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ قال موسى عليه السلام مخاطبًا لفرعون وقومه: قد جئتكم يا فرعون بحجة واضحة من ربكم لا شبهة فيها تدل على صحة رسالتي إليكم، فأرسل معي بني إسرائيل يذهبون إلى الأرض المقدسة، وهي بيت المقدس.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ قال فرعون لموسى عليه السلام: إن كنت جئت بمعجزة تدل على صدق رسالتك فأت بها إن كنت من الصادقين في دعواك أنك رسول إلينا من ربك. ﴿فَأَلْقَىٰ

عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ فألقى موسى عليه السلام عصاه على الأرض فإذا هي صارت حية عظيمة ظاهرة على أعين الناس تتحرك، وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء ذات نور وأشعة للناظرين إليها. وقيل كان موسى عليه السلام أديم اللون، أي: لونه قمحي.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾ وقال الأشراف من قوم فرعون: (إن هذا): يشير إلى موسى عليه السلام، لساحر ماهر عليم في علم السحر، يريد أن يخرجكم يا قوم من أرضكم مصر بسحره، (فماذا)، أي: فبأيّ شيء تأمرون فنفعل به؟ فأجاب قومهم ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ قال قوم فرعون: أخر أمره وأخاه وأرسل في مدائن مصر جامعين ليأتوك بكل ساحر ماهر في علم السحر.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وجاء السحرة عند فرعون قالوا: إن لنا لأجرًا عظيمًا حتى نوقع به. إن كنا نحن الغالبين على سحره. قال فرعون: نعم، نؤتيكم أجرًا عظيمًا، وأجعلكم من المقربين في مجلسي ومشورتي.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ ولما حضروا في ميدان المبارزة، قال السحرة يا موسى: إما أن تلقي سحرك وإما أن نكون نحن الملقين سحرنا. قال موسى عليه السلام: ألقوا سحركم. فلما ألقوا حبالهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم، أي: أفزعوهم وخوفوهم، وجاؤوا بسحر عظيم في أعين الناس، ولكن لا حقيقة له.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ وأمرنا موسى (أن ألق عصاك) فألقاها فإذا هي تبلع ما يأفكون، أي: ما يصنعون بالكذب ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ فثبت الحق وبطل ما كانوا يعملون من أعمال السحر ﴿ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ فغلب فرعون وقومه في ذلك المجمع العظيم ورجعوا ذليلين خائبين في مرامهم ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ وخرّ السحرة ساجدين لله تعالى، قالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون. فأظهروا إيمانهم في الحال في مجتمع الناس وفرعون حاضر فيهم.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ قال فرعون للسحرة: آمنتم بموسى قبل أن آذن لكم؟ إن هذا الصنيع لمكر منكم مكرتموه في مدينة مصر لتخرجوا منها أهلها وتسكنوا فيها بعدهم.

ثم توعد عليهم: فلسوف تعلمون عذابي عليكم.

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ قال فرعون للسحرة: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي: اليد اليمنى من الكوع والرجل اليسرى من الكعب، ثم لأصلبنكم أجمعين حتى يشاهد الناس ذلك. وكان فرعون أول من فعل ذلك، قاله ابن عباس. قال السحرة ردًّا عليه إنا إلى ربنا منقلبون راجعين عنك وما تنتقم منا إلاّ أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا تصديقًا لرسالة موسى عليه السلام، يا ربنا أفرغ علينا صبرًا على تعذيب فرعون وتوفنا مسلمين، أي: مستسلمين لقضائك.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ قال أشراف قوم فرعون لفرعون: أتترك موسى وقومه، ليتركوك ويترك آلهتك؟ وكان فرعون يعبد أصنامًا ويكلف الناس أن يعبدوها، فقال فرعون مجيبًا على قومه ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ قال فرعون: سنقتل أبناءهم صغارًا كما كنا نقتل ونترك نساءهم أحياء للخدمة، وإنا قاهرون عليهم، فعندئذٍ ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ قال موسى عليه الصلاة والسلام مسلّيًا لبني إسرائيل وتثبيتًا لهم: استعينوا بالله واصبروا على أذى فرعون وقومه، إن الأرض كلها لله يعطيها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة للمتقين في مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه.

﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أؤذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة، ومن بعد ما جئتنا بالرسالة. قال موسى عليه السلام: عسى ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أراضيهم وتسكنون فيها، وترتاحون من أذى عدوكم، فينظر الله إليكم كيف تعملون: أتشكرون بنعمة الله أم تكفرونها؟

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ وقال تعالى: (ولقد أخذنا)، أي: عاقبنا آل فرعون (بالسنين)، جمع سَنَة، أي: بالقحط والجدب، ونقص من الثمرات لعلهم يتذكرون إجرامهم على الله ورسوله موسى عليه السلام، فيرجعون عنه ويتوبون إلى الله.

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ قال تعالى: فإذا جاءت قوم فرعون الحسنة، يعني: الغيث والثمار والزروع بسبب المطر على أراضيهم، قالوا: لنا هذه. وإن تصبهم سيئة، أي: قحط وجدب من قلة المطر، يتشاءموا بموسى ومن آمن به. قال تعالى بكلمة التنبيه: ألا إنما طائرهم، أي: حظهم ونصيبهم عند الله لا من عند موسى، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك.

﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: مهما تأتنا بآية لتسحرنا، أي: لتردنا عما نحن فيه، فما نحن لك بمصدقين فيما دعوتنا إليه.

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ فأرسلنا عليهم المطر: أحاط ماء المطر بيوت قوم فرعون ودخل فيها، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل، فأقام عليهم سبعة أيام.

فتضرعوا إلى موسى عليه السلام: ادع لنا ربك يا موسى، ولئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن بك: فدعا موسى عليه السلام اللّـهَ، فكشف الله عنهم الطوفان، فأقاموا شهرًا في عافية ونعمة من الله، ولم يؤمنوا.

فأرسل الله عليهم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم، حتى دخل إلى دورهم، ولم يدخل دور بني إسرائيل..

فتضرعوا إلى موسى عليه السلام وأعطوا الميثاق أنهم يؤمنوا، فدعا

موسى عليه السلام اللّٰهَ، فكشف الله عنهم الجراد، وقد بقي من زروعهم وثمارهم شيء، فقالوا: يكفينا ما بقي لنا من زروعنا وثمارنا، فما نحن لك بمؤمنين، ولم يؤمنوا، فأقاموا شهرًا.

فأرسل الله إليهم القمل. اختلفت فيها أقوال المفسرين؛ والمعروف أنها دواب صغار تحدث في بدن الإنسان والدواب، تشرب دم البدن، فأقامت القمل في قوم فرعون سبعة أيام لزمت جلودهم وشربت دماءهم تمنعهم النوم.

فتضرعوا إلى موسى عليه السلام: لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك. فدعا موسى عليه السلام اللّٰهَ، فكشف الله عنهم القمل. فأقاموا شهرًا على عافية، ولم يؤمنوا.

فأرسل الله عليهم الضفادع، فدخل بيوت القبط، ودخل في طعامهم وشرابهم ومرقدهم، حتى عجزوا عنه وذلك سبعة أيام.

فتضرعوا إلى موسى عليه السلام وأعطوا العهد أنهم يؤمنوا، فدعا موسى عليه السلام اللّٰهَ، فكشف الله عنهم الضفادع، فأقاموا شهرًا في عافية ونعمة، ولم يؤمنوا ونقضوا العهد.

وابتلاهم بالدم، فسالت أنهارهم وآبارهم دمًا، وكان الإسرائيلي يأخذه ماءً والقبطي دمًا، وقد أصابهم بمرض الرعاف والدم يسيل من أنوفهم على طعامهم وشرابهم وثيابهم.

فتضرعوا إلى موسى عليه السلام، فأعطوا العهد أنهم يؤمنوا بموسى عليه السلام، فدعا موسى عليه السلام اللّٰهَ، فكشف الله عنهم الدم، فأقاموا في عافية.

ثم نقضوا العهد ولم يؤمنوا بموسى عليه السلام، مع كل ما سبق ذكره من آيات، أي: علامات من العذاب مفصلات، أي: آية بعد آية، فاستكبروا عن الإيمان بالله وحده وبرسالة موسى عليه السلام، وكانوا في علم الله قومًا مجرمين.

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ ولما نزل عليهم العذاب المتقدم ذكره بالآيات مفصلات، قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنا العذاب لنؤمنن بك ولنرسلن معك بني إسرائيل، قال تعالى: فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل مقدر لهم هم بالغوه لا محالة، إذا هم ينقضون عهودهم ويصرون على كفرهم ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾، أي: سلبنا عنهم النعمة، فعاقبناهم فأغرقناهم في ماء البحر بسبب أنهم كذبوا بآياتنا التي بلغها لهم موسى عليه السلام، ولم يقبلوها، وكانوا عنها غافلين، لا يتأملون عاقبة أمرهم.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ بعد إهلاك فرعون وقومه في البحر أورثنا بني إسرائيل ــ الذين كانوا يستذلّون في خدمة الفراعنة ــ مشارق الأرض ومغاربها، أي: أراضيهم وقصورهم وأموالهم التي باركنا فيها، أي: بإخراج الزرع والثمار والأنهار. واختلفت أقوال المفسرين في هذه العبارة، والله أعلم بما هو الصواب،

أن فرعون له حكم مصر وفلسطين والشام، والفراعنة موجودون فيها، ويستخدمون بني إسرائيل في أعمال شاقة عليهم، ولا يبالون بهم، وبعد أن أهلكهم الله أسكن بني إسرائيل في قصورهم وأملكهم أموالهم. وبذلك تمت كلمة الله بالوعد لبني إسرائيل: إن الله يهلك أعداءهم ويورثهم قصورهم وأموالهم، بسبب ما صبروا على أذى الفراعنة لله تعالى متمسكين بدينهم.

وقوله: (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وما كانوا يعرشون)، أي: أهلكنا السلاح والأعتاد التي هيأها فرعون لمحاربة موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل، والبساتين التي بناها فرعون وقومه بطرًا ومفاخرة أعطيناها لبني إسرائيل زيادة عن حاجتهم.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ وقال تعالى: وجاوزنا ببني إسرائيل، أي: عبر موسى ببني إسرائيل البحر بعد هلاك فرعون وقومه، فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها، قال بنو إسرائيل: يا موسى اجعل لنا آلهة نعبدها كما لهم آلهة، قال موسى عليه السلام: إنكم قوم تجهلون عظمة الله واستحقاقه لعبادة العباد، هو المعبود الحق وعبادة غيره باطلة ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل: إن هؤلاء القوم متبَّر، أي: مُهْلَكٌ في عذاب الله بسبب إشراكهم بالله. وما هم فيه على الخسارة، وباطل ما كانوا يعملون، لا ينفعهم بل يضرهم.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ قال موسى عليه السلام للقوم الذين قالوا: اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة، منكرًا

على قولهم: أغير الله أبغيكم إلـٰهًا تعبدونه؟ وهو الله إلـٰهكم الحق، وغيره باطل، وهو فضلكم على العالمين بسعة الرزق والأمن من أعدائكم الفراعنة، فيجب عليكم شكر هذا التفضل لكم من ربكم.

ويذكّر سبحانه وتعالى بني إسرائيل إنجاءهم من أعدائهم الفراعنة ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ اذكروا يا بني إسرائيل حين أنجيناكم من قوم فرعون، يسومونكم، أي: يبغون عليكم أشد الأعمال ويكلفونكم بها، وأنتم تعذبون فيها، ويقتلون أبناءكم صغارًا، ويتركون بناتكم أحياء للاستخدام، وفي ذلك العذاب وقتل الأولاد ابتلاء عظيم من ربكم، أفلا تشكرون الله على إنجائكم منهم؟ وتريدون عبادة غيره؟ لا ينبغي لكم ذلك.

وقال تعالى: ﴿۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ وعد الله موسى عليه السلام بأن يعطى التوراة، فأمره أن يصوم ثلاثين يومًا، هو ذو القعدة، فصام ثلاثين يومًا، وكره رائحة فمه فتسوك، فقال تعالى: أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؟ وأمر له أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة، وذلك قوله تعالى: (وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) ولما جاء الميقات فأراد أن يذهب إلى الطور ليتسلم التوراة من ربه، قال لأخيه هارون: اخلفني، أي: كن خليفتي في قومي وأصلح شأنهم وأمُرْهم بالمعروف ولا تتبع سبيل المفسدين، وهارون عليه السلام لا يتبع سبيل المفسدين، إنما أوصى له ليتحذر عن آراء المفسدين في بني إسرائيل.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ قال تعالى: ولما جاء موسى للوقت الذي واعدناه بأن نعطيه التوراة، وكلم الله موسى عليه السلام بغير واسطة، وتشوّق أن يرى ربه، قال: يا رب أرني ذاتك المقدسة أنظر إليك. قال تعالى: لن تراني، أي: لن تستطيع أن تنظر إليّ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني؛ لأن الجبل أشد وأقوى منك. فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكًّا، أي: مدكوكًا ترابًا. وخر موسى صعقًا، أي: سقط موسى عليه السلام مصعوقًا، فلما أفاق من دهشته وزوال شعوره، قال: سبحانك تبت إليك من مسألتي رؤيتك، وأنا أول المؤمنين بما شاهدت من عظمة نور جمالك وكبريائك.

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ قال تعالى: يا موسى إني اخترتك وفضّلتك على الناس الذين إليهم أبعثك لتبلِّغ رسالتي لهم، أي: لبني إسرائيل، واخترتك بأن أكلمك بغير واسطة فخذ ما آتيتك من الرسالة والحكمة وكن من الشاكرين على ما أنعمت عليك.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ وكتبنا لموسى في التوراة من كل شيء يحتاج إليه في الحكم بين خصمين والحلال والحرام، وذكرًا وموعظة يتعظ من سمعها، وتفصيلاً لكل شيء يحتاجه قومه. قلنا: فخذها يا موسى بقوة وعزم وجد، وأمر قومك بني إسرائيل بأفضلها من

الأعمال لأنها أقرب للتقوى، أي: يعملوا بالأوامر ويتركوا المناهي. ثم حذر بني إسرائيل عن الفسق والفجور: سأريكم يا بني إسرائيل دار الفاسقين، وهي جهنم، إذا نظرتم إليها تفزعوا فزعًا شديدًا.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن قوم ضالِّين متكبِّرين عن الهداية إلى الضلالة: سأمنع المتكبرين عن فهم آياتي، وأختم على قلوبهم لا تدخل فيها تذكرة ولا موعظة، فهم يتجبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية قرآنية أو معجزة من الله لأوليائه لا يصدقون بها، وإن يروا سبيل الرشد والهداية لا يسلكوا فيها، وإن يروا سبيل الضلالة والكفر يسلكوا فيها، ذلك الانحراف عن الهداية إلى الضلالة بسبب أنهم كذبوا بآياتنا، فعاقبناهم بها عقوبة معجلة عليهم، وكانوا عن آياتنا ومعاقبتنا لهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ والذين كذبوا وجحدوا بآياتنا، وأنكروا بالبعث للحساب والجزاء، بطلت أعمالهم التي عملوها في حياتهم الدنيا من أعمال الخيرية، لا ثواب لهم بها، والأعمال التي يعملونها من الكفر والمعاصي يعاقبون بها.

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ قال تعالى: واتخذ قوم موسى عليه السلام من بعد ذهاب موسى عليه السلام لمناجاة ربه، اتخذوا من حليهم عجلاً مجسدًا له خوار، وذلك أن بني إسرائيل استعاروا

الحليّ من القبط ليلبسوا يوم عيدهم وبقيت عندهم إلى أن أهلك الله فرعون وقومه، ولما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى الطور لمناجاة ربه جمع السامري تلك الحلي وأذابها في النار وصوَّرها على صورة العجل، وكان معه تراب أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام، فنثر التراب على صورة الثور وشكله، فإذا تحرك ونفخ فيه الهواء خار مثل صوت البقر، وقيل: خار مرة واحدة، قال السامري: هذا إلـٰهكم وإلـٰه موسى ضل عنه فنسيه هنا، فسجدوا له. قال تعالى موبِّخًا عليهم: ألم ير هؤلاء الذين عبدوا العجل أن معبودهم العجل لا يستطيع أن يكلمهم ولا يهديهم سبيل الهداية؟ اتخذوا العجل معبودًا فكانوا ظالمين لأنفسهم بعبادتهم العجل.

وأخبر الله سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام بما فعل السامري فعاد إلى قومه، وأسقط في أيديهم ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ ولما سقط في أيديهم أي عودة موسى من الميقات، أي: ندموا على عبادتهم العجل، وقد رأوا أنهم قد عصوا الله، ضربوا أيديهم على أيديهم حسرة وندامة وعرفوا أنهم قد ضلوا عن طريق الهداية إلى الضلالة قائلين إن لم يرحمنا ربنا بالتوفيق والهداية إلى دينه المستقيم ويغفر لنا ذنوبنا لنكونن من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ ولما رجع موسى عليه السلام إلى قومه غضبانًا من فعل السامري وأسفًا، أي: حزينًا ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام لقومه: بئس العمل الذي عملتم بعدي فخالفتم أمري إليكم من بعد ذهابي إلى مناجاة ربي. ثم قال تهديدًا ومنكرًا على ما فعلوا: أعجلتم أمر ربكم؟ وهو الانتظار إلى أن يرجع موسى عليه السلام إليهم فيستقيموا في أمر موسى عليه السلام. وألقى الألواح فيها التوراة، ولم يستطع أن يصبر، وأخذ برأس أخيه هارون عليه السلام يجره إلى نفسه ويحاسبه ظنًّا منه أنه قصَّر في منعهم. قال هارون عليه السلام: يا ابن أمي، إن القوم استضعفوني، وقاربوا أن يقتلوني، وأنا عجزت عنهم، فلا تشمت، أي: فلا تفرح بي الأعداء، ولا تجعلني مع الظالمين الذين عبدوا العجل.

ولما عرف موسى عليه السلام عذر أخيه هارون عليه السلام، وأنه استعجل عليه بالغضب ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: يا رب اغفر لي فيما استعجلت على أخي بالغضب، واغفر لأخي فيما ضعف عنه وعجز في خلافتي، وأدْخِلْنا جميعًا في رحمتك وأنت أرحم الرَّاحمين.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ قال تعالى: إن الذين اتخذوا العجل معبودًا سيصيبهم من ربهم غضب وذلة وهوان في أعين الناس في حياتهم الدنيا، حيث أمروا بقتل بعضهم البعض مثل ما فعلنا بهؤلاء نجزي المفترين على الله كذبًا، أو عبدوا غيره.

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ والذين عملوا الأعمال السيئات ثم ندموا عنها وتابوا إلى الله من بعد اجتراحهم السيئات وآمنوا، أي: واستقاموا على توبتهم ولم

ينقضوها، إن ربك يا محمد من بعد استقامتهم في توبتهم لغفور لذنوبهم، رحيم بعباده التائبين عن ذنوبهم.

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ ولما سكن عن موسى عليه السلام الغضب، الذي كان على أخيه هارون وقومه الذين عبدوا العجل، أخذ الألواح: التوراة، وفي أصلها أو فيما نُسخ من الألواح المتكسرة ونقل إلى الألواح الجديدة. هدى، أي: هداية ورشادًا، ورحمة للذين هم يخافون عقاب ربهم، فيمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه.

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقاتنا، أي: للوقت الذي وقّته الله لأخذ التوراة، أو ليدعوا ربهم، أو ليكلِّمهم الله، أو ليعتذروا عن عبادتهم العجل. وفي سبب الرجفة أقوال، منها: أنه لما سمع القوم كلام الله لموسى عليه السلام، قالوا: أرنا الله جهرة، أي: عيانًا ننظر إليه وكان قولهم هذا فيه إساءة فأخذتهم الرجفة، أي: الزلزلة من تحتهم، وهناك قول أنهم ادعوا على موسى أنه قتل هارون. قال موسى عليه السلام تضرعًا إلى الله: يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل هذا المقام وإياي، يعني: أنا وهم أهلكتنا جميعًا نحن عبيدك تفعل ما تشاء بنا، ثم قال على وجه الاستعطاف: أتهلكنا يا ربنا بما فعل السفهاء منا؟ وليست هي إلاّ فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء، أي: ابتلاؤك، تضل بها من تشاء من عبادك وتهدي بها من تشاء من عبادك، أنت ولي أمورنا وناصرنا على أعدائنا،

فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، أي: خير المتجاوزين عمن أساء.

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: واكتب لنا يا ربنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، إنا هدنا إليك، أي: إنا تبنا ورجعنا إليك من كل ما قصرنا في أمرك.

قال تعالى: (عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء)، أي: أصيب بعذابي من أشاء من عبادي بكفرهم ومعاصيهم. ورحمتي وسعت، أي: عمت كل شيء في الدنيا، فقال الشيطان: أنا منها، فقال تعالى: فسأكتبها، أي: أوجبها في الآخرة للذين يتقون الكفر والشرك والمعاصي، ويؤتون زكاة أموالهم للفقراء والمساكين ويتطهرون، وهم بآياتنا يؤمنون. فقال اليهود: نحن متّقون لله ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فكذَّبهم الله، ونزعها منهم، وبيَّن أنَّ رحمته للذين يؤمنون بالرسل كلهم وبالكتب التي أنزلها على الرسل، لا يفرقون بينهم كاليهود والنصارى؛ وهم أمة محمد عليه الصلاة والسلام، يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبالرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثم وصفهم الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ هم الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، ويجدون صفته ونعته مكتوبًا

في التوراة والإنجيل، يأمر الناس بالأمر المعروف في شريعة الإسلام، وينهاهم عن المنكرات في شريعة الإسلام، ويأمرهم بأكل الحلال من الأطعمة وفعل الطيب من العمل، وينهاهم عن أكل المحرمات وفعل الشرّ من العمل ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ويحط عنهم العهد الذي أخذه على بني إسرائيل ويحط عنهم التشدد والأوامر التي كانت عليهم في شريعتهم في التوراة والإنجيل وهم يتكلفون في أدائها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ فالذين آمنوا بمحمد ﷺ وعزروه، أي: عظموه ونصروه على أعدائه الكافرين والمشركين والمنافقين، واتبعوا الأوامر التي في القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ. وسمى الله القرآن نورًا لأن من آمن به واتبع أوامره واجتنب نواهيه أنار الله قلبه فيهتدي به إلى خير الدنيا والآخرة. أولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ قل يا محمد: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم. جميعًا لأبلغ أمره إليكم هو الذي له ملك السموات السبع والأراضين السبع، لا إله يعبد إلاَّ هو المعبود الحق، يحيي ويميت، والإحياء والإماتة من صفاته الأزلية، فآمنوا بالله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، وآمنوا برسالة النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، يعني: كتبه، لعلكم تهتدون إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة.

﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩﴾ ومن بني إسرائيل جماعة يهدون الناس إلى الإيمان بالله وحده، وبحكم الله يحكمون بين الناس بالعدل. وقيل: وهم الذين آمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام وأصحابه من يهود المدينة.

﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾ يخبر الله عزَّ وجلّ بني إسرائيل متابعًا قصتهم: وفرقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة أسباطًا جمع سبط، أي: قبيلة، وهم من أولاد يعقوب عليه السلام، اثنتي عشرة ولدًا، فمن كل ولد كانت قبيلة.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾ قال تعالى: وأوحينا إلى موسى عليه السلام حين طلب قومه بنو إسرائيل الماء وهم على شدة الحر في التيه، وغلب عليهم العطش: (أن اضرب بعصاك الحجر) فضرب الحجر بعصاه، فانبجست، أي: فانفجرت اثنتا عشرة عينًا، على عدد الأسباط، قد علم كل سبط مشربهم. وظللنا عليهم الغمام حيث يذهبون يظلهم من الشمس. وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى، قيل: المن: هو الترنجين طعمه حلو يشبه العسل، والسلوى: هو طير يشبه السمان. وقيل: العسل، قلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فكفروا بنعم الله، وما ظلمونا بذلك، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم حيث عرضوا أنفسهم لعقاب الله.

﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ اذكر لهم يا محمد حين قلنا لأسلافهم: اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس، وكلوا من ثمارها وحبوبها حيث شئتم، وقولوا في حالة الدخول: حطة، أي: حط يا ربنا عنا ذنوبنا، وادخلوا باب المدينة ساجدين خاشعين لله، نغفر لكم خطيئتكم وسنزيد المحسنين، أي: سنزيد ثواب من أحسن عمله بالامتثال لأمر الله.

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ فبدل الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والفسق والتكذيب من بني إسرائيل بدلوا فقالوا: حنطة بدل حطة استهزاءً بأمر الله، ودخلوا باب المدينة زاحفين على أستاهم، فأرسل الله عليهم عذابًا من السماء بسبب ما كانوا خالفوا من أمر الله، وأوجبوا العقوبة على أنفسهم بما كانوا يفعلون.

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ واسأل يا محمد اليهود عن القرية التي كانت عند شاطىء البحر، حيث كان أهلها يتجاوزون أمر الله في يوم السبت، فكانوا يصطادون فيه الأسماك، والله أمرهم أن لا يصيدوا يوم السبت، ولكن أمرهم أن يتفرغوا لعبادة الله، فكانت الحيتان تأتي يوم السبت كثيرًا، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك، فهم احتالوا على الأسماك فحفروا أحواضًا وساقوا عليها الماء، ويوم السبت تدخل الحيتان في الحوض ولا تعود، ويوم الأحد يُخرجوا الحيتان ويمسكوها. بمثل ذلك نختبرهم بسبب ما كانوا يخرجون عن طاعة الله ويخالفوا أمر رسولهم داود عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ ويخبر سبحانه وتعالى عن أهل هذه القرية وأنهم ثلاثة فرق: فرقة تخالف أمر الله يصطادوا السمك يوم السبت، وفرقة تنهاهم عن الاصطياد يوم السبت، وفرقة سكتت. فقالت الجماعة التي سكتت للذين ينهون: لم تعظون قومًا وهم قد خالفوا أمر الله فاستحقوا عقاب الله، والله مهلكهم بالعذاب المستأصل، أو معذبهم عذابًا شديدًا في الآخرة؟! فقال الناهون: ننهاهم معذرة إلى ربكم، حين يسألنا، ولعلهم يتحذرون من مخالفة أمر الله.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ فلما ترك هؤلاء المخالفون أمر ربهم الموعظة والنصيحة ولم يقبلوها، أنجينا الذين ينهون عن ارتكاب الأعمال المحظورة، وأخذنا الذين ظلموا أنفسهم بعذاب شديد بسبب ما كانوا يخرجون عن طاعة ربهم وأمر رسولهم.

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ فلما تكبروا عن قبول التذكرة والنصيحة واستمروا على عصيانهم قلنا لهم كونوا قردة ذليلين في أعين الناس، وهم بقوا ثلاثة أيام والناس ينظرون إليهم، فماتوا، وقيل: شبانهم مسخوا قردة وشيبانهم مسخوا خنازير.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ وإذ أعلن ربك يا محمد ليبعثن، أي: يسلّطن على اليهود من يذيقهم أشد العذاب إلى يوم القيامة، وذلك متحقق على اليهود في كل عصر وزمان، إن ربك يا محمد لسريع

العقاب لمن عصا أمره، وإنه لغفور لمن أطاع أمره وأناب إليه، رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ وفرقنا بني إسرائيل في بلدان متفرقة، على مذاهب شتى، ويخالفون بعضهم بعضًا، منهم الصالحون في طاعة ربهم، ومنهم غير صالح، مستمرون في معصية الله، واختبرناهم بالحسنات، أي: بالنعيم، أو بالسيئات، يعني: بالقحط والجدب أو بالتسليط عليهم غيرهم يقتلونهم لعلهم يرجعون عن كفرهم وعصيانهم وينيبون إلى الله.

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ فخلف من بعد ذهاب هؤلاء خَلْفَ سوء، ورثوا التوراة، يأخذون متاع الدنيا الفانية رشوة في الحكم، ويغيِّرون حكم الله في التوراة، ويقولون سيغفر لنا، ولا يستغفرون الله، وإن يأتهم عرض، أي: متاع مثل الأول رشوة يأخذوه.

قال تعالى موبخًا عليهم ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ ألم يؤخذ عليهم العهد الوثيق في التوراة أن لا يقولوا على الله إلاَّ الحق؟ فكيف يزعمون أن الله يغفر لهم، مع إصرارهم على أكل الرشوة في الحكم، وتغيير أحكام الله في التوراة؟ والحال أنهم درسوا ما في التوراة من الأحكام والحلال والحرام وفيه أيضًا ذكر نعيم دار الآخرة للذين يتقون الله أو أنهم محوه بترك العمل به والفهم له. فيخالفون ما أمر الله به

وما نهى عنه؟ ثم بيّن أن الدار الآخرة خيرٌ من الدنيا ومتاعها، وهي للذين يتّقون الله. ثم قال موبِّخًا ومسفِّهًا لهم: أفلا تعقلون ذلك؟!

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ والذين يتمسكون في أمور دينهم ومعاملاتهم كما في الكتاب المنزل: التوراة، وأقاموا الصلوات المكتوبة عليهم على أوقاتها، وأصلحوا أنفسهم وقومهم على وفق ما أمر الله به، وَعَد الله لهم: إنا لا نضيع أجر المصلحين، سنجازيهم جزاء حسنًا.

﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ واذكر يا محمد حيث نتقنا الجبل من مكانه فرفعناه فوق بني إسرائيل حين أبوا أن يقبلوا التوراة، كان الجبل كالظلة فوق رؤوسهم، وأيقنوا أن الجبل واقع عليهم، وقلنا لهم: خذوا ما أتيناكم بقوة، أي: بجد وعزم، واذكروا، أي: ادرسوا وتنبهوا لما في التوراة من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وقصص من قبلكم من الأمم الطاغية، لعلكم تتقون الله في ما أمركم به وما نهاكم عنه، فلا تخالفوه.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾ اذكر يا محمد لقومك حيث أخرج ربك من بني آدم من ظهور الآباء ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم أن الله خالقهم، قال تعالى ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا على أنفسنا أنك خلقتنا. فحذرهم تعالى: لا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. وكان ذلك الإشهاد على أنفسهم لإلزام الحجة عليهم. (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا) (وكنا ذرية من

بعدهم) قلدناهم، أفتهلكنا؟ أي: تعذبنا يا ربنا بسبب ما فعل المبطلون للحق والمظهرون للباطل؟ قال تعالى: ومثل ذلك نبيِّن ونوضح الآيات للناس، لعلهم يرجعون عن إشراكهم بالله، ويؤمنون بخالقهم.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾ واقرأ يا محمد على قومك خبر الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، أي: فتركها كليًّا، فلحقه الشيطان واستولى عليه، فكان من الضالين عن طريق الهداية إلى الكفر والعصيان. وقال ابن عباس: هو بلعم بن باعوراء، واختلفت الروايات في قضية الرجل.

﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾ ولو شئنا لرفعناه بالآيات التي آتيناه بها إلى الدرجات العليا، ولكنه أخلد، أي: استكان إلى الأرض في حب متاعها، واتبع هوى نفسه في ملذات الدنيا، فمثله كمثل الكلب، إن تطرده يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثلٌ ضربه الله للقوم الذين كذبوا بآيات الله، ولم يعملوا بها، وركنوا إلى الدنيا، فاقصص يا محمد على أمتك القصة التي ذكرناها لك لعلهم يتفكرون ويتعظون بها.

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧ ﴾ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وكانوا يظلمون أنفسهم، فأوجبوا عقوبة الله على أنفسهم.

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ ﴾ من يهد الله إلى الرشد والهداية فهو الموفق إلى خير الدنيا والآخرة، ومن يضلله فلن يوفق إلى الخير، فأولئك هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ قال تعالى: ولقد خلقنا لجهنم خلقًا كثيرًا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون التذكر والمواعظ، ولهم أعين لا يبصرون بها الآيات والعلامات الدالة على كمال قدرة الله، ولهم آذان لا يسمعون بها كلمة الحق، أولئك كالبهائم يسمعون ولا يستطيعون الرد، بل هم أضل وأخطأ طريقًا، وأولئك هم الغافلون، أي: غارقون في الغفلة، ولا يبالون عاقبة أمرهم.

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ ولله الأسماء الحسنى، ومنها الثابت في الحديث تسع وتسعين اسمًا، فادعوه بتلك الأسماء، واتركوا الذين يميلون على هوى أنفسهم في أسماء الله فيدعون أوثانهم بها، مثلاً: اللات من الله والعزى من العزيز والمناة من المنان، فسموا آلهتهم بتلك الأسماء الثلاثة، اشتقوها من أسماء الله، سيجزون جزاء ما كانوا يعملون من الشرك والإلحاد في أسماء الله.

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ قال تعالى: وممن خلقنا جماعة يدعون الناس بالحق إلى الإيمان ويأمروهم بالمعروف، وينهوهم عن المنكر، وبالحق يحكمون بين الناس، بحكم العدل، وهم علماء هذه الأمة الإسلامية.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ والذين كذبوا بالقرآن ولم يؤمنوا به ولم يأتمروا بأوامره ولم يجتنبوا عن نواهيه سأمهلهم في طغيانهم وكفرهم بنعم الله، وأملي،

أي: أطيل لهم في أمنيتهم من حيث لا يشعرون ولا ينتبهون لذلك، ثم آخذهم بالعقوبة وهم غافلون عنها، إن كيدي، أي: أخذي قوي شديد.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾ استفهام للتقريع والإنكار: أولم يتفكروا في شأن محمد أنه أمين صادق، ليس به من جنون، وهو صاح في شأنه كله، ليس محمد إلاَّ رسول من ربه إلى قومه وكافة الثقلين، ومنذر ظاهر ينبىء عن عقاب الله إن لم يؤمنوا به.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ أولم ينظروا، أي: هؤلاء المكذبون برسالة محمد وبالقرآن الكريم بنظر الاعتبار، في ما خلق الله في السموات والأرض، أنها تدل على وجود صانعها، وهو الله القادر المقتدر على إيجاد كل شيء وإفنائه، وأنه عسى أن يكون قد اقترب أجلهم إلى الموت، ولم يؤمنوا بالقرآن المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، فبأيِّ كتاب بعد القرآن يؤمنوا!؟ لأنَّ القرآن آخر الكتب، ومحمد آخر الرسل، ولم ينزل بعد القرآن شيء.

﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ مَنْ كتب الله له الضلالة فلم يؤمن فلا هادي له، ويتركهم في طغيانهم وكفرهم يلعبون ويتحيَّرون.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ يسألونك يا محمد عن قيام الساعة أيّان ومتى وقوعها؟ قل لهم يا محمد: إنما علمها عند ربي، لا يكشفها لقيام وقتها أحدٌ إلاَّ هو جلَّت قدرته، ثقل شأنها وأهوالها على أهل السماوات والأرض، فلا تأتيكم إلاَّ بغتة وأنتم غافلون عنها.

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ يسألك قومك يا محمد عن وقت قيامها كأنك عالم بوقت قيامها، قل لهم يا محمد: إنما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حقيقة وحكمة إخفاء الله وقت قيامها. والسبب والحكمة في ذلك؛ ليكون الناس على حذر من أهوالها، فينزجروا عن المعاصي ويمتثلوا بالأوامر قبل مجيء الساعة بغتة عليهم. وعليهم أن يوقنوا أن قيام الساعة حق للحساب والجزاء.

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لا أملك جلب نفع لنفسي ولا دفع ضر عنها، إلاَّ ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لجلبت منافع الدنيا وخيراتها، وما يصيبني السوء واحترزت عنه، ولكن ليس ذلك بقدرتي ولا بمشيئتي، ما أنا إلاَّ نذير من عقاب الله وبشير بالجنة لقوم يؤمنون بالله وحده ولا يشركون به شيئًا.

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ هو الله الذي خلقكم من نفس واحدة، هي نفس آدم، وخلق منها زوجها حواء ليسكن إليها ويستأنس بها. فلما جامعها حملت حواء حملاً خفيفًا، هي النطفة التي نزلت من آدم في رحم حواء، فمرَّت بحملها، أي: استمرَّت به تقوم وتقعد وتتقلَّب ولا تكترث بحمله إلى أن ثقل، فلما أثقلت، أي: كبرت تلك النطفة في بطنها طورًا بعد طور، وقرب وضع حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا ولدًا صالحًا، أي: سَوِيَّ الخلقة لنكونن من الشاكرين على نعمتك.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فلما أتاهما ولدًا صالحًا سوي الخلقة جعلا له شركاء فيما أتاهما: ولما وضعت حواء حملها جاء إبليس فغرها قال: فسميه عبد الحارث لن يموت أبدًا، واسم إبليس الحارث، وهما لا يدريان عن ذلك، فسميا ولدهما عبد الحارث، وكان شركهما في تسمية ولدهما لا في العبادة، لأنهما معصومان عن الشرك بالله، قال تعالى ردًّا على المشركين ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ عبَّر بالجمع ليدل على أن آدم وحواء لم يشركا، ولكن كان الإشراك بعدهم، فتعالى الله عما أشرك به المشركون.

قال تعالى منكرًا على إشراكهم ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ أيشرك هؤلاء المشركون بخالقهم ويعبدون شيئًا لا يستطيع خلق شيء؟ والحال أنهم مخلوقون، أي: خلقهم الله كالشمس أو مصنوعون بأيدي عابديهم؟ ولا يستطيعون نصر عابديهم من عذاب الله ولا يستطيعون نصر أنفسهم من عذاب الله حين ألقاهم جميعًا في نار جهنم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ وإن تدعوا ما تعبدون من دون الله إلى الطريق السوي لا يتبعوا نداءكم ولا يجيبون دعاءكم؛ لأنهم جمادات لا شعور بهم، سواء عليكم إن دعوتموهم أم أنتم ساكتون عنهم، ومن قوله تعالى: (أيشركون ما لا يخلق شيئًا) وإلى قوله: (إن كنتم صادقين) فيها تهديد، وكشف لبلاهة المشركين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ إن الذين تعبدونهم من دون الله هم

مخلوقون لله تعالى كما أنتم مخلوقون لله تعالى، فادعوا أصنامكم ومعبوداتكم لجلب النفع لكم أو لدفع الضر عنكم، فليستجيبوا دعاءكم إن كنتم صادقين في زعمكم أنها آلهتكم؟ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ الله سبحانه وتعالى يوبخ المشركين ويكشف بلاهتهم وسفاهتهم: هل لأصنامهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون، أي: يمسكون شيئًا، أم لهم أعين يبصرون بها أمامهم، أم لهم آذان يسمعون النداء والخطاب والجواب؟ لا قدرة لهم ولا شعور؛ لأنها جمادات. قل يا محمد: ادعوا أصنامكم الذين تعبدونهم من دون الله لينصروكم عليَّ، ثم كيدوني بما شئتم عليّ فلا تمهلونني لوقت آخر، فأنا لا أبال بكم ولا بكيدكم.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ قل لهم يا محمد: إن وليِّـي، أي: ناصرَ أمري الله الذي نزل القرآن إليّ بالوحي، وهو يتولى عباده الصالحين في طاعته.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ والذين تعبدونهم من دون الله لا يستطيعون نصركم من عذاب الله، ولا يستطيعون نصر أنفسهم من عذاب الله، وإن تدعوا أيها المشركون أصنامكم إلى الطريق السوي لا يسمعون نداءكم؛ لأنهم جمادات. وترى يا محمد المشركون وأصنامهم كأنهم ينظرون إليك، وهم لا يبصرون؛ لأنَّ أعين أصنامهم مصنوعة، ولأنَّ المشركين ينظرون بأعينهم لا بقلوبهم، فلا يبصرون الحقيقة لجهلهم وعنادهم.

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ وهذا أمر للنبي ﷺ بمكارم الأخلاق: خذ يا محمد، أي: الزم بنفسك العفو عمن أساء لك، وأمر الناس بالأمر بالمعروف في شريعتك، وأعرض عن الجاهلين الذين لا يقبلون تذكيرك وأمرك.

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ وإما ينزغنك، أي: يوسوس لك أو يصيبك من الشيطان وسوسة في قلبك، فاستعذ بالله منه، إنه تعالى سميع باستعاذتك من الشيطان، عليم بما في ضميرك. والاستعاذة أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ إن الذين اتقوا الله إذا أصابهم وسوسة من الشيطان تذكروا عقاب الله ووعيده لأهل المعاصي، فيجتنبوا الوقوع في المعاصي، فإذا هم مبصرون لمحارم الله ببصيرة قلوبهم. ذلك فضل الله لهم.

﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ وإخوان الشياطين من الإنس يوقعون إخوانهم في الضلالة والمعاصي، ثم لا يقصرون في ضلالتهم ويخوضون فيها.

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ وإذا لم تأتهم يا محمد بمعجزة كلما سألوها منك، قالوا: هلا اختلقتها من عندك؟ أو هل طلبتها لنا قبل أن نسألك؟ قل لهم يا محمد: إنما أَتَّبع ما يوحى إليَّ من ربي. هذا القرآن بصائر، أي: حجج وبراهين، وفيه بيان من ربكم، يغنيكم عن المعجزات، وهدى لمن آمن به وسلك بإرشاده، ورحمة لقوم يؤمنون بها ويعملون بما فيه من الأوامر.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ وإذا قرأ القرآن لكم أيها المؤمنون فاستمعوا له حق الاستماع ولا تلهوا عند قراءته وأنصتوا، أي: اسكتوا واسكنوا، لعلكم ترحمون، أي: لعلكم تتنزل عليكم الرحمة من الله لاستماعكم لقراءة القرآن.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ واذكر ربك يا محمد، إن كان في القراءة في الصلاة أم ذكر الله خارجها، اذكره في نفسك متضرِّعًا له خاشعًا، وبحذر من عقابه، (ودون الجهر)، أي: أُذكر ربك بصوت خفيض بقراءة القرآن أو بغيره من ذكر اللسان وذكر القلب، خائفًا منه جلَّ وعلا، بالغدو والآصال، أي: بأول النهار وآخره، يعني: بعد العصر؛ لأنَّهما أفضل أوقات النهار، ولا تكن يا محمد من الغافلين عن ذكر الله. والأمر بدوام ذكر الله والنهي عن الغفلة عن ذكر الله يسري على الأمة الإسلامية كلها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ والملائكة عند ربك يا محمد لا يستكبرون عن عبادة ربهم ولا يهملونها، ويسبحون على الدوام، وهم لا يسأمون من التسبيح. (وله يسجدون)، أي: يصلون ساجدين. وتجب على القارىء والمستمع سجدة التلاوة طاعة للرحمـٰن وإرغامًا لأنف الشيطان.

الحمد لله، تمَّت سورة الأعراف بعون الله.

* * *

سورة الأنفال

مدنية إلاَّ سبع آيات منها مكية، من قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ إلى آخر سبع آيات، وآياتها خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ لما فرغ المجاهدون من قتال بدر، وجمعوا الغنائم، اختلفوا في سهامها، وسألوا رسول الله كيف يصنع فيها؟ فأنزل الله: (يسألونك. . .) الآية. يسألك المجاهدون في بدر عن الغنائم التي اغتنموها من عدوهم؟ قل لهم: حكم الإسهام لله والرسول. ولم يبين فيها. ثم أمرهم بالتقوى، فاصبروا، فاتقوا الله، ولا تختلفوا فيها، وأصلحوا ذات بينكم بالموافقة وترك التناقض، وأطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به وما نهاكم عنه إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله. سيأتي حكم الإسهام في نفس السورة في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ إلى آخر الآية.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ قال تعالى بكلمة الحصر: (إنما) واصفًا

المؤمنين الصادقين في إيمانهم أنهم إذا ذكر الله بعظمة قدرته وجلاله، وجِلت، أي: خشعت وفزعت قلوبهم لله تعالى، وإذا قُرئت آيات قرآنه عليهم زادتهم إيمانًا وتصديقًا، وعلى ربهم يتوكلون في كل شأنهم، ولا يعتمدون على أنفسهم ولا على غير الله.

ثم ذكر الله من صفاتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ هم الذين يصلون الصلوات المكتوبة على أوقاتها، ويحافظون على شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، ولا يتساهلون فيها، ومما رزقناهم من سعة المال ينفقون في وجوه الخير لله تعالى. ويدخل في هذا الزكاة والصدقات النافلة أولئك هم المؤمنون حقًّا، أي: صدقًا في إيمانهم بالله، لهم مقامات في الجنة عند ربهم، متنعِّمين ومستبشرين مع أزواجهم الحور العين، ولهم مغفرة لذنوبهم، ورزق حسن في الجنة.

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ اختلفت أقوال المفسرين في قوله: (كما أخرجك) والحاصل أن الكاف للتنبيه، أي: الأنفال ثابتة لله ورسوله بالحق مثل ما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالوعد الحق للقافلة ثم جعل الخروج للقتال، وإنَّ جماعة من المؤمنين لكارهون الخروج إلى قتال الأعداء، وقد كانوا من غير عدَّة، فهم يجادلونك يا محمد في الأنفال والوعد الثابت للمجاهدين كما جادلوك في القتال مِنْ بعد ما تبين لهم فرضه وصدقه، وأنك لا تفعل إلا ما أُمرت به كأنهم يخرجون من بيوتهم كارهين يساقون إلى مواطن الموت.

ثم يذكر سبحانه وتعالى ما وعد لهم من النصرة والغنائم ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ اذكر يا محمد لأصحابك حيث وعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم، وهما طائفة العير المستقبلين من الشام بالتجارة برئاسة أبـي سفيان والطائفة الأخرى الذين خرجوا من مكة ليدافعوا المسلمين عن العير، وتحبون أيها المسلمون أن غير ذات الشوكة، أي: غير ذات القوة، أي: القافلة، تكون لكم بغير قتال ولا تعب. ويريد الله أن يحق الحق فيظهر الإسلام بوعده الحق، ويقطع دابر الكافرين، أي: يستأصلهم، ثم أكد: وذلك ليحق الوعد الذي للمؤمنين بالفوز، فيظهر دين الإسلام، ويبطل الكفر وكيد الكافرين، ولو كره المشركون الظالمون.

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ اذكروا أيها المجاهدون حيث تطلبون الغوث والنصرة على المشركين من ربكم، فاستجاب الله دعاءكم، قال: إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، أي: متتابعين. وروي أن رسول الله ﷺ نظر إلى جيش المشركين وهم ألف وجيش رسول الله ثلاثمائة وبضع عشر فمد يديه إلى السماء وقال: «اللّٰهُمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللّٰهُمَّ إن تَهلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». وما زال يستغيث حتى سقط رداءه عن منكبيه فأخذه أبو بكر الصدِّيق صديقه رضي الله عنه فألقاه على منكبيه، والتزمه من وراءه وقال: يا نبـيّ الله، كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنّي ممدُّكم بألف من الملائكة مردفين)، وقيل: نزل جبريل عليه السلام بخمس مائة

من الملائكة ونزل ميكائيل عليه السلام بخمس مائة من الملائكة، قاتلوا مع المسلمين المشركين حتى انهزم المشركون.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ وما جعل الله إنزال الملائكة المردفين إلاَّ بشارة ونصرة لكم أيها المسلمون، لتسكن به قلوبكم في معركة القتال، وما النصر إلاَّ من عند الله، لا بقوتكم ولا كثرة عددكم، إن الله غالب على ما شاء، حكيم في تدبير أمر خلقه.

ثم يذكر سبحانه وتعالى امتنانه على المجاهدين: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ اذكروا حين ألقى الله عليكم النعاس، وهو النوم الخفيف لا يزول شعور الإنسان به، ليكون أمنًا لكم منه جلّ وعلا، وأنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به، وكان جيش المسلمين نزلوا على مكان فيه الرمل ليس فيه ماء وناموا وبعضهم احتلم، فأصبحوا وهم في حيرة، فأنزل الله المطر فتوضؤوا وتطهروا من الجنابة وشربوا واطمأنُّوا به، (ويذهب عنكم رجز الشيطان)، أي: يذهب وسوسته عنكم بالطهارة، (وليربط على قلوبكم) بالقوة والسكون حتى لا تجبنوا، (ويثبت) بطهارتكم عن الجنابة والحدث أقدامكم في معركة القتال، وتقسى به الأرض فتثبت أقدامكم بعد أن كانت تغوص في الرمل.

ثم يذكر سبحانه امتنانه الآخر على المجاهدين ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ وهذا تعليم وأمر من الله

للملائكة المنزلة لنصرة المجاهدين، حيث أوحى الله للملائكة أني معكم فثبتوا المؤمنين في معركة القتال، سألقي في قلوب الكافرين الرعب والخوف ليجبنوا وتضعف قواهم، فإذا لقيتموهم فاضربوا أعناقهم واضربوا أصابعهم؛ لا يستطيعوا أن يمسكوا السلاح، ذلك القتل وقطع أصابعهم بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله بالتكبر والعناد على رسول الله والمؤمنين. ومن يخالف الله ورسوله بالكفر والعناد فإن عقاب الله شديد عليهم. ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ فذوقوا ذلك العذاب الذي أنتم فيه أيها المشركون من القتل والأسر، ذوقوا مرارته وقساوته في حياتكم الدنيا، وإن للكافرين عذاب النار في الآخرة لا خروج لهم منها أبدًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ يخاطب الله المؤمنين المجاهدين: إذا لقيتم الذين كفروا وهم يريدون قتالكم يزحفون إليكم زحفًا فلا تولوا لهم أدباركم، يعني: فاثبتوا ولا تهربوا، ومن يول دبره للكافرين يوم قتالٍ فقد استحق غضب الله، ولكن إلا إذا كان متحرفًا، أي: محتالاً للقتال ينسحب ليكر عليهم، أو متحيِّزًا إلى فئة من المؤمنين يكرون معهم على قتال الكافرين، فإن كان توليه لغير تلك الخصلتين فقد رجع من معركة القتال بغضب من الله، ومقره في جهنم وبئس المصير يوم القيامة.

ولما فرغ المجاهدون من قتال المشركين يوم بدر قال بعضهم أنا قتلت فلانًا، وأنا قتلت فلانًا فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ فلم تقتلوهم أيها المجاهدون بقوتكم، ولكن الله

نصركم عليهم فقتلتموهم. وكان النبي ﷺ حين شرع والمجاهدون بالقتال أخذ قبضة من التراب فرمى على وجوه المشركين قائلاً: «شاهت الوجوه» فأصاب التراب أعين المشركين، وهم يمسحون أعينهم، وكانت إصابة قبضة التراب أعين المشركين بأمر الله وقدرته؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى﴾، أي: ولكن الله أصاب أعينهم، وذلك النصر والظفر للمؤمنين ليبلوهم بلاء حسنًا، أي: ليصيبهم بنعمة حسنة، فيشكروا الله تعالى على نعمائه لهم، إن الله سميع لأقوالكم بالدعاء والتضرُّع إليه، وعليم بأحوالكم، وهو معينكم وناصركم على أعدائكم إن أخلصتم نيتكم وأعمالكم لله تعالى ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ وذلك الذي صنعتموه أيها المجاهدون على المشركين من قتل وخزي إنما هو بنصر الله لكم، أراد أن يوهن به كيد الكافرين، أي: أن يضعّف شوكتهم وقوتهم.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ وذلك أن المشركين عندما أرادوا الخروج لقتال رسول الله والمؤمنين إلى بدر، تعلّقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللّٰهُمَّ إن كان محمدًا على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا عليه. فأنزل الله الآية: إن تستنصروا أيها المشركون فقد جاءت عليكم الهزيمة، والنصرة للمؤمنين، قُتِلتم وأُسِرتم وخُذِلتم، وإن تنتهوا عن الكفر تؤمنوا بالله فهو خير لكم في الدنيا والآخرة وإن تعودوا نعد، أي: وإن تعودوا لقتال رسول الله والمؤمنين نعد لنصرة المؤمنين عليكم، ولن تغني غنكم جماعتكم ولو كثرت، وإن الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة لهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسالة رسوله استقيموا فيما أمر الله ورسوله ﷺ، ولا تُعرضوا عن أمره وتذكيره، وموعظة لكم، والحال أنكم تسمعون كلامه، وإن طاعته واجبة عليكم.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ولا تكونوا أيها المؤمنون مثل المنافقين الذين إذا قرئ لهم قرآن فيه أمر الله أو نهيه قالوا: سمعنا، ولكن الحال أنهم لا يسمعون سماع الطاعة، وفي قلوبهم يجحدون ﴿ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ قال تعالى: إن شرّ الدواب: هو ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوانات عند الله، (الصم): الذي لا يسمع كلمة الحق، (والبكم): الذي لا يتكلم بالحق، هؤلاء لا يفهمون عاقبة أمرهم، وهم أخسر الناس يوم القيامة.

﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ولو علم الله في قلوبهم خيرًا لجعلهم يستمعون إلى الذكر والموعظة وينتفعون بها، أو جواب كل ما يسألون عنه. ولو أسمعهم، بالفرض، لأعرضوا عنها وهم مكذبون ومعرضون عنادًا وجحودًا لها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ في الآية تقريع وتنبيه للمؤمنين، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة رسوله ﷺ استجيبوا لأمر الله وأمر رسوله إذا دعاكم لما يحييكم، أي: إذا دعا الرسول لما فيه الخير لحياتكم وبعد مماتكم وهو الحق والإيمان

واتِّباع القرآن، والجهاد وإصلاح أمورهم. واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه. وهذا تنبيه عظيم للمؤمنين، واعلموا أيها المؤمنون أن الله يحول بين الإنسان وقلبه. وفي قوله تعالى هذا أبلغ تنبيه للمؤمنين أن يستقيموا على الاعتقاد الصحيح كما جاءت به السنَّة، وعلى الأعمال الصالحة التي ثبتت من الله ورسوله، ولا يخالفوا أمر الله ورسوله، وهو سبحانه وتعالى قادر أن يحوّل قلب الإنسان من السعادة إلى الشقاوة، وذلك بشؤم نفسه بالمعاصي، وإنكم إلى الله تحشرون للحساب والجزاء.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ واحذروا أيها المؤمنون فتنة لا تصيبن منكم فقط الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي فإذا نزل العذاب بشؤمهم يعم عليكم، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن عصاه.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ واذكروا نعمة الله لكم، حيث أنتم قليل العدد، ويستضعفكم كفار مكة، تخافون أن يأخذوكم ويستلبوكم فآواكم إلى المدينة المنورة بعونه لكم، وسكنتم فيها وأمنتم من أذى المشركين، ورزقكم من الطيبات من الغنائم التي أحلَّها لكم والخيرات التي مكَّنكم منها لعلكم تشكرون الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾، قيل: نزلت في أبـي لبابة الأنصاري، أرسله رسول الله إلى بني قريظة لينزلوا في حكم رسول الله، فذهب إليهم أبو لبابة وبلغ أمر رسول الله إليهم، واستشاروا أبا لبابة فأشار بيده إلى حلقه إشارة الذبح؛

لأنَّ أولاده وماله في بني قريظة، وأراد حمايتهم، ثم ندم أبو لبابة بما صنع من الخيانة لأمر رسول الله ﷺ وربط نفسه إلى سارية مسجد رسول الله، وهو على ذلك الحال، فأنزل الله الآية، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده وبرسالة رسوله ﷺ لا تخونوا الله ورسوله إذا ائتمنتم بأمر من الله ورسوله، وإن خيانة أمر الله ورسوله تكون بترك الفرائض ومعصية الرسول، ولا تخونوا أماناتكم التي أوجب الله عليكم صيانتها وهي الفرائض، وحفظ الأمانة والدين، فخيانتها بتنقيصها وتركها، والحال أنتم تعلمون خيانتكم، وحكم الآية عام.

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾
هذه الآية في أبي لبابة، وحكمها عام. واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم وأولادكم فتنة، ابتلاء وامتحان تشغلكم عن ذكر ربكم، فلا تركنوا إليهم بكليتكم، إنما انشغالكم معهم يكون على قدر الضرورة، لأن هذه من واجبات المعاشرة، والمحافظة على الأموال، وإن صبرتم على مخالفتهم غفر الله لكم، وأثابكم أجرًا عظيمًا تجدونه يوم لا ينفع مال ولا بنون، لأنهما زهرة الدنيا فقط.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون إن تتقوا الله بامتثال الأمر واجتناب النواهي يجعل لكم نورًا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل، وتهتدون به إلى صراط مستقيم، إلى رضا ربكم، ويكفر عنكم سيئاتكم بالصلوات المكتوبة، ويغفر لكم ذنوبكم بتفضله عليكم، والله ذو الفضل العظيم.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يذكر سبحانه وتعالى امتنانه على النبي ﷺ في هذه الآية، قال الله: اذكر يا محمد حين مكر بك، أي: حين تشاور قومك في شأنك، ليثبتوك، أي: ليحبسوك، أو يقتلوك أو يخرجوك من بلدك مكة، ويمكرون، أي: يدبرون الحيل في شأنك يا محمد، ويمكر الله بهم، أي: ويبطل الله مكرهم، حيث نجاك منهم، والله خير الماكرين. والمعنى: والله أسبق على مكرهم، فيبطله وينصر نبيه ﷺ.

لما اجتمع كفار قريش في دار الندوة يتشاورون ماذا يفعلون بمحمد ﷺ دخل عليهم شيخ من العرب، هو إبليس. قالوا: من أنت؟ قال: أنا من نجد، سمعت اجتماعكم في شأن هذا الرجل. فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحًا. قالوا: أجل. قال: انظروا رأيًا. قال رجل: احبسوه في وثاق واتركوه في الحبس حتى يموت. فقال إبليس: لا والله ما هذا برأي، يثور أصحابه عليكم فيأخذوه من أيديكم. وقال آخر: أخرجوه من بين أظهركم حتى تستريحوا منه. فقال إبليس: لا والله ما هذا برأي، أما ترون حلاوة كلامه وطلاقة لسانه وحديثه، يستثير القلوب، فيأتيكم بقوم يقاتلونكم فلا تستريحوا منه. قال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة شابًا، فيأخذ كل واحد بيده سيفًا، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيفرق دمه على القبائل كلها ولا يستطيع بنو هاشم أن يحاربوا قبائل قريش كلها فيقبلوا الدية ونستريح منه. فقال إبليس: هذا رأي لا أرى غيره، فتفرقوا، وأُخِذ من كل قبيلة شابٌ جلودٌ، وأعطوا كل واحد سيفًا حادًّا، فأحاطوا بيته ﷺ. ولكن أتى جبريل عليه سلام الله فأخبره وأمره أن يخرج من بيته قبل الصبح، فالنبي ﷺ أرقد عليًا رضي الله عنه مكانه،

وأخذ قبضة من التراب ونثره على القوم قائلاً: «شاهت الوجوه» وذهب ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى الغار الذي في جبل ثور جنوب مكة. وأصبح القوم في البيت ووجدوا مكانه عليًّا رضي الله عنه، فسألوه، قال: ما أدري. فذهبوا يقصوا أثر قدمه ﷺ حتى أتوا باب الغار، فوجدوا باب الغار قد نسج العنكبوت عليه، وطلعوا فوق الغار، ونظر أبو بكر الصديق رضي الله عنه من فجوة فرأى أرجلهم، وحزن أبو بكر على رسول الله، فقال رسول الله: «لا تحزن إن الله معنا» ومكث رسول الله ثلاث ليال، ثم ذهب ومعه أبو بكر ولحقا بالمدينة سالمين، وخيب الله مسعى الكافرين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ وإذا قرىء القرآن على كفار قريش قالوا: قد سمعنا هذا القرآن، لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن إلاّ أساطير الأولين. نقله محمد منها يقرأه علينا، ليس من كلام الله.

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ واذكر حين قال كفار قريش: إن كان هذا القرآن هو المنزل من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو جئنا بعذاب أليم، أي: مؤلم مهلك. وكان كلامهم هذا استهزاء وسخريًا.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ وما كان الله ليعذبهم وأنت يا محمد موجود بين أظهرهم، وما كان الله معذبهم بعذاب مستأصل وهم يستغفرون الله عن جريمتهم وهي إشراكهم بالله وتكذيبهم لرسول الله.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وأيّ شيء يصرف عذاب الله عنهم وهم يمنعون المؤمنين من الدخول إلى المسجد الحرام ليطوفوا ويصلوا فيه، وذلك قبل إسلام عمر رضي الله عنه، وبعد إسلامه طافوا وصلوا في المسجد، وكان المشركون يهابون عمر رضي الله عنه. ورد الله على مزاعم المشركين: نحن أولياء الله وقائمون في خدمة المسجد الحرام، وما كان المشركون أولياءه، ليس أولياءه إلَّا المتقون عن الإشرك بالله، والمؤتمرون بأوامره، والمتجنبون عن نواهيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ولكن أكثر المشركين لا يعلمـون حقيقة جريمتهم وفرط جهلهم وعنادهم للمؤمنين.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قال تعالى: وما كان صلاة المشركين عند بيت الله الحرام إلَّا مكاء وتصدية، أي: يصفرون ويصفقون في طوافهم حول الكعبة متعرين عن الملابس، كاشفين عوراتهم. وقيل لهم: ذوقوا عذاب الهون والخزي بالقتل والأسر يوم بدر بسبب ما كنتم تكفرون بآيات الله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبجريمتكم في الطواف حول البيت عريانًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ إن الذين كفروا بالله وبرسالة رسوله محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم يصرفون أموالهم يوم بدر ليصدوا الناس عن الدخول في الإسلام، وبعد هزيمتهم في بدر رجعوا إلى مكة، قالوا: يا قريش أعينوا لقتال محمد فقد قتل ساداتكم وأسر شبابكم لعلَّنا

ننتقم منهم، فنزلت في إنفاق أبي سفيان على الكفار يوم أُحد، وإنما النصرة لله، ينصر من يشاء، وينصر المؤمنين على الكفار ثم تكون صرف أموالهم حسرة وندامة عليهم، ثم يغلبون في معركة القتال وينهزمون ويخذلون.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ والذين كفروا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام وماتوا على كفرهم، فيوم القيامة يُساقون بالشدَّة والضرب إلى جهنم، ويخلدون فيها أبدًا. وذلك ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾، أي: ليفرق الله الكافر الخبيث من المؤمنين الطيبين، ويجعل الكافرين بخالقهم في جهنم فيركمهم بعضهم على بعض في العذاب الشديد، أولئك هم الخاسرون في حياتهم الدنيا والآخرة.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ قل يا محمد للذين كفروا بالله ورسوله: أن ينتهوا عن كفرهم ويتركوا عنادهم للمؤمنين، ويؤمنوا بالله وحده وبرسوله محمد عليه الصلاة والسلام، يغفر الله لهم ما قد أسلفوا من الكفر والعناد، وإن يقيموا على كفرهم أو يعودوا إلى عنادهم على المؤمنين فقد مضت سنة الله في التعذيب والإهلاك في الأمم الطاغين، وفي الآية تقريع لكفار قريش.

ثم أمر الله رسوله والمؤمنين بقتال كافة المشركين والكافرين. قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ وقاتلوا أيها المؤمنون المشركين كافة حتى لا تكون فتنة الشرك في جزيرة العرب، ولا يفتتن المؤمنون بهم

كما في أول الإسلام في مكة، ويكون الدين، أي: العبادات كلها لله، فإن انتهوا عن إشراكهم بالله والعناد للمؤمنين فإن الله بما يعملون بصير، سيجازيهم جزاء حسنًا ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ وإن أعرضوا عن الإيمان بالله وحده وداموا على كفرهم وعنادهم للمؤمنين فاعلموا أيها المؤمنون أن الله هو مولاكم، يتولى أمركم، فلا تبالوا بغيره، فالله نعم المولى ونعم النصير ينصركم على أعدائكم.

﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ وهذا شروع كيفية تقسيم الغنائم، قال تعالى: واعلموا أيها المجاهدون أنما غنمتم من الكفار قليلاً أو كثيرًا فإن لله وللرسول خمس الغنيمة والباقي أربعة أخماس للمجاهدين يعطى للفارس سهمان وللراجل سهم واحد، والسهم الذي لله ولرسوله يعطى منه لعائلته ولذوي القرابة لرسول الله وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، واليتامى: جمع يتيم، هم الذين مات آباؤهم وهم صغار لا مال يُصرف لهم، وللمساكين: هم الفقراء المسلمين لا يقدرون على العمل ليعيشوا، ولابن السبيل: هم المنقطعون في الطريق لا مال لهم يصلون به إلى أهلهم وبلدهم. ولكل واحد من الأصناف الأربعة يعطى من الخمس على قدر حاجتهم الضرورية.

ثم نبّه الله المؤمنين: إن كنتم آمنتم بالله لا تخالفوا أمره ونهيه، وإن صدقتم بما أنزلنا على عبدنا محمد والملائكة لنصرته والمؤمنين على أعدائهم المشركين يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، هو يوم بدر،

إذ فرق الله فيه بين الحق والباطل، والجمعان هما جمع المؤمنين والمشركين للقتال فيه، والله على كل شيء قدير حيث نصر المؤمنين القليلين في العدة والعدد على المشركين الكثيرين في العدة والعدد.

﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ واذكروا حالكم في المعركة حيث كنتم أنتم أيها المجاهدون بشفير الوادي أقرب إلى المدينة والمشركون بشفير الوادي الأقصى جهة مكة، والركب الذي تريدونه أسفل منكم على ساحل البحر، ولو تواعدتم أنتم والمشركون على القتال لاختلفتم في الميعاد؛ لأنَّ العير سبق منكم بالذهاب إلى مكة، ثم ذكر علة ذلك: ولكن أراد الله ليقضي أمرًا كان مفعولاً لا محالة؛ ليهلك من هلك عن بينة ظاهرة ويحيي من حي عن بينة ظاهرة. وإن الله لسميع بدعائكم واستغاثتكم، عليم بأحوالكم.

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ حيث أراك الله يا محمد في منامك أعداءك قليلاً وأخبرت أصحابك ليتشجَّعوا لقتال أعدائهم، ولو أراك الله أعداءك كثيرًا وأخبرت أصحابك لفشلوا وجبنوا عن أعدائهم. وإنما أسند الفضل والتنازع لأصحاب رسول الله لأنهم غير معصومين والرسول ﷺ معصوم عن ذلك، ولكن الله سلمكم من الفشل والتنازع، إن الله عليم بما في صدوركم من الصدق والحب لله ولرسوله.

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ اذكروا أيها المجاهدون

حيث أراكم الله في أعين أعدائكم قليلاً قبل القتال، وإذا التقيتم، أي: التحمتم للقتال أراكم الله في أعين المشركين كثيرًا، حتى جبنوا في المعركة وخابوا في كيدهم على المؤمنين، فقتلوا وأسروا، وذلك النصر للمؤمنين والهزيمة والخزي على المشركين ليقضي الله أمرًا كان مقدرًا، وإلى الله ترجع أعمال الخلائق، وهو سبحانه وتعالى يحاسب ويجازي الجميع.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده إذا لقيتم جماعة من الكافرين يريدون قتالكم فاثبتوا في المعركة ولا تجبنوا، واثبتوا بقلوبكم، واذكروا الله كثيرًا بألسنتكم بالدعاء إليه أو بذكرة مطلقًا، وهذا الدعاء يكون خفيًّا؛ لأنَّ النبي ﷺ كره رفع الصوت عند القتال، لعلَّكم تفوزون وتنتصرون على أعدائكم.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرا به ولا تخالفوا أمرهما ولا تختلفوا بينكم؛ إن اختلفتم بينكم تفشلوا، أي: تجبنوا فتفرقوا فتذهب ريحكم، أي: قوتكم، فتضعفوا وتخسروا، واصبروا في قتال أعدائكم ولا تعرضوا عن المعركة، إن الله مع الصابرين بالعون والنصر.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ ولا تكونوا أيها المؤمنون مثل كفار مكة الذين خرجوا من ديارهم مكة لقتال رسول الله والمؤمنين بطرًا وافتخارًا بقوتهم وشوكتهم، ويريدون مراءاة الناس، ويصدون الناس عن الدخول في دين الإسلام، والله بما يعملون محيط بعلمه لا يفوت علمه شيء من تمردهم.

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ ويخبر سبحانه وتعالى ما صنع إبليس بالمشركين من إغرارهم، حين زين إبليس أعمال المشركين لهم، وقال: لا غالب لكم اليوم بقوتكم هذه من المسلمين، وشجعهم: إني جار لكم منهم. فلما تراءت الفئتان، أي: جماعة المسلمين والمشركين، ورأى إبليس جبريل عليه السلام مع الملائكة في صف المسلمين، رجع على ظهره مدبرًا عن المشركين، وقال إبليس: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله. والله شديد العقاب لمن كفر به وخالف على أمره.

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ حيث يقول المنافقون والذين في قلوبهم ضعف، ولا ثقة في إيمانهم، ولما خرج رسول الله مع أصحابه إلى بدر قالوا: هؤلاء غرهم دينهم. قال الله تعالى ردًّا عليهم: ومن يتوكل على الله ويثق به فإن الله عزيز، أي: غالب على أمره، حكيم في تدبيره أمر الخلق.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ ولو ترى يا محمد حين يقبض الملائكة بأمر الله أرواح الكفرة المتمردين، يضربون وجوههم وظهورهم ليزداد حزنهم وخزيهم، ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق، أي: بالغ في الإحراق ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ ذلك العذاب والخزي بسبب ما كسبتم من أعمال الكفر والشرك، وتعتقدون أنها من الخير، واعلموا أنَّ الله ليس بظلام للعبيد، فإن الله ليس بمعذب عبيده إلاَّ بظلمهم.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ عادة هؤلاء الكفار كعادة قوم فرعون والذين كفروا بخالقهم من قبل قوم فرعون وكذبوا بآيات الله، فأخذهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم وتمردهم في الطغيان، إن الله قوي شديد العقاب لمن كفر به وعصى على أمره ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ ذلك العذاب لكفار مكة بسبب أن الله عادل في حكمه، لم يكن مغيرًا نعمة أعطاها لقوم حتى يغيروا ما أنعم الله عليهم من النعم. وتغيير النعمة صرفها على الفساد والخيلاء على الناس. وإن الله سميع بأقوالكم عليم بما في ضمائركم.

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ وعادة كفار قريش كعادة قوم فرعون والذين من قبل قوم فرعون اللذين كذبوا بآيات ربهم، فأهلكناهم بسبب كفرهم وتمرُّدهم في الطغيان، فأخذ الله بعضهم بالرجفة وبعضهم بالطوفان وبعضهم بالصيحة وبعضهم بقلب ديارهم عليهم والحجارة عليهم وفرعون وقومه بالغرق في البحر، وكل من هؤلاء كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر بخالقهم وارتكاب المعاصي.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال الله: (إن شر الدواب): جمع دابة، وهي ما تدب، أي: تمشي برجليها كالإنسان والطيور والبهائم. والمراد منها الإنسان، إن شرّها عند الله الذين كفروا بخالقهم، فهم لا يؤمنون بآيات ربهم. ثم بين: الذين عاهدت يا محمد، منهم من اليهود وهم بنو قريظة، وعاهدهم رسول الله أن لا يعينوا

المشركين، فنقضوا عهدهم وأعانوا كفار مكة يوم الخندق بالنفوس وبالسلاح والقوة وغيرها، وفي كل مرة عاهدهم رسول الله ينقضون عهدهم وهم لا يخافون عقوبة الله عليهم.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ فإما تظفر بهم وتغلبهم في الحرب فاقتلهم وشدد الوثاق على أسراهم، (فشرد بهم من خلفهم)، أي: افعل بهم من العقوبة والتنكيل ليتفرق به من وراءهم من الأعداء من الكفرة المجرمين لعلهم يتذكرون أن للمؤمنين قوة وشوكة ويتحذرون من قتال المسلمين.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ وإما تخافن يا محمد من قوم خيانة وكان بينك وبينهم عهد الهدنة فاطرح عهدهم إليهم وقل لهم: نحن وأنتم على سواء، لا عهد بيننا وبينكم، إن الله لا يحب الخائنين في عهدهم، فكن يا محمد حذرًا منهم ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ولا يحسبن الذين كفروا بالله وبرسوله سبقوا، أي: فاتوا من قبضتنا يوم بدر وغيره، إنهم لا يفوتون من عذابنا إن لم يؤمنوا بنا وبرسولنا وبالقرآن.

ثم أمر الله المؤمنين بأن يستعدوا لقتال الكفار والمشركين بالعدة والمركب ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ واستعدوا أيها المؤمنون لقتال أعداء الله وأعدائكم على قدر استطاعتكم من قوة، أي: من القوة المادية وهي السلاح للحرب، ومن رباط الخيل تربونها لتركبوها في الجهاد في سبيل الله، ترهبون بتلك القوة وتطردون عدو الله وعدوكم، وأقوامًا آخرين

لا تعلمونهم الله يعلمهم، وهم في غير جزيرة العرب سيحاربونهم، وما تنفقوا من شيء قليل أو كثير في سبيل الله يوف إليكم ثواب إنفاقكم كاملاً، وأنتم لا تظلمون في جزاء أعمالكم. وفي الآية ترغيب للإنفاق في سبيل الله للجهاد وغيره لله تعالى.

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ قال تعالى: وإن جنحوا، أي: مالوا ورغبوا في الصلح فمل يا محمد لها إن كان مصلحة للمسلمين، وتوكل على الله، ولا تخف، إن الله هو السميع بأقوالكم العليم بما في ضمائركم.

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ وإن أرادوا بالصلح خداعك فإن الله كافيك شرهم ومكرهم عليك، هو الله الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، لو أنفقت ما في الأرض جميعًا لإصلاح ذات بينهم ما قدرت أن تؤلف بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم فصاروا إخوانًا متحابين، إنه تعالى عزيز في أمره حكيم فيما صنع. وفي الآية تثبيت للنبي ﷺ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ يا أيها النبي كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين عن شر أعدائك الكافرين. وفي الآية تمكين وتثبيت للنبي ﷺ والمؤمنين.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ يا أيها النبي حرض ورغب المؤمنين بالقتال بذكر فضيلة الجهاد في سبيل الله لقتال الكافرين، وهم يرغبون ويتشجّعون على قتال

أعدائهم الكافرين، فإنه إن يكن من المؤمنين في معركة القتال عشرون صابرون يغلبوا مئتين من الكافرين بقوة إيمانهم وصبرهم لله تعالى، وإن يكن من المؤمنين في معركة القتال مائة صابرة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بالله ورسوله، وتلك الهزيمة والخزي للكافرين، بسبب أن المؤمنين يحتسبون أفعالهم لله، أما الكافرين فيقاتلون على غير احتساب، فإذا ثبت المؤمنون، جبن الكافرون لحب أنفسهم.

﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون ونسخ حكمه الأول رحمة بكم؛ وعلم أن فيكم ضعفًا، لا يستطيع الواحد أن يقاوم العشرة في معركة القتال، فإن يكن من المؤمنين مائة صابرة في المعركة يغلبوا مائتين من الكافرين وإن يكن من المؤمنين ألف مقاتل في المعركة يغلبوا ألفين من الكافرين بعون الله ونصره لهم. والله مع الصابرين، إذ النصر والغلبة مع الصبر في المعركة.

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ روى النسفي والخازن في تفسيريهما: لما جاء غزاة أهل بدر بالأسارى، فيهم العباس عم رسول الله وعقيل أخو علي، فاستشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر، قال أبو بكر رضي الله عنه: قومك وأهلك فاستبقهم، وخذ الفدية منهم لعل الله يتوب عليهم وتقوي أصحابك بها للجهاد في سبيل الله. وقال عمر رضي الله عنه وسعد بن معاذ رضي الله عنه ورأيهما القتل: كذبوك وأخرجوك من بلدك فقدمهم، فاضرب أعناقهم، إنهم أئمة الكفر، فإن الله أغناك عن الفداء،

مكن عليًّا من عقيل وحمزة من عباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب أعناقهم. فقال رسول الله: «مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم، قال: فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا». ثم قال رسول الله ﷺ: «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم فاستشهدوا بعدتهم». قالوا: نأخذ الفدية يا رسول الله، ووافق رسول الله على رأيهم فأخذ الفدية وأطلق الأسارى، فأنزل الله الآية: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ إلى آخرها، أي: ما ينبغي ولا يصح لنبي من الأنبياء أن يكون له أسرى، جمع أسير، حتى يكثر القتل في الأرض من الكافرين. ويغلبهم ويبالغ فيهم القتلى. أنتم تريدون متاع الدنيا الفانية والله يريد الآخرة ونعيمها لكم لأنها باقية لا زوال لها، والله عزيز، أي: قاهر وغالب على أعدائه الكافرين حكيم في تدبير مصالح عباده المؤمنين.

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ ولولا حكم من الله سبق أن لا يعذِّب أحدًا في اجتهاده وإن أخطأ، لأصابكم فيما أخذتم من الفداء من الأسارى بسبب أخذ الفداء عذاب عظيم. ولما سمعوا عتاب الله لهم تركوا الفداء وندموا على أخذهم إياها فأنزل الله ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ فكلوا أيها المجاهدون مما غنمتم من أعدائكم الكافرين حلالاً طيبًا لكم واتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه إن الله غفور لذنوبكم رحيم بعباده المؤمنين. وقال عليه الصلاة والسلام: لو أنزل الله العذاب ما نجا منكم منه إلاَّ عمر وسعد.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ يا أيها النبي قل لمن في

أيديكم من الأسرى، جمع أسير: إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا، أي: إيمانًا صادقًا يؤتكم الله بدل مما أخذوا منكم الفداء ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور لمن تاب عن ذنوبه، رحيم بعباده المؤمنين ﴿وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ وإن يريد هؤلاء الأسرى خيانتك، أي: يخالفوا عهدهم، ويرتدوا إلى كفرهم فقد خانوا الله من قبل هذه الخيانة لك يا محمد فأمكن منهم، أي: فسلّط عليهم المؤمنين فقتلوا صناديدهم وأسروا سبعين منهم في بدر. والله عليم بأحوالهم حكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده صادقين في إيمانهم، وهاجروا، أي: تركوا ديارهم وعشيرتهم حماية لدينهم وحبًّا لله ولرسوله، وجاهدوا لإعلاء كلمات الله وإعزاز دين الإسلام بأموالهم وأنفسهم في سبيل مرضاة الله، والذين أووا المهاجرين في ديارهم ونصروهم في دينهم أولئك بعضهم أولياء بعض بالتناصر والتعاون في كل شأنهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ والذين آمنوا ولم يهاجروا إلى المدينة لحماية دينهم لا تجب عليكم أيها المؤمنون موالاتهم في المحبة والإرث من شيء حتى يهاجروا إلى المدينة، وإن طلبوا النصرة منكم في إعزاز دينهم فعليكم نصرتهم، إلاَّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق، أي: عهد ومهادنة، فلا تنصروهم، احفظوا عهدكم، والله بما تعملون بصير، لا تخالفوا أمره.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ والذين كفروا بالله وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام بعضهم أولياء بعض بالتناصر والتعاون على أعدائكم الكافرين، إن لم تفعلوا التناصر بينكم على أعدائكم الكافرين تكن فتنة في الأرض، أي: تكن فتنة الكافرين تنتشر في الأرض، وفساد كبير على المؤمنين. وفي الآية تشجيع المؤمنين على مقاومة أعدائهم الكافرين.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ والذين آمنوا بالله وحده وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وهاجروا إلى المدينة لحماية دينهم عند رسول الله والمؤمنين، وجاهدوا في سبيل الله مع المؤمنين، والذين آووا المهاجرين في ديارهم ونصروا بالمعونة في أرزاقهم أولئك هم المؤمنون حقًّا لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة.

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ وهذا القسم الرَّابع من المهاجرين، والذين آمنوا بالله وحده وهاجروا من بعد صلح الحديبية إلى المدينة وجاهدوا معكم في سبيل الله فأولئك منكم أيها المؤمنون، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في استحقاق الميراث في حكم الله من أجانبٍ لا قرابة بينهم في النسب، إن الله بكل شيء عليم، إنما شرع ونسخ الحكم الأول.

الحمد لله، تمَّت سورة الأنفال بعون الله.

* * *

سـورة بـراءة

آياتها مائة وتسع وعشرون آية، وهي مدنية

سورة براءة هي مدنية إلاَّ الآيتين في آخرها ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ إلى آخرها فهي مكية.

ولها أسماء: سورة براءة والتوبة والمقشقشة والمبعثرة والفاضحة والمدمرة وغيرها. وأوصل بعض المفسرين أسماءها إلى أربعة عشرة اسمًا، وفي كل اسم سموها إنما كان بما تضمَّنت هذه السورة.

واختلف العماء في سبب ترك البسملة في أولها فقيل: حين نسخت المصاحف بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بأمره، ألحقوها بسورة الأنفال وهي من أوائل ما نزل من القرآن، وبراءة من آخر ما نزل على رسول الله من سور القرآن ولم يحدد موقعها الرسول ﷺ قبل موته وحيث تشابهت في موضوعها مع الأنفال ألحقوها بها. وروي عن عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنه قال: (إن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان)، وقيل: نزلت بعد غزوة تبوك، أرسل رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرًا للحج في السنة الثامنة ليعلم الناس مناسك حجهم، وأرسل عليًا رضي الله عنه ليعلن بالناس أن لا يحج مشرك بعد عامهم هذا ولا يطوف عريان بالبيت ومعه صدر سورة براءة.

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾، أي: ومن كان له عهد بينه وبين رسول الله فأجله إلى مدة عهده ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾، أي: سيروا في الأرض آمنين في مدة أربعة أشهر لا يأتيكم منا شيء تكرهونه، واعلموا أيها المشركون أنكم غير معجزي الله، لا تفوتون عن بطشه، وإنَّ الله مخزي الكافرين في الدنيا والآخرة.

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ وإعلان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر وأنَّ الله بريء من المشركين وعهودهم، وكذا رسوله بريء منهم، وبيّن هنا أنَّ بداية المدة ونهايتها من عشر ذي الحجة إلى عشر ربيع الآخر، ومن لم يكن له عهد مدته إلى انسلاخ الأشهر الحرم وهي شوال وذو القعدة والحج والمحرم ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ ﴾ فإن تبتم عن شرككم بالله وعنادكم على المؤمنين فهو خير لكم، وإن أعرضتم عن الإيمان بالله وحده وثبتم على كفركم وضلالتكم فاعلموا أنكم غير معجزي الله، لا تفوتون من بطشه وعقابه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ وأخبر يا محمد الكافرين بخالقهم بشارة أنَّ لهم عذابًا مؤلمًا سيذوقونه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ ولكن الذين عاهدتموهم من المشركين، وبعد العهد لم ينقضوا من عهدهم شيئًا، ولم يعينوا أحدًا من أعدائكم عليكم فأتموا عهدهم إلى تمام مدة عهدهم. إنَّ الله يحب المتقين لله في نقض عهدهم فلا ينقضونه.

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ فإذا مضت مدة الأشهر الحرم التي حرَّم الله فيهن القتال، فاقتلوا أيها المؤمنون المشركين الذين نقضوا العهد حيث وجدتموهم، في الحل والحرم، وخذوهم أسرى واحبسوهم أو امنعوهم عن الانتقال والتقلُّب في البلاد إلا أن تأذنوا لهم بأمان واقعدوا لهم كل طريق يمرون فيها وامنعوهم، فإن تابوا عن شركهم بالله وآمنوا بالله وحده وأقاموا الصلاة، أي: صلوا الصلوات المكتوبة عليهم، وآتوا زكاة أموالهم، فخلوا سبيلهم، أي: أطلقوا سراحهم ينتقلون ويذهبون أين ما ذهبوا إن الله غفور لذنوبهم رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ وإن أحد من المشركين استأمنك يا محمد مستجيرًا وملتجيئًا إليكم فأمنه، ويقعد عندك مطمئنًا حتى يسمع كلام الله ويتدبر فيه ويتعظ ثم أوصله إلى الموضع الذي يأمن فيه، ذلك الأمر بإجارة المشرك وتعريفه بكلام الله، بسبب أنهم قوم لا يعلمون حقيقة دين الإسلام، فإذا سمعوا كلام الله وتدبَّروا ما فيه تميل قلوبهم إلى الإيمان بالله وحده.

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ استفهام للإنكار والاستبعاد، والمعنى: لا يكون عهد للمشركين الذين نقضوا العهد عند الله وعند رسوله، إلاَّ الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام، هو عهد الحديبية، فما استقاموا في عهدهم

فاستقيموا لهم فيه، إنَّ الله يحب المتقين له بعدم نقض عهدهم.

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ كيف يكون للمشركين عهد، وإن يغلبوكم ويتفوّقوا عليكم لا يراعوا فيكم القرابة ولا العهد منكم، يرضونكم بحلو لسانهم، وتأبى قلوبهم، أي: ينكرون في قلوبهم، وأكثرهم خارجون عن طاعة الله وناقضون العهد لا عهد ولا أمانة لهم.

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ابتاعوا وأخذوا بآيات الله ثمنًا قليلاً، أي: متاع الدنيا الفانية، وتركوا الإيمان بها، أي: بالآيات، فمنعوا الناس عن هداية القرآن وتذكيره. إنهم على بئس عمل كانوا يعملونه.

﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ لا يراعي هؤلاء المشركون في مؤمن لا قرابة ولا عهدًا إن غلبوا على المؤمنين، فأولئك المشركون هم المعتدون في حدود الله في العهد والأمانة.

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ فإن تابوا، أي: رجعوا عن كفرهم وشركهم، وأقاموا، أي: صلوا الصلاة المكتوبة عليهم، وآتوا زكاة أموالهم، فهم إخوانكم في الدين. وهكذا نبيِّن الآيات لقوم يعلمون ويتدبرون فيها.

﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ وإن نقضوا عهودهم الموثقة عليهم باليمين، وطعنوا، أي: عابوا في دينكم، فقاتلوا أيها المؤمنون رؤساء الكفر لأنهم يقودون أتباعهم لقتال المسلمين، إنهم

لا إيمان ولا عهود لهم، لعلهم ينتهون عن كفرهم بالله وطعنهم في دين الإسلام.

ثم حرض المؤمنين لقتال المشركين: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ألا تقاتلون، أيها المؤمنون، قومًا نقضوا عهودهم الموثقة باليمين، وهمُّوا بإخراج الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من بلده مكَّة، وهم بدؤوكم بالقتال أول مرة، وذلك أن حليف قريش بنو بكر اعتدى على حليف رسول الله بني خزاعة فأعانت قريش بني بكر، فبذلك نقضوا العهد، فأُمر رسول الله ﷺ أن يسير إليهم. وبذلك رفع العهد الذي كان بينهم، وانتهت هدنة الحديبية. ثم حذر المسلمين وشجعهم على القتال: أتخشونهم أيها المسلمون؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين بعقاب الله لمن خالف أمره.

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ قاتلوا أيها المؤمنون المشركين ولا تجبنوا عن قتالهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم ويذلهم، وينصركم عليهم، ويشف، أي: يريح ويبرىء قلوب المؤمنين بالقوة والإيمان، ويذهب غيظ قلوبهم بالغلبة على أعدائهم المشركين، ويتوب الله على من يشاء، ويوفق الله التوبة عن كفرهم من يشاء منهم فيدخلوا الإسلام. وقد دخلوا في الإسلام يوم فتح مكة وحسن إسلامهم. والله عليم بما صنع، حكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ أظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا على حالتكم التي أنتم فيها ولا تمتحنوا في أعمالكم ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم في سبيل الله، أي: ولم يعلم بظهور علمه في أعمالكم ليجازيكم. ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة، أي: صاحبًا خاصًا يفشون أسرار المؤمنين إليهم. والله خبير بما تعملون لا يخفى عليه شيء من أعمال الخلق وأسرارهم.

ولما جاء المجاهدون من بدر بالأسرى وفيهم عم رسول الله العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم أصحاب رسول الله فعيَّروهم ووبخوهم. وعلي كرَّم الله وجهه جعل يوبِّخ العباس بسبب قتاله لرسول الله ﷺ وقطعه الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا؟ فقيل لهم: هل لكم من المحاسن؟ قالوا: نعم، نحن أفضل منكم، نحن نعمِّر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجاج، ونفك العاني، يعني: الأسير. فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

ما يصح ولا يستقيم للمشركين أن يعمروا مسجدًا من مساجد الله حال كونهم شاهدين على أنفسهم بأعمال الكفر، وذلك أنهم كانوا يطوفون البيت عراة، ويضعون أصنامهم حول البيت، وكلما طافوا سجدوا لأصنامهم، وذلك كفر وشرك بالله وعلى المسلمين منعهم، فأولئك بطلت أعمالهم بسبب كفرهم وشركهم بالله وكفرهم باليوم الآخر، فهم خالدون في نار جهنم أبدًا لا نجاة لهم منها.

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ قال تعالى ردًّا عليهم: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله وحده، ويوقن باليوم الآخر، وأقام الصلوات المكتوبة عليه محافظًا على شروطها وأركانها وسننها، وأدَّى زكاة أمواله بغير بخس، ولم يخش أحدًا غير الله. فعسى أولئك أن يكونوا في زمرة المهتدين يوم القيامة.

وقال تعالى موبخًا ومهددًا لهم: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ أجعلتم أيها المشركون سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله وحده وأيقن باليوم الآخر وجاهد وقاتل في سبيل الله أولئك لا يستوون عند الله. والله لا يهدي إلى الخير القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ في هذه الآية توضيح أوصاف الفائزين عند الله، فذكر المهاجرين والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل مرضاة الله. وذكر أنهم أعظم درجة عند الله من العمارين للمسجد الحرام، والساقين الحجاج. وأولئك المتصفون بالإيمان بالله وحده وبالهجرة والجهاد في سبيل مرضاة الله هم الفائزون بالجنات، بالنعيم السرمدي، لا زوال لها أبـدًا.

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ يبشِّر الله هؤلاء المهاجرين المجاهدين بشارة أن لهم رحمة منه جلّ وعلا ورضوان وجنات لهم فيها

نعيم دائم لا زوال لها، خالدين، أي: مقيمين فيها أبدًا، إن الله عنده أجر عظيم لمن آمن به وجاهد في سبيله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال الخازن رواية عن مقاتل: قال مقاتل: نزلت الآية في تسع رجال من المهاجرين ارتدوا عن الإسلام وذهبوا إلى مكة حبًّا لأهلهم وعشيرتهم. نهى الله المؤمنين عن موالاتهم للكافرين.

ومعنى الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا بالله وحده لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن أحبوا وفضلوا الكفر على الإيمان بالله، ومن يتولى منكم الكافرين فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، وأوجبوا عقاب الله عليها ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء من أصحابك: إن كان آباءكم، وأبناءكم، وإخوانكم، وأزواجكم، وعشيرتكم، أي: جماعتكم، وأموال اكتسبتموها، وتجارة تخافون كسادها، ومساكن ترضونها بالإقامة فيها أحب إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله لإعلاء كلماته وإعزاز دين الإسلام، فتربّصوا جواب الشرط، أي: فانتظروا حتى يأتي الله بأمره، أي: بعقابه العاجل في حياتكم الدنيا أو الآجل في الآخرة، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته إلى الخير والرشاد.

ويذكر سبحانه وتعالى امتنانه ونصرته للمسلمين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ

فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ لقد نصركم الله أيها المؤمنون في معارك القتال الكثيرة، ونصركم يوم حنين حين أعجبتكم كثرتكم فلم تدفع عنكم شيئًا، وضاقت عليكم أرض المعركة بما وسعت، أي: مع سعتها، ثم وليتم مدبرين عن المعركة. سُئل البراء بن عازب رضي الله عنه: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ قال: أشهد أن رسول الله لم يفر، وكانت هوازن يومئذ رماة، إنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء، وأبو سفيان آخذ بلجام بغلته ﷺ، فنزل عن بغلته وهو يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب». وأخذ قبضة من التراب ونشرها على وجوه المشركين قائلاً: «شاهت الوجوه، ارجعوا» فأصاب الله التراب أعين المشركين، فأخذوا يمسحون أعينهم، وفروا من المعركة.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ وبعد هزيمة المؤمنين وفرارهم أنزل الله سكينته، أي: رحمته، على رسوله وعلى المؤمنين لتسكن بها قلوبهم ويزول الفزع عنهم، (وأنزل جنودًا لم تروها)، يعني: الملائكة، تشجيعًا وتثبيتًا للمسلمين، ولم يقاتلوا، وعذب الله الكافرين بأيدي المسلمين بالقتل، وسبوا نساءهم وذراريهم، وأخذوا أموالهم، وذلك جزاء الكافرين بخالقهم وبرسالة رسوله إليهم.

﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ وبعد ذلك وفق الله للتوبة من بقي من أهل هوازن، فجاؤوا إلى النبي ﷺ

وأسلموا، ورد رسول الله نساءهم وذراريهم وأموالهم التي قسمها رسول الله على المجاهدين. والله غفور لمن تاب عن كفره وذنوبه، رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا بالله وحده إنما المشركون نجس فامنعوهم عن الدخول إلى أرض البلد الحرام؛ لأن الأرض الحرام لها حكم المسجد، فلا يقربوها بعد عامهم هذا، هو عام التاسع من الهجرة. ونادى علي رضي الله عنه في منى أن لا يحج مشرك ولا يطوفن عارٍ، ولا يدخل المسجد الحرام مشرك، (وإن خفتم عيلة)، أي: فقرًا ـ لأن أهل مكة كانت عيشتهم مع الحجاج ـ فسوف يغنيكم الله من فضله، إن شاء لمن شاء. فلما أسلم أهل نجد وجرش واليمن أسلموا فجلبوا إلى أهل مكة طعامًا، وغشَّاهم الله بالمطر مدرارًا، ووسع الله أرزاقهم، فاستغنوا عن حجاج المشركين. إنَّ الله عليم فيما حكم، وحكيم في تدبير أمر خلقه.

وبعد ذلك يذكر الله ما يحكم لأهل الكتاب ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ قاتلوا أيها المؤمنون الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ولا يوقنون بوقوع يوم القيامة، ولا يحرمون ما حرم الله في كتابه العزيز ورسوله في سنته، ويحرمون أحكام الله في التوراة والإنجيل، ويستحلون الخمر ولحم الخنزير والرشا في الحكم، ولا يعتقدون أن دين الإسلام هو دين الحق.

ثم بين أنهم من الذين أوتوا الكتاب، أي: التوراة والإنجيل، فقاتلوا هؤلاء حتى يستسلموا لأمر الله وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام أو إلى أن يعطوا الجزية صاغرين، بذلة، بأيديهم لحقن دمائهم وللأمن في حياتهم، بأيديهم بغير توكيل ولا إرسالها مع شخص آخر، وهم ذليلون محقورون بسلطان حكم الإسلام عليهم.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ بعد إهلاك بختنصر لليهود قاتلي الأنبياء، لم يوجد أحد يحفظ التوراة، لا يحفظها إلاَّ نبي، والنقباء كلهم ماتوا في التيه، ولما أن أحيا الله عزير عليه السلام بعد مائة عام قرأ لهم التوراة، فقالوا: هذا ابن الله. نسبوا لله ولدًا سبحانه، لم يلد ولم يولد له، المخلوقُ لا يجانسه، هو الأحد في ذاته وصفاته. وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وزعموا أنه حيث ولد بغير أب، فلا يمكن أن يولد ولد بغير نطفة أب، فهو بزعمهم ابن الله. فردَّ الله عليهم ذلك الكلام الشنيع، إنما هو قولهم يقولونه بأفواههم. (يضاهئون قول الذين كفروا من قبل هذا من الأمم الخالية، أي: يشابه قول النصارى قول اليهود في نسب الولد إلى الله. قاتلهم، أي: لعنهم الله، كيف ينسبون لله ولدًا بالكذب؟؟

قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ اتخذ هؤلاء النصارى علماءهم وزهادهم أربابًا، جمع رب، يعني أطاعوا بما أمر علماءهم وزهادهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، وعبدوا المسيح ابن مريم من دون

عبادة الله، وما أمر هؤلاء إلَّا ليعبدوا إلـهًا واحدًا، لا إلـه غيره يُعبد إلَّا هو، سبحانه وتعالى عما يشركون.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ يريد هؤلاء الكفرة أن يطفؤا نور الله، أي: إبطال دينه الحق وهو دين الإسلام. ويأبى الله إلا أن يتم نوره، أي: دينه، ولو كره الكافرون ذلك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ هو الله الذي أرسل رسوله محمدًا عليه الصلاة والسلام بالقرآن لأن فيه هداية وتذكيرًا وموعظة وقصص الأنبياء مع أممهم؛ ليرشد الناس إلى دين الحق وهو دين الإسلام، ليظهره، أي: ليعليه على الدين كله ولو كره المشركون ظهوره على الأديان الباطلة.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يا أيها المؤمنون إن كثيرًا من علماء اليهود وزهادهم ليأكلون أموال الناس بالحكم الباطل ويصدون الناس عن الدخول في دين الإسلام.

ثم أضاف إلى هؤلاء مانعي الزكاة ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ قال تعالى: الذين يكنزون الذهب والفضة، ويلحق بهما العملة الورقية والمال والتجارة، ولا يؤدون زكاتها ولا ينفقون إلى ذي الحاجة من أهل القرابة والأيتام والفقراء وابن السبيل، ولا ينفقونها في مرضاة الله، إنما سمعة ورياء، فأخبرهم بعذاب مؤلم سيذوقونه

لا محالة يوم يحمى عليها تصهر أموالهم التي لم يؤدوا زكاتها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ــ جمع جبهة ــ وجنوبهم وظهورهم. يقال لهم: هذا ما كنزتم لأنفسكم الفانية فذوقوا جزاء ما كنتم تكنزون. وفي الحديث في صحيح مسلم: أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضَّة، لا يؤدِّي منها حقّها ــ أي زكاتها ــ إلا إذا كان يوم القيامة صفِّحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضىٰ بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار».

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ إن عدد الأشهر الحرم عند الله اثنا عشر شهرًا، كما هو مكتوب في اللوح المحفوظ، من يوم خلق الله السموات والأرض، (منها أربعة حرم)، أي: محرم فيهن القتال، وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، والمحافظة على حرمة تلك الأشهر الحرم، هو الدين القيم، أي: القضاء المستقيم والحساب الصحيح عند الله، فلا تظلموا فيهن أنفسكم أيها المسلمون بهتك حرمتهن بالمعاصي، لأن فيهن يعظم جزاء المعاصي كما يعظم ثواب أعمال الصالحات.

ثم أمر سبحانه وتعالى: (وقاتلوا) أيها المسلمين (المشركين) جميعهم (كما يقاتلونكم) جيمعكم، لا تجبنوا وتتخاذلوا، (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصر والمعونة.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾ إنما النسيء، أي: التأخير، ويقصد منه تأخير الشهر الحرام إلى أشهر أخرى لأجل قتالهم فيهن زيادة في الكفر على كفرهم، يضل الشيطان به رؤساءهم بالنسيء، الذين كفروا بالله وبحرمة الأشهر الأربعة فيحلون القتال فيهن عامًا ويحرمونه عامًا، ليوافق عدة ما حرم الله، فيحلوا فيهن ما حرم الله وهو القتال والنهب. زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهم زعموا أن أعمالهم فيهن حسنة، والله لا يهدي إلى الرشد والهداية القوم الكافرين به.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ يا أيها الذين آمنوا بالله وحده أيّ شيء منعكم حين قيل لكم انفروا إلى الجهاد في سبيل الله تثاقلتم وتباطأتم في دياركم عن الخروج إلى الجهاد في سبيل الله؟ ثم وبّخهم: أرضيتم بمتاع الحياة الدنيا دون متاع الآخرة؟ فليس متاع الدنيا في الآخرة إلاّ قليل، لا قيمة لها عند الله.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ إلاّ: أصلها إنْ لا، إن شرطية، أي: إذا لم تخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله يعذّبكم الله عذابًا موجعًا ويهلككم ويستبدل قومًا غيركم أطوع لأمر الله وأمر رسوله منكم، ولا يضر الله إبطاءكم عن الجهاد، والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ إن لم تنصروا رسول الله فقد نصره الله حين أخرجه قومه من بيته هو وأبو بكر، ذهبا إلى جبل ثور، ودخلا في الغار في ذروة الجبل، وبحث المشركون في أثرهما حتى علوا فوق الغار، فعندئذ حزن وجزع أبو بكر الصديق رضي الله عنه على رسول الله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم: «لا تحزن إن الله معنا» بالستر عن شرهم، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى أبي بكر، وأيده بجنود، أي: وقوى رسوله بالملائكة، (لم تروها)، أنتم وصرف وجوه الكافرين عن رسول الله ﷺ، وجعل الله كلمة الشرك والكفر السفلى وكلمة الله هي العليا، هي كلمة لا إلـه إلاَّ الله، لا تزال هي العليا إلى يوم القيامة. (والله عزيز)، أي: قاهر فوق عباده، (حكيم) في تدبير أمر خلقه، كما دبر أمر رسوله وأبي بكر في الغار. وبعض المفسرين حمل التفسير من قوله: (فأنزل الله سكينته) إلى آخر الآية على غزوة بدر وحنين.

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ إذ قيل لكم انفروا أيها المجاهدون فانفروا، أي: اخرجوا أيها المسلمون طائعين لأمر الله وأمر رسوله إن كنتم خفافًا لا عيال لكم ولا مال وإن كنتم ثقال لكم عيال ومال شيوخًا وشبَّانًا، رجَّالة وركبانًا، نشّاطًا وغير نشّاط، أغنياء وفقراء، ذوي عيال وغير عيال، ذوي ضياع وغير ذوي ضياع، ذوي أشغال وغير ذوي أشغال، أصحاء

ومرضى، عزّابًا ومتزوجين خفافًا من السلاح وثقالاً بالاستكثار منه، فبأيِّ حالة تكونوا اخرجوا وجاهدوا في سبيل الله، لا تتباطئوا عن الجهاد لإعلاء كلمات الله وإعزاز دينه بأموالكم وأنفسكم في سبيل مرضاة الله. ذلكم خير لكم في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون، أي: تفهمون ما بينا لكم من الأمر ومن الثواب.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ولو كان ما دعوا إليه عرضًا قريبًا سهل المنال وسفرًا وسطًا لا بعيدًا لاتبعوك للخروج ولكن بعدت عليهم المسافة ورأوها مشقة ولهذا اعتذروا إليك، قال تعالى: (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) للجهاد، فرد الله عليهم أنهم يوقعون أنفسهم بالهلاك، والله يعلم أنهم لكاذبون في يمينهم واعتذارهم.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ قال تعالى لرسول الله عفا الله عن إذنك لهؤلاء المنافقين بالقعود، فبأيِّ شيء أذنت لهم؟ لو صبرت حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لا يستأذنك يا محمد الذين يؤمنون بالله وحده ويوقنون بوقوع يوم الآخرة، فيه حساب وجزاء، أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم. وعلموا أن الله قد وعد للمجاهدين جنات النعيم ومغفرة لذنوبهم ورضوانًا من ربهم، والله عليم بالمتقين بمخالفة أمر الله ورسوله.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ إنما يستأذنك يا محمد للقعود الذين لا يؤمنون بالله ولا يوقنون بوقوع يوم القيامة وارتابت قلوبهم، أي: شكت قلوبهم في الإيمان بالله وباليوم القيامة فهم في ريبهم يترددون ويتحيرون بين الكفر والإيمان.

﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ولو أراد هؤلاء المنافقون الخروج معك يا محمد للجهاد لاستعدوا بالسلاح والزاد للخروج معك، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، وكره الله خروجهم معك فثبط في قلوبهم الكسل والتخلف عن الخروج للجهاد مع المجاهدين، وأُلْقي في قلوبهم أن اقعدوا مع المتخلفين من النساء والصبيان وأهل الأعذار. وهذا فيه توبيخ وتقريع.

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ لو خرج هؤلاء المنافقون معكم ما زادوكم إلاَّ خبالاً، أي: حيرة بإلقاء الفساد بينكم. (ولأوضعوا)، أي: ولأسرعوا بالفساد أو لساروا بالنميمة بينكم يبغون لكم الفتنة والفساد والاختلاف، وفيكم أيها المسلمون سماعون لهم، إما العيون، أي: الجواسيس يسمعون منكم فينقلون إلى اليهود والمنافقين الذين لم يكونوا معكم، أو أن المعنى: منكم من يميل ويسمع إلى كلامهم ويطيعهم. والله عليم بالظالمين على أنفسهم بإلقاء الفتنة والشبهات بين المؤمنين.

﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ لقد ابتغى هؤلاء المنافقون الفتنة والفساد من قَبْلِ غزوة تبوك وأراد ابن سلول وأصحابه أن يقلِّبوا لك الأمور يوم أحد

فاحتالوا لتشتت أمرك حتى جاء النصر للمؤمنين وظهر نصر الله للمؤمنين وظهر الإسلام، وهم له كارهون ذلك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ومن المنافقين من يقول: ائذن لي ولا تفتِّني، قال رسول الله لجد ابن قيس: هل لك رغبة في جلاد الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء؟ فقال: يا رسول الله ائذن لي للقعود ولا تفتني في نساء بني أصفر، أعينك بالمال. قال تعالى ردًّا عليه: ألا في الفتنة سقطوا، أي: بتخلفهم عن الجهاد في سبيل الله سقطوا في فتنة التخلف. وإن عذاب جهنم لمحيط بالكافرين.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ إن تصبك نصرة على أعدائك الكافرين وغنيمة منهم تسوء المنافقين، وإن تصبك يا محمد هزيمة من أعدائك يقولوا قد أخذنا أمرنا، أي: أمَّنَّا من قبلُ بالقعود. ويتولوا عنك وهم فرحون لما أصابك من عدوك.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ قل لهم يا محمد: لن يصيبنا من المصائب إلاَّ ما كتب الله علينا في اللوح المحفوظ، ونحن مستسلمون لما قدر الله لنا، هو وليّ أمورنا وناصرنا على مشكلاتنا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون في كل شأنهم، ولا يعتمدون على غيره.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قل لهم يا محمد، قل لهؤلاء المنافقين: لا تنتظرون إلاَّ

إحدى الحسنين: إما النصر وإما الشهادة. ونحن معشر المؤمنين ننتظر أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يهلككم، أو يعذبكم بأيدينا، نقتلكم ونأسر ذراريكم ونأخذ أموالكم. فانتظروا إلى أسوء الحالتين، إنا معكم منتظرون ما يحل عليكم من عقاب الله وما يحل بنا من نعيمه.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قل لهم يا محمد: أنفقوا أموالكم طائعين برغبة منكم أو كارهين لإنفاق أموالكم، لن يتقبل الله منكم؛ إنكم يا معشر المنافقون كنتم قومًا خارجين عن طاعة الله وهاتكين حدود الله.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ وما منع قبول نفقاتهم إلاَّ كفرهم بالله وبرسوله، ولا يصلون إلاَّ وهم كسالى غير راغبين، إليها، ولكن خائفين من المسلمين، ولا ينفقون أموالهم إلاَّ وهم كارهون لإنفاق أموالهم لأنهم يعدون الإنفاق مغرمًا.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ نهى الله نبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أن لا يستعجب ولا يستحسن أموال المنافقين وكثرة أولادهم. ثم ذكر علة ذلك: إنما يريد الله ليعذبهم في حياتهم الدنيا بالاشتغال والتعب بهم؛ لأن الإنسان مجبول على حب المال والأولاد وإذا كثر أولاده وماله زاد التعب والاختلافات عليه. وبهذا يتعبوا ويزهقوا ويموتوا وهم كافرون بنعم الله.

وفي الآية تزهيد للمؤمنين عن طلب كثرة الأولاد والأموال، وأما من أنعم الله عليه أولادًا وأموالاً وهو شاكر بها لله ولا يلهو عن ذكر الله وطاعته ولا يرتكن إليهم دون طاعة الله، ويؤدون زكاة أموالهم ويربون أولادهم

بتربية حسنة ومرضية عند الله فنعم المال هو ونعم الأولاد هم. فهو موفق بالخير.

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ يحلف المنافقون بالله أنهم لمن المسلمين، فكذب الله دعواهم: وما هم من المسلمين الصادقين، ولكنهم قوم يخافون خوفًا شديدًا من المؤمنين أن يقتلوهم كما قتلوا المشركين.

﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ قال تعالى: لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً أو قومًا يدخلون في جملتهم لهربوا منكم لشدة بغضهم لرسول الله والمؤمنين، ولدخلوا على أحد الأمكنة الثلاثة مختفين فيها ولولوا منكم متجهين إلى محل الاختفاء منكم وهم يسرعون كسرعة الفرس. وفي الآية تنبيه للمؤمنين أن لا يغتروا بحلو لسان المنافقين وبأيمانهم الكاذبة، ويكون المؤمنون على حذر منهم.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ومن المنافقين من يعيب عليك ويطعن يا محمد في تقسيم الصدقات، فإن أعطيتهم ما يرضيهم منها رضوا وإن لم تعط ما يرضيهم غضبوا عليك. وروي أن رجلاً من بني تميم اسمه ذو الخويصرة وهو رأس الخوارج، دخل عند النبي ﷺ وهو يقسم الصدقات فقال ذو الخويصر: اعدل فقال عليه الصلاة والسلام: ويحك وإن لم أعدل من يعدل بعدي، فأنزل الله الآية.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قال الله تعالى: ولو أنهم رضوا

بما قسم رسول الله مما أتاهم الله من فضله، وقالوا: حسبنا الله، أي: كافينا ما رزقنا الله، سيؤتينا الله من فضله، ورسوله يقسم لنا، إنا إلى الله راغبون. وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرًا لهم.

قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المستحقين للصدقات المفروضة وهي الزكاة أنها: للفقراء: جمع فقير، وهو المتعفف الذي لا يسأل الناس، والمساكين: جمع مسكين، وهو الذي يسأل الناس قوت يومه، ليس له شيء، والعاملين عليها: يعطى أجورهم منها، والمؤلفة قلوبهم: هم حديثي الإسلام، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم، وكان رسول الله يعطي لهم ليأتلف قلوبهم على الإسلام، وليتمكن الإيمان في قلوبهم، وبعد رسول الله جاؤوا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكتب لهم كتابًا يأتوا به عمر رضي الله عنه ليعطي لهم من مال الصدقة، وعمر رضي الله عنه مزق الكتاب وقال لهم: أعز الله الإسلام، لا حاجة لكم، أسلموا إسلامًا صحيحًا وإما على رقبكم السيف، فأسقطهم منها. وفي هذه الآية لما يذكر اليتامى، جمع يتيم، فإن كانوا لا مال لهم ليعيشوا به يعطوا من مال الصدقة، ويعطى لفك رقبة الأسير عند سيده، وهم المكاتبون، ويعطى للغارمين، وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء فيعطوا ليدفعوا عنهم ديونهم. ويعطى في سبيل الله، أي: للمجاهدين في سبيل الله، والمرابطين أغنياء وفقراء. ويعطى لابن السبيل: هم الذين انقطعوا في السفر عن مالهم وأهليهم، فيعطوا حتى يبلغوا إلى أهليهم ومالهم. افترض الله ذلك على المسلمين فريضة منه،

وهي أحد أركان الإسلام فحافظوا عليها، والله عليم بما حكم، حكيم في تدبير ما شرع لكم.

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ ومن المنافقين أناس يؤذون رسول الله بألسنتهم، ويقولون: هو أذن يسمع كل خبر من خير أو شر، قل لهم يا محمد: أذن خير، يبلغ لكم أمر ربكم، ويصدق بما أخبر الله له، ويصدق للمؤمنين بإيمانهم بالله وحده، ورحمة للذين آمنوا من اليهود إيمانًا صادقًا. أما الذين يؤذون رسول الله فلهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (يحلفون بالله لكم) المنافقون يحلفون أنهم ما قالوا في حق رسول الله شيئًا، ويحلفون ليرضوكم بيمينهم الكاذبة. والله ورسوله أحق أن يرضوه بالطاعة لأمره، باتباع رسوله، إن كانوا مؤمنين صادقين. قال تعالى موبخًا المنافقين: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنه من يخالف الله ورسوله ويعاديهما فإن له نار جهنم خالدًا فيها أبدًا؟ وذلك الخلود في نار جهنم هو الخزي العظيم.

ثم قال: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ يحذِّر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تخبر بما في قلوبهم من النفاق والعناد على رسول الله والمؤمنين، وحيث إنهم لا ينتهون عن الاستهزاء بالمؤمنين فقل لهم يا محمد:

استهزئوا، إن الله مخرج ومظهر وفاعل ما تحذرونه، فتفتضحون عند المؤمنين.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ كان بعض المنافقين وهم في الطريق إلى غزوة تبوك قد قالوا: هيهات هذا الرجل يفتح ويستولي على قصور الشام وحصونها. فأخبر الله رسوله بما قالوا، ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن إنا كنا نخوض في الطريق ونلعب لترويح أنفسنا لقطع الطريق كعادة العرب في السفر. قل لهم يا محمد: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ استفهام للتوبيخ والتفضيح. أبالله وأحكام شريعته ورسوله كنتم تستهزئون.

وقال تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ لا تعتذروا أيها المنافقون بأيمانكم الكاذبة، قد كفرتم بعد إظهار إيمانكم، فإن نعف عن طائفة منكم بتوبتهم الصادقة نعذب طائفة بسبب إصرارهم على كفرهم ونفاقهم لأنهم كانوا مجرمين، أي: مصرين على نفاقهم.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المنافقون والمنافقات في صفة واحدة لا يفترقان، يأمروا الناس بأمور منكرة في شريعة الإسلام، وينهون الناس عن المعروف في الشريعة، ويقبضون أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله، في وجوه الخير، نسوا أوامر الله وطاعته فنسيهم الله، أي: أبعدهم عن رحمته وتركهم في كفرهم وعصيانهم ليعظم إجرامهم. إن المنافقين هم الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾، أي: توعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها، ويعذبون على الأبد. (هي)، أي: نار جهنم، كافيتهم تعذيبًا وإهانة عليهم، وأبعدهم الله من رحمته. ثم أكد الوعيد: ولهم عذاب مقيم، أي: دائم لا ينقطع عنهم أبدًا.

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾، أي: شأنكم أيها المنافقون كالذين من قبلكم في الكفر والنفاق، كانوا أشد منكم قوة في الجسم، وأكثر منكم أموالاً وأولادًا، فما نفعتهم قوتهم وأموالهم وأولادهم حين أخذهم الله بالعذاب المهلك، وأنتم مثلهم، إذا استمتعوا بنصيبهم فاستمتعتم بنصيبكم كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم، وخضتم في الباطل والكفر كالذين خاضوا في الباطل والكفر، أولئك حبطت أعمالهم الخيرية في الدنيا فلا ثواب لهم في الآخرة، وأولئك هم الخاسرون في الآخرة.

﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ استفهام للتقريع: ما بال هؤلاء المنافقين؟ ألم يأتهم أخبار الأمم الذين طغوا وعصوا رسولهم من قبلهم كيف عذَّبهم الله؟ فقوم نوح عليه السلام أهلكهم الله بالطوفان فأنجاه ومن آمن معه في السفينة سالمين من الغرق. وعاد هم قوم هود عليه السلام، أهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبعة ليال وثمانية أيام

فسقطوا ميتين كأنهم أعجاز نخل خاوية. وثمود هم قوم صالح عليه السلام، أهلكهم الله بالصيحة الطاغية، فماتوا في ديارهم حيث كانوا. وقوم إبراهيم عليه السلام، أهلكهم الله، وملكهم نمروذ سلب منه النعم وسلط عليه بعوضة دخلت في خيشومه وشربت دماءه حتى مات. وأصحاب مدين هم قوم شعيب عليه السلام أهلكهم الله بالرجفة من تحتهم والظلة الحارة من فوقهم. والمؤتفكات وهم أهل القرى قوم لوط عليه السلام أهلكهم الله بقلب ديارهم عليهم وجعل عاليها سافلها وأرسل عليهم حجارة من سجيل. كل أولئك جاءتهم رسلهم بالحجج الواضحات ليتذكروا وينزجروا عن عصيانهم فلم يقبلوها، واستحقوا عقوبة الله، فما كان الله ليعذبهم ويهلكهم ظلمًا، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب ما نهى الله عنه.

ثم يذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين الصادقين، وهذه سنته في كتابه العزيز ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بالموالاة والتناصر والتعاون في مهماتهم؛ يأمرون بالمعروف في شريعة الإسلام، وينهون عن المنكرات في شريعة الإسلام، ويصلون الصلوات المكتوبة عليهم بإقامة شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ومحافظين عليها، ويؤتون زكاة أموالهم بغير بخس، ويطيعون الله ورسوله فيما أمر به وما نها عنه سمعًا وطاعة، أولئك سيرحمهم الله، وإدخال السين في يرحم لتأكيد الرحمة بهم، إن الله عزيز في أمره لخلقه حكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحت أشجارها وأمام قصورهم الأنهار، مقيمين فيها، ومساكن طيبة، أي: حسنة، في جنات عدن، أي: دار إقامة، فيها تطيب نفوسهم، ويتنزهون فيها مع أزواجهم الحور العين، ورضوان من الله أكبر، أي: أعظم من ذلك النعيم. ذلك هو الفوز العظيم.

ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، واغلظ على الكافرين بالقتل، وعلى المنافقين بالتهديد والتذكير، وإن لم يؤمنوا إيمانًا صادقًا فمأواهم ومرجعهم جهنم وبئس المرجع، يخلدون فيها أبدًا.

قال جلاس بن سويد المنافق: لئن كان ما جاء به محمد حقًّا لنحن أشر من الحمير. فسمع رجل من المسلمين فبلغه إلى النبي ﷺ، فجاء جلاس يعتذر ويحلف بالله ما قال، فأنزل هذه الآية وكذبه بها: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ والقائل تلك الكلمة الخبيثة هو الجلاس، ومن عنده من المنافقين أقروا عليها، ولهذا قال تعالى بصيغة الجمع: (يحلفون بالله ما قالوا)، أي: ما قالوا تلك الكلمة، وأثبت الله كلمتهم بقوله: (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا)، أي: هموا بقتل النبي ﷺ

حين رجوعهم من غزوة تبوك، فلم ينالوا مقصدهم، ونجا نبيّه ﷺ من كيدهم. وما نقموا، أي: وما كرهوا للنبي ﷺ والمؤمنين إلاَّ أن أغناهم الله من فضله ورسوله. فإن يتوبوا عن نفاقهم وكفرهم بك فذلك يكون خيرًا لهم في الدنيا والآخرة، وإن يتولوا عن الإيمان بالله ورسوله يعذبهم الله عذابًا أليمًا في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة عذابًا شديدًا في نار جهنم. وما لهم في الأرض من ولي يمنعهم من عذاب الدنيا ولا نصير ينصرهم من عذاب الآخرة.

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ومن المنافقين من عاهد الله يقولون: لئن آتانا من فضله لنتصدقن للفقراء والمساكين ولنعملن عملاً صالحًا ولنكونن من عباده الصالحين. قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ فلما رزقهم الله من فضله بخلوا به وتركوا وأخلفوا عهدهم وهم مصرون على إعراضهم وبخلهم ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فأعقبهم الله نفاقًا على نفاقهم، وتراكمت النفاقات في قلوبهم إلى يوم يموتون فيه، وذلك بسبب ما أخلفوا الله ما وعدوه، وبسبب ما كانوا يكذبون على الله في عهدهم وإيمانهم.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتقريع: ليعلم هؤلاء المنافقون أن الله يعلم سرهم وما يتناجون به بينهم في حق رسول الله والمؤمنين: اعلموا إيها المنافقون أن الله علام الغيوب.

ويصف الله المنافقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما حثَّ رسول الله على الصدقات جاء عبد الرحمـٰن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وجاء عاصم ابن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء رجل من الأنصار بصاع من تمر، فقال بعض المنافقين: ما جاء عبد الرحمن وعاصم إلاّ رياء، والله ورسوله لغنيين عن صاع رجل، فأنزل الله الآية. ومعنى الآية: الذين يعيبون في صدقات المتطوعين والذين لا يجدون شيئًا ليتصدقوا فيتصدقوا حسب طاقتهم، فيسخر المنافقون ويعيبون عليهم، سخر الله من المعيبين، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

ولما أظهر الله سخرية المنافقين وقبائحهم، وبين عقاب ذلك جاء المنافقون الذين سخروا من المتصدقين إلى النبي ﷺ، فقالوا: استغفر لنا يا رسول الله، فأنزل الله ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ خيَّر الله رسوله: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، سواء، فلن يغفر الله لهم ذلك، وعدم قبول استغفارك لهم بسبب أنهم كفروا بالله ورسوله بعد إيمانهم، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعة الله وطاعة رسوله صلّى الله وعليه وعلى آله وسلَّم.

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ فرح المتخلِّفون عن الجهاد بقعودهم في بيوتهم خلاف أمر رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وقال بعضهم

لبعض: لا تنفروا في الحر، أي: لا تخرجوا إلى الجهاد في أيام الحر. قال الله تعالى: قل لهم يا محمد: نار جهنم أشد حرًّا من حر الدنيا لو كانوا يفقهون ما بيَّنّا لهم.

قل لهم يا محمد: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فليضحكوا في حياتهم الدنيا ويفرحوا فرحًا قليلاً وليبكوا كثيرًا في عذاب الخلد، وذلك العذاب لهم جزاء بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فإن ردك الله من غزوة تبوك إلى طائفة من المنافقين، الذين تخلفوا من غزوة تبوك بغير عذر، فاستأذنوا منك للخروج إلى غزوة أخرى، فقل لهم يا محمد: لن تخرجوا معي أبدًا، ولن تقاتلوا معي عدوًّا؛ إنكم رضيتم بالقعود في بيوتكم أول ما دعيتم إلى غزوة تبوك، فاقعدوا الآن مع المتخلفين، أي: مع النساء والصبيان.

ولما مات عبد الله بن أُبَـيّ ابن سلول أتي بجنازته إلى المسجد، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يصلي على جنازته، فقال عمر رضي الله عنه أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله: أنا خُيِّرتُ، فصلى عليه فلما انصرف من المصلى نزلت الآية ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ولا تصل على جنازة أحد من المنافقين أبدًا، ولا تقم، أي: ولا تتولى دفنه أو تقوم عند دفنه كما تفعل عند دفن المؤمنين؛ إن المنافقين كفروا بالله ورسوله، وإذا ماتوا وهم على كفرهم ونفاقهم فهم خارجون عن الإيمان

والإسلام. وبعدها لم يصلِّ عليه الصلاة والسلام على جنازتهم ولا تولى لدفنهم.

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ولا تعجبك يا محمد كثرة أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها ويتعبون في حياتهم الدنيا وتزهق أنفسهم، أي: تخرج أرواحهم من أجسادهم على صعوبةٍ وهم كافرون.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ وإذا أنزلت سورة فيها أمر للقتال وأمر بالإيمان بالله صدقًا ويقينًا وأن جاهدوا مع رسول الله لإعلاء كلمات الله وإعزاز دين الإسلام. استأذنك يا محمد أصحاب الأموال واليسار من المنافقين وقالوا: دعنا نكن مع الذين لم يخرجوا لعذر، نقعد معهم في بيوتنا.

ثم وبخهم الله وقبحهم ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ رضي هؤلاء المنافقون بأن يقعدوا في بيوتهم مع النسوان والصبيان وأصحاب الأعذار من هرم ومرض وعجز. وطبع ذلك التخلف والكسل على قلوبهم فهم لا يفقهون ما عند الله من كرامة للمجاهدين.

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا في سبيل إعلاء كلمات الله وإعزاز دين الإسلام بأموالهم وأنفسهم. وأولئك لهم الخيرات، أي: لهم النعيم والخير في الدنيا بالنصرة على أعدائهم الكافرين والغنائم منهم، وأولئك هم المفلحون،

أي: الفائزون بمقاصدهم في الآخرة ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾، أي: هيأ الله لهم جنات تجري من تحت أشجارها وأمام قصورهم ماء الأنهار، مقيمين فيها أبدًا، ذلك الخلود والإقامة في الجنات هو الفوز العظيم.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ وجاء المعتذرون من الأعراب، الذين أرادوا التخلف عن الجهاد، وهم بنو أسد وغطفان ليؤذن لهم للقعود، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو المدينة، وتوعد الله عليهم: سيصيب الذين كفروا منهم عذاب مؤلم في الآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ ليس على الضعفاء من الهرم والعجز، ولا على المرضى الذين لا يستطيعون الجهاد، ولا على الذين لا يجدون النفقة للطريق حرج، أي: إثم إذا نصحوا، أي: صدقوا في إيمانهم وأخلصوا أعمالهم لله ورسوله. (ما على المحسنين من سبيل)، أي: ما على الذين أحسنوا أعمالهم لله تعالى وصدقوا في أعذارهم في التخلف عن الجهاد من عقاب، والله غفور لمن صدق في عذره رحيم بعباده المؤمنين ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ولا حرج على الذين إذا ما أتوك يا محمد لتحملهم قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه، تولوا من عندك وأعينهم تسيل من الدمع حزنًا من أن لا يجدوا ما ينفقون في سبيل الجهاد.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ إنما السبيل بالعتاب على الذين يستأذنونك يا محمد للتخلف عن الجهاد وهم أغنياء في كل حالهم وليسوا ضعافًا ولكن رضوا بأن يكونوا مع النساء والصبيان والمرضى والهرم، فقد ختم الله على قلوبهم بتلك الأوصاف المذمومة فهم لا يعلمون ذلك.

﴿۞ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ يعتذر المتخلفون عن غزوة تبوك إليكم إذا رجعتم إليهم من غزوة تبوك، قل لهم يا محمد: لا تعتذروا، لن نصدقكم، قد أخبرنا الله من أخباركم، سوف يرى الله ورسوله عملكم، أي: أعذاركم إن كنتم صادقين أو كاذبين فيها ثم تردُّون بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة، عالم الغيب هو يوم القيامة، يغيب في الدنيا عن العباد، والشهادة، ويشهد كل إنسان عمله من خير أو شرّ، فيخبر الله بما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا، وأنتم أيها المنافقون توقفون أمام الله بأعمالكم للحساب والجزاء فيخبركم الله بما كنتم تعملون من نفاق وكفر وعناد للمسلمين، فيجازيكم جزاء كاملاً.

قال تعالى: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ سيحلفون بالله لكم أيها المؤمنون، أي: المنافقون الذين تخلفوا عن غزوة تبوك إذا رجعتم إليهم من تبوك يحلفون بالله: أنهم لن يتخلفوا عنكم ولا يتركوكم ثانية، فترضوا عنهم ولتعرضوا عنهم. وهذا علة يمينهم وأعذارهم

كي لا تعترضوا عليهم بقبائحهم، فأعرضوا عنهم، لا تذكروا لهم قبائحهم، إنهم نجس لا إيمان لهم، ومأواهم جهنم في الدرك الأسفل، جزاء بما كانوا يكسبون في حياتهم الدنيا من نفاق وكفر وعناد للمسلمين.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ يحلفون بالله لكم لترضوا عنهم وتعفوا عن مساءتهم عليكم فإن ترضوا وتسمحوا عنهم فإن الله لا يرضى عن الفاسقين، أي: الخارجين عن طاعته.

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأعراب هم أهل البادية، وهم بعيد من أهل المعرفة والصلاح، تربيتهم تربية البادية: قساوة في القلب وجفاوة في الأخلاق ولهذا وصفهم الله أنهم أشد كفرًا ونفاقًا من أهل المدن، فالأليق والأحسن أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله من أحكام التشريع ليعملوا بها، والمؤمنون يسلكون فيها إلى سبيل الفوز برضاء ربهم، والله عليم بأحوال خلقه، حكيم فيما شرع وحكم على عباده المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق سمعة ورياء، لا يرجون الله في إنفاقهم؛ لأنهم منافقون، يجاملونكم وينتظرون بكم الدوائر، أي: المصائب. وتوعّد الله عليهم مصائب السوء تنزل عليهم، والله سميع بأقوالهم، عليم بما في ضمائرهم من النفاق والعناد على المسلمين.

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ ومن الأعراب من يؤمن بالله وحده واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق ليكون قربات عند الله ويرجون ثوابها، وصلوات، أي: دعاء الرسول لهم. قال تعالى إجابة على إنفاقهم: ألاّ إنها قربة لهم، سيدخلهم الله في رحمته، أي: في جنته التي أعدت للمتقين، إن الله غفور لذنوبهم رحيم بعباده المؤمنين.

﴿ وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ اختلفت أقوال العلماء في قوله: (والسابقون الأولون من المهاجرين) والأقرب للصواب مما قالوا أنهم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله وشهدوا بدرًا من المهاجرين، (والأنصار)، وهم أهل المدينة المنورة، أسكنوا المهاجرين إلى المدينة في بيوتهم وأشركوهم في أموالهم. (والذين اتبعوهم) في سلوكهم ونهجتهم بإحسان إلى يوم القيامة، رضي الله عنهم ورضوا عنه بما وفق الله لهم الإيمان بالله والإسلام، ورزقهم الاستقامة فيه، وأعد لهم جنات تجري تحت أشجارها الأنهار مقيمين فيها أبدًا، ذلك الإقامة في الجنات الفوز العظيم.

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ وممن حولكم من أهل البادية منافقون ومن أهل المدينة أناس استمروا وثبتوا على نفاقهم، لا تعلمهم يا محمد، نحن نعلمهم، سنعذبهم مرتين في الدنيا بالقتل والأسر، وعند سكرات الموت يشدد عليهم قبض أرواحهم، ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في جهنم.

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ وقوم آخرون اعترفوا بتخلفهم ولم يكذبوا، وكان تخلفهم بالتسويف إذ أرادوا اللحوق بالجيش فلم يفعلوا حتى رجع رسول الله والجيش من تبوك، وندموا على ما حدث منهم ثم تابوا إلى الله. فوصف الله عملهم بأنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، والمعنى: كانوا يجاهدون في غزوات وتخلفوا عن غزوة تبوك بالتسويف لا بالعمد. عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم، وهذا وعد من الله لقبول توبتهم ثم قال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ لما عفى الله عنهم جاؤوا بأموالهم صدقة كفارة عن ذنوبهم، فقال رسول الله: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئًا»، فأنزل الله الآية. خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم بها عن ذنوبهم، وصل، أي: ادع لهم بالبركة والمغفرة، إن صلاتك، أي: دعاءك سكن لنفوسهم وطمأنينة في قلوبهم، والله سميع لأقوالهم، وعليم بما في ضمائرهم.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ استفهام للتقرير ألم يعلم هؤلاء التائبون عن خطئهم أن الله هو يقبل التوبة من عباده التائبين عن ذنوبهم ويأخذ الصدقات منهم ليتطهروا عن ذنوبهم؟ وإن الله هو التواب الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وقل يا محمد لهؤلاء التائبين عن تخلفهم عن غزوة تبوك وكل إنسان ومؤمن: اعملوا بطاعة الله فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون بعد مماتكم إلى عالم الغيب

والشهادة فيخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا فيحاسبكم ويجازيكم عليها.

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ وأناس آخرون من المتخلفين مؤخرون أمرهم لأمر الله إما يعذبهم إن لم يتوبوا وإما يوفقهم الله لتوبة صادقة فيغفر لهم والله عليم بأحوالهم حكيم فيما صنع وحكم بهم.

وسيأتي خبرهم عند قوله تعالى: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) إلى آخر الآية.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدًا في حذاء مسجد قباء ليضروا أهل المسجد وكفرًا بالله وتفريقًا بين المؤمنين، (وإرصادًا)، أي: ترقُّبًا وانتظارًا لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار، وهو أبو عامر الراهب، وكان قد تنصَّر وترهَّب في الشام فأراد أنه إذا جاء من الشام ينزل فيه، وكان أبو عامر الفاسق قد قال لرسول الله يوم أُحُد: ما قاتلك قوم إلاَّ قاتلتك معهم. وكان قد دخل يومًا على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، ما هذا الذي جئت به؟ قال: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم». قال: فإني عليها. فقال النبي ﷺ: «لست عليها لأنك أدخلت فيها ما ليس منها»، فقال أبو عامر: أمات الله الكاذبَ منا طريدًا وحيدًا. فقال النبي ﷺ: «نعم أمات الله الكاذب منا كذلك»!! وهرب أبو عامر إلى الشام وكتب إلى المنافقين فبنوا ذلك المسجد، وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي لهم فيه، فأوحى الله إليه أنهم بنوه للضرر ويلزم هدمه، فقدم النبي ﷺ إليه وأمر

بإحراق سقوفه وهدم جداره، وحلفوا: ما أردنا ببنائه إلاَّ الحسنى، أي: حسنة ليتوسع المصلون فيه، فردَّ الله عليهم، والله يشهد أنهم لكاذبون في دعواهم.

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ لا تقم يا محمد لتصلي في مسجد الضرار، فالمسجد الذي بُني على تقوى الله من أول يوم ابتدىء فيه بناؤه أحق أن تصلي فيه، كالمسجد النبوي ومسجد قباء، فيه رجال يحبُّون أن يتطهَّروا بغسل أدبارهم في الاستنجاء، ويغسلونه بالماء، والله يحب المتطهرين من الأحداث والجنابة. وروي: سائل النبي ﷺ أهل مسجد قباء كيف طهارتكم؟ إن الله أثنى عليكم في طهارتكم، قالوا: يا رسول الله، إن لنا جيرانًا من اليهود وهم يغسلون مقاعدهم بالماء ونحن فعلنا مثلهم.

قال تعالى بضرب المثل: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ استفهام للتقرير للمسلمين: أن من جعلوا بناء مسجدهم على تقوى من الله وطلب رضوان الله هم خير، وفيها استفهام للإنكار على من جعلوا بناء مسجدهم على شفا جرف هار يكاد يسقط، بنوه بالنفاق الخداع والإضرار على المسلمين، فانهار الجرف مع المسجد الذي بنوه وأسقط مع أهله في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين، لا يهديهم إلى الرشد إلى سبيل الرشاد والهداية، ما داموا على ظلمهم.

قال تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ لا يزال بنيان المنافقين الذين بنوا مسجدهم

على شك وارتياب في قلوبهم إذ يظنُّون أنهم أحسنوا صنعًا، (إلاَّ أن تقطع قلوبهم) من غيظهم على المسلمين، إلاَّ أن تتصدع قلوبهم فيموتوا عليه، والله عليم بأحوالهم حكيم فيما حكم عليهم من الخزي والذلة في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ الله سبحانه وتعالى يبشِّر المجاهدين في سبيل الله: إنَّ الله اشترى من المؤمنين المجاهدين في سبيل إعلاء كلماته وإعزاز دين الإسلام بأن لهم الجنة، فيقتلون أعداء الله الكافرين ويُقتلون في معركة القتال شهداء، وكان ذلك وعدًا عليه في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى، أي: لا أحد أوفى بعهده من الله. فاستبشروا أيها المجاهدون ببيعكم الذي بايعتم الله به، وذلك البيع بالجنة هو الفوز العظيم في جنات النعيم.

﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ يصف الله تعالى المؤمنين: التائبون عن ذنوبهم، العابدون لله تعالى لا سمعة ولا رياء، الحامدون لله تعالى بما أنعم الله عليهم بالتوفيق على الإيمان والإسلام وغيرهما من نعمه الحسية والمعنوية، السائحون في طلب العلم أو للغزوات في سبيل الله، والمصلون الصلوات المكتوبة في أوقاتها، الآمرون بالمعروف في الشريعة والناهون عن المنكر في الشريعة، والحافظون لحدود فيعملون ما حلَّل الله ويتركون ما حرَّمه، ولا يهتكون حدود الله. وبشِّر يا محمد المؤمنين الذين

أقاموا دينهم بتلك الأوصاف المحمودة أن لهم الجنة خالدين فيها أبدًا.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ ما يصح ولا ينبغي للنبي والذين آمنوا بالله وحده أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قرابة، من بعد ما تبين لهم أن دينهم على الكفر، وأعمالهم على الكفر، وعلموا أنهم أصحاب الجحيم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ وما كان استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه إلاَّ عن موعدة وعدها إبراهيم عليه السلام لأبيه وذلك قوله: سأستغفر لك ربي، فلما تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه عدو لله ومصر على كفره تبرأ من أبيه، إن إبراهيم لآواه، أي: كثير التأوُّه، لرقَّة قلبه وخشيته من الله، حليم لا يغضب، ويصبر على أذى قومه.

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ ما كان الله ليقضي على قوم بالضلالة بعد إذ هداهم إلى الإيمان والإسلام، بسبب فعل سيِّء فعلوه، كاستغفارهم لموتاهم المشركين مثلاً، حتى يبين لهم كراهة ذلك بالنهي عنه، فيخافون ويتحذرون عنه إن الله بكل شيء عليم وحكمه لحكمة وعلم منه جلّ وعلا.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ لله ملك السموات والأرض وما فيهن خلقًا وعبيدًا، هو

محيـي الخلق إلى منتهى آجالهم ويميت بعده. وما لكم أيها الناس من دون الله من ولي يتولى أموركم، ولا نصير يمنعكم من عقوبة الله إن عصيتموه.

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ لقد عفا الله عن النبـي ﷺ لأنه أذن للمنافقين بالتخلف عن غزوة تبوك، وتاب الله على المهاجرين والأنصار لميل قلوب بعضهم عن الحق شكًّا وخوفًا حين اشتد الحر والعطش عليهم وهم الذين اتبعوا أمر رسول الله في غزوة تبوك، في وقت العسرة، يعني: في وقت شدَّة الحرّ، وغلب عليهم العطش، وكاد أن يزيغ قلوب فريق من المجاهدين بالرجوع إلى المدينة، وجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند النبـي ﷺ قال: يا رسول الله، قد وعدك الله بإجابة دعوتك، فادع الله لنا. قال رسول الله: أتحب ذلك؟ قال: نعم. فرفع يديه إلى السماء يسأل الله الغيث، فلم يرجع يديه من الدعاء إلاَّ وأنزل الله الغيث من السماء، وشربوا وملؤوا أوعيتهم من الماء ــ وورد أنهم قالوا: تجاوزنا من مكاننا فلم نجد أثر المطر ــ ثم وفق الله الذين كادوا أن يميلوا بقلوبهم إلى الرجوع إلى المدينة وفَّقهم الله إلى التوبة عن ميلان قلوبهم إلى الرجوع. إنه بهم رؤوف رحيم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ وهذا عطف على قوله لقد تاب الله على النبـي، أي: وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا، أي: تخلفوا عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وهم من الأنصار.

ولما أمر الرسول أصحابه ليتجهزوا إلى غزوة تبوك تخلَّف منهم أناس عن الغزوة، وهم بضعة وثمانون رجلاً، وتخلف هؤلاء الثلاثة، ليس امتناعًا عن الخروج، بل أرادوا اللحوق برسول الله. وسوَّفوا حتى سمعوا أن رسول الله والمسلمون رجعوا من تبوك. ولما جاء رسول الله دخل المسجد وصلَّى ركعتين وجلس في المسجد، وجاء المتخلفون يعتذرون عن تخلفهم فعفا رسول الله عنهم، وفوض أسرارهم إلى الله. وقال كعب: ونحن جلسنا بين يدي رسول الله، قلنا: يا رسول الله، ما تخلفنا لعذر، قد تجهزنا للسفر معك، ولكن تسوفنا للحوق بك، وهذه أموالنا صدقة لله تعالى، فقال رسول الله: قد صدقوا، ولكني أفوض أمركم إلى الله: وأمر رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم أصحابه أن لا يسلموا عليهم، وأمر زوجاتهم أن لا يقربن عليهم. وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم من شدة الحزن والخوف من الله، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله، إلَّا إليه، والتجأوا إلى الله. ثم وفق الله لهم التوبة ليتوبوا عن تخلفهم. إن الله هو التواب لمن تاب عن ذنوبه وخطئه، الرحيم بعباده المؤمنين. وهذا الذي كتبت في هذا الملخص لخصته من الخازن والنسفي والله المستعان على فهم عبارة كتابه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله في مخالفة ما أمركم به وما نهاكم عنه وكونوا مع الصادقين في المصاحبة والمجالسة واحذروا عن مجالسة السفهاء والفاسقين؛ لأنه تؤثر عليكم صحبتهم.

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ ما يصح ولا ينبغي لأهل المدينة ومن وحولهم من أهل البوادي أن يتخلفوا عن أمر رسول الله وإذا أمرهم بالخروج إلى الغزوات، (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه)، أي: ولا ينبغي أن يرغبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله، بل واجب عليهم المعاونة لرسول الله في الجهاد على أعداء الله الكافرين، ذلك النهي عن التخلُّف عن الجهاد في سبيل الله بسبب أنهم لا يصيبهم ظمأ ولا تعب ولا مجاعة شديدة ببركة خروجهم مع رسول الله في سبيل الله. (ولا يطأون موطأ)، أي: ولا يدوسون مكانًا من أمكنة الكفار يغيظهم ويخزيهم، ولا ينالون من عدوهم مصيبة ولا هزيمة إلاَّ كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح؛ إن الله لا يضيع أجر المحسنين، أي: المخلصين أعمالهم لله تعالى.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ ولا ينفقون في سبيل الله نفقة صغيرة ولا كبيرة، ولا يقطعون واديًا في ذهابهم ومجيئهم إلاَّ كتب الله لهم أجرًا؛ ليجزيهم في الآخرة أحسن ما كانوا يعملون لله تعالى في الجهاد وفي غيره.

ولما شدد الله الوعيد والعتاب على المتخلفين عن الجهاد، وأراد أصحاب رسول الله الخروج لكل غزوة وسرية أنزل الله: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ لا ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا إلى الجهاد جميعهم، فلو خرج إلى الجهاد جماعة من كل قبيلة،

وبقي منهم طائفة يجلسون مع رسول الله ليتفقهوا في أحكام الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، أي: ليبلغوا إخوانهم ما سمعوا من رسول الله إذا رجعوا إليهم، ولكان هذا خيرًا لهم، لعلَّهم يحذرون عن المنهيات ويجتنبون عنها ويمتثلون بما أمروا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الكفار الذين حول بلادهم ثم الأبعد فالأبعد، وليجدوا فيكم غلظة وقوة ويتحذرون عن قتالكم، واعلموا أيها المؤمنون أن الله مع المتقين بالنصر والمعونة.

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ ﴾ وإذا أنزل الله سورة من سور القرآن فمن المنافقين من يقول لبعضهم: أيكم زادته هذه السورة إيمانًا، ومقالتهم هذه استهزاء للسورة، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ فأما الذين آمنوا بالله وحده وبرسوله وبالقرآن العزيز فزادتهم يقينًا على إيمانهم وهم يستبشرون بنزولها ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ وأما الذين في قلوبهم نفاق وكفر فزادتهم في قلوبهم رجسًا إلى رجسهم، وماتوا وهم ثابتون على كفرهم.

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ: أَوَلا يرى هؤلاء المنافقون أنهم يُفتنون، أي: يختبرون بالقحط الشديد، أو الغزو والجهاد، أو بالأوجاع والأمراض، أو بما يشيعه المشركون عن رسول الله بالكذب فيفتتن المنافقون بذلك، أو يفضحون، بإظهار نفاقهم وأسرارهم وذلك بالوحي

لرسول الله في كل عام مرة أو مرتين ثم هم لا يتوبون إلى الله من نفاقهم، ولا يعتبرون أو يتذكرون أو يتعظون، ولا هم يتذكَّرون ذلك.

﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ وإذا نزلت سورة من سور القرآن فيها عيب المنافقين نظر المنافقون بعضهم إلى بعض يريدون الهرب يقولون: هل يراكم أحد من المسلمين لنقوم؟ فإذا شعروا أن لا أحد يراهم انصرفوا عن مجلس رسول الله. صرف الله قلوبهم عن الإيمان والرشد بسبب أنهم قوم لا يفقهون حقيقة الدين والإيمان.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الله سبحانه يذكر امتنانه لقريش: لقد جاءكم رسول من قومكم وعشيرتكم تعرفون نسبه وأمانته، عزيز، أي: شديد عليه ما شق عليكم وما آثمكم من الشرك. حريص عليكم بأن تؤمنوا به وحده، وتصدقوا برسالة محمد. وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ فإن تولوا، أي: أعرضوا عن تذكيرك لهم ولم يرضوا نصيحتك، فقل لهم يا محمد: كافيني الله عن شرِّكم، لا إلٰه يعبد إلاَّ الله، هو المعبود الحق، عليه توكَّلت في كل شيء، وهو رب العرش العظيم، وهو الله خالق العرش العظيم وما دونه من الموجودات.

الحمد لله، تمَّت سورة التوبة بعون الله.

* * *

سورة يونس
آياتها مائة وتسع آيات، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرۚ﴾ تقدم الكلام عن هذه الحروف في أول سورة البقرة والله أعلم بالمراد منها ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ (تلك) إشارة إلى الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل ولا يشك فيه.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ، أي: ما كان لكفار قريش أن يعجبوا إذ أوحينا إلى رجل، هو محمد عليه الصلاة والسلام، من قومهم، وهم يعرفون نسبه وأمانته ويليق بالرسالة. وقلنا له: أنذر الناس عقاب ربهم إن لم يؤمنوا به وحده ولم يصدقوا برسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، وبشر الذين آمنوا بالله وحده أن لهم قدم صدق عند ربهم، أي: أن لهم منزلاً ومقامًا عاليًا عند ربهم يدخلونه يوم القيامة، يتنعمون بنعيم الجنة لا خروج لهم منها أبدًا. ولكن لما جاء محمد عليه الصلاة والسلام بالرسالة وبالمعجزات الباهرات قال الكافرون: إن هذا لساحر مبين. وقرىء:

(لسحر مبين)، وبالأول يعنون محمدًا عليه الصلاة والسلام، وبالثاني يعنون المعجزات التي ظهرت منه ﷺ.

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ إن ربكم أيها الناس الله الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن في ستة أيام، مقدار أيام الدنيا، وإنما خلقهن في ستة أيام تعليمًا للخلق ليكونوا صابرين في أمورهم، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون في الحال، كما شاء. ثم استوى على العرش، فاستوائه كما يليق بجلاله، وتقدم الكلام في سورة الأعراف عند قوله: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ يدبر أمر خلقه، كل يوم هو في شأن، ما من شفيع يشفع يوم القيامة إلاَّ من بعد إذنه للشفاعة. وفي قوله: ﴿ما من شفيع إلاَّ من بعد إذنه﴾ رد على المشركين الذين يزعمون أن أصنامهم تشفع لهم عند الله. ذلكم الله ربكم، أي: خالقكم من العدم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا. ثم وبخهم: أفلا تتذكرون وتدبرون فيما بينا لكم وأنتم عرب والقرآن عربي على لسانكم؟؟.

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾ إلى الله مرجعكم أيها الناس يوم القيامة للحساب والجزاء؛ وَعْدَ الله وعدًا حقًّا لا تبديل لوعده؛ إن الله تعالى خلق الخلائق من العدم ثم يميتهم بعد تمام آجالهم ثم يحييهم يوم القيامة للحساب؛ ليجزي الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات في إيمانهم ويجزيهم بالعدل لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئًا. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ

﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ والذين كفروا بالله وبرسالة رسوله لهم شراب من حميم جهنم، وعذاب مؤلم بسبب ما كانوا يكفرون بربهم.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ هو الله الذي جعل الشمس مضيئةً ذات شعاع بالنهار، وجعل القمر منيرًا بالليل، وقدر للقمر منازل في سيره وهي البروج الاثني عشرة، لتعلموا بذلك عدد السنين والأشهر والحساب، لتسجيل التاريخ في السند والصك، وتعلموا بسير الشمس وقت صلاة الظهر والعصر، وبغروبها وقت صلاة المغرب، والعشاء بزوال شفقها، وتعرفون وقت صلاة الصبح بطلوع الفجر المستطيل، ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق لمصلحة العباد، يفصل الآيات ويوضحها لقوم يعلمون ويستدلون على كمال قدرة الله.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ إن في تعاقب الليل والنهار وما خلق السموات والأرض لآيات دالة على كمال قدرة خالقها لقوم يتقون الله ويخافون عذابه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ إن الذين لا يرجون حسن لقائنا أو لا يخافون البعث في الآخرة، ورضوا بزينة حياة الدنيا، واطمأنوا بها، ولا يبالوا أمر آخرتهم، وهم الذين عن آياتنا الدالة على كمال قدرتنا غافلون، ولا يتفكرون عاقبة أمرهم، أولئك مأواهم ومقرهم نار جهنم جزاءً بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي في حياتهم الدنيا.

ثم بعد ذكر أهل الشقاء يذكر سبحانه وتعالى أهل السعادة، وهذه سنته في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات بالامتثال لأمر الله يهديهم الله إلى الرشد والهداية إلى الخير بسبب إيمانهم بالله في جنات تجري فيها من تحت قصورهم الأنهار، وهم في جنات النعيم يتنعمون ويفرحون مع أزواجهم من الحور العين. دعواهم، أي: دعاءهم وتسبيحهم فيها: سبحانك اللهم، وتحية بعضهم بعضًا في الجنة السلام عليكم كما يسلم عليهم الملائكة، وآخر دعائهم في الجنة: الحمد لله رب العالمين. شاكرين بما أنعم الله لهم في الجنة.

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ اختلفت أقوال المفسرين في معنى هذه الآية، والله المستعان بما أقول: ولو يعجل الله للناس الشر والعقاب بدعائهم على أنفسهم وأولادهم حين يأخذهم الغضب كاستعجالهم بالخير، أي: بإجابة دعائهم، لقضي إليهم أجلهم فماتوا، فنترك الذين لا يطمعون: بحسن لقائنا ولا يخافون عذاب الآخرة، نتركهم في طغيانهم يترددون، وفي غفلتهم يلعبون.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ وإذا أصاب الإنسان مرض في بدنه أو هلاك في ماله أو فقر دعانا في كل حالاته لكشف الضر عنه، فلما كشفنا عنه ضره نسي دعاءه واستمر على

عصيانه وإجرامه، كأنه لم يدعنا لكشف ضر عنه أصابه، كذلك زين للمتجاوزين عن أمرنا من قبلكم ما كانوا يعملون من أعمال سيئة.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ هذا تخويف لأهل مكة ولكل كافر: ولقد أهلكنا الأمم التي كذبت رسل الله من قبلكم يا كفار قريش لما ظلموا على أنفسهم بالكفر والمعاصي، وقد جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحات تدل على صدق رسالتهم. ولكن ما كانوا ليؤمنوا برسلهم، فكما أهلكناهم بما فعلوا كذلك نجزي المجرمين، فنهلكهم بتكذيبهم بمحمد ﷺ.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ثم جعلناكم يا كفار قريش لتخلفوا في الأرض من بعد إهلاكهم، لننظر أعمالكم كيف تعملون؟ خيرًا أو شرًّا؟ فنجازيكم على حسب أعمالكم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ ﴾ وإذا تتلى على كفار مكة آيات قرآننا ليسمعوا ويتعظوا بها قال الذين لا يرجون حسن لقائنا: ائت يا محمد بقرآن غير هذا أو بدله، إذ فيه سب آلهتهم، ويسفههم. ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: ما يصح لي أن أبدل شيئًا من كتاب الله من عند نفسي، لا أتبع ولا أبلغ إليكم إلاَّ ما يوحى إليّ من الله من الأوامر والنواهي، إني أخاف إن عصيت أو خالفت أمر ربـي من عذاب يوم شديد، يوم القيامة.

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لو شاء الله ما قرأتُ

هذا القرآن عليكم، ولا علمتم بأنه كتاب الله، فقد مكثت بين أظهركم من عمري أربعين سنة لا أقرأ ولا أكتب من قبل نزول القرآن. ثم وبخهم وسفههم: أفلا تعقلون ذلك.

قال الله تبارك وتعالى متوعدًا لهم: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ استفهام بمعنى النفي: لا أحد أظلم على نفسه ممن اختلق على الله كذبًا أو كذب بآيات قرآنه، إنه لا يفلح المجرمون، أي: لا ينج المجرمون من عذاب الله أبدًا.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ ويعبد هؤلاء المشركون الذي لا يستطيع أن يضر إن تركوا عبادته ولا يستطيع أن ينفعهم لعبادتهم إياه؛ لأنه جماد لا يسمع إذا دعي ولا يتكلم. ويزعمون أن هؤلاء الأصنام شفعاؤهم عند الله، قل لهم يا محمد: أتخبرون الله بشيء لا يعلمه؟! سؤال فيه توبيخ، لأن الله هو عالم جميع ما في السموات وما في الأرض. ثم تنزه سبحانه عما يشرك المشركون.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ وما كان الناس إلاَّ أمة واحدة من لدن آدم عليه السلام، إلى عهد نوح عليه السلام، ثم اختلفوا في دينهم، فأرسل الله إليهم نوحًا عليه السلام ليدعوهم إلى دين واحد هو دين الإسلام، فلبث فيهم تسع مائة وخمسين عامًا لم يؤمنوا به، إلاَّ ثمانون شخصًا ذكرًا وأنثى، فدعا نوح ربه أن يهلكهم جميعًا، فأهلكهم الله

بالطوفان إلاَّ أهل السفينة نجوا، وبارك الله في نسلهم وأولادهم، وكثروا، وأغواهم الشيطان فاختلفوا في دينهم، ولولا كلمة سبقت من ربك يا محمد إلى أجل مقدر لهم لقضي بينهم بحكم العدل فيما فيه يختلفون بتعجيل العذاب عليهم.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ويقول مشركو مكة: هلا أنزل على محمد آية، أي: معجزة من ربه كآية صالح وموسى وعيسى نصدق برسالته. فقل لهم يا محمد: إنما علم الغيب بإنزال الآية هو عند الله، ليس عندي علم بذلك من شيء، فانتظروا أمر الله، إني معكم من المنتظرين.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ روي أن الله سلط على كفار مكة القحط سبع سنين هلكوا من المجاعة، ورجعوا إلى رسول الله يستغيث لهم من الله، فدعا لهم فرزقهم الله الغيث رحمة لهم من بعد ما أصابتهم المجاعة والهلاك، فارتاحوا وفرحوا ونسوا الله، (إذا لهم مكر) خداع واستهزاء وتكذيب (في آياتنا). قل لهم يا محمد: الله أسرع مكرًا من مكركم، إن رسلنا الملائكة يكتبون ما تمكرونه على الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ هو الله الذي يسيركم ويحملكم على الدواب مع أثقالكم في البر في أسفاركم، ويحملكم على السفن في البحر حتى إذا كنتم في السفن، وجرت بالسفن

ريح طيبة، أي: لينة بغير قصف، وفرح أهل السفينة بها، فجاءتهم ريح عاصفة شديدة القصف، وجاءهم الموج من كل جهة، وأيقنوا أنهم أحيط بهم بأمر الله للهلاك، دعوا الله مخلصين في دعائهم له الدين كله، وقائلين: لئن أنجيتنا يا ربنا من هذه المصيبة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين على نعمتك.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ فلما أنجاهم الله سالمين إلى البر إذا هم يبغون ويفسدون في أهل الأرض بغير الحق. فيخاطب الله الناس: يا أيها الناس، إنما بغيكم وفسادكم راجع على أنفسكم، تتمتعون وتفرحون في حياتكم الدنيا، ثم إلينا مرجعكم بأعمالكم فنخبركم بما كنتم تعملون من خير أو شر، فنحاسبكم ونجازيكم عليها.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أحوال الدنيا بضرب المثل: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ إنما مثل الحياة في الدنيا مثل ماء مطر أنزله الله من السماء فاختلط به من كل صنف من النباتات والزروع مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت بالبهجة والازهار، وظن أهل الأرض أنهم قادرون على إنبات زروعها ونباتاتها، أتاها أمرنا فجأة للإهلاك ليلاً أو نهارًا، فجعلناها كزرع محصود، كأنها لم تكن بالأمس، كمثل ذلك البيان نوضح الآيات لقوم يتفكرون ويتعظون بها.

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ والله يدعو عباده إلى دار السلامة والأمن من كل أذى، وهي الجنة، لا فيها شمس ولا زمهرير، ولا يبول أهلها ولا يتغوطون، ولا يعمل ولا يتعب، ويهدي من يشاء من عباده إلى طريق مستقيم، إلى رضوانه لا يضل ولا يزيغ عنها.

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ويبشر الله المؤمنين، قال: للذين أخلصوا إيمانهم وأعمالهم الحسنى، تأنيث حسن، أي: الجنة، وزيادة، هي: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في الجنة، ولا يرهق، أي: ولا يغشا وجوه أهل الجنة في الجنة غبار، ولا يعتري وجوههم سواد، ولا ذلة كما يعتري أهل النار من شدة الحزن والهوان. أولئك الموصوفون، أصحاب الجنة، هم فيها خالدون على الأبد، متنعمون فيها.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ وبعد أن ذكر الله صفة المؤمنين وما لهم في الجنة، وذكر في هذه الآية صفة الكافرين وأحوالهم في النار، قال تعالى: والذين كسبوا الأعمال السيئات في حياتهم الدنيا، وهم كافرون بالله، جزاء سيئاتهم سيئة بمثلها في جهنم، وترهقهم، أي: وتغشى وجوههم ذلة وهوان من شدة الحزن، ليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله. ثم وصف حالتهم اللازمة لهم: (كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا) وهذه كناية عن شدة السواد في وجوههم. أولئك أصحاب النار هم فيها مقيمون، ويتعذبون على الأبد.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ ويوم القيامة نحشر المؤمنين والكافرين جميعًا للحساب والجزاء ﴿ ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾، أي: الزموا مكانكم أنتم ومعبودكم، فرقنا بين العابدين ومعبودهم، قال معبودهم تبرءًا منهم: ما كنتم إيانا تعبدون، كنا لا نشعر عبادتكم إيانا ونحن جمادات، اليوم أنطقنا الله لنشهد عليكم ﴿ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ قالت أصنامهم لعابديهم كفى بالله شهيدًا بيننا وبينكم، لكنا عن عبادتكم إيانا لغافلين، (إنْ) مخففة عن مثقلة تفيد التأكيد لغفلتهم عن عبادتهم إياها.

قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ في ذلك المكان أو الزمان تختبر كل نفس بما أسلفت في حياتها الدنيا من خير أو شر. ويقال للملائكة: ردوا إلى الله كل نفس، يتولى الله أمرهم بالحق، وعندئذ غاب عنهم أصنامهم التي كانوا يفترون، أي: يزعمون أنها أربابًا تشفع لهم عند الله.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾
قل يا محمد لهؤلاء المشركين: من يرزقكم بإنزال الغيث من السماء وينبت به الزروع والعشب من الأرض؟ هل من يملك السمع والأبصار غير الله؟ ويخرج الإنسان والدواب من نطفة ميتة؟ ومن يخرج النطفة الميتة من إنسان ودابة حي؟ ومن يدبر أمر الخلائق؟ فسيقولون الله، مقرين لذلك كله. فقل لهم يا محمد: أفلا تتقون؟ أي: أفلا تخافون الله في عبادتكم غيره؟ والاستفهامات كلها للتقرير. وفي قوله تعالى: أفلا تتقون، للإنكار والتوبيخ.

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ فذلك الذي يفعل هذه الأفعال التي ذكرها الله لكم من آياته الدالة على كمال قدرته هو ربكم الحق لا غيره، فماذا بعد ثبوت الحق إلاَّ الضلال عن طريق الحق؟ فأنى تصرفون؟ أي: فأي وجه عن الهدى والحق الذي خلق تصرفون، وكيف تصرف عقولكم إلى عبادة غيره؟ وهذا أبلغ تبكيت وتوبيخ للمشركين.

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ كما صُرِفَ هؤلاء المشركون عن الحق إلى الضلال، كذلك وجبت كلمة ربك يا محمد في الأزل عليهم وعلى الذين خرجوا عن الإيمان بربهم وطاعة رسوله وتمردوا على كفرهم، أنهم لا يؤمنون بالله وبرسوله أبدًا.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: هل من أصنامكم من يبدأ الخلق بالإيجاد للوجود ثم يعيده للفناء؟ فإن لم يجيبوا لك قل لهم فكيف تصرفون عبادته لغيره بالكذب.

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ قل لهم يا محمد هل من أصنامكم من يهدي الخلق إلى دين الحق؟ فإن لم يجيبوا لك، قل لهم: الله يهدي للعمل الحق، الذي يهدي إلى دين الحق هو أحق أن يتبع ويطاع لأمره من الذي لا يهتدي من مكان إلى مكان، إلاَّ أن ينقل، ثم سفههم ووبخهم: فما لكم أيها المشركون تحكمون بالباطل فتزعمون أن أصنامكم تنفعكم عند الله؟!.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وما يتبعُ أكثرُ المشركين إلاّ ظنًّا باطلاً، ثم رد الله عليهم: إن الظن لا يغني من الحق اليقين شيئًا، إن الله عليم بما يفعلون من الشرك بالله والتكذيب برسوله وبالقرآن الكريم.

﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يخبر الله تعالى أن هذا القرآن من عنده: ما كان هذا القرآن أن يُختلق من عند غير الله. ولكن مصدقُ الذي بين يديه من الكتب التي أنزلها الله إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتفصيل أحكام القرآن من الفرائض والواجبات في العبادات، والحلال والحرام، وفصلُ الحكم بين الحق والباطل، لا شك فيه أنه نزل من رب العالمين.

فهذا رد على قول المشركين: إن هذا القرآن افتراه محمد من عند نفسه ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾ ويقول هؤلاء المشركون: افترى هذا القرآن محمد من عند نفسه ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ قل لهم يا محمد: أنتم عرب فصحاء، فأتوا بسورة مثل سور القرآن، فادعوا من فصحاء العرب من استطعتم أن تدعوا من شركائهم من عند غير الله ليعينوكم في أن تأتوا بمثله أو بسورة أو بآية، إن كنتم صادقين في دعواكم أن محمدًا افتراه.

ثم تمم الله الرد عليهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ بل كذب هؤلاء المشركون بما لم تحيط عقولهم وأفهامهم بعلمه من القرآن، ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول إليه ذلك من الوعيد لمن كذب به والوعد لمن آمن

به، مثل تكذيب هؤلاء المشركين بالقرآن العظيم وبرسالتك يا محمد كذب الذين من قبلهم الأمم التي خلت على أنبيائهم وكتبهم وكذبوا بوعيد الله، فانظر يا محمد كيف كانت عاقبة الظالمين بالدمار والهلاك بالرجف والخسف والغرق ليعتبر من بعدهم ويتحذروا عن الكفر بخالقهم والتكذيب بأنبيائهم وبكتبهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ ومن هؤلاء المشركين من يؤمن بالقرآن العظيم ومنهم من لا يؤمن به ويصر على كفره وضلالته حتى يموت، وربك يا محمد أعلم بالمفسدين في خلق الله بإلقاء الشبهة في دين الله.

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فإن كذبوك يا محمد فقل لهم: لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم، أكان حقًّا أو باطلاً، وأنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون، وكل يؤاخذ بذنبه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ومن المشركين من يستمع إليك يا محمد إذا قرأت القرآن عليهم، وقلوبهم غافلة عن فهم معاني القرآن، أفأنت يا محمد تريد أن تسمع الصم فهم معاني القرآن ولو كانوا لا يعقلون التذكير والموعظة لعدم التوفيق من الله لهم؟!.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ومن المشركين من ينظر إليك يا محمد برؤية عيونهم، ولكن لا يهتدون إلى أنك رسول الله إليهم ولا يفهمون ما قرأت لهم ولا يتدبرون في آياته،

أفأنت يا محمد تريد أن تهدي عمي البصيرة وقلوبهم مختومة بالعمى ولو كانوا لا يبصرون ببصيرة قلوبهم آيات الله ولا يتعظون بها؟!

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ إن الله لا يعاقب الناس شيئًا بغير ذنب، ولكن الناس يظلمون أنفسهم بالكفر والمعاصي ويستحقون عقاب الله.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ ويوم القيامة يحشر الله الناس كلهم للحساب والجزاء وقد يراد بهم المشركين فقط، كأنهم لم يلبثوا في حياتهم الدنيا إلاَّ ساعة من النهار، وذلك من شدة الخوف يحتسبون من عقاب الله عليهم، يتعارفون بينهم، أي: إذا بعثوا من القبور عرف بعضهم بعضًا فأما المشكون فيتعارفون تعارف الملامة، يلوم بعضهم بعضًا: أنت أضللتني وأنت أغويتني ولم تنصحني، قال تعالى: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله، أي: كذبوا بإخبار الله عن البعث والحشر للحساب والجزاء، وما كانوا مهتدين في حياتهم الدنيا إلى الرشد من إصلاح أعمالهم وهم حائرون في كفرهم وطغيانهم.

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ وأما نرينك بعض الذي نعد به هؤلاء المشركين من العذاب العاجل عليهم، فتقر عينك، أو نتوفينك قبل نزول العذاب عليهم، فإلينا مرجعهم بأعمالهم في الآخرة ونحاسبهم ونعاقبهم بما يستحقون من العذاب، ثم يخبر سبحانه وتعالى أن الله شهيد على ما يفعلون من الكفر والفساد في حياتهم الدنيا.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ولكل أمة من الأمم رسول من الله إليهم حتى لا يكون للناس حجة بعد الرسل فإذا جاء رسولهم بلغ إليهم أمر الله، فمنهم من آمن بالله وحده وصدق رسول الله ومنهم من كفر بالله وكذب رسول الله فيستحقوا عقاب الله فعند ذلك قضى، أي: حكم بينهم وبين رسولهم والمؤمنين بحكم العدل، ولا يعذبون ظلمًا ولكن بسبب كفرهم وتكذيبهم برسلهم ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ويقول كفار مكة متى ينزل العذاب الذي وعدتم لنا إن كنتم يا محمد أنت وأتباعك من الصادقين في وعدكم؟؟ وكان قولهم هذا سخريًا وتعنتًا لرسول الله والمؤمنين.

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: لا أملك لنفسي أن أدفع عنها ضرًّا ولا جلب نفع لها إلاَّ ما قدر الله بمشيئته. وقال تعالى: لكل أمّة وقت معلوم، فإن كانت طاغية كافرة بربها كان لها وقت معلوم لنزول العذاب عليهم. فإذا جاء وقت هلاكهم في العذاب فلا يستطيعون أن يستأخروا عن وقت نزول العذاب لحظة ولا يستقدمون عليه.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: أخبروني، إن أتاكم عذاب الله لإهلاككم فجأة وأنتم نائمون في الليل أو نهارًا. وأنتم منشغلون في أعمالكم منتبهون فلا تستطيعون أن تدفعوه عنكم، ثم التفت عن الخطاب إلى الغيبة لتعميم الوعيد لكل مجرم وطاغ على أمر الله: (ماذا يستعجل منه المجرمون)، أي: أيّ شيء حملهم أن يستعجلوا بنزول العذاب عليهم.

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ استفهام للتوبيخ والتقريع، أي: بعد استعجالكم بالعذاب الذي وقع عليكم صدقتم به؟ أفي هذا الوقت؟! فلا ينفعكم تصديقكم وقد كنتم به تستعجلون.

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ وبعد ذلك قيل للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: ذوقوا العذاب الدائم لا ينقطع أبدًا، فما تجزون إلاَّ بما كنتم تكسبون في حياتكم الدنيا.

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ ويستخبرك هؤلاء المشركون عن ما وعدت عليهم من نزول العذاب لهم أحق هو؟ قل لهم نعم وربي، إنه لحق لا شك فيه، وإذا نزل عليكم ما أنتم بفائتين عنه.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ ولو أن لكل نفس ظلمت نفسها بالكفر والمعاصي لو أن لها ما في الأرض لافتدت بما في الأرض لدفع عذاب الله عنها فتنجو منه، وأسروا الندامة حين رؤوا العذاب، وقُضي بين الظالم والمظلوم بالعدل وهم لا يظلمون بزيادة العذاب على استحقاقهم.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (ألا) لتنبيه المخاطبين أن لله ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا، ألا إن وعد الله بالبعث والحساب والجزاء حق ثابت لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

ذلك، من استيلاء الغفلة عليهم بحب شهوات الدنيا ولذاتها الفانية، هو سبحانه وتعالى يحيي الخلائق إلى آجالهم، وبعد تمام آجالهم يميتهم، ولكل إنسان أجل مسمى لا يزيد ولا ينقص عن أجله، وإلى الله ترجعون أيها الناس للحساب والجزاء فتحاسبون عن ما أسفلتم في حياتكم الدنيا وتجازون عليها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يا أيها المؤمنون، وقيل الخطاب لكفار قريش، قد جاءكم كتاب فيه موعظة وتذكير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحكام المعاملات والعبادات من ربكم، فاستقيموا فيها. وكتاب الله فيه شفاء لما في الصدور من العقائد الفاسدة والنيات الفاسدة في المعاملات بين الناس؛ لأن فيه زواجر. وذكر للعقاب وهداية إلى التوحيد الصحيح والعبادات الصحيحة ورحمة للمؤمنين لأنهم يتشفعون بما في القرآن.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ قل يا محمد: بفضل الله وبرحمته فليفرح المؤمنون بذلك المذكور ـ في الآية التي قبلها وفي معانيها المفهوم منها ـ وهو خير لهم لآخرتهم مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أخبروني عن زعمكم وافترائكم، أرأيتم ما أنزل الله لكم من السماء من مطر ترتزقون به، ولا تشكرون به، فجعلتم مما رزقكم الله شيئًا حلالاً

وشيئًا حرامًا من عند أنفسكم، قل لهم يا محمد: آلله أذن لكم بما صنعتم من التحليل والتحريم أم على الله تفترون بالكذب أن الله أمركم به؟! والاستفهام في (آلله) للتبكيت والرد على بطلان دعوى المشركين.

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وما ظنُّ هؤلاء المشركين الذين يفترون الكذب وينسبونه إلى الله ما لم ينزل الله ما ظنهم إذ يحاسبهم الله ويعاقبهم يوم القيامة؟ إن الله لذو تفضل على الناس بالإنعام والإحسان، ولكن أكثر الناس لا يشكرون نعم الله لهم، بل يكفرون بها، ويعصون الله، ويتبعون المنهيات، ويتركون الأوامر.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ وما تكون يا محمد في أمر من الأمور أو عمل من الأعمال، وما تقرأ من أمر الله من قرآن، ولا تعملون أيها المؤمنون من عمل إلاَّ كنا على أعمالكم شاهدين حين تفيضون، أي: تخوضون في أعمالكم. وما يغيب عن علم ربك يا محمد من أعمال العباد من مقدار مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلاَّ مكتوب في اللوح المحفوظ يعلمه الله.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (ألا) للتنبيه. خطاب لعامة الناس بحرف التنبيه: انتبهوا وتسمعوا: إن أولياء الله من عباده لا خوف عليهم من عذاب الله يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا من أولاد وأموال.

ثم يبين شأنهم في حياتهم الدنيا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ هم الذين آمنوا بالله وحده ولم يشركوا في عبادة الله شيئًا، وكانوا يتحذرون عن أعمال الشرك وأعمال المعاصي، وهم مخلصون لله تعالى في كل شأنهم. وفي الحديث قال رسول الله: «إن لله عبادًا ما هم أنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء لمكانهم عند الله» قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم، وما أعمالهم؟ فلعلنا نحبهم، قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطون بها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ للذين آمنوا وكانوا يتقون البشارة العظيمة في الدنيا بالرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، وعند احتضار الموت تبشرهم الملائكة، وما بشرهم به الله في كتابه من جنة وثواب، وفي الآخرة يدخلون الجنة ويتنعمون بنعيم الجنة لا تغيير لوعد الله. ذلك هو الفوز العظيم.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ ولا يوقعك في الحزن يا محمد قول هؤلاء المشركين في حقك إنك لست نبيًّا مرسلًا إلينا. ويكذبونك بما أخبرتهم؛ إن العزة والغلبة لله جميعًا، ينصرك على أعدائك وهو السميع لأقوالهم العليم بما في ضمائرهم من العداوة لك.

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ألا إن لله من في السموات السبع ومن في الأراضين السبع خلقًا وملكًا وعبيدًا، وما يتبع الذين يعبدون غير الله ويعتقدون أن أصنامهم شركاء، لا يتبعون إلاَّ الظن الفاسد، وليس هم على شيء يقين إلاَّ أنهم يخرصون ويكذبون في دعواهم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ هو الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه عن أشغالكم وترتاحوا فيه، وجعل لكم النهار مبصرًا تشتغلون في ضوء الشمس لقضاء حاجاتكم لأنفسكم ولعيالكم. إن في ذلك لآيات دالات تدل على كمال قدرة الله لقوم يسمعون التذكير ويفهمون.

﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ قال كفار مكة: اتخذ الله ولدًا، يزعمون أن الملائكة بنات الله، كما زعم النصارى أن عيسى عليه السلام ابن الله، وزعم اليهود أن العزير عليه السلام ابن الله، تعالى الله عما يقولون. قال تعالى متنزهًا عن زعمهم الخبيث: سبحانه هو الغني عن اتخاذ الولد، لأن الولد من نطفة أبيه، والله ليس له صاحبة، هو الأول والآخر ليس له بداية ولا نهاية، له ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، كيف يشاء يصرفهم. ثم أنكر الله زعمهم وبكتهم: إنْ عندكم من سلطان؟، أي: هل عندكم من حجة بزعمكم هذا؟ أتقولون على الله ما لا تعلمون؟ حقيقته وصحته؟

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ قل لهم: إن الذين يفترون الكذب ويدعون على الله ما ليس بحق لا يفلحون، أي: لا يبقون في الدنيا، ولا يسعدون في العاقبة ولا ينجون من عذاب الله.

﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ لهم متاع في حياتهم الدنيا، ثم إلينا مرجعهم للحساب والجزاء، ثم نذيقهم العذاب بما كانوا يكفرون بالذي خلقهم من العدم.

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ واتل يا محمد على هؤلاء المشركين قصة نوح عليه السلام مع قومه حيث قال لقومه إن كان كبر وشق عليكم مقامي فيكم من زمن طويل وتذكيري ووعظي لكم بآيات الله ولم تطيعوني، فعلى الله توكلت ولا أبالي بتعنتكم وعصيانكم لي، فأجمعوا كيدكم وشركاءكم فتعاونوا على قتلي أو طردي من عندكم، ثم لا يكن عليكم غمة، أي: خفاء من أمري، ثم اقضوا إليّ بما تريدون عليّ فلا تمهلوني عما تريدون عليّ. وهذا الكلام من نوح عليه السلام للتعجيز والتبكيت على قومه من كمال ثقته مع الله.

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ فإن أعرضتم عن تذكيري لكم وموعظتي فما سألتكم من أجر لتبليغ أمر ربي إليكم، ما أطلب أجري منكم فما أجري إلاّ على الله، فيثيبني ولا يضيعني، وأمرت أن أكون من المستسلمين الخاضعين لأمر الله.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ فكذبوا نوحًا عليه السلام وعاندوه واستمروا على كفرهم فاستحقوا عقاب الله، ونجينا نوحًا عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين في السفينة، وجعلنا المؤمنين الذين نجوا من الغرق خلائف في الأرض، وأغرقنا الذين كذبوا برسولنا نوح عليه السلام ولم يؤمنوا به، فانظر يا محمد إلى ما قصصنا لك، كيف كان نهاية أمر المنذَرين ورسولهم وقد بلغهم رسولهم أمر ربهم إليهم، وأنذروهم عقاب الله لهم إن لم يؤمنوا بالله وحده.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ وبعد نوح عليه السلام أرسلنا رسلاً إلى أممهم فجاءهم رسلهم بالمعجزات الظاهرات من عند الله فلم يصدقوها، وما كانوا ليؤمنوا بما كذَّبوا به من قبل مجيء رسلهم بالمعجزات من الله إليهم، واستمروا على كفرهم. كما طلعنا على قلوب أولئك نطبع على قلوب المعتدين المتجاوزين لحدود دين الله إلى الكفر. وفي قصة نوح عليه السلام وما قبلها وما بعدها تسلية لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام وإنذار لقومه المشركين.

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم، أرسلنا موسى وهارون إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الظاهرات، وهي الآيات التسع ـ المذكورة في سورة الأعراف في صفحة ٣٦٨ وما بعدها ـ فاستكبروا ولم يصدقوا وكانوا قومًا مجرمين، أي: مصرين على إجرامهم وكفرهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾ فلما جاءهم موسى عليه السلام بالمعجزات الصادقة من عند الله لا شك فيها: (اليد البيضاء والعصا) قالوا: إن هذا لسحر مبين لا نصدقه.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قال موسى عليه السلام لفرعون وقومه مهددًا لهم: أتقولون للحق الذي جاءكم من الله: ﴿إن هذا لسحر مبين﴾؟! بسؤال: أسحر هذا الذي جئت به؟ وأكد أنه لا يفلح الساحرون بالوصول إلى مقاصدهم أبدًا.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ قال فرعون وقومه: هل جئت يا موسى إلينا لتصرفنا عما نعبد وقد وجدنا آباءنا يعبدونه ونحن قلدناهم، وتريد أن تكون لكما أنت وأخوك الكبرياء والسلطة في أرض مصر، فما نحن لكما بمصدقين.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ قال فرعون آمرًا: ائتوني بكل ساحر عليم في علم السحر.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾ فلما جاء السحرة عند فرعون وملأه. قال لهم موسى عليه السلام: ألقوا حبالكم وعصيكم أولاً، ثم أكد عليهم: ما أنتم ملقون.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ فلما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم إلى الأرض خيل لفرعون وقومه شيء عظيم. وقال موسى عليه السلام: إن الذي جئتم به هو السحر، إن الله سيظهر بطلانه، إن الله لا يُصلح عمل المفسدين، أي: لا يكمل عمل المفسدين في أرض الله، أي: لا يَنْجح بل يضمحل.

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ويثبت الله الحق ويظهره ويقويه، ويبطل الباطل بوعده لموسى عليه السلام ولو كره المجرمون، أي: المصرون في إجرامهم وعنادهم للمسلمين.

قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فما آمن لموسى عليه السلام إلاّ ذرية من قوم موسى أو فرعون على خوف من فرعون وملأ القوم، وهؤلاء الذرية إما أولاد المرسل إليهم حيث مات الآباء، أو آباؤهم أقباط وأمهاتهم من بني إسرائيل ولهذا رغبوا الإيمان بموسى عليه السلام، ثم ذكر علة الخوف: أن يفتنهم، أي: أن يقتلهم ويردهم عن دين الحق وإن فرعون لعال ظالم في أرض مصر، وإنه لمن المتجاوزين في ادعائه الربوبية وقتل أولاد بني إسرائيل وتكليف رجالهم الأعمال الشاقة بهم.

ولما رأى موسى عليه السلام من بني إسرائيل التخوف من فرعون وملئه خاطبهم: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ وقال موسى عليه السلام: يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله وحده فلا تخافوا منهم، وعلى الله توكلوا واعتمدوا إليه إن كنتم مستسلمين لأمر الله.

﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ فقالوا مجيبين لموسى عليه السلام: على الله توكلنا، واعتمدنا عليه، يا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، أي: محل فتنة وبلاء أن يفتنونا في ديننا ولا يرحمونا فيعذبونا. ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ ونجنا وخلصنا من عذاب القوم الكافرين بك وبرسولك.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ وأمرنا موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالوحي أن اتخذا لقومكما في مصر بيوتًا ليقيموا الصلاة المكتوبة عليهم. ثم أمر جميع بني إسرائيل واجعلوا بيوتكم قبلة، وأقيموا الصلاة فيها بشروطها وأركانها وسنتها. وبشر يا موسى المؤمنين بالنصر على أعدائهم، سيسكنون في قصورهم ويملكون أموالهم، وذلك لما منع فرعون بني إسرائيل أن يصلوا في مساجدهم وأمر بهدمها رُخِّص لبني إسرائيل أن يصلوا في بيوتهم.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ولما رأى موسى عليه السلام من فرعون وقومه استمرارهم على الكفر والعناد على موسى عليه السلام وبني إسرائيل، أراد أن يدعو عليهم: يا ربنا إنك أعطيت فرعون وملئه ملابس زينة يتزينون بها ويتفاخرون على بني إسرائيل وأعطيتهم أموالاً كثيرة في حياتهم الدنيا فطغوا وعصوا عليك، ويسعون ليضلوا بني إسرائيل عن دينك، يا ربنا اطمس على أموالهم، أي: امحوا أثرها. وقال الخازن رواية عن قتادة: بلغنا أن أموالهم صارت حجارة. واشدد على قلوبهم تقسوا ولا يدخل فيها إيمان ولا خير إلى أن يروا العذاب المؤلم المدمر.

قال تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (قد أجبت دعوتكما) كان الداعي موسى عليه السلام وهارون عليه السلام يؤمِّن له، فبشرهما الله أنه استجاب لدعائهما، فاستقيما في تبليغ أمري إليهم، ولا تسلكا سبيل الذين لا يعلمون حقيقة الوعد

والوعيد، إني لا أخلف الميعاد، وقيل: بين إجابة دعاء موسى وهارون عليهما السلام وهلاك فرعون وقومه أربعين سنة.

﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾، أي: وأمرنا موسى أن يجاوز ببني إسرائيل البحر، وخرج موسى عليه السلام من مصر ببني إسرائيل، وقيل: هم ست مائة ألف، وسمع فرعون أن موسى عليه السلام قد خرج ببني إسرائيل من مصر، فلحقه فرعون وجنوده، ولما وصل موسى عليه السلام وقومه بنو إسرائيل عند البحر قال موسى عليه السلام: ما المخلص من البحر؟ فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن اضرب بعصاك البحر، فضرب البحر، فانفلق ماء البحر وفتحت الطرق، ودخل موسى عليه السلام مع قومه، وجاوزوا سالمين من الغرق، فدخل فرعون أمام جنوده، حتى إذا دخل آخرهم في البحر التقم ماء البحر، وأدركهم الغرق، فعندئذ قال فرعون: آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين.

قال تعالى منكرًا على إيمانه: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الآن وقت إظهار الإيمان والإسلام وقد عصيت قبل ذلك وكنت من المفسدين في أرض مصر.

قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ فالآن ننجيك ببدنك الميت إلى مرتفع من شاطىء البحر لتكون لمن بعدك آية، أي: عبرة للناس، لا يطغى أحد مثلك، وإن كثيرًا من الناس ومنهم كفار مكة عن تذكيرنا بآيات القرآن لغافلون عن فهمها ولا يتعظون بها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ ولقد أسكنا بني إسرائيل مكان صدق صالح يسرهم، وذلك بعد إهلاك فرعون وقومه، سكن بنو إسرائيل في قصورهم وملكوا بساتينهم ومزارعهم. ورزقهم الله من المأكل الطيبات ليشكروا الله بها، فما اختلفوا في دينهم حتى جاءهم العلم في التوراة فيه بيان ما شرع الله لهم من أحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام، وبعد العلم فيما شرع الله لهم اختلفوا في دينهم، إن ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة بحكم العدل فيما كانوا فيه يختلفون في دينهم.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فإن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك، يعني: القرآن، فاسأل أهل التوراة والإنجيل، وهم يقرأون التوراة والإنجيل، فيهما ذكر القرآن من قبل مبعثك. ثم أكد: لقد جاءك القرآن من ربك فلا لتكونن من الشاكين في. وفي الآية تحذير النبي ﷺ أن لا يقع في الشك وفيها تحذير للأمة أيضًا.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ وفي هذه الآية أيضًا تحذير، والمراد أمته لأن النبي ﷺ يبلغ أمته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ إن الكافرين الذين وجبت عليهم كلمة ربك بالعذاب يا محمد، بحكم الكفر أنهم لا يؤمنون، لا تطمع من إيمانهم، ولو جاءتهم آية من آيات الله فيها إنذار من عذاب الله لا يؤمنون حتى يروا العذاب المهلك كإيمان فرعون.

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ فهلاّ كانت قرية من القرى آمن أهلها عند معاينة نزول العذاب عليهم فنفعها إيمانها، أي: ما نفعهم إيمانهم، إلاَّ قوم يونس لما آمنوا وتابوا عن كفرهم وعصيانهم صادقين فيهما كشفنا عنهم العذاب، والخزي في الحياة الدنيا، ومتعناهم إلى تمام آجالهم. وروي أن يونس عليه السلام أخبرهم أن الله ينزل عليهم العذاب،، وهم لا يصدقون به، ويونس عليه السلام خرج في الليل من بيته، ولما أصبحوا رأوا العذاب ينزل فخرجوا إلى الصحراء، ولبسوا المسوح يتضرعون إلى الله، وآمنوا وتابوا إلى الله صادقين، فكشف الله عنهم العذاب رحمة لهم.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ ولو شاء ربك يا محمد لآمن من في الأرض كلهم جميعًا، ولكن اقتضت مشيئته ليكون الناس على اختلاف الأحوال، هل أنت تريد أن تكره الناس وتجبرهم إلى الإيمان بالله وحده حتى يكون جميعهم مؤمنين بك؟ ليس الأمر كذلك، إنما إيمانهم بمشيئتي لا بمشيئتك.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ولا يحصل لأحد أن يؤمن إلاَّ بإرادة الله وتوفيقه إياه، ويجعل الله الإثم والعدوان وما لا خير فيه والعذاب والغضب على قلوب الذين لا يعقلون آيات الله ولا يتدبرون فيها ولا يتعظون بها.

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا

﴿يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء الكفار: انظروا بنظر التفكر والاعتبار، ماذا في السموات والأرض من عجائب خلق الله؟ وما تغني الآيات والنذر، أي: الرسل الذين ينذرون قومهم من عقاب الله، إن لم يؤمنوا بالله وحده، ما تغني هذه عن قوم لا يوفق الله لهم الإيمان بربهم.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ لا ينتظر كفار مكة إلاَّ مثل أيام الذين مضوا من قبلهم من الأمم المكذبة للرسل، فأخذهم الله بالعذاب المعجل عليهم واستأصلهم عن آخرهم. فانتظروا نزول العذاب عليكم إني معكم من المنتظرين عاقبة كفركم وتكذيبكم وكيف يفعل الله بكم.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ وبعد نزول العذاب على المكذبين ننجي رسلنا والذين آمنوا معهم من عذاب الله، كذلك الوعد حقًّا علينا ننجي المؤمنين من عذابنا. والجملة الأخيرة فيها وعد للمؤمنين الصادقين في إيمانهم إلى يوم القيامة.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ديني فلا أعبد أنا الأصنام الذين تبعدونهم من دون عبادة الله ولكن أنا أعبد الله الذي يقبض أرواحكم عند تمام آجالكم من حياتكم وأمرت أن أكون من المؤمنين، أي: من الموقنين في ديني وعبادتي لله تعالى.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وأمرت: (أن أقم وجهك)، أي: أخلص عملك واستقم بإقبالك على ما أمرت به

ووجه وجهك للدين، أي: دين الإسلام حنيفًا مائلاً عن كل أديانٍ باطلةٍ. وأمرني ربي: لا تكونن من المشركين. وفي هذه الجملة تحذير عن أعمال الشرك، والنهي يسري على الأمة كلها.

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ ولا تدع في قضاء حاجاتك يا محمد غير الله؛ إذ لا ينفعك ولا يضرك إلاَّ الله فإن فعلت ذلك المنهي عنه إنك إذًا من الظالمين لأنفسهم بإيجاب العقوبة عليها.

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ وإن أصابك الله بمرض في بدنك أو هلاك في مالك فلا دافع عنك ذلك الضر إلاَّ هو سبحانه القادر على كل شيء، وأن يردك بعطاء أو بفضل فلا راد لفضله الذي يصبك به إذ يعطيه لمن يشاء من عباده وهو الغفور لمن تاب عن ذنوبه ولم يصر عليه، الرحيم بعباده المؤمنين، يرشدهم إلى السعادة في الجنة.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: يا أيها الناس، قد جاء الحق، يعني القرآن، فيه دعوة الحق إلى توحيد الله وطاعته من ربكم، والرسول يدعوكم إليها، فمن اهتدى إليها فإنما ثواب اهتدائه لنفسه، ومن ضل وأصر على كفره وشركه فإنما جزاء ضلالته وكفره راجع عليه، وما أنا عليكم بحفيظ، إنما عليّ إبلاغ أمر ربي.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ واتبع يا محمد واسلك ما يوحى إليك من الأوامر، واصبر على أذى المشركين حتى يحكم الله بينك وبينهم بالنصرة لك عليهم، وهو خير الحاكمين.

الحمد لله؛ تمَّت سورة يونس بعون الله.

* * *

سورة هود

آياتها مائة وثلاث عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ سبق تفسيرها في أول سورة البقرة، وهي من الحروف المقطعة في أول السور، ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هذا كتاب أحكمت آياته، أي: جعلت محكمة لا يدخل فيها التناقض ولا يغير أصلها، وبعد ذلك فصلت وبينت أحكامها لما يحتاج إليه العباد من بيان الحلال والحرام، والعبادات، والعقائد الصحيحة والفاسدة، وذكر قصص الأولين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من عند الله، الحكيم في تشريع أحكامه على عباده، الخبير بأحوال خلقه.

ثم ذكر الوجه من تلك الأمور كلها، وغايتها: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ لئلا تعبدوا أيها الناس غير الله، لأنّ تصريف العبادة لغير الله شرك كبير لا يغفره الله أبدًا، ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ قال لهم: إني مرسل إليكم من الله لأنذركم من عقابه إن لم تؤمنوا به ولم تصدقوا برسالتي، وأبشر لكم بجنته إن آمنتم به وتصدقوا برسالتي.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى

فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾ معطوف على ما سبق، أي: فصلت آياته، بأن لا تعبدوا إلاَّ الله، وبأن استغفروا ربكم من ذنوبكم وشرككم وتوبوا، أي: وأطيعوا الله بالسمع والطاعة لا تخالفوا أمره، يمتعكم متاعًا حسنًا، أي: يرزقكم رزقًا حسنًا إلى منتهى آجالكم، ويؤت الله كل ذي إحسان ثواب إحسانه؛ وإن أعرضوا عن تذكيرك يا محمد فقل لهم: فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، فإن عذابها شديد مؤلم. واعلموا أنه إلى الله مصيركم يوم القيامة للحساب والجزاء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في تعذيب الكافرين في جهنم وإحسانه للمؤمنين في الجنة.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى بحرف التنبيه للتقريع والكشف عن ما يبطنون من الكفر والعناد على رسول الله والمؤمنين: (ألا إنهم يثنون)، أي: يبطنون في صدورهم معاداة رسول الله والمؤمنين ليستخفوا من الله ورسوله، قال الله تعالى بحرف التنبيه: (ألا حين يستغشون)، أي: يغطون ثيابهم على أنفسهم في نوم الليل يعلم الله ما يسرون ويدبرون في الليل وما يظهرون في النهار من المجاملة والمداهنة إنه جلّ وعلا عليم بذات الصدور، أي: بما في الصدور من الصدق والخيانة ومن الإيمان والكفر لا يخفى عليه شيء من شأن الخلق.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ الدابة ما يدب على وجه الأرض من إنسان وحيوانات والطيور والحشرات البرية والبحرية. فرِزْقُ جميع خلق الله على الله، وهو يرزقهم بفضل منه. (ويعلم مستقرها) في الليل والنهار لراحتها وعملها

ويعلم مستودعها، أي: يعلم حيث تموت وتدفن فيه وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ مبينًا ومفصلاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ وهو الله الذي خلق السموات السبع والأرض مثلهن وجميع ما فيهن في ستة أيام، من مقدار أيام الدنيا، وذلك تعليمًا لعباده ليكونوا في كل شأنهم بالتأني والصبر، وإنما أمره إذ أراد شيئًا إيجاده فيقول كن فيكون في الحال كما شاء، وكان عرشه على الماء هذا بدء الخلق قبل خلق السماء والأرض، وقبل خلقه الماء والعرش، كان الله ولم يكن شيء في الوجود، واستواؤه على العرش كما يليق بجلاله لا لحاجة إليه، بلا كيف ولا تشبّه بشيء، ليس كمثله شيء. وقوله: (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً)، أي: خلقكم أيها الناس وخلق الخلق ليختبركم في إيمانكم بربكم وفي أعمالكم أيكم أحسن وأصلح عملاً عند الله وطاعة له.

ثم رد الله على المنكرين ﴿وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ ولئن قلت يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث إنكم مبعوثون من قبوركم وتحشرون للحساب والجزاء، ليقولنّ هؤلاء المنكرون للبعث: ما هذا القول أو الفعل إلاّ سحر مبين، وعلى قراءة (إن هذا لساحر مبين)، يكون المقصود هو الرسول ﷺ.

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾ قال تعالى: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى زمن وأجل معلوم ليقولن هؤلاء المشركون مستهزئين: أيّ شيء حبسه؟ أي: منعه؟ قال تعالى: ﴿أَلَا يَوۡمَ

يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى بحرف التنبيه لينتبهوا وليتحذروا: يوم يأتيهم العذاب الموعود فهو ليس مصروفًا عنهم، وأحاط بهم العذاب جزاء ما كانوا به يستهزئون.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ ولئن أعطينا الإنسان تفضلاً منا نعمة ما كثيرة بأصنافها ثم نزعناها منه بشؤمه تأفف وتضجر إنه ليؤس قنوط من رحمة الله.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ ولئن أعطينا الإنسان نعماء: جمع نعمة، من صحة وعافية في بدنه، وأعطيناه أصناف الأموال بعد أن أصابته المصائب في بدنه وأمواله، ليقولن ذهب السيئات وزالت عني ولا يحمد الله، إن الإنسان لبطر فخور على الفقراء والضعفاء.

ثم استثنى منهم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ إلاّ الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات مؤتمرين بأمر الله وأمر رسوله، أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم عند الله يجدونه يوم اللقاء.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ فلعلك يا محمد تارك بعض ما أنزل إليك بالوحي وضائق به صدرك لتبليغه إليهم، بأن يقولوا ــ أي: المشركون ــ : هل أنزل عليه مال كثير من الذهب والفضة لينفقها لنفسه وعياله وأصحابه أو جاء معه ملك يصدق رسالته من الله إلينا؟ قال ففيها تسلية للنبي ﷺ: لا يضيق صدرك عن مقترحاتهم

إليك إنما أنت يا محمد منذر من عذابي إن لم يؤمنوا بي وحدي في ذاتي وصفاتي، ومبشر بالجنة لمن آمنوا بي في ذاتي وصفاتي، والله على كل شيء من أعمال العباد حفيظ، لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ بل يقولون افترى هذا القرآن محمد من عند نفسه لا من عند الله. قل لهم يا محمد: فإن افتريته وأنتم عرب فصحاء مثلي فأتوا بعشر سور من مثل سور القرآن مفتريات، أي: مختلقات من عندكم. وادعوا إن عجزتم لذلك من استطعتم غير الله حتى يعينوكم على اختلاق سورة مثل سور القرآن إن كنتم صادقين في دعواكم أن محمدًا افتراه.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ فإن لم يستجيب لكم من دعوتموهم لمعاونتكم لاختلاق سورة من مثل سور القرآن بالفصاحة والبلاغة وفصل الحكم وتنسيق العبارات، وعجزوا عنها، فاعلموا أيها المعاندون لرسول الله إنما أُنزل هذا القرآن إلى محمد بعلم الله ومن الله، وإنه لا إلـه يعبد إلاَّ هو المعبود الحق.

ثم أمرهم: فهل أنتم مستسلمون لما أنزلت على محمد، وتؤمنون به فتنجون من عقاب الله؟.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ من كان يريد ويسعى في حياته لتحصيل زينة متاع الدنيا

نُوفِ له ولأمثاله أعمالهم المطلوبة، وهم في مطلوباتهم لا يبخسون حتى يفرحوا في حياتهم الدنيا. ثم توعد عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ أولئك الذين طلبوا زينة ومتاع الحياة الدنيا ليس لهم في الآخرة إلَّا نار جهنم، وحبط ما صنعوا في حياتهم الدنيا من الأعمال الخيرية. ثم أكد وبطل جزاء ما كانوا يعملون من الخير.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ ولما ذكر الله في الآية المتقدمة الذي يريد زينة حياة الدنيا ذكر في هذه الآية من يريد زينة الآخرة. والاستفهام للمفارقة بينهما. قال تعالى: أفمن كان على حجة وبرهان واضح من ربه وهو القرآن، ويتلوه، أي: يتبعه شاهد من الله ومن قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة إمامًا، أي: قدوة ورحمة لمن نزل إليهم أنهم آمنوا به وتمسكوا بما فيه من الأوامر وعملوا بها، أولئك الذين آمنوا من اليهود يؤمنون بالقرآن، (ومن يكفر من الأحزاب)، أي: من المتحزبين على رسول الله (فالنار موعدهم) فلا تك يا محمد في شك من القرآن، إنه الحق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون من سوء حظهم وشقاوتهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ لا أحد أظلم على نفسه ممن افترى كذبًا، وينسب كذبه إلى الله، أولئك يُعْرَضوا على

ربهم يوم القيامة، (ويقول الأشهاد) جمع شاهد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ويفضحونهم في مشهد الخلائق. قال تعالى بحرف التنبيه: (ألا لعنة الله على الظالمين) ثم بين: الذين يصدون الناس عن الدخول في دين الإسلام، ويبغونها، أي: يريدون أن تكون طرق الإسلام معوجةً عن الحق، وهم بالآخرة هم كافرون، زيادة ذكر الضمير هم للتأكيد.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ أولئك المتحزبون على رسول الله لم يكونوا فائتين من عذاب الله في الدنيا وما لهم من ينصرهم ويمنعهم من أصحابهم من غير الله من عذاب الله، يضاعف عليهم العذاب في الآخرة؛ ما كانوا في حياتهم الدنيا يستطيعون استماع التذكير والموعظة، وما كانوا يبصرون آيات الله الدالة على كمال قدرة الله.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أولئك الذين غبنوا أنفسهم باختيارهم حظوظ الدنيا وملذاتها ونسوا ما وعد الله لهم في الجنة وغابت عنهم وتركتهم أصنامهم التي يعبدونها ويزعمون أنهم ينفعونهم في الآخرة ويشفعون لهم من عذاب الله ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ حقًّا لا محالة أنهم في الآخرة هم الأخسرون. مبالغة من الخسران.

ثم يذكر سبحانه وتعالى المؤمنين لأمر الله سمعًا وطاعة، وهذه سنته في كتابه العزيز ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا بما أمر الله من الأعمال الصالحات، أي: النافعات لآخرتهم، وأخبتوا، أي: أطاعوا

وخضعوا لأمر ربهم، ولم يخالفوا، أولئك أصحاب الجنة هم فيها مقيمون متنعمون بنعيمها السرمدي.

ثم يضرب سبحانه وتعالى على الفريقين المؤمنين والكافرين ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ضرب الله مثلاً للكافرين بربهم أنهم كأعمى البصيرة والذي عنده صمم في أذنيه، لا يرون الحق حقًّا، وهم في ظلمات الكفر تائهون، وهم صم عن استماع المواعظ والتذكير، ولا ينتفعون بها. وضرب الله مثلاً للمؤمنين أنهم كالبصير بعينه والسميع بأذنه فهم يرون ببصيرة قلوبهم الحق حقًّا وهم في نور الإيمان يسعون في طاعة الله لا يخالفون عليه، والسميع لاستماع التذكير والمواعظ ينتفعون بها، (هل يستويان مثلاً؟) هل يتساوى حال الكافرين في ظلمات الكفر، التائهون في شقاوتهم لا يهتدون إلى سبيل الرشد والسعادة بحال المؤمنين الذين يسعون في نور الإيمان في طاعة الله، ويهتدون إلى سبيل الرشد والسعادة في مرضات الله؟ أفلا تذكرون؟ والاستفهام في فعل يستويان للإنكار، وللفارق بين الفريقين، والثاني في (أفلا تذكرون) للتفريع بما ضرب المثال على الفريقين. والخطاب للمشركين.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ ولقد أرسلنا نوحًا عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى توحيدي في ذاتي وصفاتي ولعبادتي، فقال لهم: إني لكم منذر ظاهر لا يخفى عليكم من إنذاري إياكم إن لم تؤمنوا بربكم، وآمركم أن لا تعبدوا إلاَّ الله وإن لم تطيعوني فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة وعذابها مؤلم شديد.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ فقال أشراف قومه الذين كفروا بالله وبرسالة نوح عليه السلام: ما نراك يا نوح إلاَّ بشرًا مثلنا، وما نراك اتبعك إلاَّ الذين هم أراذلنا، أي: سفلة الناس منا، (بادي الرأي)، أي: ظاهر الرأي لا يتفكرون عاقبة الأمور، هم جاهلون (وما نرى لكم علينا من فضل) ما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه في الخلق أو الملك والمال، أو بما فضلتم به باتباعكم نوحًا وفي مخالفتكم لنا، بل نظنكم كاذبين فيما تدعوننا إليه وأرادوا في خطابهم نوحًا عليه السلام ومن آمنوا معه.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ قال نوح عليه السلام: يا قوم، أخبروني إن كنت، أي: إن كنت على حجة وبرهان من ربي، وآتاني رحمة، أي: نبوة من عنده، فعميت، أي: خفيت عليكم فلم تفهموها، (أنلزمكموها)، أي: لا أقدر على أن ألزمكم الإيمان بها، والحال أنتم لها كارهون، ولا تقبلوا دعوتي إليها.

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ويا قوم لا أسألكم على تبليغ أمر الله إليكم أجرًا من المال، إن أجري إلاَّ على الله، وهو يثيبني لا يضيعني. وأنتم تقولون: اطرد هؤلاء السفلة من مجلسك ونحن نجلس معك. فما أنا بطارد الذين آمنوا بالله وحده، إنهم ملاقوا ربهم وهو راض عنهم، ورضوا عنه بما رزقهم في الجنة. ولكن أنا أراكم قوم تجهلون قدر المؤمنين عند الله ومنزلتهم.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ويا قوم، ، من ينصرني ويمنعني من عذاب الله إن طردت المؤمنين من مجلسي لأجلكم؟ أفلا تذكرون؟ استفهام للتوبيخ والتجهيل، أي: لا تفهمون عاقبة الأمور.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ قال نوح عليه السلام ردًّا على قولهم (وما نرى لك علينا من فضل): ولا أقول: عندي خزائن الله من الأموال الكثيرة فتتبعوني لأجل غنائي، ولا أعلم علم ما يغيب عني إلاَّ ما أخبرني ربي به ولا أقول لكم إني ملك أرسلت إليكم، إنما أنا بشر مثلكم، ولا أقول للذين تزدري، أي: تكره وتحتقر أعينكم لضعفهم وفقرهم، كما تقولوا فيهم: لن يؤتيهم الله خيرًا من المال، والله أعلم بما في أنفسهم من خير أو شر إن طردتهم عني. إني إذًا لمن الظالمين لأنفسهم بالكذب على الله والازدراء على المؤمنين.

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قال قومه: يا نوح قد خاصمتنا فأكثرت الخصومة علينا ونحن لا نصدقك فأتنا بالعذاب الذي وعدت علينا إن كنت من الصادقين في وعدهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ قال نوح عليه السلام: إنما يأتيكم الله بالعذاب الذي وعدكم في أي وقت شاء، وإذا نزل عليكم فما أنتم بفائتين وناجين منه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ قال نوح عليه السلام

لقومه الذين يعاندون عليه: ولا ينفعكم نصيحتي وتذكيري إن أردت أن أنصح لكم إن أراد الله أن يضلكم عن الحق بشقاوتكم وكفركم به، وهو خالقكم ورازقكم وإليه، ترجعون بأعمالكم، ويحاسبكم عليها وتجازون بها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بل يقول هؤلاء المشركون: افتراه محمد من عند نفسه. قل لهم يا محمد: إن افتريته فعليّ إثم إجرامي لا عليكم، وأنا بريء مما تجرمون وتتهموني به. والآية اعتراضية بين قضية نوح وقومه.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ نوح عليه السلام، أصابه من قومه أذى كثير وحَزِنَ بما فعلوا به. فأوحى الله إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلاّ الذين آمنوا قبل هذا، فلا تحزن عليهم، إني مهلكهم بسبب ما كانوا يفعلون بك من الأذى.

قال الله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ واصنع السفينة يا نوح بأنظارنا ومراقبتنا وتعليمنا لك كيف تصنعها، ولا تخاطبني، أي: لا تراجعني في الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والأذى عليك لأعفو عنهم. إنهم مغرقون بماء الطوفان. ولما سمع نوح عليه السلام قطع طمعه عن إيمان قومه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ وشرع نوح عليه الصلاة والسلام يصنع السفينة ممتثلاً

لأمر الله، وكلما مر على نوح من أشراف قومه سخروا واستهزؤا به وبمن معه وهم يعاونوه بالعمل من الذين آمنوا به، قال نوح عليه السلام: إن تسخروا منا بأعمالنا لصنع السفينة فإنا نسخر منكم عند هلاككم في ماء الطوفان عند ذلك كما تسخرون الآن منا، فسوف تعلمون يا قوم من يأتيه عذاب يخزيه ويهينه في ماء الطوفان ويحل عليه عذاب مقيم، أي: دائم لا نجاة لكم منه أبدًا في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ وأكمل نوح عليه السلام صنع السفينة إلى حين جاء أمرنا بالطوفان، وفار التنور، هي موضع النار، وقال ابن كثير: وفارت الأرض عيونًا حتى التنانير. (قلنا احمل)، أي: في السفينة من كل نوع من حيوان وطيور زوجين اثنين ذكرًا وأنثى. وجمع الله له كل حيوان وطير فأدخلهم في السفينة، (وأدخل أهلك)، أي: أولادك إلاَّ من سبق عليه القول للهلاك من أولاده وهو كنعان وامرأته واعلة كانا من الهالكين. واحمل من آمن بالله وحده وصدق برسالة نوح عليه السلام. وما آمن مع نوح من قومه إلاَّ قليل. وقيل: الذين آمنوا هم ثمانون نسمة ذكرًا وأنثى.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ قال نوح عليه السلام للمؤمنين اركبوا في السفينة، بسم الله مجراها ومرساها، وكان نوح عليه السلام إذا أراد أن تقف السفينة قال: بسم الله، تقف. وإذا أراد أن تجري قال: بسم الله، تجري. ومعنى مجراها ومرساها، أي: وقت جريانها ووقت إرسائها. وإن ربي لغفور لذنوبكم، رحيم لعباده المؤمنين، ينجيهم من الغرق، ويهلك الكافرين بالغرق.

وبعد أن ركَّب المؤمنين في السفينة وحملها زوجين ذكرًا وأنثى من كل نوع من الحيوانات والطيور والحشرات وارتفع الطوفان ورفعها الماء فأجراها الله ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ والسفينة تجري بهم على وجه الماء في موجِ الماء كالجبال الشامخات.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ونادى نوح عليه السلام ابنه كنعان وكان في معزل أي في مكان منقطع بعيد عن السفينة، وكان في معزل عن دين أبيه، فناداه نوح: يا بني اركب معنا في السفينة تسلم من الغرق ولا تكن مع الكافرين فتهلك، فقال ابنه كنعان: سوف ألجأ إلى أعلا جبل يعصمني ويحميني من الماء فأسلمُ من الغرق، قال نوح عليه السلام: لا عاصم اليوم من عذاب الله إلاَّ من رحم الله بسبب إيمانه بالله وحده. وفي هذا الحال حال بين نوح عليه السلام وابنه كنعان موج الماء، وكان ابنه من الهالكين في الغرق.

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، ولما تم الإهلاك على القوم الكافرين في الغرق أمر الله الأرض: أن ابلعي الماء الذي عليك. وأمر السماء: أن أمسكي المطر. وكانت تنبع من الأرض عيون، ومن السماء ينزل المطر. وقيل: ذلك استمر أربعين يومًا ليلاً ونهارًا. وبعد أن أمر الله عليهما، ابتلعت الأرض ماءها وأقلعت السماء المطر، ونقص الماء وغاص في الأرض، واستوت السفينة مع ركابها على جبل في الجودي، وهي قرية من الموصل في شمال العراق. وقيل: بعدًا من

رحمة الله للقوم الظالمين على أنفسهم بالفكر بربهم ونبيهم نوحًا عليه السلام.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ونادى نوح عليه السلام ربه فقال: يا رب إن ابني مع الهالكين، وإن وعدك الحق لا يخلف، وأنت أعدل الحاكمين بالحكم.

قال تعالى كشفًا لما خفي على نوح عليه السلام من شأن ولده ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يا نوح إن ولدك كنعان ليس من الذين آمنوا، إنه على عمل غير صالح للقبول عند الله، فلا تسألني ما ليس لك به علم صحيح بحقيقته، إني أنصحك وأنهاك من أن تكون من الجاهلين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ قال نوح عليه السلام: إني أعوذ بك من أن أسألك الأمر الذي ليس لي به علم على حقيقته، فاغفر لي خطئي، وإن لا تغفر لي خطئي، وإن لم ترحمني أكن من الخاسرين سعادتهم والذين وغبنوا أنفسهم من حظوظ الآخرة.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ أوصى الله إلى نوح أن انزل من السفينة ومن معك في السفينة بسلامة منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك في السفينة، والمراد جعل الله الخير والبركة على أهل السفينة وذريتهم وهم الذين ثبتوا في إيمانهم ولم يخالفوا أمر الله. وقوله: (وأمم سنمتعهم)، كلام مستأنف، أي: وستكون أمم كافرة تحدث بعد ذهاب

آبائهم إلى رحمة الله، سنمتعهم في حياتهم الدنيا إلى تمام آجالهم ثم يصيبهم منا عذاب مؤلم في جهنم بسبب كفرهم.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ تلك القصة التي أخبرناها لك يا محمد هي من أخبار الغيب عن علمك، نوحيها إليك بالذكر في القرآن، ما كنت يا محمد تعلمها أنت ولا قومك من قبل إخبارنا لك، فاصبر على أذى قومك كما صبر نوح عليه السلام على أذى قومه، إن حسن العاقبة للمتقين والمتجنبين في مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وأرسلنا هودًا إلى قوم عاد ليدعوهم إلى الإيمان بـي ويخصون العبادة لي قال: يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إلـه يُعبد إلاّ الله، هو المعبود الحق، ما أنتم في عبادتكم غير الله إلاّ مفترون على الله الكذب، حيث لا يأمركم الله أن تشركوا في عبادته غيره.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ يا قوم، لا أسألكم على تبليغ أمر ربـي إليكم أجرًا، ما أجري إلاّ على الذي خلقني وأرسلني إليكم، وهو يثيبني. ثم قال منكرًا عليهم: أفلا تعقلون الحق؟ ولا تميزون من يطلب أجرًا لعمله وممن لا يطلب أجرًا منكم وإلا أن يطمع من الله ثوابًا في الآخرة؟.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ويا قوم استغفروا ربكم عن كفركم به وإشراككم في عبادتكم غيره، ثم توبوا، أي: ارجعوا إليه

بالطاعة وإخلاص العبادة له ليرسل السماء عليكم مدرارًا، أي: ينزل لكم المطر من السماء متتابعًا وقت حاجتكم، ويزيدكم قوة على قوتكم في أبدانكم ـ وكان قوم عاد يفتخرون بقولهم: من أشد منا قوة؟ وكانوا شديدي البطش والقوة في أبدانهم ـ ولا تتولوا عن تذكيري ونصيحتي إليكم مصرين على كفركم وإشراككم بالله وإجرامكم عليّ.

﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة تدل على صدق رسالتك من الله إلينا وما نحن لك بمؤمنين، أي: بمصدقين. ثم قالوا: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ ما نقول فيك إلاَّ أن بعض آلهتنا عرض عليك وأصابك بسوء، أي: بجنون وخبل في عقلك.

﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ وقال هود عليه السلام لقومه: إني أُشْهِدُ الله عليكم وهو يحاسبكم ويجازيكم، واشهدوا يا قوم أني بريء مما تشركون غير الله، وأنا في طاعته، فكيدوني جميعكم بقتلي أو إخراجي من بينكم ثم لا تمهلوني وقتًا يسيرًا ولا أبالي. والأمر في قوله: (فكيدوني) للتعجيز.

ثم قال: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ وأظهر ثقته بالله: (إني توكلت على الله) هو ربي وربكم، وما من دابّة، أي: خلق يدب، أي: يمشي على وجه الأرض إلاَّ الله آخذ بناصيته، أي: كلهم تحت حكمه وقهره لا يفوت شيء عن حكمه. إن ربي على طريق الحق والعدل، لا يؤاخذ أحدًا إلاَّ بذنبه، وهو يحسن للمحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته.

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ فإن تولوا عن تذكيرك لهم ولم يطيعوك فقل لهم: فقد أبلغت إليكم رسالة ربي ونصحت لكم، إن لم يطيعوني ويهلككم ويستخلف ربي قومًا غيركم، ولا تضرون الله شيئًا بإشراككم وكفركم به. إن ربي على كل شيء حفيظ، لا يفوِّت من أعمالكم شيئًا وهو يحاسبكم ويجازيكم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ ولما جاء أمرنا بالعذاب المهلك عليهم نجينا هودًا والمؤمنين معه من العذاب برحمة منا ونجيناهم من عذاب شديد هو الريح العقيم في أيام نحسات استمرت سبعة أيام ولياليها دخلت الريح من أدبارهم وخياشيمهم حتى سقطوا كلهم ميتين مثل أعجاز نخل خاوية.

﴿ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ لما ذكر الله قصة عاد أراد أن يشير إلى آثارهم المدمرة لينظر كفار قريش إليها ويعتبروا بها. فانظروا (تلك) إشارة إلى آثار قوم عاد المدمرة، (جحدوا بآيات ربهم)، أي: بالمعجزات التي جاء بها هود عليه السلام من ربهم وعصوا رسل الله، وإنما قال (رسله) لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة إلى الإيمان بالله وحده وإخلاص العبادات له. (واتبعوا أمر كل جبار عنيد)، أي: وأطاعوا أمر رؤسائهم المتكبرين المعاندين أمر الله وأمر رسول الله هود عليه السلام.

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾ وألحقوا في هذه الدنيا لعنة، أي: غضبًا وبعدًا من رحمة الله

ومن كل خير وأتبعوا سخطة يوم القيامة مثلها. (ألا) حرف التنبيه للتهويل لمن يسمع ذكر قصة عاد وهلاكهم. (إن) قوم عاد (كفروا بربهم) وجحدوا بمعجزات رسولهم هود عليه السلام. ثم كرر حرف التنبيه لتأكيد اللعنة عليهم فقال: (ألا بعدًا) من رحمة الله ومن كل خير (لعاد قوم هود).

﴿ ۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا عليه السلام ليدعوا قومه إلى الإيمان بالله ويخصونه بالعبادة وحده قال: يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله يعبد إلاَّ الله، هو المعبود الحق، هو أنشأكم من تراب الأرض، أي: خلق أباكم آدم من تراب، وأنتم من نطفة ذريته، وجعلكم عمارين في حياتكم الدنيا، وتعيشون فيها. وإذا أخلصتم العبادة له ولا تشركوا في ألوهيته ولا في ربوبيته شيئًا فاستغفروا الله عما أسلفتم من أعمال الشرك والمعاصي، ثم توبوا إليه وارجعوا إلى أمر الله بالسمع والإنابة لأمره. إن ربي قريب لمن دعاه واستغفر، مجيب لدعائه واستغفاره.

﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ قال قومه: يا صالح قد كنت فينا مرجوًا، أي: نرجوا منك أن تكون سيِّدًا ومعينًا لنا. ثم أنكروا على دعوته إياهم إلى الله، قالوا: أتنهانا أن نعبد الأصنام التي عبدها آباؤنا؟ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب، أي: لا يعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله وهو لا يوقنون به.

﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال صالح عليه السلام: يا قوم أخبروني، لإن كنت على حجة واضحة من ربي لا شك فيها وآتاني النبوة والرسالة رحمة منه لأدعوكم إلى الإيمان به وأن تخصوه بالعبادة، فمن ينصرني من عذاب الله إن عصيت في تبليغ أمره؟ فما تزيد مخالفتي على أمر الله وموافقتي على آرائكم إلاَّ الخسران في الدنيا والآخرة.

وطلبوا من صالح عليه السلام آية فدعا الله فأخرج الله ناقة من صخرة صماء، فقال صالح عليه السلام: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ ويا قوم هذه ناقة الله أخرجها لكم معجزة وتفضلاً لمعاشكم فذروها تأكل وتشرب من نباتات أرض الله ومائها ولا تصيبوها بعقر ولا ضرب ولا طرد، إن فعلتم ذلك بها فيأخذكم عذاب قريب، أي: فيعاقبكم الله بعذاب عاجل بغير إمهال.

ولم يطيعوا تذكير نبيهم، فغلبت عليهم شقاوتهم. ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾، أي: قتلوها، فقال صالح عليه السلام: تمتعوا في عيشتكم في داركم ثلاثة أيام ذلك الوعد الذي وعدتكموه بنزول العذاب عليكم غير مكذوب، لا محال واقع عليكم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ ولما جاء وقت أمرنا بنزول العذاب عليهم نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا، ونجيناهم

من خزي يومئذٍ، أي: من عذاب يومئذ، إن ربك يا محمد هو القوي في الانتقام من قوم مجرمين، العزيز في حكمه، لا راد لحكمه.

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ وأخذ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بربهم والتكبر عن قبول تذكير نبيهم الصيحة المفزعة، تقطعت قلوبهم، وقيل: هي صوت جبريل عليه السلام، فصاروا في ديارهم جاثمين، حيث كانوا ميتين، ولا استطاعوا أن يتحركوا عن أماكنهم، كأنّهم لم يغنوا، أي: لم يقيموا ويعمروا في ديارهم بالأمس، ثم قال تعالى بحرف التنبيه للتقريع لمن سمع قصة هلاكهم: (ألا إن ثمود كفروا ربهم) وتجاوزوا عن أمر ربهم، (ألا بعدًا) من رحمة الله لقوم ثمود.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ ولقد جاءت الملائكة التي أرسل الله لإهلاك قوم لوط عليه السلام، واختلفوا في عددهم، ودخلوا على إبراهيم عليه السلام ليبشروه بإسحاق ويعقوب، قالوا: نسلم عليك سلامًا، قال إبراهيم عليه السلام مجيبًا: سلام عليكم، وظن أنهم أضياف، لأنهم نزلوا على صورة غلمان جمع غلام أجمل الوجوه. فدخل إبراهيم عليه السلام على أهله، فما تأخر وجاء بعجل حنيذ، أي: بلحم عجل مشوي فوق الحجر.

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ فلما رأى إبراهيم عليه السلام أن الملائكة لا تمد أيديها إلى الطعام استنكر عليهم ذلك، لكنهم ليسوا من البشر، فأوجس من الملائكة خوفًا حدث في قلبه، وعرف الملائكة أنه خاف منهم قالوا: لا تخف منا إنا أرسلنا لإهلاك قوم لوط.

﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ ﴾ كانت امرأة لوط قائمة قريبًا عندما أخبره الملائكة بمقصدهم، وعند ذلك ضحكت تعجبًا من خوف إبراهيم أو من مصير قوم لوط أو من أنها وزوجها يخدمانهم أو من تبشير الملائكة لها بإسحاق ويعقوب فضحكت، فالآية فيها تقديم وتأخير. ولما بشر الملائكة إبراهيم عليه السلام وزوجته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ابنًا لإسحاق، وامرأة إبراهيم عليه السلام سارة وراء الستر سمعت البشارة فضحكت.

وعلى كل فإنها لما بشرت بإسحاق ويعقوب قالت تعجبًا: يا ويلتى أألد وأنا عجوز قد بلغ عمري حالة اليأس من الولد ـ وكان عمرها تسعين سنة ـ ، (وهذا) تعني إبراهيم عليه السلام زوجي شيخًا؟ وكان عمر إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة إن هذه البشارة عند كبر السن لشيء عجيب وغريب.

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ قال الملائكة: أتعجبين من قدرة الله وحكمته في خلق الولد من هرمين؟ وذلك رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل بيت إبراهيم عليه السلام، إنه حميد مجيد، أي: إن الله محمود يحمد له في كل ما صنع وحكم، مجيد في الكرم والعطاء.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾ فلما ذهب عن إبراهيم عليه السلام الخوف الذي أفزعه حين رؤية الأضياف وعدم تناولهم من الطعام وبعد قول الملائكة: إنا أرسلنا إلى قوم لوط، وعرف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنهم ملائكة

واطمأنت نفسه، وبشروه بالولد أخذ يجادل بالملائكة ليؤخر العذاب عن قوم لوط ليتوبوا إلى الله عن فعلتهم الخبيثة، وكان ذلك من شدة حلمه على خلق الله، قال الله تصديقًا لحلمه: ﴿إن إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾، أي: كثير التأوه خائفًا من الله، منيب لأمر الله بالسمع والطاعة بغير إمهال ولا تسويف.

﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾ خاطب الله إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم أعرض عن مجادلتك الملائكة في قوم لوط، وانصرف عنهم، إن العذاب بإهلاك قوم لوط قد جاء به أمر ربك، وإنهم آتيهم عذاب غير مصروف عنهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ ولما جاءت، أي: وصلت الملائكة إلى بيت لوط ساءه مجيؤهم وضاق صدره عليه السلام بهم لأنهم جاؤوا على صورة غلمان مرد حسن الوجوه فخاف لوط عليه السلام عليهم من شر قومه، وقال: هذا يوم شديد عليّ.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ وعلم قوم لوط فجاؤا يسرعون إلى بيت لوط عليه السلام، وذلك أن امرأة لوط عليه السلام أخبرت قومها أنه في بيت لوط غلمان مرد حسن الوجوه وأرادوا الفعلة الخبيثة. ومن قبل هذا كانوا يعملون الفعلة السيئة، وهي إتيانهم الشهوة في دبر الرجل. قال لوط عليه السلام: يا قوم، هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون، فأزوجهن لكم، فاتقوا الله فيما تريدون، ولا تخزوني ولا توقعونني في الخزي والخجل في شأن ضيفي، أليس منكم رجل رشيد ينصحكم وينهاكم عنها؟.

﴿ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ قال قومه: يا لوط لقد علمت ما نريد، ليس لنا رغبة في بناتك. وغيرهن من النساء، ولا حاجة، وإنك يا لوط لتعلم ما نريده ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ قال لوط عليه السلام: وهو من وراء الباب يمنع قومه من الدخول لو أن لي عليكم قوة فأدفعكم عن ضيفي، أو ألجأ إلى عشيرة قوية تنصرني عليكم. وأراد قومه أن يتسوروا البيت.

فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب أظهروا أنفسهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ قال الملائكة الذين نزلوا لإهلاك قوم لوط عليه السلام: يا لوط إنا رسل ربك، نزلنا لإهلاك قومك المجرمين، لن يصلوا إليك بضرر، ولا بشيء مكروه، فسر بمن آمن معك بقطع من الليل، ولا يلتفت أحد منكم وراءه يفزع، لأنه مفزع، إلاَّ امرأتك قد كفرت، فإن العذاب مصيبها مثل ما أصابهم، إن موعد إهلاكهم الصبح، أليس الصبح بقريب؟ استفهام للتقرير، ليسكن فؤاد لوط عليه السلام ويطمئن.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ قال تعالى: فلما جاء وقت أمرنا بإهلاكهم جعلنا عاليها سافلها، أمرنا الملائكة المرسلين إليهم بإهلاكهم أن يجعلوا ديارهم بأهليها عاليها سافلها، فرفعوا ديارهم إلى السماء حتى سمع أهل السماء أصوات الدياك ونبيح الكلاب صباحًا، وقلبوا عاليها سافلها، وأرسلنا عليهم حجارة من طين مطبوخ في نار جهنم منضود، أي: متتابع، مسومة، أي: مكتوب اسم كل من يرمى عليه عند

ربك يا محمد، وما تلك القرى المدمرة من ظالمي مكة ببعيد، وهم يمرون عليها في أسفارهم إلى الشام، فلم يعتبروا بها. وذكر هذه القصة تقريعًا وتنبيهًا لأهل مكة وغيرهم ممن سمعها ليتحذر وينزجر عن مثل إجرام قوم لوط.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبًا ليدعو قومه إلى توحيد الله ويخصوا العبادة لله قال: يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إلـه يعبد إلاَّ الله هو المعبود الحق، ولا تنقصوا الموزون في الكيل والميزان، إني أراكم بخير من المال والأرزاق، وإن لم تطيعوا بما أمرتكم به وما نهيتكم عنه إني أخاف عليكم عذاب يوم محيط عليكم، لا تستطيعوا أن تفلتوا منه.

ثم أكد عليهم: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ويا قوم أوفوا الموزون في الكيل والميزان بالعدل، ولا تنقصوا على الناس حقوقهم، ولا تسعوا في الأرض مفسدين في خلق الله، ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾ ما رزقكم الله من الحلال بركة وباقية ثوابه خير لكم. في الدنيا والآخرة إن كنتم مصدقين بما نصحت لكم، وما أنا على أعمالكم بحفيظ.

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ لما أمر شعيب عليه السلام قومه بترك عبادة الأصنام وبترك تطفيف الكيل والميزان قالوا: يا شعيب.

أصلاتك تأمرك ـ وكان شعيب عليه السلام كثير الصلاة وكان قومه يضحكون عليها ويستهزأون على نبي الله شعيب ـ بأن نترك ما يعبد أسلافنا؟ وبأن نفعل في أموالنا ما تقول وأنت الحليم الرشيد في أمرك؟ قال الطبري: كلامهم هزء عليه وقال ابن عباس: إنك تزعم أنك الحليم الرشيد.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ قال شعيب عليه الصلاة والسلام: يا قوم، أخبروني ما قولكم إن كنت على حجة واضحة من ربي وهي النبوة، ورزقني من فضله رزقًا حسنًا؟ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه بأمر ربي، لا أريد إلَّا إصلاحكم على قدر استطاعتي، وما توفيقي إلَّا بعون الله، عليه توكلت وإليه أنيب في كل شأن.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ قال شعيب عليه السلام: ويا قوم لا يحملنكم على الإجرام مخالفتي عليكم في إصلاح شأنكم، وأنتم لا تطيعوني، أخاف أن يصيبكم العذاب مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح، (أو) هنا للتنويع، وما قوم لوط ببعيد، أي: ما ديار قوم لوط عن دياركم ببعيد، أفلا تعتبرون بها؟ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ واستغفروا ربكم عن شرككم به وتطفيف الكيل والميزان ثم أنيبوا إليه فيما أمركم به وما نهاكم عنه. إن ربي رحيم بمن آمن به واستغفر لذنوبه، ودود، أي: مجيب لإيمان عباده به وطاعتهم لأمره.

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ قال قوم شعيب عليه السلام: ما نفهم كثيرًا مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفًا، أي: ضعيف الحال ومكفوف البصر، لا قوة ولا عز لك بيننا، ولولا جماعتك (أقاربك) لرجمناك وطردناك من بيننا، وما أنت علينا بعزيز تمنعنا عن ما نريد.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ قال شعيب عليه السلام: يا قوم، أرهطي أعز عليكم من الله؟ استفهام للإنكار على قولهم ﴿لولا رهطك لرجمناك﴾ إلى آخرها، ثم قال: اتخذتم أوامر الله وراء ظهوركم منبوذة لا تلتفتوا إليها. إن ربي بما تعملون من المنهيات محيط، لا يفوت عن علمه شيء من أعمال الخلق.

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾ قال شعيب عليه السلام: ويا قوم اعملوا على طريقتكم التي أنتم فيها، وإني عامل على ما أمرني ربي، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويهينه في العذاب، ومن هو كاذب في دعواه، وارتقبوا إني معكم رقيب لوعد الله.

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ قال تعالى: ولما جاء أمرنا لإهلاك قوم شعيب عليه السلام نجينا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا، وأخذت الذين ظلموا على أنفسهم بالكفر على ربهم والتكذيب على نبي الله شعيب عليه السلام

الصيحة الطاغية عن الحد، فصاروا في ديارهم جاثمين ميتين، ما استطاعوا أن يتحركوا من مكانهم، كأنهم لم يمسوا في ديارهم ألا بعدًا من رحمة الله لأهل مدين بالإهلاك بشؤمهم كما بعدت ثمود من رحمة الله هلكوا بالصيحة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾ ولقد أرسلنا موسى بالمعجزات الظاهرات، وحجةٍ واضحة، هن الآيات التسع وأجلُّها العصا ولهذا أفردها بالذكر، (إلى فرعون) وأشراف قومه ليدعوهم موسى عليه السلام إلى توحيد الله في ألوهيته وربوبيته، ولم يستمعوا لدعوة موسى عليه الصلاة والسلام واتبعوا أمر فرعون، وتركوا أمر الله، وما أمر فرعون برشيد، أي: غير سديد للحق بل هو تجهيل وإضلال عن الحق.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ يقدم فرعون قومه يوم القيامة فيتقدمهم في النار كما كان قدوتهم في الدنيا في إضلالهم عن طريق الحق، فأدخلهم النار، ـ الفاء سببية ـ يعني: فرعون أضلهم عن طريق الحق، هو سبب لدخول قومه في نار جهنم، (بئس الورد المورود) في هذه تشبيه للوارد على الماء، أي: بئس الدخول والمدخل بئس الداخل والمدخول، وهو النار أو العذاب.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة، أي: بُعدًا من رحمة الله، وهو الغرق في البحر، ويوم القيامة لعنة، أي: بُعدًا من رحمة الله، وهو عذابهم في نار جهنم على الأبد. بئس التابع والمتبوع بئس العون والمعان، أي: بئس حال فرعون وقومه في نار جهنم لعنة في الدنيا والآخرة.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝١٠١ ﴾ (ذلك) إشارة إلى ما ذكر في هذه السورة من قصص الأنبياء مع أممهم (من أبناء)، أي: من أخبار أهل (القرى) جمع قرية (نقصه) بالبيان ونخبره (عليك) يا محمد من ديارهم (قائم)، أي: عامر، وسكن فيها قوم آخرون مثل ديار فرعون وقومه، وديار قوم أخرى تدمر مع أهلها كزرع محصود لم تبق أثرها كديار قوم لوط وشعيب وصالح. وإما من ديار قوم صالح عليه السلام البيوت المنحوتة في الجبال باقية إلى الآن على طريق تبوك كل من يمر يشاهد. قال: (وما ظلمناهم) بإهلاكهم وتدمير ديارهم (ولكن كانوا) يظلمون أنفسهم بإيجاب العقوبة على أنفسهم بالكفر بربهم والتكذيب بأنبيائهم. (فما أغنت عنهم آلهتهم) التي يعبدونها من دون الله، ما أغنت عنهم من أيّ شيء حين جاء أمر ربك يا محمد لإهلاكهم. فما زادهم آلهتهم إلاَّ الخسران في الدنيا والآخرة، وتدمير ديارهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢ ﴾ مثل ذلك الأخذ الذي قصصنا لك يا محمد يكون أخذ ربك إذا أخذ أهل القرى بشؤمهم، أخذ بالعذاب المهلك في حالة يكون أهلها طغوا وغفلوا عن عقاب الله. ثم أكد بإن للتقريع، إن أخذه مؤلم شديد.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ ﴾ إن في ذلك القصص والأخبار لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الدنيا وعقاب الآخرة، ذلك اليوم يوم مجموع الناس فيه للحساب والجزاء، وذلك اليوم يوم الشهادة يشهد أهل السماء لأهل الأرض وتشهد

جوارحهم ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعۡدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾ وما نؤخر وقوع يوم القيامة إلاَّ لوقت معلوم لا يعلم ذلك أحد إلاَّ الله.

﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ يوم القيامة لا يستطيع أن يتكلم أحد من شدة هول ذلك اليوم إلاَّ من أُذن له فيتكلم ﴿ فَمِنۡهُمۡ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ فمن الناس شقي قد قدر الله له الشقاوة ومنهم سعيد قد قدر الله له السعادة وهناك النوع الثالث وهم من لا حسنات لهم ولا سيئات، وهم الأطفال، ماتوا قبل البلوغ، والمجانين لا يشعرون شيئًا من خير أو شر، وهم تحت مشيئة الله، وإن كانوا هم من أولاد المسلمين لهم أثر الإيمان فيدخلهم الله الجنة برحمته، لأن الجنون حدث عليهم بعد أن شعروا الإيمان والإسلام. إن الله عفو عن المعذورين.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ فأما الذين شقوا بالكفر والعصيان في الدنيا فيوم القيامة في النار لهم فيها زفير وشهيق، هما صوتان كشهيق الحمار أوله قوي وآخره ضعيف، يخرج من أهل النار من شدة الألم والهوان في النار. مقيمين فيها على الأبد ما دامت السموات والأرض. وقال ابن عباس: إن للجنة سماء وأرض غير هذان (إلاَّ ما شاء الله)، أي: إلاَّ الذين شاء الله إخراجهم من أهل النار، وهم عصاة المؤمنين، يخرجون من النار بشفاعة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام. إن ربك يا محمد فعال لما يريد، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء.

﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾ وأما الذين سعدوا، أي: وفقوا السعادة في

حياتهم الدنيا فهم في الآخرة في الجنة مقيمين فيها أبدًا ما دامت السموات والأرض، غير سماء الدنيا وأرضها، ذكرهما تأكيدًا لدوام إقامتهم في الجنة، إلَّا الذي شاء ربك لهم من النعيم، يتنعمون فيها على الأبد. ثم أكد أن تلك النعم عطاء غير مجذوذ، أي: غير مقطوع.

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ ﴾ فلا تك يا محمد في شك مما يعبد هؤلاء المشركون ما يعبدون أصنامهم إلَّا كما يعبد آباؤهم من قبلهم، مقلدين لهم. وإنا لموفوهم نصيبهم في الآخرة جزاء كاملاً، غير منقوص من جزاءهم في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾ ولقد آتينا موسى التوراة من بعد هلاك فرعون وقومه، فيه أحكام شريعته. فاختلف بنو إسرائيل فيه بعد وفاة موسى عليه السلام، منهم من ثبتوا على إيمانهم وعملوا بما فيه، ومنهم من كفروا وكذبوا بما في التوراة وغيروا بما فيه من الأحكام على مقتضى هواهم. ولولا كلمة بتأخير العذاب سبقت من ربك يا محمد لتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم بإنزال العذاب على المسيئين والرحمة على المحسنين في الدنيا. وإن قومك يا محمد لفي شك من القرآن وفي رسالتك، واقعون في الريب. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ.

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ وإن كلا من الفريقين المصدق والمكذب يوم القيامة ليوفيهم ربك جزاء أعمالهم، إنه تعالى بما يعملون خبير.

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾ فاستقم يا محمد كما أمرت، وليستقم من تاب عن شركه وكفره بالله وآمن معك بالله وحده، ولا تتجاوزوا أيها المسلمون حدود الله، إنه تعالى بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ ولا تركنوا أيها المسلمون إلى الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي والاعتداء على المسلمين بغير حق إن ركنتم إليهم بالمحبة والنصر لهم فتصيبكم نار جهنم وما لكم من دون الله من أولياء يتولى أمركم ولا نصير من عذاب الله.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ أمر الله نبيه صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم لإقامة الصلاة. والأمر يسري لأمته. وأقم الصلاة المكتوبة طرفي النهار، يعني: صل صلاة الصبح بعد طلوع الفجر الصادق، وصل الظهر والعصر على وقتها لأن وقتها في الطرف الثاني هو بعد زوال الشمس من القيام، لا يدخل وقت العصر حتى ينتهي وقت الظهر، وصل صلاة المغرب والعشاء زلفًا من الليل، أي: قريبًا من أول الليل بعد غروب الشمس، وبعد زوال الشفق الأبيض العشاء. وهذه الأوقات الخمس للصلوات المكتوبة على المسلمين. ووقت صلاة الجمعة وقت الظهر. قال تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات)، أي: يكفر بالأعمال الصالحات الذنوب الصغائر عن صاحبها، وأما الكبائر لا بد من توبة صادقة على شرط أن لا يعود إليها. ذلك الأمر بإقامة الصلوات المكتوبة على أوقاتها تذكرة وموعظة للمتذكرين والمتعظين. واصبر

يا محمد على أذى المشركين فاستقم بتبليغ ما أمرت، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وأنت يا محمد من المحسنين في طاعة ربك.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ فهلا كان من القرون من قبلكم يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام ذو رشد وعناية ينهون قومهم عن الفساد والإفساد في خلق الله؟ لم يكن ذلك، ولكن قليلاً ممن أنجينا من الهلاك بإيمانهم بالله وحده واتبعوا الرسل نهوا قومهم عن الفساد، واتبع الذين ظلموا أنفسهم ما أترفوا لهم من النعيم، وأصروا على إجرامهم وكانوا قومًا مجرمين في علم الله، غلبت عليهم شقاوتهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ وما كان في سنة الله أن يهلك أهل القرى ـ جمع قرية ـ بظلم منه تعالى، في حالة أن أهلها مصلحون شأنهم باتباع رسلهم، إلاَّ بكفرهم بربهم وبعصيانهم رسلهم. والجملة الأخيرة تأكيد لقوله: ما كان ربك ليهلك القرى بظلم.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس أمة واحدة على دين واحد، لم يشأ ذلك لحكمة منه جلّ وعلا، ولهذا لا يزالون مختلفين في أديان متفرقة، إلاَّ من رحم ربك يا محمد فوفقهم إلى دين الإسلام وهو الدين المرضي عند الله، وخلقهم على اختلاف الأحوال على أديان شتى ليكونوا: فريق بإيمانهم وأعمالهم الصالحات في الجنة، وليكونوا فرق شتى غير مسلمين بكفرهم وعصيانهم وابتداعهم في الدين في نار جهنم، وتمّت كلمة ربك يا محمد،

أي: حكمه وقضاؤه لذلك لا مبدل لحكم الله وقضائه، (لأملأن جهنم) من الجِّنة والناس من أتباع إبليس أجمعين.

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ التنوين عوض من المضاف إليه، أي: كل الذي نقصه عليك يا محمد من أنباء الرسل إنما هو لنثبت به قلبك، ولتصبر على أذى المشركين. وقد وجاءك في هذه السورة القصص بالحق لا كذب فيها، وموعظة لمن سمع ليتعظ بها، وتذكرة للمؤمنين.

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ وقل يا محمد للذين لا يؤمنون بالله وحده: اعملوا على ما أنتم فيه من هوى أنفسكم. نحن المسلمون عاملون على ما نحن فيه من أمر الله. وانتظروا إلى ما وعدكم الشيطان، ونحن منتظرون ما يحل عليكم من عقاب الله.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ ولله علم ما يغيب عن علم الخلق في السموات والأرض، وإلى الله ترجع الأمور كلها يوم القيامة، ويحاسب ويجازي، للمؤمنين الجنة وعلى الكافرين والعاصين نار جهنم. فاعبده، أي: فاستقم في عبادة ربك، وكذا المؤمنون، وتوكل عليه في كل شأنك، وكذا المؤمنون، وما ربك بغافل عما تعملون في طاعة الله، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

الحمد لله، تمّت سورة هود بعون الله.

* * *

سورة يوسف

آياتها مائة وإحدى عشر آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ سبق الكلام عليها في أول سورة البقرة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ (تلك): إشارة إلى آيات القرآن الكريم، وهن آيات الكتاب المبين التي تبين الحق من الباطل والحلال من الحرام والاعتقادات الصحيحة من الاعتقادات الفاسدة وأحكام المعاملات والقصص وغير ذلك.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ إنا أنزلنا هذا القرآن قرآنًا عربيًّا على لسانكم لعلكم تفهمون وتتدبرون معانيه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص، ومنها قصة يوسف عليه السلام وما حدث بينه وبين إخوته إذ فيها عبرة عظيمة، وهي أحسن القصص، لما فيها من العبرة والعظة والحكمة، (بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله)، أي: من قبل إيحاء هذا القرآن إليك، (إن) مخففة عن مثقلة للتأكيد، أي: ولقد كنت لمن الغافلين عنها وعن غيرها من القصص.

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ رأى يوسف عليه السلام رؤيا في منامه، وقصها لأبيه يعقوب عليه السلام، قال: إني رأيت في منامي في الليل أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ قال أبوه يعقوب عليه السلام: لا تخبر رؤياك على إخوتك فيحسدوك عليها فيكيدوا لإهلاكك كيدًا عظيمًا، وأنت لا تستطيع التفوق عليهم ولا إنقاذ نفسك منهم لأنهم عصبة واحدة، إن الشيطان لكم أيها الناس عدو ظاهر، ويلقي بينكم الفتنة والعداوة.

وقال يعقوب عليه السلام ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ كما أراك الله الرؤيا كذلك يصطفيك ربك من بين إخوتك للنبوة ويحسن إليك بتحقيق الرؤيا ويعلمك من تعبير الرؤيا المنامية، ويتم ربك نعمته عليك بالنبوة لأنها أعلا المراتب، وكذا أولاد يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل هذا. ثم بين: إبراهيم وإسحاق، وإسحاق أبو يعقوب وإبراهيم جد يعقوب عليهم الصلاة والسلام، إن ربك يا يوسف عليم في تدبير أمر خلقه حكيم في صنعه.

قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سأل علماء اليهود رسول الله ﷺ عن سبب انتقال يعقوب عليه السلام وأولاده الأحد عشر ولدًا إلى مصر؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام وذكر قصة يوسف مع إخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة، لقد كان فيما حصل ليوسف مع

إخوته آيات، أي: عبرات وعظات للسائلين، وهذا شروع بالحديث عن قضية يوسف مع إخوته الأحد عشر وأبيه يعقوب.

﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ حيث قال إخوة يوسف: ليوسف وأخوه أحب لأبينا منا ونحن جماعة واحدة من أبينا، لا نفترق في خدمة أبينا إن أبانا في حبهما دوننا لفي خطأ ظاهر.

ثم قالوا بينهم: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾، أي: اقتلوا يوسف أو القوه في أرض بعيدة يخلص حب أبيكم إليكم وتكونوا من بعد إبعاد يوسف من عند أبيكم قومًا صالحين بالتوبة إلى الله، ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ قال قائل من إخوة يوسف، هو أكبر أولاد يعقوب عليه السلام، اسمه يهوذا: لا تقتلوا يوسف، وألقوه في قعر البئر، يمر عليها بعض المسافرين ليأخذوا منها الماء فيلتقطه، فيأخذه فيبعد عنكم وعن أبيكم، إن كنتم فاعلين بما أشرت عليكم.

وأجمعوا رأيهم على ذلك، وجاؤوا أباهم ﴿ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ وإنا إخوة صادقون في حفظه وحمايته مما قد يؤذيه؟ وقالوا هذا الكلام ليوافق أبوهم على رأيهم. ثم قالوا: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أرسل يوسف معنا غدًا يرتع، أي: يسعى في الرعي ليتدرب على ذلك، أو يتسع في الأكل والفرح ويلعب معنا في المسابقة، وإنّا له لحافظون، لا تخف عليه.

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ قال يعقوب عليه السلام معتذرًا لأولاده: إنه ليوقعني في

الحزن والوهم ذهابكم به إلى البر، وأخاف أن يأكله الذئب، وكانت بلادهم كنعان كثيرة الذئاب، والحال أنتم عنه غافلون في عملكم أو في لعبكم ﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ قالوا: والله إن أكله الذئب ونحن جماعة لا نحميه عن الذئب فنحن إذًا لخاسرون في مرافقتنا مع أخينا وجاهلون وعاجزون.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ فأذن لهم أن يذهبوا بيوسف، وذهبوا به وابتعدوا عن البلد وأجمعوا رأيهم أن يلقوا يوسف في قعر البئر، فألقوه في غيابة الجب وهو يبكي ويصرخ، وقيل: جاء جبريل ليستأنس به، واختلفت أقوال المفسرين في مدة مكثه في البئر. قال تعالى: وأوحينا إلى يوسف لتخبرنّ إخوتك بأمرهم الذي فعلوا، أي: على يوسف وهو ضعيف مضطر لا يستطيع أن يرد عليهم بشيء. لذلك لما جاؤوا يطلبون الطعام من يوسف حين أن صار ملك مصر، فدخلوا على يوسف، قالوا: يا أيها العزيز جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين، قال يوسف عليه السلام: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه؟ أي: حين أنتم جاهلون، فقال إخوته: إنك لأنت يوسف. قال: أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. وقال إخوته: تالله لقد آثرك علينا وإن كنا لخاطئين. اعترفوا بخيانتهم لأخيهم يوسف وسيأتي بعد قليل توضيح ذلك.

نعود إلى إخوة يوسف بعد إلقائه في الجب ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ وجاء إخوة يوسف من البر وقت

العشاء وهم يبكون، قالوا: يا أبانا نحن ذهبنا نتسابق ونشرح صدورنا وتركنا يوسف عند متاعنا ليحفظها حتى نأتيه، فأكله الذئب، وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين فيما أخبرنا لك.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ولتأكيد أدعائهم بأن الذئب أكل يوسف جاؤا على قميصه بدم ملطخ عليه كذبًا، ليقنعوا أباهم يعقوب عليه السلام بذلك قال يعقوب عليه السلام مكذبًا لهم: بل سولت لكم أنفسكم أمرًا، أي: بل خيلت وزينت لكم أنفسكم أمرًا فاسدًا فعلتموه بيوسف، والله المستعان على ما تصفون من عند أنفسكم، فصبري لله جميل، فيه حسن العاقبة.

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ قال الخازن: وجاء مسافرون في طريق البر فأخطؤوا الطريق ومروا على البئر التي فيها يوسف ونزلوا حولها وأرسلوا وارد الماء الذي يأتي بالماء من البئر إليها، فأدلى دلوه في البئر، فتعلق يوسف به، فنظر الوارد إلى يوسف وقال متفاجئًا: يا بشرى هذا غلام، فأظهر السرور به، وكان إخوة يوسف قد عادوا إليه خوفًا من اكتشافه فادعوا أنه عبد آبق، فباعوه للقافلة بدراهم معدودة، وجعلوا يوسف بضاعة، أي: عبدًا، والله عليم بما يعملون بيوسف.

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ باعوا يوسف بثمن ناقص عن قيمة العبد، دراهم معدودة، أي: قليلة، وكان الذين باعوه بثمن ناقص ظنوا أنه عبد أبق من سيده فخافوا أن يلحق بهم سيده فينزع عنهم.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ وقال الذي اشترى يوسف من المسافرين في الطريق، وهو عزيز مصر، لامرأته: أكرمي مكانته عندنا لعله ينفعنا في خدمتنا، أو نتخذه ولدًا، إذ ما كان له ولد.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ فكما أنقذناه من القتل ونجيناه من الجب سالمًا مكنا له في أرض مصر، ولنعلمه تعبير الرؤيا والله غالب على تنفيذ أمره في خلقه، لا رادّ لحكمه فهو يسوس يوسف ويدبره ويحيطه برعايته ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويجادلون فيما قضى الله عليهم، ولا يسلمون أنفسهم لأمر الله، ولا يفوضون أمرهم إلى الله.

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ولما بلغ يوسف عليه السلام من العمر حالة شدته وقوته في البدن والعقل آتيناه النبوة والحكم، يحكم بين الناس بالحكم العدل، وعلمًا، أي: علم الفقه في أحكام الدين والمعاملات، هو الإصابة في الحكم، وعِلمَ التعبير. بمثل ذلك نجزي المحسنين في طاعة الله والمستقيمين فيها.

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وطلبت امرأة العزيز زليخا من يوسف أن يواقعها، ويوسف في بيتها، وغلقت أبواب البيت خائفة حتى لا يدخل عليهما أحد، وقالت زليخا: هيت لك، أي: هذه لك افعل بها، قال يوسف: معاذ الله، إن زوجك سيدي، أحسن مكاني عنده

وأكرمني فكيف أخونه في وقت غيبته إن هذا الذي تدعيني إليه ظلم، ولا يفلح الظالمون في الدنيا والآخرة.

وأراد يوسف أن يهرب منها ويخرج من البيت ولحقت به.

قال تعالى مخبرًا عن إرادتها الخبيثة: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ولقد همت، أي: عزمت زليخا لوقاعة يوسف عليها بفعل الفاحشة، وأراد يوسف بها لولا أن رأى برهان ربه. اختلفت أقوال المفسرين في البرهان، والله أعلم بما هو، والصواب هو تذكر مخافة أمر الله، ألهم الله يوسف الامتناع عن رغبتها، وامتنع عنها، كما ذكرنا لك يا محمد أريناه البراهين لنصرف عنه الأعمال السيئات والشهوة والخيانة والفحشاء. إن يوسف من عبادنا المخلصين في طاعتهم لله تعالى.

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾ وهرب يوسف، وتلحق زليخا خلفه بالتسابق ولحقت به وجذبت ثوبه من خلفه، وقدت، أي: شقت قميص يوسف من دبره من ظهره. ووجدا زوجها عند الباب ﴿ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ قالت امرأة العزيز زليخا: أيّ شيء جزاء من أراد بأهلك بسوء إلاَّ أن يحبس في السجن ويمنع التصرف أو يعذب بضرب موجع؟.

﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ قال يوسف عليه السلام ردًّا على تهمتها: هي طلبت مني ذلك، وتحير العزيز وأنطق الله طفلاً وكان في المهد وهو ابن الماشطة وشهد قائلاً: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ إن كان قميصه قُدَّ من قُبل، أي: تمزق من الأمام فصَدقت وهو من الكاذبين، وإن كان تمزق من الخلف فكذبت وهو من الصادقين.

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فلما نظر العزيز إلى قميص يوسف رأى الشق من خلفه، قال العزيز: إن هذا الأمر من جملة صنعكن الحيل، إن هذا الصنع للحيل عظيم لا يتوقف إلاَّ بالموت.

﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ قال العزيز: يا يوسف أعرض عن هذا الأمر، ولا تفشي ما حصل لأحد. وأنت استغفري، أي: اطلبي العفو من زوجك فهو لا يؤاخذك. إنك كنت من الخاطئين.

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ وقال جماعة من النساء في مدينة مصر: امرأة العزيز تراود فتاها، أي: عبدها عن نفسه، قد دخل حبه في شغف قلبها، وهو شيء رقيق يحيط على القلب كالغلاف، إنا لنراها في خطأ ظاهر.

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن، أي: بحديثهن في حقها. وسمي الحديث مكرًا لأنهن أخفين الحديث بينهن خائفات من زليخا كما يخفي الماكر مكره عن الناس، وأرسلت زليخا رسولاً إليهن ليأتي بهن، وهيأت لهن متكئًا، أي: فرشًا ووسائد يجلسن ويتكئن عليها. وقيل: المتكأ الفواكه التي تقشر بالسكين، وآتت كل واحدة منهم سكينًا، وقالت زليخا:

اخرج يا يوسف عليهن من البيت. وهذا المكر من زليخا في مقابلة مكرهن في شأنها، فلما رأين يوسف تعجبن من جماله وأعظمنه ودهشن، وقطعن أيديهن بغير شعور، وقلن: ما هذا بشرًا، ليس هذا إلاَّ ملك كريم.

﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ولما رأت زليخا أنهن قطعن أيديهن حين رأين يوسف قالت: فذالكن الذي أنتن فيه تقطعن أيديكن وقد دهشتن من جماله أتلومونني في حبي إياه؟ ثم صرحت وأظهرت حبها ليوسف: ولقد راودته عن نفسه فاستعصم مني وامتنع ثم توعدت على يوسف: ولئن لم يفعل ما أريد منه ليسجنن، أي: ليحبسن في السجن وليكونن من الأذلين في أعين الناس.

فعند ذلك سأل يوسف ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ يا رب السجن أحب إلى نفسي مما يدعونني إليها؛ لأنهن رغَّبْنَ يوسف إلى أن يأتي على زليخا ويقضي حاجتها. ثم قال: (وإلاَّ تصرف عني كيدهن) وإن لم تمنع عني المكر الذي يعملونه بـي أمل إلى رأيهن وأكن من الجاهلين.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ فاستجاب الله دعاء يوسف، فصرف عنه مكرهن، وعصمه عن الوقوع في رأيهن إنه تعالى هو السميع دعاء الداعين، العليم بأحوال خلقه.

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ ثم ظهر للعزيز وأصحابه وبعد ما رأوا من العلامات الدالة على صدق يوسف، رأوا أن يسجونه إلى أن تزول مقالة الناس في شأن زليخا.

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ودخل مع يوسف مملوكان، خباز الملك وصاحب شرابه. قال أحدهما ليوسف: إني أراني أعصر خمرًا للملك، وقال الآخر: إني أراني أحمل خبزًا يأكل الطير منه، نبئنا بتأويله وتفسيره، إنا نراك يا يوسف من المحسنين في تعبير الرؤيا المنامية.

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال يوسف عليه السلام: ما يأتيكما في منامكما طعام ترزقانه إلاَّ أخبرتكما بتعبيره قبل أن يصلكما ذلك في اليقظة وذلك مما علمني ربي، إني تركت ملة قوم وهم يصرون على كفرهم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون.

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ وقال يوسف عليه السلام اتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأنا من بيت النبوة والرسالة، ما ينبغي ولا يصح لنا نحن معشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئًا، ولا يصح على الناس أن يشركوا بربهم. ولكن أكثر الناس لا يشكرون بما أنعم الله عليهم بإرسال الرسل إليهم، ليدعوا قومهم إلى الإيمان بالله وحده، ويخلصوا العبادة له. ومع ذلك يكفرون له ويشركون به غيره ويكذبون رسله!!.

ثم وجه الخطاب إلى الفتيان اللذان هما في السجن مع يوسف

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ يا صاحباي في السجن أآلهة متعددة متفرقون خير، أم الله الواحد في ذاته وصفاته، القهار فوق خلقه؟؟! ما تعبدون أيها القوم غير الله إلاَّ أسماء سميتموها آلهة تعبدونها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بعبادتها من دليل ولا حجة، فكيف تعبدون أيها البشر الأصنام التي تصنعونها بأيديكم من حجر وخشب أو ذهب وفضة فتسمونها آلهة.

﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠ ﴾ ما الحكم بين العباد إلاَّ لله الواحد القهار، أمر أن لا تعبدوا شيئًا غيره، ولا تخصوا العبادة إلا له، ذلك التخصيص بالعبادة لله تعالى والاجتناب عن عبادة غيره هو الدين القيم المستقيم إلى مرضاة الله. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، فيعبدون غير خالقهم من العدم.

ثم شرع في تعبير رؤياهما ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١ ﴾ يا صاحباي في السجن أما أحدكما فيعصر خمرًا يسقي سيده منه وأما الآخر فيقتل ويصلب فتأكله الطير من رأسه. قالا: ما رأينا شيئًا إنما قلنا لنختبرك. قال يوسف عليه السلام: قضي الأمر الذي تستفيان عنه كما عبرت لكما.

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ۝٤٢ ﴾ (وقال) يوسف عليه السلام (للذي)، هو عاصر الخمر: (ظن)، أي: علم (أنه ناج) من السجن

وسيأتي عند الملك: اذكر أحوالي في السجن. عند سيدك الملك. لعله يخرجني من السجن فأنساه الشيطان الذكر عند الملك. فمكث يوسف في السجن بضع سنين. وقيل لبث في السجن سبع سنين، وذلك لاعتماده على المخلوق، وكان لبثه قبل ذلك خمس سنين وصار المجموع اثنا عشر سنة.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وقال الملك لمن حوله من أشراف قومه: إني أرى في منامي سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات عجاف، أي: هزيلات، وسبع سنبلات خضراء وسبع سنبلات أخرى يابسات ليس فيهن حب، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون، أي: تفسرون.

فأجاب الملأ ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ قالوا أخلاط أحلام وهذه لا تعتبر ولا تعبير لها، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾ وقال الذي نجا من الفتيان ــ وهو عاصر الخمر ــ للملك، وتذكر علم يوسف في تعبير الرؤيا المنامية بعد زمن سبع سنين، قال: أنا أخبركم بتأويله، فأرسلوني إلى من عنده علم التعبير، فأرسلوه إليه.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فجاء عند يوسف، قال يا يوسف أيها الصديق، أفتنا في الرؤيا التي رآها الملك في نومه: سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات وسبع سنبلات

خضر وسنبلات أُخَر يابسات لا حب فيهن، لعلي أرجع بخبرك عنها إلى الملك وملائه، لعلهم يعلمون فضلك بعلم التعبير للرؤيا المنامية.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ قال يوسف عليه السلام: تزرعون سبع سنين دأبًا على عادتكم فالذي حصدتم فاتركوه في سنبله لا يفسد الحب إلاَّ قليلاً مما تحتاجون لتأكلوه، ثم يأتي من بعد ذلك سبع سنين شداد، أي: فيها جدب وقحط عن المطر يأكلن، أي: يذهبن الذي حفظتم من السابق لهن إلاَّ قليلاً مما تحزرون وتدَّخرون، ثم يأتي من بعد تلك السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس برحمة الله فينزل المطر لهم وينبت الزرع والعشب وتحمل الأشجار المثمرة، وفيه يعصرون الشراب ويتوسعون في الأرزاق.

فجاء الفتى عند الملك وملائه بالبشارة فأخبرها لهم.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ وطلب الملك أن يؤتوه بيوسف فأبى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن وقال للرسول: ارجع إلى سيدك الملك فاسأله: ما شأن النسوة التي قطعن أيديهن وأنا بريء مما يتهمونني، إن ربي بكيدهن ومكرهن عليم. ورجع الرسول إلى الملك فأخبره ما قال يوسف.

فأمر الملك بأن يؤتوا بالنسوة فجاؤوا بهن ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ قال الملك للنسوة: ما

كان شأنكن، وما كان أمركن حين راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن: حاشا لله، هو بريء، فما عليه من سوء.

فعند ذلك ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ وشهدت امرأة العزيز على براءة يوسف عليه السلام، قالت: الآن ظهر الحق، وأنا طلبته أن يقع عليّ فأبـى، وإنه لمن الصادقين في شأنهم.

وقال يوسف عليه السلام: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ذلك الذي فعلت من الرد للرسول إلى الملك ليعلم الملك أني لم أخن زوجة العزيز في غياب العزيز وإن الله لا يهدي كيد الخائنين إلى الرشد والسداد.

ثم قال يوسف عليه السلام تواضعًا لله تعالى ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ وما أبرىء نفسي ولا أستطيع أن أزكيها، إن النفس لأمارة بشهواتها وبما تهوى والنفس تميل إليه، إلاَّ أن يرحم ربـي من يشاء من خلقه فينجيه من اتباع هواها. إن ربـي غفور لمن تاب عن ذنوبه رحيم بعباده المؤمنين.

ولما تبين الملك عذر يوسف وعلم أمانته أحب أن يكون من حاشيته ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ أستخلصه، أي: أجعله خالصًا لي من خلصائي. وجاؤوا بيوسف عليه السلام عند الملك فقربه لعرشه، فلما كلم يوسف عليه السلام الملك عرف الملكُ فضله بالعلم وحسن أدبه عند الملك وعفته، قال الملك: إنك اليوم يا يوسف عندنا مكين، أي: ذو مكانة ومنزلة، أمين لكل شيء.

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ قال يوسف عليه السلام اجعلني أيها الملك واليًا على حبوب الأرض إني حفيظ عليها عليم بتصريفها. ففعل الملك ذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ وهكذا يا محمد مكنا ليوسف في أرض مصر، يتصرف فيها ما يشاء في تصريف خزائن أرضها، وهكذا نصيب برحمتنا من نشاء من عبادنا، ولا نضيع أجر من أحسن عمله لله تعالى وأطاع ربه ولم يخالف أمره.

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ولثواب الآخرة خير وأبقى من أجر الدنيا الفانية للذين آمنوا بالله وحده وكانوا يتحذرون من مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه.

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ وجاء إخوة يوسف عليه السلام مصر ليشتروا طعامًا، فدخلوا على يوسف فعرفهم يوسف وهم لم يعرفوه، حينئذ كان يوسف عليه السلام ملك مصر، وهابوا منه، وقالوا: جئنا إليك أيها الملك لتعطينا طعامًا بثمنه، أصابت بلادنا مجاعة من قحط المطر. قال يوسف عليه السلام: بل جئتم عيونًا على عورات أهل مصر. قالوا: لسنا جواسيس، نحن من بيت النبوة، أبونا يعقوب عليه السلام نبي الله، قال: هل لكم أخ بقي عند أبيكم؟ قالوا: نعم، كنا اثنتا عشر ولدًا، واحد منا ذهب إلى البئر فأكله الذئب، وشقيقه مع أبينا يستأنسه.

﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ

وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ ولما حمل الطعام على عيرهم، قال يوسف: اءتوني بأخ لكم من أبيكم، ألا ترون أني أوف الكيل بغير بخس وأنا خير المنزلين للضيفان بإكرامهم، وإن لم تأتوني بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي ولا تقربوا مصر ولا آذن لكم أن تدخلوا عندي ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ قال إخوة يوسف: سنسأل أباه عنه ونطلبه منه ونجتهد في الطلب بأن نأتي به، وإنا نحن لفاعلون ذلك.

﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ وقال يوسف عليه السلام لفتيانه اجعلوا دراهمهم في حمل عيرهم. وهم لا يشعرون، لعلهم إذا رجعوا إلى أهليهم، ففتحوا حمائل البعير فيعرفون دراهمهم لعلهم يرجعون إلينا بأخيهم، طامعين بحمل الطعام على عيرهم.

وذهبوا إلى كنعان ودخلوا إلى أبيهم سالمين بالطعام. ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ولما رجع إخوة يوسف من مصر إلى كنعان ودخلوا عند أبيهم يعقوب عليه السلام قالوا: يا أبانا منع الكيل والطعام عنا إن لم يأت أخانا بنيامين معنا فأرسل معنا أخانا نكتل الطعام، وإنا له لحافظون لا تخف عليه.

﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ قال: ما آمنكم على إرسال بنيامين معكم إلاّ كما أمنتكم على يوسف من قبل هذا.

ثم اضطر إلى إرسال بنيامين معهم لأن الوقت في حالة المجاعة من قحط المطر كما سيأتي. ثم فوض أمره إلى الله فقال: فالله خير حافظًا لمن فوض أمره إليه، وهو أرحم الراحمين بعباده.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ ولما فتحوا متاعهم وجدوا فيها الثمن الذي دفعوه مقابل الطعام قد رد إليهم ليعرفوا إحسان الملك إليهم. قالوا: يا أبانا، أيّ شيء نطلب وراء هذا؟ وقد وفّى الملك لنا الكيل، وهذا الثمن الذي دفعنا لهم في مقابل الطعام ردوه إلينا، ونجلب الطعام لأهلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد حمل بعير من الطعام، فذلك الذي جئنا به طعام قليل.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ عند ذلك اشترط عليهم يعقوب عليه السلام قائلاً: لن أُرْسِل بنيامين معكم حتى تعطوني عهدًا وثيقًا من الله على أنكم لتأتنّني به سالمًا، إلاَّ أن يحاط بكم، إلاَّ أن يغلب عليكم تخليصه من يد الغاصب عنكم، فلما آتوه العهد الوثيق بالله قال يعقوب عليه السلام: الله على ما نقول من العهد حفيظ، وشهيد عليكم، ووكيل بما نقول.

﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ وأمر أبناءه أن لا يدخلوا مصر من باب واحد خوفًا من أعين الناس عليهم لأنهم قد أعطوا من الجمال وحسن القامة في أبدانهم أو خاف أن يظن بهم

سوء لما حصل سابقًا، فقال لهم: وادخلوا مصر من أبواب متفرقة، أي: تفرقوا عند دخولكم مصر، وما أغني عنكم فأدفع عنكم شيئًا مما قضاه الله عليكم. ما الحكم المقدر إلاَّ لله، عليه توكلت في إرسال ابني معكم، وعليه فليتوكل المتوكلون في شأنهم كلها.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ولما دخلوا مصر من حيث أمرهم أبوهم متفرقين ما نفعهم دخولهم من الأبواب المتفرقة من قدر الله من شيء إلاَّ حاجة كانت في نفس يعقوب عليه السلام قضاها هي الخشية من إصابة عيون الناس لهم وإن يعقوب عليه السلام لذو علم، لما علمناه من علم النبوة والحكمة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما خصه الله لأنبيائه وأوليائه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف عليه السلام أكرمهم، وأمر الفتيان أن يقدموا طعامًا ويضعوا لكل اثنين مائدة، فعلوا كما أمروا، وانفرد بنيامين، وقال يوسف عليه السلام هذا معي في مائدتي، وأجلسه جنبه على مائدته، وأسر له أنا أخوك فلا تحزن بما فعلوا بنا، وأخبره أنه سيعمل على إبقائه عنده فلا يفش لهم ذلك.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فلما حمَّلوا لهم الطعام جعل السقاية وهي كاسة، قيل من ذهب يشرب بها الملك يوسف عليه السلام، وكانوا قد كالوا بها الطعام، وجعل الفتيان الكاسة في رحل بنيامين ـ بطلب من يوسف ـ

وهم لا يشعرون، وارتحلوا متوجهين إلى بلادهم، وبعد قليل نادى منادٍ: أيتها القافلة، إنكم لسارقون.

﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ لما نادى المنادي خلفهم، قال إخوة يوسف عليه السلام وقد أقبلوا إليهم: ماذا، أي: أيّ شيء تفقدون؟ قالوا: نفقد صواع الملك، ولمن يأتي بالصواع حمل بعيره من الطعام. وقال الفتى الذي نادى: وأنا بإعطاء الطعام كفيل. وهذا تطميعًا لهم.

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ قال إخوة يوسف: والله لقد علمتمونا من نحن، وما جئنا إلى أرض مصر لنفسد فيها، وما كنا سارقين قط.

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ قال فتيان الملك: فأيّ شيء جزاء السارق إن كنتم كاذبين؟ فأجاب إخوة يوسف: جزاء السارق الذي وجد في رحله الصاع فهو جزاء سرقته، أي: مملوك لصاحب المال، وقيل: كان ذلك الحكم في شريعة يعقوب عليه السلام. وقال الفتيان: مثل ذلك العقاب نجازي السارقين.

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ فبدأ يوسف عليه السلام بأحمالهم للتفتيش قبل حمل أخيه بنيامين حتى لا يشعرهم بشيء وفتش حمل بنيامين فاستخرجها منه، فأقبل إخوته إليه يلومونه قائلين: فضحتنا يا ابن راحيل.

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا

أن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾﴾ وهكذا ألهمنا ليوسف الحيل لينزع أخاه بنيامين من إخوته، واستبقاه عنده. ما كان يستطيع أن يأخذ أخاه رقيقًا في حكم الملك في مصر ويضرب السارق ويضاعف عليه الجزاء إلاّ أن يشاء الله كما ألهم على يوسف. نرفع درجات من نشاء كما رفعنا يوسف بالنبوة والملك والعلم في تعبير الرؤيا المنامية وغير ذلك. وفوق كل صاحب علم عليم ينتهي علمه إلى علم الله، هو عالم الغيب والشهادة.

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ قال إخوة يوسف عليه السلام: إن سرق بنيامين فقد سرق أخ له من قبل هذا. فأخفى يوسف عليه السلام مقالتهم في نفسه ولم يظهر عليهم ما فعلوا له لكيلا يفتضحوا. ولكنه قال: أنتم شر مكانًا من أخيكم يوسف، والله أعلم بما تصفون.

فعندئذ راجعوا بالرجاء والاستعطاف من يوسف عليه السلام﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ وقال إخوة يوسف عليه السلام: يا أيها العزيز إن له أبًا شيخًا كبيرًا في السن قد بلغ الهرم ويحب ولده هذا ويتسلى به فخذ أحدنا بدلاً منه، إنا نراك من المحسنين الذين يوفون الكيل والميزان ويسدون حاجة المحتاجين ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ قال يوسف عليه السلام: نعوذ بالله معاذًا من أن نأخذ أحدًا بذنب غيره إنا إن أخذناه إذًا لظالمون على عباد الله.

﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ فلما أيسوا من أن يطلق أخاهم بنيامين خلصوا، أي: انفردوا من عند يوسف إلى مكان آخر يتناجون ويتشاورون بينهم، قال كبيرهم في السن والعقل، قيل: هو يهوذا، وقيل: رويفيل: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهدًا موثقًا من الله؟ ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف، أي: ما قصرتم وضيعتم يوسف في البئر؟ فلن أبرح أرض مصر حتى يدعوني أبـي أن أرجع إليه أو يحكم الله لي برد أخي من عند الملك، وهو خير الحاكمين وأعدلهم.

ثم قال ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ ارجعوا يا إخواني إلى أبيكم فقولوا له: يا أبانا إن ابنك بنيامين سرق صواع الملك، وما شهدنا لك إلاَّ بما رأينا وعلمنا من شأن بنيامين، وما كنا نعلم الغيب حين أعطينا العهد الموثق لك لنأتين به سالمًا عندك، حافظين له، فإنه لا يعلم الغيب إلاَّ الله.

ثم قال لإخوانه: فقولوا لأبيكم: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ واسأل يا أبانا أهل مصر التي كنا فيها حين فشى خبر السرقة في مصر، وهم يعطونك حقيقة الخبر، واسأل القافلة التي هم من أهل كنعان وأقبلنا معهم من مصر، وهم يعرفون أيضًا حقيقة الخبر، وإنا لصادقون فيما أخبرنا لك من أمر بنيامين.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ قال يعقوب عليه السلام: بل زينت

وخيلت لكم أنفسكم أمرًا في بنيامين، وجئتموني بأخبار لا أصدقكم، فصبر جميل، أصبر كما صبرت على يوسف، والله المستعان في صبري عليهما، عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا، إنه هو العليم بأحوالي وأحوال ابني يوسف وبنيامين، وهو الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ وبعد أن سمع الخبر من أبنائه تأسف وأعرض عنهم كارهًا لأخبارهم وقال يا أسفي ويا حسرتي على يوسف. وابيضت عيناه من طول العهد بالحزن فهو صابر وكاتم في نفسه.

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ قال أولاده الذين حوله: تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون مريضًا ضعيفًا في جسمك ويزول شعورك عنك فتكون مخبول العقل، أو تكون من الهالكين من الحزن والأسف.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ قال يعقوب عليه السلام: إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله، أي: بثي الذي لا أصبر عليه وهو شدة الهم، وحزني في فقد يوسف، وأعلم من الله ما لا تعلمون أنتم، وإنه تعالى واسع الرحمة والإحسان.

﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ قال يعقوب عليه السلام لأولاده: يا بني اذهبوا فاطلبوا خبر يوسف وأخيه بالتحسس، ولا تتهاونوا ولا تقنطوا من رحمة الله وفضله، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلاَّ القوم الكافرون بخالقهم وهم لا يعرفون رحمة الله ولا يرجونها بسبب شقاوتهم الأزلية.

فامتثلوا أمر أبيهم وتجهزوا للسفر وهبوا إلى مصر ودخلوا فيها ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ فلما دخل إخوة يوسف على يوسف عليه السلام قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الجوع بقحط المطر وجئنا ببضاعة، أي: بدراهم لا تنفق حتى يوضع منها، لرداءتها فأوف لنا الطعام بالكيل لأن دراهمنا رديئة كاسدة، وتصدق علينا وتفضل علينا، إن الله يجزي ويثيب المتصدقين المتفضلين بالمضاعفة.

ولما سمع يوسف عليه السلام كلامهم أدركته الرقة وأراد أن يظهر لهم نفسه ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ قال يوسف عليه السلام: هل علمتم، أي: هل تذكّرتم ما فعلتموه بيوسف وأخيه إذ فرقتم بينهما في حال جهلكم وطيش عقولكم.

ولما سمعوا كلام يوسف عليه السلام عرفوا أنه يوسف ﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ قال إخوته: أنت يوسف حقًّا. قال يوسف عليه السلام: أنا يوسف، وهذا أخي الشقيق، قد أحسن الله إلينا، وجمع بيني وبين أخي شقيقي. إن الشأن والحال: من يتق الله ويصبر على البلاء والمحن لله تعالى، فإن الله لا يضيّع أجر المحسنين، أي: لا يضيع ثواب المخلصين عما لهم لله تعالى.

﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ وقال إخوة يوسف: لقد فضّلك الله علينا بالعز والعلم والصبر، وإنا كنا في إساءتنا عليك لخاطئين، فاعف عنا.

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾
قال يوسف عليه السلام: لا عتاب ولا توبيخ عليكم اليوم، بل عفوت عنكم، يغفر الله لكم ذنوبكم، وهو أرحم الراحمين بعباده المؤمنين.

ثم سأل يوسف عليه السلام عن أحوال أبيه يعقوب عليه السلام فقالوا: ذهبت عيناه بفراقك وكثرة الحزن عليك، قال يوسف عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ وقيل: قميص يوسف عليه السلام من قمص الجنة، حين ألقي إبراهيم عليه السلام في النار جرده جبريل عليه السلام عن لباسه وجاء بقميص من الجنة ألبسه إياه، وكان ذلك القميص بالتوارث عند يعقوب عليه السلام، ألبسه يوسف، فأرسله مع إخوته قال: فألقوا القميص على وجه أبي يرجع بصيرًا، وأتوني بأهليكم أجمعين، وأخذ القميص يهوذا وقال كنت أخذت قميص الجفاء حين ألقي يوسف في الجب، وآخذ الآن قميص الشفاء لأبي.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ ولما فصلت القافلة فيها إخوة يوسف عليه السلام من مصر متوجهين إلى أرض كنعان قال أبوهم يعقوب عليه السلام: إني لأجد ريح يوسف، لولا أن تنسبوني للخرف ــ وهو ذهاب العقل عند كبير السن وذلك يحدث لبعض الإنسان عند كبر سنه ــ قالوا: تالله إنك لفي خطئك القديم. والذين قالوا هم الذين بقوا من أحفاد يعقوب عليه السلام عنده.

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ

أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ فلما جاء البشير وهو يهوذا حامل القميص، ألقى القميص على وجه أبيه، فارتدت عينا يعقوب عليه السلام تبصران كما كانت تبصرا كل شيء قال يعقوب عليه السلام: ألم أخبركم بهذا؟ وأنتم لا تصدقوني، إني أعلم من الله ما لا تعلمون، وأنتم تجهلون عظمة قدرة الله.

﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ ولما رأوا ارتداد عيني يعقوب عليه السلام اعترفوا بخطئهم وطلبوا من أبيهم أن يستغفر الله لهم.

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ قال يعقوب عليه السلام: سوف أطلب لكم المغفرة من ربي إنه هو الغفور لمن تاب عن ذنوبه، رحيم بعباده المؤمنين. وأخر يعقوب عليه السلام الاستغفار لهم. أراد أن يستغفر في وقت السحر أو ليلة الجمعة.

وقال النسفي والخازن في تفسيريهما: وجهز يوسف عليه السلام مائتي راحلة أرسلهما إلى أبيه ليأتي بأهاليه كلهم. ولما بلغوا قريبًا من مصر استقبلهم الملك ويوسف عليه السلام والملأ في أربعة آلاف من الجنود. فلما دنوا أراد يوسف عليه السلام أن يسلم على أبيه، فقال جبريل عليه السلام: هو يبدأ بالسلام. وقال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يا مذهب الحزن، وتعانقا وبكيا ويعقوب عليه السلام يتكىء على يهوذا يمشي.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ فلما دخل يعقوب عليه السلام مع حواشيه قصر يوسف

ــ وكان قصره في المدينة ــ ضم إليه أبويه وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين مطمئنين.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ ورفع يوسف عليه السلام أباه وأمه على العرش جنب الملك وخر ليوسف أبوه وأمه وإخوته سجدًا، أي: سجدوا له ساجدين وكانت عندهم السجدة للتحية لا سجدة العبادة. وقال يوسف عليه السلام: يا أبت هذا الذي فعلتموه لي تأويل رؤياي التي رأيتها وأنا صغير، قد جعلها ربـي حقًّا ظاهرًا.

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ وقد أحسن بـي ربـي حيث أخرجني من السجن، ولم يذكر الجب كيلا يخجل إخوته، وجاء بكم من أهل البادية، من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، ومن حسن أدبه ورفقته لأخوته لم يذكر إساءة إخوته. إن ربـي لطيف بعباده لما يشاء، إنه هو الحكيم في صنعه العليم بأحوال خلقه.

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ وقال يوسف عليه السلام معترفًا بما وهب الله له: يا رب قد آتيتني من الملك، أي: ملك مصر، وعلمتني من تعبير الرؤيا، يا مبدع السموات والأرض على غير مثال سبق، أنت وليـي في الدنيا والآخرة، توفني مستسلمًا لأمرك وقضائك، وألحقني بعد مماتي بعبادك الصالحين.

وإلى هنا انتهت قصة يوسف عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ تلك القصة التي ذكرنا لك يا محمد من الأخبار المغيبة عن علمك، ونخبرها إليك بالوحي، وما كنت عندهم حاضرًا حين أجمعوا أمرهم لإهلاك يوسف وهم يحتالون على أبيهم ليأخذوه إلى البئر ويبعدوه عن أبيه.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ وما أكثر الناس بمصدقين لك يا محمد ولو حرصت عليهم بالتبليغ والإرشاد للإيمان بك فلا تحزن.

﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ ولا تطلب أنت يا محمد على تبليغ أمري إليهم أجرًا، ما هو، أي: القرآن بما فيه من الأوامر والنواهي والزواجر إلَّا تذكرة لكافة الإنس والجن ليتعظوا ويتذكروا به.

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ وكم من آية من آيات الله في السموات كالشمس والقمر والنجوم السيارة والثوابت والسحاب وإنزال المطر منه، وفي الأرض كالجبال الشامخات والبحار والأنهار والمعادن يمر هؤلاء المشركون عليها ليلًا ونهارًا ولا ينظرون إليها ولا يتأملون فيها كيف خلقت ومن خلقها؟ فلا يؤمنون بخالقها والحال أنهم عن التأمل فيها معرضون، ويكفرون بخالقها.

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ وما يؤمن هؤلاء المشركون بالله وحده إلَّا وهم يشركون بالله غيره ويعتقدون أن عبادتهم لأصنامهم تنفعهم عند الله وذلك زعم فاسد.

﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ أفأمن هؤلاء المشركون أن تأتيهم عقوبة من عذاب الله تحيط بهم فلا ينجو أحد منها؟ أو تأتيهم ساعة يوم القيامة فجأة وهم لا يشعرون؟!.

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: هذه الطريق التي أنا عليها لدعوة العباد إلى توحيد الله في العبادات، أنا ومن اتبعني بالإيمان بالله وحده على بصيرة لا شبهة ولا اعوجاج فيها، وتنزه الله عن الشركاء، وما أنا ومن تبعني من المشركين.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ وما أرسلنا رسلاً من قبلك يا محمد إلاّ رجالاً نوحي إليهم ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله وحده، ويخلصوا العبادة له، أرسلناهم من أهل المدن لا من البادية، لأن في البادية الجفاء والقساوة، أفلم يسير هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد في أرض المكذبين رسلهم من قبلهم فينظروا آثارهم المدمرة كيف كان عاقبة المكذبين من قبلهم ولم يعتبروا بها؟ ولدار الآخرة خير للذين آمنوا بالله وحده واتقوا في مخالفة ما أمر الله به وما نهى عنه. وبعد تمام البيان والتذكير وبخهم: قل لهم أفلا تعقلون ذلك؟ وتستمرون على شركهم وجهلكم؟ ويا عجب لكم!.

ويخبر سبحانه وتعالى عن أحوال الرسل من الله إلى أممهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا

ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ فإذا اشتد البلاء والتكذيب من الأمم للرسل حتى أيس الرسل من إيمان أممهم، وظن الرسل أنهم قد كذبوا بتأخير العقاب على الأمم المكذبين جاء نصرنا للرسل، فننجي من نشاء من المؤمنين بالله وحده وبالرسل، ولا يرد عقابنا عن القوم المجرمين.

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ لقد كان في قصص يوسف وإخوته وقصص الأنبياء والرسل السابقين عبرة وعظة لأصحاب العقول السليمة عن الشوائب والزيغ. ما كان هذا القرآن حديثًا يفترى من عند محمد، ولكن مصدقًا للذي قبله من الكتب المنزلة على الرسل، وبيان كل شيء من أحكام الشريعة والحلال والحرام والتوحيد والعبادات والهداية لمن آمن به، ورحمة لقوم يؤمنون بالله وحده وبرسالة الرسل وبالكتب المنزلة إليهم وبيوم القيامة.

الحمد لله، تمّت سورة يوسف بعون الله.

* * *

سورة الرعد

آياتها ثلاث وأربعون آية، وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓرۚ ﴾ سبق الكلام فيها أول سورة البقرة ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾ (تلك) إشارة إلى ما تضمنت هذه السورة من آيات الكتاب. ثم بين: والذي أنزل إليك يا محمد من ربك بالوحي هو الحق لا شك ولا شبهة ولا تناقض في عباراته وأحكامه، هو المهيمن على الكتب السابقة، وتشريعه ناسخ لشرائعها. ولكن أكثر الناس لا يؤمنون به، ولا يعتبرون بما فيه من الإعجاز والإيجاز في عباراته وقصص الأولين فيه.

ثم يذكر سبحانه وتعالى مَظْهَرَ قدرته في خلقه ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الله الذي خلق السموات السبع بغير عمد من تحتهن تستند إليهن، وأنتم ترونها لا يخفى عليكم، (ثم استوى على العرش) كما يليق بجلاله بغير تكيف وتشبيه لخلقه، وسبق الكلام عند ذلك في سورة الأعراف، (وسخر الشمس والقمر) لمصالح خلقه، كل يسير إلى منزله وفي مساره منتظم بتقدير الله عليه. لا يسبق

أحدهما الآخر في السير، فالله يدبر أمر خلقه ويبين الآيات الدالات على كمال قدرته، لعلكم أيها الناس توقنون ولا تشكون بلقاء ربكم. وأعمالكم يوم القيامة تحاسبون عليها وتجازون.

ويذكر سبحانه وتعالى الآيات الدالات على كمال قدرته في الأرض: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ وهو القادر على ما يشاء فوسّع الأرض ممتدة لمصالح الإنسان والحيوانات، وجعل فيها الجبال الرواسي لكيلا تضطرب الأرض على الإنسان، وجعل فيها أنهارًا يجري الماء فيها لمصالح الإنسان والحيوانات، يسقون مزارعهم وبساتينهم ويشربون منه. وجعل من كل نوع من الثمرات، جعل فيها زوجين اثنين حلوًا وحامضًا أو كبيرًا وصغيرًا، وجعل اختلافًا في اللون والطعم. يغشي الليل النهار مساء ويغشي النهار ليلاً صباحًا، إن في ذلك التذكير والبيان من عجائب صنع الله لقوم يتفكرون ويتأملون فيها ويتوثقون بعظمة قدرة الله.

ويذكر سبحانه وتعالى ما يدل على عظمة قدرة الله ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ وفي الأرض قطع عذبة التربة وقطع سبخة التربة متقاربات، وفي عذبة التربة ينبت الزرع بالسهولة ويربو ويخضر، وفي الأرض السبخة لا ينبت الزرع إلاّ بالصعوبة قليلاً لا يربو ويتصغر. وفي الأرض بساتين من أعناب بأصنافها، وزرع بأنواعه، وأعناب، ونخيل، جمع نخل بأصنافها، ذات صنو وغير صنو وهو الذي يطلع من أصل النخل يؤخذ ويغرس. تسقى

كلها بماء واحد، ويفضل بعضها على بعض في الطعم، وكذا في الحجم واللون، إن في ذلك علامات ظاهرات لقوم يعقلون ويتأملون فيها. وقيل: الآيات رد على أهل الطبيعي من المستشرقين الملحدين.

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ وإن تعجب يا محمد لإنكارهم برسالتك فأعجب منه قولهم: إذا كنا ترابًا رفاتًا أإنا لفي خلق جديد نبعث من قبورنا؟ وفي قولهم (أإذا كنا ترابًا) إقرار بالموت، وفي قولهم (أإنا لفي خلق جديد) إنكار للبعث. قال تعالى متوعدًا عليهم: أولئك الذين كفروا وجحدوا بربهم وقدرته، وأولئك يوم القيامة توضع السلاسل في أعناقهم، يسحبون إلى نار جهنم، وأولئك أصحاب النار هم فيها مقيمون على الأبد لا نجاة لهم منها.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ ويستعجل مشركو مكة بإنزال العذاب عليهم قبل طلب العافية في أبدانهم والخصب في أرضهم، وذلك استهزاء برسول الله، وقد مضت من قبلهم العقوبات على القوم المكذبين رسلهم، وهم مثلهم يستحقون العذاب، وإن ربك يا محمد لذو مغفرة للناس على ظلمهم إن تابوا عن شركهم وتكذيبهم عليك. وإن ربك لشديد العقاب إن أصروا على شركهم وتكذيبهم لك.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ ويقول مشركو مكة: هلا تَنَزَّل على محمد آية من ربه تدل على صدق رسالته إلينا فنصدقه؟ قال الله: إنما أنت يا محمد منذر من عذابي

إن لم يؤمنوا بـي ولم يصدقوا برسالتك. ولكل قوم هاد يدعو قومه إلى توحيدي وأن لا يشركوا بـي، وأنت مثلهم تدعو قومك إلى توحيدي وإلى الخير كله.

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ الله يعلم ما تحمل كل أنثى في بطنها ذكرًا أو أنثى، وما تنقص أرحام الأمهات عن وقت وضع الحمل، وما تزداد على وقت وضع الحمل، والمعروف تسعة أشهر مدة وضع الحمل وبعضهم حملوا قوله: (ما تغيض الأرحام) على السقط، (وما تزداد) على إكمال المدة، ونحن شاهدنا كثيرًا أن بعض المولود ولد على سبعة أشهر وبعضهم على تسع أو عشر أشهر، وكل بقدرة الله، ولهذا قال تعالى: (وكل شيء عنده بمقدار) لا يتجاوز ولا يتأخر عن القدر، وهو سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة، وهو الكبير عن كل شيء، المتعالي فوق كل شيء، وهو القاهر والمخلوقات كلها مقهورة تحت قهره وسلطانه.

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾ سواء في علم الله من أخفى كلامه عن الناس ويضمر في نفسه ومن أظهر كلامه على الناس ومن هو مختف بالليل عن الناس وسارب، أي: وظاهر في النهار، كل ذلك في علم الله. ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ لكل إنسان مؤمن حافظات من الملائكة، يتعاقب ملائكة الليل بعد ذهاب ملائكة النهار، وبعد ذهاب ملائكة الليل يتعاقب ملائكة النهار، من أمامه ومن ورائه يحفظونه من إصابة شرور الإنس والجن والحشرات بإذن الله.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ إن الله لا ينزع ما بقوم من النعم حتى يصرفوا ما بأنفسهم من النعم على غير موضعها ويبطروا بها ويرتكبوا المعاصي فيستحقوا عقوبة الله، فيسلبوا منهم النعم ويسلط عليهم الفقر والمرض في أبدانهم، وإذا أراد الله بقوم سوءًا يعاقبهم به، فلا مرد لعذابه لهم، وما لهم من دون الله من وال يتولى عليهم ويدفع عنهم عقاب الله.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن عظمة قدرته وامتنانه على الإنسان أنه هو الله الذي يريكم أيها الناس البرق، وهو النار الصاعقة التي تخرج من تصادم السحاب قبيل المطر، وفي حالة نزول المطر فيخاف الإنسان من الصواعق، وإذا نزلت أيّ مكان دمرته، ويطمع الإنسان بالغيث. والله ينشىء، أي: يكّون السحاب المحملة بالماء فيمطر حيث أمر الله فيه.

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ (ويسبح الرعد بحمده) الرعد هو صوت قوي مفزع يخرج من تلاطم السحاب، تسبيحه: سبحان الله والحمد الله، وتسبح الملائكة خوفًا وهيبة من قهره وجلاله، ويرسل الله الصواعق فيصيب بها من يشاء هلاكه بها. وهم، أي: مشركو مكة يجادلون مع رسول الله في ذات الله. وورد أن رجلاً من المشركين قال: ربكم من ذهب أو فضة، فأرسل الله عليه الصاعقة فنزلت عليه في حالة مجادلته فأهلكته. وهو سبحانه وتعالى شديد البطش والانتقام والأخذ.

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾﴾ الدعوة الحق لله تعالى لا لغيره، والذين يدعونهم من دون الله لا يجيبون لدعائهم بشيء. ما إلاَّ كمن بسط، أي: مد يديه مفرقًا أصابعه إلى الماء ليبلغ الماء إلى فمه، وما الماء ببالغ فيه، وما دعاء الكافرين أصنامهم إلاَّ في خطأ عن طريق الحق والهدى، وأهل الضلال لا ينجحون أبدًا.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾﴾ ولله يسجد الملائكة في السموات، والمؤمنون من الإنس والجن يسجدون طائعين في الأرض لأمر الله، والكافر لا يسجد، وإنما ينقاد لأمر الله وقت الاضطرار للانقياد والإيمان، والمنافقون من الإنس والجن يسجدون كارهين، وظِلاَلُهُم، أي: الظلال تسجد بأول النهار، وهي صلاة الصبح والآصال: جمع أصيل بعد الزوال (الظهر والعصر) وبعد غروب الشمس (المغرب) وبعد زوال الشفق الأبيض (العشاء) ولكل صلاة لها وقت. لا يجوز تقديمها على وقتها، ولا تأخيرها عن وقتها. قال تعالى: ﴿إن الصلواة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا﴾.

﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله مَنْ خالق السموات والأرض ومدبرهما؟ فإن لم يجيبوا لك، قل لهم: الله خالقهما ومدبر أمرهما ومن فيهما، ثم قل لهم: أفتخذتم غير الله أولياء لا يملكون لأنفسهم جلب نفع ولا دفع ضر عن أنفسهم؟ لأنهم جمادات، فالاستفهام للإنكار والتوبيخ. ثم قل لهم يا محمد: هل يستوي أعمى العين، والبصير الذي يبصر بعينه؟

أم هل تستوي ظلمات الليل وضوء النهار؟ فهذان لا يستويان. وضرب المثل للتبكيت والتعجيز عليهم.

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ بل جعل هؤلاء المشركون لله شركاءَ أصنامهم، وأصنامهم مخلوقة كسائر خلق الله، فتشابه الخلق عليهم، أي: فتشابه خلق أصنامهم كسائر خلق الله، قل لهم يا محمد: الله خالق كل شيء، وأصنامكم من جملة المخلوقين، وهو سبحانه وتعالى الواحد في ذاته وصفاته، لا يماثله شيء من مخلوقه، هو القهار فوق عباده.

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ والله أنزل من السماء ماء المطر (فسالت أودية) جمع وادي، وهو الشعب ما بين جبلين، أي: سال ماء المطر في الأودية بمائها، فاحتمل سيل الماء زبدًا رابيًا، وذلك أن الرغوة تعلو فوق ماء السيل، وسيأتي بيانها. ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية للزينة من ذهب أو فضة أو من نحاس لمتاع البيت زَبَدٌ مثل الرغوة والغثاء. وهكذا يضرب الله الأمثال للحق والباطل من الأمور. ثم سبحانه وتعالى يبين المثلين: فأما الزبد فيذهب جفاء، أي: غثاء يطيره الهواء وهذا مثل للأمور الباطلة، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، أي: يثبت في الأرض وهذا مثل للحق، يعني يثبت الثواب عند الله، مثل ذلك البيان يضرب الله الأمثال لمن يسمع ويتأمل فيها ويتعظ.

﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ للذين استجابوا بالإيمان والطاعة لأمر ربهم الحسنى، تأنيث حسن، هي الجنة، سيدخلون فيها ويتنعمون فيها على الأبد. والذين لم يستجيبوا للدعوة إلى الإيمان بربهم والطاعة لأمره يتمنون لو أن لهم جميع ما في الأرض من الكنوز والمعادن ومثله معه لقدموه فداء لهم عن كفرهم ومعاصيهم، ولن يتقبل الله منهم، أولئك لهم سوء الحساب بالتهديد والمناقشة، ومأواهم، أي: مرجعهم ومقرهم جهنم، وبئس المهاد، أي: بئس ما هيأ الله لهم من نار جهنم.

قال تعالى تفريقًا بين فريقين: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾ أفمن يعلم أن الذي أنزل إليك يا محمد بالوحي من ربك هو الذي على الحق فآمن به وعمل بما فيه كمن هو أعمى البصيرة لا يؤمن بما أنزل إليك ولا يطيع أمر ربه؟ لا يستويان أبدًا. إنما يتذكر ويتعظ أصحاب العقول السليمة عن الزيغ والفساد في قلوبهم.

ثم وصف المؤمنين في دينهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ الذين يوفون بعهد الله عليهم، هو أوامره ونواهيه، ولا ينقضون العهد الموثق عليهم، وهم الذين يَصِلُون ــ من الوصل وعدم القطع ــ ، أي: يحافظون على أمر الله الذي أمر به أن يوصل: من صلة رحم والعهد وغيره، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب يوم القيامة.

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ والذين صبروا على ما أصابهم من المصائب من قدر الله عليهم طالبين رضى الله، وصلوا الصلوات المكتوبة وأقاموها محافظين على شروطها وأركانها وسننها، وأنفقوا مما رزقناهم من سعة المال على وجوه الخير سرًّا وجهرًا، يعني: يعطون الصدقة النافلة بالسر ويعطون زكاة أموالهم جهرًا ليقتدي الناس بهم، ويؤدوا زكاة أموالهم كاملة، ويدفعون عنهم بالخصلة الحسنة الخصلة السيئة، أولئك لهم عقبى الدار، أي: حسن العاقبة في الجنة.

ثم بين ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ جنات إقامة على الأبد، يدخلها الصابرون في طاعة الله وعلى المصائب، ويدخلها من صلح شأنهم من آبائهم وأزواجهم وأولادهم بتربية الإسلام. والصلاح يكون بالإيمان بالله، واتباع أوامره وأوامر رسوله ﷺ. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب الجنة، ويقولون: سلام عليكم من كل مكروه بسبب ما صبرتم في حياتكم الدنيا. فنعم العاقبة في دار الجنة.

وبعد أن ذكر الله أحوال السعداء في حياتهم الدنيا واستقامتهم في عهدهم لله وصبرهم في ابتغاء مرضاة الله وذكر الله ما أنعم لهم من النعم والكرامات في دار الآخرة أردف عليها ذكر أحوال الأشقياء، وهذه سنة الله في كتابه العزيز. فيها ترغيب لإبقاء العهد الذي بين الله وبين العبد وللصبر في طاعة الله، وترهيب عن نقض العهد وارتكاب المعاصي وقطع الرحم. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ والذين ينقضون

العهود التي عاهدوا الله عليها وأوثقوا على أنفسهم بالقبول والاعتراف، ثم نقضوا عهودهم وخالفوا أمر الله بالكفر والمعاصي وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل من صلة الرحم لذوي القرابة والأرحام ولذوي حاجة من غيرهم، ويسعون بالفساد والإفساد في خلق الله توعد الله عليهم: أولئك المتصفون بالأخلاق القبيحة وبالأعمال السيئة لهم طرد من رحمة الله في حياتهم الدنيا، ولهم في الآخرة سوء الدار، أي: دار جهنم، يخلدون فيها على الأبد.

ويخبر جل ثناؤه عن سنته في عباده. ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويضيق الرزق على من يشاء وذلك لحكمة منه جل شأنه. وفرح من وسعنا لهم أرزاقهم، وبطروا، ولم يشكروا الله، وخالفوا أمر الله، ثم زهّد العباد عن متاع الدنيا فقال: وما الحياة الدنيا في الآخرة إلاَّ متاع، أي: ليس التمتع في حياة الدنيا إلاَّ متاع قليل زائل لا دوام له. ومتاع الآخرة دائم لا يزول ولا يفنى إلى ما شاء الله، وبعض المفسرين حملوا معنى الآية على مشركي مكة وتعميمها أولى من تخصيصها.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ ويقول كفار مكة: هلا نزل على محمد آية، أي: معجزة من ربه كمعجزة موسى وعيسى عليهما السلام فنصدق رسالته من ربه إلينا؟ قل لهم يا محمد: إن الله يضل من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته فأناب لأمر ربه، وكثرة المعجزات لا تنفع، إنما الهداية والضلالة بِقَدَرِ الله ومشيئته.

ثم يذكر سبحانه وتعالى صفة المؤمنين الصادقين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الذين آمنوا بالله وحده، وتطمئن قلوبهم وتستأنس قلوبهم بدوام ذكر الله.. ويدخل في ذكر الله: تلاوة القرآن والتسبيح والتهليل وقراءة الأحاديث ودراستها وكتب الفقه وذكر عباد الله الصالحين بأوصافهم الجميلة وكل ذكر فيه اسم الله من أسمائه، فهو ذكر لله، ثم قال تعالى بحرف التنبيه: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، أي: تسكن من الوجل وتستأنس قلوب المؤمنين بهذا الذكر. ثم وصف المؤمنين الذاكرين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى، فطوبى: تأنيث طيب، أي: الجنة لهم، وهي حُسْنُ المرجع والمقر.

﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ ومثل إرسال الرسل للأمم السابقة أرسلناك يا محمد في أمة قد مضت من قبلها أمم. ثم ذكر علة الإرسال إلى قومه: لتتلو عليهم القرآن، أنزلناه إليك، وتبين لهم أحكامه ومواعظه وقصص الأنبياء، ولكن قومك لم يتعظوا، والحال أنهم يكفرون بالرحمٰن، هذا اسم من أسماء الله. قل يا محمد: هو ربي، أي: خالقي ورازقي ومدبر أمري، لا إلـٰه يعبد إلّا هو المعبود الحق، عليه اعتمدت، وفوضت أمري إليه، وإليه مرجعي وتوبتي، ويثيبني على إيماني وطاعتي.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ﴾ وهذه الآية الكريمة رد وجواب على اقتراح

مشركي مكة: اطلب يا محمد من ربك أن يسيّر الجبال عن أرضنا، ويجري العيون نزرع أرضنا، أو يتكلم الموتى ليخبرونا بصدق رسالتك إلينا. فجاء الرد: ولو أن قرآنا سيّرت الجبال بحكمه عن أماكنها أو قطعت الأرض فانفجرت به العيون فسال الماء على وجه الأرض أو يكلم الموتى فيخبروهم عن صدق رسالتك لما آمنوا بالله وحده، ولم يصدقوا برسالتك يا محمد، وذلك من شقاوتهم الأزلية وجواب لو: قل لهم يا محمد: بل لله الأمر جميعًا لا لغيره، هو يصرف الأمور كيف يشاء. وفي الآية تسلية وتثبيت للنبـي ﷺ.

﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ ﴾ أفلم ييأس، أي: لم يقنط المؤمنون عن إيمان كفار مكة؟ وقيل أفلم يعلم المؤمنون علمًا صحيحًا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا؟ ولكن مشيئته وحكمته أن يكون الناس مختلفين فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ قال ولا يزال كفار مكة على كفرهم وشركهم إلى أن تصيبهم قارعة بما صنعوا من أعمال الكفر والشرك، تفزعهم وتخوفهم، أو تنزل قارعة قريبًا من ديارهم يتطاير شرارها إلى ديارهم ويفزعون عنها، اصبر يا محمد حتى يأتي وقت وَعْدِ الله، إن الله لا يخلف الميعاد، إذا وعد أنجز في وقت مقدر عليه.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ في الآية تسلية للنبـي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم. ولقد استهزأ أقوام برسلهم من قبلك يا محمد كما استهزأ قومك عليك، فأمهلت

لهم إلى وقت ميعاد معلوم وتركت الذين كفروا في طغيانهم، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد. فاسمع يا محمد كيف كان عقابي على القوم الكافرين.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ استفهام للتقرير لصفته القيومية. أفمن، أي: أفالرب الإله الذي هو قائم دائم رقيب على أعمال وأرزاق كل نفس بما عملت، لا يخفى عليه شيء من أعمال الخلق، كمن هو بائد هالك لا يسمع ولا يبصر ولا يدفع ضرًا ولا يجلب نفعًا؟ أكلاهما سواء؟ وجعل هؤلاء المشركون أصنامهم لله شركاء، قل لهم يا محمد: سموهم لنا، أي: صفوا أصنامكم لنا، هل يستحقوا عبادتكم لها؟ أم تخبرون الله بما لا يعلم في الأرض؟ أم بظاهر من القول؟ بل بظاهر من القول تزعمون أن عبادتكم لها تنفعكم؟ قال تعالى ردًا عليهم: بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن سبيل الحق ومن يضلل الله فما له من هاد بعد الله.

﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ لهؤلاء الكفرة عذاب في حياتهم الدنيا بالقتل والأسر والخزي، ولعذاب الآخرة أشد وأمرّ وما لهم هناك من مانع يقيهم من عذاب الله.

﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ صفة الجنة التي وعدها الله لعباده المتقين في طاعته وامتثال أمره أنها تجري فيها من تحت قصورهم وغرفهم وخلال أشجار جنتهم مياه الأنهار (أُكُلها)، أي: ثمار أشجارها

دائم لا ينقطع، وظلها دائم لا ينسخ. تلك الجنة جزاء عاقبة الذين اتقوا ربهم ولم يخالفوا أمره. وجزاء عقابة الكافرين بربهم نار جهنم يخلدون فيها أبدًا.

﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ ﴾ والذين آتيناهم التوراة والإنجيل يفرحون بما أنزل إليك يا محمد بما يوافق ما في التوراة والإنجيل من ذكر مثل عبد الله ابن سلام وأصحابه من اليهود والنجاشي وأصحابه من النصارى. وإن من المتحزبين عليك من ينكر بعض القرآن عنادًا. قل لهم يا محمد إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به شيئًا وأدعو الناس إلى الإيمان بالله وحده. وإلى الله المرجع للحساب والجزاء يوم القيامة.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ ومثل إنزالنا الكتب السابقة للرسل أنزلنا هذا القرآن إليك لتحكم بين الناس حكمًا عربيًّا على لسانهم. ثم حذر نبيه ﷺ فقال: ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم، أي: أهواء الكفار والمشركين وأهل الكتاب المعاندين بعد ما جاءك من العلم الواضح والبيان لبطلان دينهم، فما لك من ولي يتولى أمرك ولا مانع من عقاب الله. الخطاب للنبي ﷺ وهو عام لأمته حتى لا يتبعوا أهواء الكافرين.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ ولقد أرسلنا رسلًا من قبلك يا محمد وجعلنا

لهم زوجات وذريات، ما قدحت عليهم أممهم فكيف يقدحون عليك بكثرة زوجاتك، وذلك حسدًا منهم. ولما طلبوا من رسول الله معجزة ليصدقوا بها برسالته أنزل الله: (وما كان لرسول أن يأتي بآية)، أي: بمعجزة من عند نفسه، إلاّ بأمر الله، لكل وقت وحال من أمر الخلق كتاب لا يتقدم ولا يتأخر عن الوقت المحدد له، يمحو الله ما يشاء من أعمال العباد من ديوان الكتبة، ويثبت ما كتبه الكتبة من أعمال العباد، وعنده أم الكتاب، أي: أصل الكتاب، لا يبدل، وهو اللوح المحفوظ.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ وإمّا نرينك يا محمد بعضًا من العذاب الذي وعدنا عليهم وأنت حي لتقر به عينك أو نتوفينك قبل نزول العذاب عليهم، فإنما عليك إبلاغ أمري إليهم، وإن لم يطيعوك، وعلينا حسابهم وجزاءهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ أولم ير هؤلاء المشركون الذي يسألون عن الآيات كيف نأتي أرض الكفرة بالنصرة للمؤمنين عليهم ويفتح الله ديارهم ويتمكن المؤمنون من ديارهم فتنقص عليهم ديارهم ويضعفون وتذهب شوكتهم؟ والله يحكم بالعدل، لا رادّ لحكمه، وهو سريع الحساب والانتقام على الكفارين والعاصين.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾ وقد مكر الكفار على أنبيائهم من قبل كفار قريش، والمكر هو إخفاء شيء مكروه يحتال به الماكر على إنسان آخر. فللّه المكر جميعًا، لا يخفى عليه شيء من مكرهم عليك يا محمد،

يعلم الله أيّ شيء يكتسبه كل إنسان، وسيحاسبه ويجازيه عليه وسيعلم الكفار يوم القيامة لمن تكون حُسْنُ العاقبة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ ويقول كفار مكة: لست يا محمد مرسلاً من ربك إلينا فقل لهم يا محمد: شهادة الله على تكذيبكم برسالتي كافية، وشهادة من عنده علم التوراة والإنجيل من مؤمني أهل الكتاب، لأن في التوراة والإنجيل مذكور ومكتوب عن رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام.

الحمد لله، تمّت سورة الرعد بعون الله.

* * *

سورة إبراهيم

آياتها اثنتان وخمسون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ سبق الكلام في أول سورة البقرة ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ هذا كتاب أنزلناه إليك بالوحي لتخرج الناس بتذكيره ومواعظه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ۝٢﴾ بأمر ربهم تهديهم إلى طريق العزيز الغالب في أمره لخلقه، الحميد، أي: المحمود بكل لسان عربي وعجمي، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، (وويل) الويل: هو الويح، أو جبل أو وادٍ من نار جعله الله للكافرين. فيه عذاب شديد للكافرين بخالقهم من العدم.

ثم ذكر وصفهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٣﴾ الذين يختارون زهرة الدنيا ويفضلونها على نعيم الآخرة ويمنعون الناس من الدخول في دين الله ويبغون سبيل الإيمان والإسلام بأن يجعلوها عوجًا على الناس أولئك في خطأ بعيد عن الرشد والهداية.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ قال تعالى: وما أرسلنا رسولاً إلى قوم إلاَّ على لسان قومه. ثم ذكر علة ذلك: ليبين لهم على لغتهم ليفهموا تذكير رسلهم، فيضل الله من يشاء ضلالته، ويهدي من يشاء هدايته، وما على الرسول إلاَّ إبلاغ أمر الله، وهو العزيز في أمره الحكيم في تدبير أمر خلقه.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ ﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا: العصا واليد البيضاء وغيرهما من المعجزات المذكورة في سورة الأعراف، بأن أخرج قومك من ظلمات الكفر بالدعوة إلى نور الإيمان، واذكر لهم أيام الله، وهن الأيّام التي نزل فيها عذاب الله على الأمم الطاغية ليتولوا عن كفرهم بالله وتكذيبهم رسولهم موسى عليه السلام. إن في ذلك التذكير موعظة وعبرة لكل صبار في طاعة الله، شكور على نعم الله.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ وإذ قال موسى عليه السلام لقومه بني إسرائيل: اذكروا نعمة الله التي أنزلها عليكم، حيث أنجاكم من قوم فرعون الذين كانوا يكلفونكم من الأعمال الشاقة ويسومونكم العذاب في الأعمال الشاقة ويذبحون أبناءكم الصغار ويتركون بناتكم حية للخدمة، وفي ذلك العذاب في العمل وذبح أولادكم صغارًا بلاء عظيم لكم. وذلك الإنجاء من عدوكم يوجب الشكر لله عليكم بطاعته.

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾ وقال موسى عليه السلام لبني إسرائيل: واذكروا حيث أعلن ربكم يا بني إسرائيل: لئن شكرتم نعمتي التي أعطيتها لكم بالطاعة لأمري لأزيدن لكم نعمتي من فضلي، ولئن كفرتم وجحدتم عليها وبطرتم بها وعصيتم أمري فاعملوا أن عذابي لشديد عليكم.

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ ﴾ ولما عرف موسى عليه السلام جحودهم على نعمة الله وإصرارهم في مخالفة أمر الله قال: يا بني إسرائيل، إن تكفروا بالله أنتم ومن في الأرض جميعًا لا يضر كفركم عليه، فإن الله لغني عن إيمانكم وطاعتكم، هو سبحانه وتعالى الغني المحمود في الأزل.

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ﴾ قال موسى عليه السلام لقومه: ألم يأتكم أخبار من قبلكم من الأمم الكافرة والطاغية بربهم والمكذبة لرسلهم، مثل قوم نوح وعاد وثمود، والأمم الذين من بعد هؤلاء، ولا يعلم عددهم إلاّ الله، جاءتهم رسلهم بالبينات، أي: بالحجج الواضحات لتصديق رسالتهم إليهم من الله، ولم يقبلوا دعوتهم وكذبوهم، فردوا أيديهم في أفواههم من شدة غيظهم على الرسل أو معنى رد أيديهم إلى أفواههم، إشارة إلى رسلهم: اسكتوا لا تتكلموا، وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به إلينا، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب، أي: موقع في الريبة والقلق في أنفسنا.

﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ قالت الرسل مجيبة لهم: أفي وحدانية الله في ذاته وصفاته شك؟ تشكون فيه؟ الاستفهام لنفي الشك، وفيه توبيخ لهم: هو فاطر السموات والأرض، أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق، يدعوكم بإرسال الرسل إليكم إلى الإيمان به وحده، ويأمركم أن تصدقوا رسله ولا تعصوه ليغفر لكم جميع ذنوبكم ـ إدخال من للتعميم والمبالغة ـ إن آمنتم بالله وحده، ولا تعصوا رسله، ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى تمام آجالكم في حياتكم، ولا يعجل عليكم العذاب، لتتوبوا عن ذنوبكم فيغفر لكم. ولم يقبل الكفار تذكير رسلهم فقالوا: ما أنتم إلاَّ بشر مثلنا، لا نطيع لكم، تريدون أن تمنعونا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟ فأتونا بحجة ظاهرة نصدقكم.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ قالت رسلهم مجيبين لهم: ما نحن إلاَّ بشر مثلكم، ولكن الله يحسن ويتفضل بالنبوة والرسالة على من يشاء من عباده، وما ينبغي لنا أن نأتيكم بآية وحجة إلاَّ بأمر الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون في كل شأنهم ويعتمدون عليه.

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ وقالت رسلهم: أيّ شيء مانع لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبيل الرشد والهداية وطرق النجاة من عذابه،

ولنصبرن على ما آذيتمونا في تبليغ أمر ربنا إليكم، وعلى الله فليتوكل المتوكلون ولا يبالون غيره.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ وقال الذين كفروا بالله وبرسالة رسل الله: لنخرجنكم من بلدنا أو لتعودن إلى ديننا، فأوحى الله إلى الرسل: لنهلكن الظالمين لأنفسهم بالكفر والتكذيب على رسل الله، ولنسكننكم أيها الرسل ومن آمنوا معكم أرض الكفرة من بعد هلاكهم، ذلك الوعد لمن خاف مقامي وعزتي وجلالي، وخاف وعيدي للكافرين بي والمكذبين برسلي.

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ واستنصر الرسل بالله على أممهم المكذبين. وهلك كل متكبر: متجبر على خلق الله معاند للحق. من أمامه عذاب جهنم، سيدخل فيها ويسقى من ماء صديد، أي: قيح ودم يسيل من أهل جهنم، يريد أن يبتلعه ولا يكاد يسيغه لكراهية ريحه ومرارته. ويأتيه الموت من كل جهة، وما هو بميت، لأن موت حياة الدنيا واحد، ولا موت في الآخرة، وأمامه عذاب غليظ أشد من العذاب الأول، والمعنى: لا يخفف عنه العذاب.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ ضرب الله مثلاً

لأعمال الكفار فقال: مثل الذين كفروا بربهم أن أعمالهم من إنفاق أموالهم للبر ومن صلة الرحم لا ثواب لهم في الآخرة، بسبب كفرهم بالله، كرماد اشتدت به الريح في يوم شديد الهبوب مطير، لا يقدرون على تحصيل شيء مما كسبوا، ذلك هو بطلان أعمالهم وهو الخسران البعيد عن كل خير.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠ ﴾ ألم تعلم أيها المخاطَبُ أن الله خلق السموات والأرض وما فيهما بالحق، لا بالعبث لتعبثوا وتلهوا فيها، إن يشاء يذهبكم ربكم أيها الكفار ويأت بخلق جديد مكانكم يؤمنون به ويطيعون أمره، وليس ذلك الإفناء والإيجاد على الله بنادر وصعب إنما أمره إذا شاء أمرًا أن يقول: كن فيكون في الحال كما يشاء.

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١ ﴾ وبرز جميع الخلائق أولهم وآخرهم من قبورهم في النفخة الثانية أحياء للحساب عند الله، فقال الضعفاء في الدنيا للذين استكبروا وتعاظموا عليهم بالتآمر: إنا كنا لكم تابعين لأوامركم علينا في الدنيا، فهل لكم قدرة تدفعون عنا من عذاب الله من شيء يخفف عنا العذاب؟، قال المتآمرون على الضعفاء في الدنيا: لو هدانا الله إلى الإيمان به والاستقامة في دينه لهديناكم إلى الإيمان بالله. اليوم لا عذر لنا ولا لكم، قد حكم الله علينا، سواء علينا أجزعنا من عذاب الله أم صبرنا على عذاب الله، ليس لنا من مخلص ولا مهرب من عذاب الله.

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ولما حكم الله لأهل الجنة ليدخلوا فيها وأهل النار ليساقوا إليها، ولام أهل النار الشيطان: أنت أغويتنا وأنت أضللتنا. وقال الشيطان: إن الله وعدكم وعد الحق، وأنا وعدتكم فأطعتموني فأخلفت عليكم وعدي، قد قضي الأمر وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم إلى الضلالة بالوسوسة والتزيين بالشهوة فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، وما أنا بمغيثكم وما أنتم بمستغيثي، إني كفرت بما أشركتموني في حياتكم الدنيا من قبل هذا اليوم. وقال إبليس في آخر كلامه: وإن الظالمين لهم عذاب أليم، أي: وإن المشركين بربهم لهم عذاب مؤلم في جهنم.

وبعد أن ذكر الله أحوال الأشقياء، يذكر أحوال السعداء، وهذه السنة لله في كتابه العزيز ليكون العبد المؤمن بين الخوف من عذاب الله والرجاء لرحمة الله فقال تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ وأدخل الملائكة الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى، لا سمعة ولا رياء، في الآخرة جنات تجري مياه الأنهار من تحت قصورهم وخلال أشجار جنتهم، مقيمين فيها بأمر ربهم، تحيتهم فيها سلام عليكم، والملائكة يسلمون عليهم.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ألم تر أيها المخاطب بعين الاعتبار وتسمع كيف ضرب الله مثلاً لكلمة طيبة هي كلمة التوحيد لا إلـه إلاَّ الله والتصديق برسالة محمد رسول الله، ضرب لها مثلاً بشجرة طيبة أصلها ثابت في الأرض وفروعها ممتدة إلى السماء، تؤتي أثمارها كل وقت، لا تنقطع أبدًا بأمر ربها، وهكذا يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ويتأملون فيها.

وبعد ذلك يذكر سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ ومثل كلمة الكفر الخبيثة كشجرة خبيثة، قيل: هي الحنظلة، طعمها مرّ وأصلها غير ثابت في الأرض، اجتثت، أي: أستؤصلت من فوق الأرض، ما لها من قرار.

فالمثل الأول للمؤمنين الصادقين في إيمانهم الراسخين لا يتزعزع أبدًا ولهم بركة في حياتهم الدنيا وثواب عظيم في الآخرة لأن إيمانهم وأعمالهم قد عرجت إلى السماء وقبلت منهم، والمثل الثاني للكافرين بربهم والمرتكبين المعاصي، لا بركة لهم في حياتهم الدنيا ولا ثواب لهم على أعمالهم الخيرية. وكفرهم بالله أبطل أعمالهم.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ يثبت الله المؤمنين في حياتهم الدنيا على كلمة التوحيد حتى يموتوا عليها ويبعثون في الآخرة من قبورهم عليها، ويضل الله الكافرين بربهم عن كل خير، ويفعل الله ما يشاء، وهو المختار في ملكه فلا اعتراض عليه.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ استفهام للتقريع والتعجب لمن يسمع: ألم تر

أيها السامع إلى قصة الذين غيّروا نعمة الله، كافرين بها، وهي نعمة الرسالة بمحمد عليه الصلاة والسلام منهم إليهم فلم يصدقوا، وكفر أشرافهم، وضعفاؤهم تبع إليهم، ولم يشكروا بتلك النعمة فأدخلوهم وأتباعهم دار الهلاك، وأشرافهم أمام القوم قائدون إلى دار البوار وهي جهنم، سيدخلونها ويحترقون ويعذبون فيها وبئس القرار فيها.

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴾ وجعل كفار مكة لله شركاء يعبدونها ليضلوا الناس عن دين الله إلى دينهم الباطل، قل يا محمد: تمتعوا في حياتكم الدنيا على شرككم وضلالتكم، فإن مرجعكم إلى نار جهنم.

﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا بي وصدقوا برسالتك: ليقيموا الصلوات المكتوبة عليهم على الوجه الأكمل، لا يتكاسلوا في أدائها، ولينفقوا مما رزقناهم من سعة المال سرًّا بالصدقات النافلة فهو أسلم لهم من السمعة والرياء، وعلانية بالصدقات المفروضة عليهم من فضل المال إذا بلغ النصاب، من قبل أن يأتي يوم لا بيع ولا شراء فيه يشترى أو يباع ليفدوا عن أنفسهم من عذاب الله، ولا صاحب يمنعهم من عذاب الله، ولا خلال، جمع خلة، هو الصاحب القريب بالمحبة والمودة.

ثم يذكر سبحانه وتعالى الآيات الدالات على عظمة قدرته في إيجاد خلقه ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الله

الذي خلق السموات السبع والأرض مثلهن ومن فيهن وأنزل من السماء ماء وقت حاجتكم فأنبت به الزروع والعشب وأخرج به الثمرات من الأشجار المثمرة رزقًا لكم، وسخر لكم السفينة لتركبوا فيها وتحملوا عليها أثقالكم في أسفاركم البحرية، ولتجري بكم بالأمن والسكينة، وسخر لكم الأنهار يجري فيها الماء، لتصل إلى زروعكم وبساتينكم فتسقونها، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، أي: يسريان بدون انقطاع إلى منالهما في الليل والنهار لمصالح الخلق إلى منتهى الدنيا، وسخر لكم الليل لتسكنوا فيه لراحتكم والنهار لتبتغوا من فضل الله لمعاشكم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ وأعطاكم ربكم أيها الناس من كل ما تحتاجون إليه وسألتموه من الله لمعاشكم وإن أردتم أن تعدوا نعمة الله عليكم لا تطيقوا ولا تقدروا أن تحصوها، لكثرتها، إن الإنسان لظلوم على نفسه بالجحود على نعماء الله وبالإصرار على معاصي الله.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ ونذكر لك يا محمد: حيث قال إبراهيم عليه السلام: يا رب اجعل هذا البلد، يعني: مكة، آمنًا لأهله وللزائرين لبيتك الحرام من الأذى والنهب، واجنبني وذريتي أن نعبد الأصنام، التي ضل بسببها كثير من الناس، فمن تبعني في ديني فهو مني، ومن عصاني ولم يتبعني في ديني من ذريتي ومن غيرهم فإنك غفور لمن تاب عن ذنوبه رحيم بعبادك المؤمنين.

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ قال إبراهيم عليه السلام تضرعًا إلى الله: يا ربنا، إني أسكنت من ذريتي: إسماعيل وأمه هاجر، بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، يا ربنا فكن عونًا لهم ليقيموا الصلاة لوجهك، فاجعل أفئدة: جمع فؤاد، وهو القلب، أي: فاجعل قلوب جماعة من الناس تحن وتميل إليهم وتحب سُكنىٰ ومكة، ويرغبون لزيارة بيتك المحرم ابتغاء مرضاتك، وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون لك.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ قال إبراهيم عليه السلام متضرعًا إلى الله: يا ربنا، إنك تعلم ما نخفي في أنفسنا ولم نظهره، وما نظهره لغيرنا، وكلاهما يستوي في علمك، ثم أكد أن الله أحاط علمه على كل شيء فقال: وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء، ثم حمد الله على نعمة الذرية فقال: الحمد لله الذي وهب لي إسماعيل وإسحاق عند كبر سني، في حال اليأس عن الذرية، إن ربي لسميع الدعاء، إذا دعاه أجابه، يا رب، اجعلني مقيم الصلاة، ومن ذريتي وفقهم ليقيموا الصلاة، يا ربنا إنك تقبل الدعاء.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ يا ربنا اغفر لي ذنوبي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الناس من قبورهم للحساب على أعمالهم عند الله. أما استغفار إبراهيم عليه السلام لوالده آزر فقبل أن يتبين له أنه عدو لله، وأما استغفاره للمؤمنين فعام إلى النفخة الأولى لفناء الدنيا وأهلها، تنتهي بها.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ لا تحسبن يا محمد أن الله غافل عما يعمل الظالمون على أنفسهم بالكفر بربهم وما يفعلونه من المعاصي لأمر ربهم، قال تعالى: إنما يؤخر عقابهم ليوم تشخص، أي: تتفتح الأبصار جاحظة ومن شدة الخوف ومن أهوال اليوم الآخر مهطعين، أي: خاضعين متذللين لأمر الله، مقنعين رؤوسهم إلى السماء لا يرتد طرف أعينهم إليهم، وأفئدتهم هواء متحيرين خائفين من عذاب الله.

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ وخوف الكفار يا محمد عذاب يوم يأتيهم لا محالة، فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي: يا ربنا،، أمهلنا إلى زمن قريب نجب دعوة رسلك إلى الإيمان بك ونتبع رسلك ولا نخالفهم. ويقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل هذا اليوم: لا بعث ولا حساب،، ليس لكم من ناصر يمنعكم اليوم من عذاب الله.

﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ وسكنتم في ديار الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي بربهم فأهلكناهم، وشاهدتم ديارهم، وظهر لكم آثارهم، وكيف فعلنا بهم، وذكرنا لكم قصتهم بضرب الأمثال فلم تعتبروا بها ولم تتذكروا ولم تتعظوا.

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ

مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ وقد مكر مشركوا مكة برسول الله والمؤمنين ولكن عند الله جزاء مكرهم. وإن كان مكرهم قوي ومؤثر لتزول الجبال عن أماكنها من تأثير مكرهم عليها، فالله أقوى منهم، وأخذه أسرع من مكرهم.

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ فلا تحسبن أيها المخاطب أن الله مخلف وعده لرسله، إن الله غالب في انتقامه من أعدائه، وهو سبحانه وتعالى مالك الانتقام من الكافرين والمكذبين برسله.

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ قال المفسرون: تبديل الأرض والسموات، أي: تغيير صفتهما التي كانت عليهما، وهي إزالة الجبال والبحار والأنهر من الأرض، فتكون الأرض قاعًا مستويًا لا عوج فيها ولا أمتًا، والشمس والقمر والكواكب والنجوم والسحاب يزلن جميعهن من السماء، سبحان القادر على كل شيء (وبرزوا)، أي: بُعِثَ جميع الخلق من قبورهم، وحشروا لله الواحد القهار للحساب، وفصل الحكم بينهم، ففريق إلى الجنة وفريق إلى جهنم.

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ وترى المجرمين يا محمد يوم القيامة مقرنين، أي: مقيدين مع شياطنهم في الأغلال والسلاسل، ثيابهم من قطران، وهو صمغ لونه أسود كريه الريح يطلى على أبدانهم لتسرّع اشتعال النار على أبدانهم، وتغشا وجوههم النار، أي: تحيط بهم النار. وذلك العذاب ليجزي الله كل

نفس ما كسبت في حياتها الدنيا من الكفر والمعاصي، إن الله سريع الحساب على خلقه، لا يعجزه ولا يهمله كثرتهم.

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ هذا الذي ذكرنا في الآيات المتقدمة بلاغ، أي: كفاية للناس، لينزجروا عن المعاصي وأعمال الكفر والشرك والبدع، وليعلموا أنما هو إله واحد، وغيره باطل، وليذكّر ويتعظ به أصحاب العقول السليمة عن الزيغ والعناد.

الحمد لله، تمّت سورة إبراهيم بعون الله.

* * *

سورة الحجر

آياتها تسع وتسعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر﴾ سبق الكلام في أول سورة البقرة ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ هذه آيات الكتاب، يعني: التوارة والإنجيل القرآن، وآيات قرآنٍ كامل مبين لأحكام العبادات والمعاملات والحلال والحرام.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ ربما يتمنى الكفار على ضعف منهم عند معاينة أهوال يوم القيامة لو كانوا مسلمين في الدنيا لأمر الله.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ اتركهم يا محمد يأكلوا كالبهائم ويتمتعوا في حياتهم الدنيا ويلهيهم الأمل عن الآخرة، سوف يعلمون ما يكون عليهم من العقاب.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ وما أهلكنا من أهل قرية ظالمة إلاَّ ولإهلاكها كتاب معلوم، أي: وقت وأجل محدود لا يتجاوز عنه ولا يتأخر.

﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ ما تتقدم أمة ظالمة وقتها الذي قدَّر لها بلوغه للعذاب أو الموت بالهلاك، ولا يتأخرون عن الوقت المضروب لهم.

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ وقال كفار مكة: يا أيها الذي نزل عليه القرآن ـ وعبّر بالذكر لأن فيه ذكر وموعظة ـ إنك لمجنون، لا نصدق أخبارك.

وقالوا: ﴿ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ لولا تأتينا بالملائكة يا محمد لنصدق رسالتك من الله إلينا حقًّا إن كنت من الصادقين في دعواهم، فائتنا بهم حتى نصدقك.

فرد الله عليهم ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ ما ننزل الملائكة إلّا بالعذاب لإهلاك قوم ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي، وما كان القوم المجرمون إذا نزل العذاب عليهم من الممهلين عذاب الله.

ثم زاد الله عليهم تقريرًا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ إنا نحن نزلنا القرآن على محمد ليذكِّر قومه بتذكيره ومواعظه، وإنا له لحافظون عن التغيير والزيادة والنقصان إلى حين يرفع من المصاحف ومن صدور القراء، بخلاف الكتب المتقدمة لأنها لم يتكفل الله بحفظها.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠﴾ ولقد أرسلنا رسلاً في فرق وأمم متفرقين من الأولين من قبلك ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾ كما استهزأ بك قومك. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾ كما سلكنا الكفر في قلوب فرق

الأولين نسلك ونثبت الشرك والضلالة والتكذيب على الرسل في قلوب المجرمين.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ لا يؤمن كفار مكة بالقرآن أو برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وقد مضت سنة الله في إهلاك من مضت سنتهم بتكذيب رسلهم. وفي الآية إنذار لكفار مكة.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ قال تعالى إشارة على جراءة كفار مكة: ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فصاروا وبقوا يجتهدون ليصعدوا إلى السماء وإن لم يروا شيئًا من ملكوت السماء ﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ لقالوا: إنما سدّت وحجبت أبصار أعيننا عن رؤية شيء من السماء، بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد.

ويذكر سبحانه وتعالى الآيات الدالة على كمال قدرته في السماء الدنيا ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر والكواكب السيارة، وزينا السماء بالنجوم، وحفظناها من كل شيطان رجيم، أي: لعين، إلاَّ شيطان استرق السمع إلى أخبار السماء فيلحقه بهذا الاستراق شهاب، أي: نار فتحرقه.

ويذكر سبحانه وتعالى الآيات الدالة على كمال قدرته ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ والأرض وسعناها وجعلنا فيها الجبال الرواسي لتسكن، وذلك لما خلق الله الأرض على الماء فالأرض ترتجف ولم تسكن، فخلق الجبال الرواسي فيها فسكنت

الأرض. وأنبتنا في الأرض من كل الزروع والأشجار المثمرة وغير المثمرة على قدر موزون على كفايةٍ لمعاش كل ذي نسمة من الإنسان والجن والحيوانات والطيور والحشرات.

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وجعلنا لكم أيها الناس في الأرض معايش: جمع معيشة، أي: تعيشون فيها في حياتكم والذي جعلناه تحت ملككم من العبيد والحيوانات والطيور لستم لهم برازقين إنما رزق جميع الخلائق علينا.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ ما من شيء من الأرزاق إلاَّ خزائنه مستودعة عندنا، وما ننزل الرزق إلاَّ بقدر معلوم لوقت حاجة العباد على حسب مشيئتنا.

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ويذكر سبحانه امتنانه لعباده: وأرسلنا الرياح لواقح تلقح السحاب تملأ فيها ماء، وتلقح الأشجار تنمو وتثمر، وأنزلنا من السحاب ماء لوقت حاجتكم فأسقيناكم ماء عذبًا لشرابكم ولزروعكم وبساتينكم، وما أنتم أيها الناس للماء بخازنين.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ وإنا لنحن نحيي كل ذي نسمة بالإيجاد للوجود وبالإماتة للفناء، ونحن الوارثون، أي: مالكون بعد ذهابهم للفناء.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ ونحن نعلم يا محمد المتقدمين في الصف الأول والمتأخرين أو من خرج من الخلق ومن زال في أصلاب الرجال ومن

مضى من الأمم ومن بقي، وإن ربك يا محمد هو يحشر الناس للحساب والجزاء يوم القيامة إنه جل شأنه حكيم فيما صنع في خلقه وعليم بأحوالهم، وخلق كل شيء لحكمة وعلم لا بالعبث.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ ولقد خلقنا أبا الناس آدم من طين يابس، إذا نقر عليه يسمع مثل صوت صلصلة، من طين أسود متغير ريحه مصور. وخلقنا إبليس أبا الجن قبل خلق آدم من نار السموم، أي: ذات السموم من شدة حرارتها.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ تقدم تفسير صلصال وحمأ.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فإذا أكملت صورة آدم ونفخت فيه الروح التي يحيا بها الإنسان للإحياء من أمري ـ وإضافة الروح إليه تعالى للتشريف لآدم عليه السلام ـ فإذ أمرتكم أن تسجدوا فقعوا له ساجدين، تحية لآدم.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ممتثلين لأمر الله سجود وتحية، ولكن إبليس امتنع أن يسجد مع الملائكة.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قال الله تعالى: أيّ شيء حدث لك أن لا تكون مع الساجدين لآدم ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ قال إبليس عليه اللعنة: لا ينبغي لي أن أسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ـ تقدم تفسيرهما آنفا ـ

ودل جوابه أنه خلق هو من نار، والنار أفضل من طين فهو أفضل من آدم.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ ﴾ فاخرج من الجنة فإنك مرجوم مطرود من رحمتي، وإن عليك لعنة الملائكة والناس أجمعين إلى يوم يبعث الناس من قبورهم للحساب وفصل الحكم بين الفريقين المؤمنين والكافرين.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ ﴾ قال إبليس: فأمهلني وأخرني إلى يوم يبعث الخلائق من قبورهم أحياء للحساب والجزاء، قال تعالى: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم. قال المفسرون: إن اليوم المعلوم هو يوم النفخة الأولى، فيموت فيها جمع الخلائق، وإبليس من جملتهم يموت، ويبعث مع الخلائق في النفخة الثانية.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ ﴾ قال إبليس: يا رب بما أضللتني وأخرجتني من الجنة لأزينن لهم بالوسوسة الفواحشَ وغيرها من المعاصي ما داموا في حياتهم على أرض الدنيا، ولأغوينهم أجمعين، أي: أبعدهم عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة إلاَّ عبادك الذين أخلصتهم لطاعتك لا سلطة لي عليهم.

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢ ﴾ يعني: هذا الطريق الذي أمرت عبادي أن يسيروا فيه ولا يزيغوا عنه مستقيم على مرضاتي ثم قال: إن عبادي ليس لك عليهم

تسلط لإغوائهم، ولكن فقط لك سلطان على من اتبع إغوائك من الضالين عن طريق الهداية.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ وإن جهنم لموعد إبليس وأتباعه أجمعين، ولجهنم سبعة أبواب، لكل طبقة باب، يدخل أهل جهنم كل من الباب المخصص على حسب أحوالهم، لأن عذاب جهنم يتفاوت، بعضه أشد من بعض، والدرك الأول أخف عذابًا، والدرك الأسفل أشد عذابًا، وكذا بين الدركات.

ثم يذكر سبحانه وتعالى مقام المتقين في الجنة، وهذه سنة الله في كتابه العزيز، فيه ترهيب بعقاب الله وترغيب لطاعة الله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ إن الذين اتقوا الشرك وأعماله، والمعاصي خائفين من عقاب الله في حياتهم الدنيا، فهم في الآخرة في جنات وعيون تجري أمام قصورهم وخلال أشجارها، ويقال لهم بالتشريف: ادخلوا جنتكم بسلام آمنين من كل آفة ونزعنا ما في صدورهم من غل، أي: من بغض وعداوة وبخل ليكونوا إخوانًا متحابين، وهم يجلسون فيها على سرر متقابلين وجهًا لوجه لا يمسهم في الجنة تعب، فالراحة دائمة، وما هم عنها بمخرجين.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ أخبر يا محمد عبادي المؤمنين أني أنا الغفور لذنوبهم، وإن لم يشركوا بـي، رحيم بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ وأخبر أصحابك عن ضيف إبراهيم، حين دخلوا عليه فقالوا: نسلم عليك سلامًا، قال إبراهيم عليه السلام: إنا خائفون منكم. قالوا: لا تخف إنا جئناك لنبشرك بغلام عليم، أي: كثير العلم.

﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام: تعجبًا: أبشرتموني بالولد عند كبر سني والهرم؟ فبأي سبب تبشرون بالولد؟ قالوا بشرناك بالأمر الثابت من الله، فلا تكن يا إبراهيم من القانطين من رحمة الله، قال إبراهيم عليه السلام: ومن يقنط، أي: أيّ أحد ييأس من رحمة ربه، فلا ييأس من رحمة ربه إلاَّ القوم الخاطئون عن طريق الهداية والإيمان إلى الكفر والعصيان.

وبعد المحاورة ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام: فما الذي جئتم به من عند ربكم أيها المرسلون؟ قال الملائكة: نحن أرسلنا إلى قوم مجرمين لنهلكهم، إلاَّ من آمن بلوط وأطاعوا أمره، فإن نحن منجوهم أجمعين من عذاب الله، ولكن امرأته بضلالها كانت من الباقين في الهلاك.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فلما جاء الملائكة المرسلون آل لوط عليه السلام قال لوط عليه السلام: إنكم قوم

منكرون لا نعرفكم، قال الملائكة: بل جئناك يا لوط بالعذاب الموعود على قومك المجرمين الذي كانوا يشكون فيه. وأتيناك بالأمر الثابت من الله، ونحن لصادقون فيما أخبرناك، ثم أمروا لوط عليه السلام ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فسر يا لوط بمن آمن بك في جزء من الليل، واتّبع أنت وراءهم، وقل لهم لا يلتفت أحد منكم وراءه لأنه إذا وقع نظره إلى نزول العذاب يفزع، وامضوا أمامكم إلى حيث تؤمرون وهو خارج بلاد القوم المجرمين.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر بإهلاك القوم المجرمين وأن آخر هؤلاء المجرمين مقطوع بالعذاب المستأصل، لا يبقى أحد منهم، وقضى الله أمر العذاب، وأخبر نبيه لوط عليه السلام.

وسمع القوم مجيء الملائكة على صورة غلمان ذوو وجوه حسنة وأرادوا بغيتهم. قال تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ وجاء قوم لوط المجرمون، وهم أهل مدينة سدوم، يستبشرون ويفرحون عندما علموا أن في بيت لوط غلمان حسن الوجوه وأرادوا أن يدخلوا بيت لوط عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾﴾ قال لوط عليه السلام للقوم: إن هؤلاء ضيفي يجب علي إكرامهم فلا تفضحوني بما تريدون فيهم، فخافوا الله ولا تخزوني أمام ضيفي.

﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾﴾ قال القوم: أولم ننهك يا لوط أن تجير أحدًا من العالمين وتمنعنا عما نريد؟ ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ قال لوط عليه السلام مشيرًا إلى بناته وبنات المؤمنين: هؤلاء بناتي أزوجكم إياهن بنكاح شرعي إن كنتم فاعلين ما قلت لكم.

وبعدما أخبر الله قضيتهم للنبي ﷺ قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ أقسم الله بحياة محمد عليه الصلاة والسلام أو بحقه على أمنة: لعمرك يا محمد إن هؤلاء القوم لفي جهلهم وغفلتهم في قبح بغيتهم يعمهون، أي: يترددون ويتغيرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ فأخذتهم صيحة جبريل عليه السلام وقت شروق الشمس، فإذا أمرنا جبريل أن يجعل ديارهم مع أهلها عاليها إلى سافلها، فرفع ديارهم مع أهلها إلى السماء، وسمع أهل السماء صوت الديكة ونباح الكلاب، وقلبها إلى أسفلها، وأمطر عليهم حجارة مطبوخة في نار جهنم، وفي كل حجر مكتوب اسم من يرمى عليه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ إن في ذلك التدمير وإهلاك القوم المجرمين وإبقاء آثار ديارهم لعبرات للمتأملين عاقبة الأمور ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ وإن آثار ديارهم لفي طريق ثابت لا يزال أبدًا، كل من يمر عليها يبصر برؤية العين تلك الديار بين الأردن وفلسطين، وماؤها مالح لا يشربه إنسان ولا بهائم ويسمىٰ اليوم بحر لوط. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ إن ذلك المذكور لعبرة وعظة للمصدقين ليتحذروا عن مثل هذه الأفعال الخبيثة.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ وقد كان الشأن في أصحاب الأيكة قوم شعيب عليه السلام أنهم ظالمين لم يؤمنوا برسالة شعيب عليه السلام واستعصوا عليه، فظلموا أنفسهم بإيجاب العقوبة عليها، فانتقم الله منهم في حر شديد، استمر سبعة أيام، أرسل الله

إليهم سحابًا أظلهم فكانوا تحته، وأرسل الله نارًا فأحرقتهم. وإن ديار قوم لوط وديار قوم شعيب عليهما السلام بطريق معلوم يمر الناس عليها في أسفارهم إلى فلسطين والشام. وسميت الطريق إمامًا لأن الناس يأتمون بها إلى ما يريدون، كيلا يخطؤون في الطريق.

قال الله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين، الحجر: ديار قوم ثمود، أرسل الله إليهم صالحًا عليه السلام، فكذبوه، لأن تكذيب رسول واحد تكذيب جميع الرسل، لأن دعوتهم واحدة، والحجر بلد ما بين المدينة المنورة وتبوك، قريبًا من الفلا، وآتيناهم الناقة أخرجناها من صخرة وكانت غزيرة اللبن، يشرب جميع القوم يومًا، ويومًا هي تأكل وتشرب وتذهب حيث شاءت لا يتعرض لها أحد. وتلك آيات عظيمة لمن يتأمل ويتفكر، وكانوا عن الآيات معرضين، ولا يصدقون بآيات الله، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين، أي: ليسكنوا فيها في فصل الشتاء آمنين من البرد، وعصوا نبيهم صالحًا وعقروا الناقة فاستحقوا عقاب الله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ سبقت قصة ثمود بالبيان في سورة هود.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ قال ما خلقنا السموات والأرض وما فيهن من الخلائق إلّا بالحق لا بالعبث، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وإن ساعة وقوع يوم القيامة لآتية لا محالة، فاصفح يا محمد الصفح الجميل عن إساءة المشركين وأعرض عنهم. وقال الخازن: الصفح والإعراض

عنهم منسوخ بآية القتال ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾ إن ربك يا محمد هو خالق كل شيء عليم بأحوالهم.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ ولقد أعطيناك يا محمد سبع آيات هي سورة الفاتحة تثني قراءتها في كل ركعة في الصلوات المكتوبة والنافلة، وأعطيناك القرآن العظيم الشأن، فيه ذكر كل شيء يغنيك ومن آمن به عن كل شيء.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ ولا تمدن عينيك يا محمد إلى ما أعطينا لبعض الكفار أصنافًا من الأموال، فتلك زهرة لمدة حياتهم الدنيا هي تزول وتفنى، ولا تحزن لامتناعهم عن الإيمان بك. واخفض جناحك، أي: تواضع لمن آمنوا بي وصدقوا برسالتك ولا تجبرهم على ما لا يطيقون من الأوامر ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ٨٩﴾ وقل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين عاندوا عليك: أنا المنذر الظاهر من عذاب الله، إن لم تؤمنوا بالله وحده ينزل عليكم عقابه.

﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١﴾ في الآية وعيد على كفار مكة، أي: ننزل عليهم العقاب مثل ما أنزلنا العقاب على المقتسمين الذين جعلوا القرآن أجزاء، وفرقوه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وقد يراد بهم المشركين وقد يرد بهم اليهود والنصارى. قالت اليهود والنصارى نؤمن ببعض القرآن ونكفر ببعضه، وكل فريق منهم آمنوا بما وافق آراءهم وكفروا بما خالف عليهم.

قال الله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ وفي هذه الآية تسلية للنبي ﷺ، يقسم سبحانه وتعالى بذاته: فوربك يا محمد

لنسألنهم أجمعين يوم القيامة عما كانوا يعملون من الكفر والشرك بربهم والعناد عليك والمؤمنين. ونعاقب عليهم.

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾، أي: اجهر بتبليغ ما تؤمر إبلاغه وأعرض عن أذى المشركين، إنا كفيناك شر أعدائك المستهزئين عليك وعلى المؤمنين، وهم الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى ليعبدوها، دعهم فسوف يعلمون ما نزل عليهم من عقاب الله.

ثم يسلي نبيه ﷺ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون في شأنك من الاستهزاء والسخرية، فافزع بالتسبيح بحمد ربك، وكن مع المصلين بالصحبة والاستئناس معهم، واستقم بعبادة ربك حتى يأتيك اليقين، أي: الموت، وهو الفناء من الدنيا، وسمي الموت يقينًا لإتيان الموت لكل ذي نسمة، يقينًا لا شك فيه.

الحمد لله، تمّت سورة الحجر بعون الله.

* * *

سورة النحل

آياتها مائة وثمان وعشرون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾ قال المشركون: يا محمد، قلتَ: اقترب قيام الساعة، وتخوفنا منها، فمتى تأتي؟ فأنزل الله: أتى أمر الله فلا تستعجلوه، أي: قرب أمر الله لقيام الساعة فلا تستعجلوا قيامها ولا العذاب الذي أوعدكم به محمد. ثم نزه نفسه: سبحان الله وتعالى وتقدس تنزيهًا وتبرئة له عما يصفه ويشرك به المشركون في عبادتهم لغير الله، دون عبادة الإلـه الحق المعبود، ويعتقدون أنه لا بعث بعد الموت.

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢﴾ ينزل الله الملائكة بالوحي من أمر النبوة والرسالة على من يشاء من عباده بأن أنذروا الكفرة الضالة أنه لا إلـه يعبد إلا أنا الله المعبود الحق فاتقوني ولا تخالفوا أمري.

ثم ذكر آياته الدالة على كمال قدرته ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣﴾ خلق الله السموات السبع والأراضين السبع وما فيهن بالحق لا بالعبث، تعالى الله وتقدس عما يشرك المشركون.

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾ خلق الله الإنسان من نطفة أبيه النازلة في رحم أمه، فحملته حتى وضعته في وقت مقدر لوضع حملها، وربته. حتى إذا صار بشرًا كاملاً واكتمل رشده كفر بخالقه فإذا هو خصيم مبين، مخاصم ظاهر الخصومة لخالقه، وينكر البعث للحساب والجزاء.

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ والأنعام خلقها لكم أيها الناس، فيها ما تستدفؤون به من البرد من أوبارها وأصوافها لباسًا، وأشعارها فراشًا لبيوتكم، وفيها منافع أخرى تنتفعون بها، ومنها تأكلون.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ ولكم فيها زينة ومتعة حين تروح من المرعى فتردونها إلى مكان راحتها ومأواها، وحين تسرحون بها، أي: تذهبون بها إلى المرعى. وتحمل هذه الأنعام أمتعتكم الثقيلة، ـ والمقصود منها الجمال ـ إلى بلد بعيد لم تكونوا بالغيه إلاّ بتعب ومشقة لأنفسكم. إن ربكم أيها الناس لرؤوف رحيم بعباده.

وسخر لكم تلك النعم ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ وسخر لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها في أسفاركم إلى بلد بعيد أو قريب وجعلها لكم زينة وجمالاً، ويخلق الله ما لا تعلمون من الحيوانات البرية والبحرية، وسيحدث فيما بعد، لركوبكم وحمل أمتعتكم. وقد أحدث الله الطائرات والسيارات والباخرة في البحر.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾
ويبين الله الطريقين، قال تعالى: وعلى الله بيان وسط الطريق المستقيم إلى رضوانه، وبيانه بالرسل والبراهين. ومنها جائر، أي: زائغ وضلالة عن الحق، ولو شاء لهداكم أجمعين، اقتضت مشيئته وحكمته أن يكون فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠﴾ وهذا أيضًا من امتنانه جل ثناؤه، قال: وهو الله الذي أنزل من السماء ماء لوقت حاجتكم، منه تشربون، وبه ينبت شجرًا وعشبًا، وفي الشجر والعشب ترعون أنعامكم وتسيمونها، ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ ينبت لكم بماء المطر الزرع وينمو به الثمر، والزيتون والنخيل، وتثمر الأشجار المثمرة من كل أصنافها، إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرة الله لقوم يتفكرون ويتأملون فيها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢﴾ ومن امتنانه أنه جلّ وعلا سخر لكم أيها الناس الليل لتسكنوا فيه، فيذهب تعبكم بالنوم الطويل، وسخر لكم النهار لتبتغوا من فضل ربكم لمعاشكم، وسخر الشمس تضيء لكم بالنهار وسخر القمر لتعرفوا عدد الأشهر والسنين والتسجيل في الصكوك والسندات لمعاملتكم ولأوقات عباداتكم كالصلاة المكتوبة والحج والصوم. والنجوم مسخرات بأمره، ومنها السيارة والثوابت. إن في ذلك لآيات دالة على كمال قدرتنا لقوم يعقلون ويتفهمون بالتأمل والتفكر.

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ وما خلق لكم في الأرض مختلفًا ألوانه. تقدم بيانها. وفي هذه الآية أجمل تأكيدًا لما تقدم في الآيات السابقة. وقوله: (لقوم يذكرون)، أي: يتذكرون ويتعظون بها.

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ وفي هذه الآية يذكر سبحانه امتنانه بالبحر وما فيه لعباده: وهو الله الذي سخر لكم البحر لتصيدوا منه سمكًا لتأكلوا لحمًا طريًّا، وتغوصون في البحر فتستخرجون اللؤلؤ والمرجان، وتجعلونهما في لباس نسائكم زينة. وترى السفن تجري على وجه الماء ماخرة، أي: شاقة في الماء، وأنتم وأمتعتكم في السفن آمنين من الغرق، ولتبتغوا من فضل الله في سفركم للتجارة. ثم ذكر علة التسخير: لعلكم تشكرون الله عليها.

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ وألقى الله في الأرض الجبال الرواسي لتثبت الأرض كيلا تضطرب الأرض وتسكن لكم. وجعل فيها أنهارًا يجري الماء فيها فتقودونه إلى بساتينكم وزروعكم، وجعل لكم الطرق لعلكم تمشون فيها لكي تهتدون إلى مقاصدكم، وجعل لكم علامات في الطرق من الجبال والوديان وفي أسفاركم الليلية بالنجم تهتدون أفلا تشكرون الله على تلك النعم.

وبعد ذكر النعم قال تعالى منكرًا على المشركين: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ هل يستوي الذي خلق تلك النعم المتقدم

ذكرها والذي لا يستطيع أن يخلق شيئًا وهو في جملة خلق الله جمادات، ثم وبخهم وبكتهم: أفلا تتذكرون ولا تميزون بين الخالق والمخلوق ومعبوداتكم التي تعبدونها جمادات لا روح لها ولا حركة.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ وإن أردتم أن تعدوا نعمة الله لا تستطيعوا أن تحصوا عددها إن الله لغفور فيما قصرتم فيه بشكر نعمه، رحيم بعباده المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ والله يعلم ما تخفون عن الناس وما تظهرون، فعلمه محيط بكم.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ والأصنام الذين يعبد المشركون إياهم من دون عبادة الله لا يستطيعون أن يخلقوا شيئًا، وهم مخلوقون كسائر خلق الله ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ هم أموات مثل الجمادات لا روح لهم، وما يشعرون، أي: ما تشعر أصنامهم متى يبعثون، أي: عابديهم. وفي الآيتين توبيخ وتجهيل للمشركين.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ﴾ إلـهكم أيها الناس إلـه واحد هو المعبود الحق وعبادة غيره باطل ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فالذين لا يصدقون بقيام يوم القيامة للحساب والجزاء قلوبهم جاحدة بها وهم متكبرون عن الإيمان بها حقًا، إن الله يعلم ما يخفي هؤلاء المشركون من الكفر والعناد وما يظهرون من المجاملة للمسلمين، إن الله لا يحب المتكبرين عن الإيمان بالله وحده.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ وقال المفسرون: وإذا قدم الحجاج إلى مكة سألوا أهل مكة المستكبرين: ماذا أنزل ربكم على محمد؟ قالوا: أساطير الأولين، أي: أحاديث وأباطيل الأولين، قال تعالى: (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة)، وعليها يحملوا أوزار الذين يضلونهم عن طريق الهداية إلى الضلالة بغير دليل ولا إرشاد من الله. ألا ساء ما يحملون من أوزارهم وأوزار من أضلوهم. وفي الجملة الأخيرة زجر ووعيد للمشركين.

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ قد مكر الذين من قبل كفار قريش برسلهم كالنمرود وأهله بنوا صرحًا طويلاً ليصعدوا إلى السماء ليقاتلوا أهلها، فنزع الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم. وأتاهم عذاب الله من حيث لا يخطر على بالهم.

﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ وبعد العقاب عليهم في الدنيا يخزيهم الله يوم القيامة ويذلهم. ويقول الله تعالى: أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم الأنبياء؟ أحضروهم لينفعوكم من عذاب الله. قال الذين أوتوا العلم، وهم دعاة الخير: إن الخزي والسوء في عذاب الله اليوم على الكافرين الذين تتوفى أرواحهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر بربهم والعصيان على أنبيائهم. وعند رؤية العذاب يقولون مستسلمين لأمر الله: ما كنا في الدنيا

نعمل من سوء. فرد الله عليهم: بلى، إن الله عليم بما كنتم تعملون من أعمال الكفر والمعاصي والتكذيب على أنبيائكم.

﴿ فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فيقال لهم: فادخلوا أبواب جهنم مقيمين فيها على الأبد، فلبئس مثوى ومقر المتكبرين عن الإيمان بربهم وعن طاعة أمر الله.

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ ﴾ كان في موسم الحج إذا سأل الحجاج مشركي مكة عن أمر محمد عليه الصلاة والسلام؟ يقولون: هو ساحر كذاب كاهن. ويأتون عند المؤمنين فإذا سألوهم: ماذا نزّل ربكم على محمد؟ قالوا: خيرًا، الهدى، والقرآن فيه أحكام لتوحيد الله، والعبادات لله تعالى، والقصص من أحوال الأنبياء مع أممهم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قال تعالى بيانًا لجزاء المؤمنين المتقين: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ لهم في الدنيا حسنة وهي مما رزقهم من خيرها، وطاعته فيها، ولهم ثواب دار الآخرة. ولنعم دار المتقين.

ثم بين وصف خير الآخرة ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ جنات إقامة يدخل المتقون فيها، يجري ماء الأنهار أمام قصورهم وخلال أشجار بساتينهم، ولهم فيها ما يشتهون من الفواكه والأطعمة والحور العين والشراب، لهم فيها ما يشتهون. وهكذا يجزي الله الذين اتقوا من عقاب الله وامتثلوا أوامره واجتنبوا محارمه.

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ هم الذين يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، طيبين، أي: مسهلين لكي لا يفزعون ولا يخافون. يقول لهم خزنة الجنة بالتشريف: سلام عليكم من كل أذى ومكروه، وادخلوا الجنة بسبب ما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ عاد الكلام إلى تقريع المشركين: ما ينتظر هؤلاء المشركون إلَّا أحد أمرين: إما أن تأتيهم الملائكة يقبضون أرواحهم عند تمام آجالهم، أو يأتي أمر ربك عليهم بالعذاب العاجل. وهكذا فعل الذين من قبل كفار قريش من الشرك والمعاصي فأهلكهم الله وما ظلمهم بتعذيبهم، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بإيجاب العقوبة عليها بالشرك والمعاصي ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا في حياتهم الدنيا وأحاط بهم عذاب ما كانوا به يستهزؤون للحق.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ وقال المشركون احتجاجًا: لو شاء الله ما عبدنا الأصنام ولا أشركنا، ولا حرَّمنا من دونه من أيّ شيء، نحن ولا آباؤنا ــ كالبحائر والسوائب والوصيلة وكذا من الزروع ــ قال الله تعالى: وهكذا فعل الذين من قبل كفار قريش بالتكذيب والاستهزاء على أنبيائهم، ما ضروا على أنبيائهم، فما على الرسل إلَّا إبلاغ أمر ربهم على أممهم في ظاهر الحال وحقيقة الهداية على الله.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ قال تعالى: ولقد أرسلنا في كل أمة رسولاً ليدعوهم إلى الإيمان بالله وحده ويأمرهم بأن يعبدوا الله وحده ويأمرهم بأن يجتنبوا عبادة الطاغوت، وكل معبود غير الله فهو الطاغوت، فمن الناس من هدى الله إلى الإيمان والإسلام ومنهم من وجبت عليهم الضلالة، وذلك لحكمة منه جلت قدرته.

﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: سيروا في أرض المكذبين رسلهم وقد أهلكهم الله، وآثار ديارهم باقية، فانظروا إليها فاعتبروا بها، كيف كان عاقبة المكذبين رسلهم؟.

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إن تجتهد وتكلف نفسك لهدايتهم فإن الله لا يوفق الهداية لمن أراد ضلالته، وما لهم من ناصرين يمنعونهم من عذاب الله.

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وأقسم هؤلاء المنكرون للبعث بالله جهد أيمانهم: أنه لا يبعث الله من يموت، فرد الله عليهم بل ليبعثن جميع الخلق من قبورهم أحياء وليحشر لهم للحساب والجزاء وكان ذلك وعدًا عليه حقًّا لا شبهة فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله وينكرون البعث والحساب. وذلك الرد ليبين لهم الذي يختلفون فيه، وليعلم الذين كفروا بالبعث إنهم كانوا كاذبين في إنكارهم للبعث.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ أي: إنما قولنا لإيجاد شيء أو إفناء شيء إذا أردناه أن نقول له: كن كذا، فيكون في الحال كما أردنا.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ والذين هاجروا، أي: تركوا أوطانهم وأهلهم حبًّا لله ولرسوله إلى المدينة المنورة لإقامة دينهم راجين رضى الله من بعد ما ظُلِموا عند كفار مكة لننزلنهم ولنثيبنهم ولنسكنهم في حياتهم الدنيا داراً حسنة ولننصرنهم. ولأجر الآخرة أكبر، أي: الجنة لو كانوا يعلمون، أي: أهل مكة، ولرغبوا الهجرة لله ورسوله إلى المدينة المنورة ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الذين صبروا على أذى المشركين، وهم على ربهم يعتمدون ولا يبالون أذى المشركين، ويرجون رضى الله عنهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ بعد أن أنكر مشركو مكة نبوه محمد ﷺ قالوا: هلا أرسل الله إلينا ملكًا؟ فأنزل الله الآية ردًّا على اقتراحهم: وما أرسلنا رسلاً من قبلك يا محمد إلاَّ رجالاً نوحي إليهم بأمر دينهم، فاسألوا يا كفار قريش أهل الذكر، وهم أهل الكتب السابقة، إن كنتم لا تعلمون فيخبروكم، ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ أي: أرسلناهم إلى أممهم بالحجج الواضحات وبالكتب المقدسة.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ وأنزلنا إليك يا محمد القرآن بالوحي فيه تذكير وموعظة وأحكام الدين لتبين لهم ما أنزل إليهم مجملاً ولعلهم يتفكرون ويتفهمون معانيه.

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ أفأمن كفار مكة الذين مكروا بالأعمال السيئات على رسول الله والمؤمنين من الأذى والاستهزاء، أفأمنوا من أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة؟ أو يأخذهم في تقلبهم في أشغالهم؟ فما هم بفائتين من عذاب الله. أو يأخذهم على تخوف وهم منتبهون؟ فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعجلكم العقاب.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أَوَلم ينظر هؤلاء الكفار بنظر الاعتبار إلى ما خلق الله من شيء، أي: من شيء له ظلل كالجبال والأشجار وغيرهما، يتفيؤ ظلاله في أول النهار إلى اليمين وفي آخر النهار إلى الشمال، خاضعين لأمر الله وهم داخرون، أي: ذليلون منقادون لأمر الله.

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ ولله يسجد كل ما في السموات وما في الأرض من دابة، هي ما تدب على وجه الأرض من كل ذي نسمة، وكلهم خاضعون لأمر الله، والملائكة أيضًا يخافون من عقاب ربهم طوعًا أو كرهًا من غير استكبار، يرسل العذاب من فوقهم. أما الملائكة والمؤمنون فيسجدون سجدة العبادة لله تعالى، ويفعلون ما يؤمرون به ولا يخالفون أمر ربهم.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾

والخطاب للمشركين: وقال الله لا تتخذوا أيها المشركون إلـٰهين اثنين، تأكيدًا للأول، إنما هو المعبود الحق إله واحد، وغيره باطل، فإياي فارهبون، أي: خصصوا المخافة لي ولا تخافوا غيري.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ولله ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبيدًا، وله الطاعة والعبادات دائمًا ثابتة له. ثم أنكر على المشركين لعبادتهم الأصنام: أفغير الله تعبدون وتخافون منهم؟!.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ والتي أنتم فيها من نعمة فمن فضل الله بكم، وبعد ذلك إذا أصابكم ضرٌ في أبدانكم أو في أولادكم أو في أموالكم فإلى الله ترجعون وتستغيثون بالتضرع.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ وبعد استغاثكم إلى الله وكشفه عنكم ضركم رحمة منه إذا فريقًا منكم بربهم يشركون، ويتناسون نعمة الله، ليجحدوا بما آتيناهم من النعم. وقل لهم: ليتمتعوا في حياتهم الدنيا فسوف يعلمون عاقبة أمورهم في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ويجعل هؤلاء المشركون للأصنام التي لا يعلمون لها ضرًا ولا نفعًا أو هذه الأصنام لا تعلم شيئًا فيجعلون لها نصيبًا مما رزقناهم من الأنعام والزروع تقربًا لها. تالله لتُسْألن أيها المشركون يوم القيامة عما كنتم تفترون على الله بالكذب. تقدم تفسيرها في سورة المائدة.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ ويجعل هؤلاء المشركون الملائكة بنات الله. سبحانه عما ينسبون إليه. ويجعلون لأنفسهم من البنين ويكرهون البنات.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ وإذا بشر أحد المشركين أن امرأته ولدت أنثى، صار وجهه متسودًا من شدة الكره والغضب وهو كاظم غضبه، يتوارى، أي: يختفي من عشيرته حياء وخجلاً منهم من أجل كراهية ما بشر به ثم يفكر: ماذا يفعل بها؟ أيتركها لتعيش أم يدفنها في التراب حية؟ وهذا هو الوأد التي ذكر في سورة التكوير. (ألا) حرف للتنبيه لمن يسمع. بئس ما يحكم هؤلاء السفهاء.

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ للذين لا يصدقون بوقوع يوم القيامة ويصفون أن لله البنات صفة السَّوْء من الجهل والكفر وقتل الأنثى من أولادهم حية، ويزعمون أن الملائكة بنات الله، وغير ذلك مما افتروا على الله. ولله الصفة العليا، والكمال في قدرته، وهو العزيز في تنفيذ أمره على خلقه، الحكيم في تدبير شأنهم.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ ولو يؤاخذ الله الناس حالاً بكفرهم وبشركهم ومعاصيهم ما ترك على وجه الأرض من دابة، ـ وهي التي تدب وتمشي من إنسان وحيوانات ـ ، وإنما هلاك الحيوانات بشؤم الإنسان، ولكن الله يؤخرهم إلى أجل مسمى لإهلاكهم رحمة منه فإذا جاء أجلهم لإهلاكهم لا يستأخرون لحظة من الزمن ولا يستقدمون، أي: لا يستبقونها ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ

ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهون، وهو زعمهم أن الملائكة بنات الله، وتصف ألسنتهم بالكذب أن لهم الحسنى، أي: حسن العاقبة. لا محالة حقًّا واجبًا أن لهم النار، أي: عذاب في نار جهنم، وأنهم مفرطون بكسر راء اسم فاعل، أي: بالغون بالكفر والفساد والافتراء على الله وبالفتح اسم مفعول، أي: معجلون إلى نار جهنم.

قال الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ تالله يا محمد لقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك، فزين الشيطان لتلك الأمم أعمالهم الفاسدة، فالشيطان وليهم وناصرهم للكفر ولأعمالهم الفاسدة اليوم، ولهم عذاب أليم في الآخرة.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وما أنزلنا عليك القرآن إلاَّ لتبين للناس في الأمر الذي اختلفوا فيه من أحكام الشريعة في الاعتقاد والمعاملات، وفيه وهدى لقلوب المؤمنين ورحمة لقوم يؤمنون أنه كلام الله.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ والله الذي أنزل من السحاب ماء فأحيا به الأرض اليابسة بعد موتها من قحط الماء بالزروع والعشب، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون تذكير القرآن ومواعظه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ وإن لكم أيها الناس في الأنعام لعبرة ظاهرة، إذا تأملتم فيها نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم يخرج لبنًا نقيًا خالصًا سائغًا،

أي: سهل الهضم للشاربين ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ومن ثمرات النخيل، جمع نخل، والأعناب، جمع عنب، ومن ثمراتهما التمر والزبيب وتجعلون منهما خمرًا لتسكروا بها وتأكلوا رطبًا وتمرًا وعنبًا طريًّا تستحسنه أنفسكم. إن في تلك النعم لعبرة لقوم يعقلون ويفهمون ما أنعم الله عليهم وإنما قد حرم الله الخمر على عباده المؤمنين.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وألهم ربك يا محمد النحل ــ وهي تشبه زنبور ــ هي تسكن في كنف من الجبال، وتهيىء لها بيتًا، وأهل البساتين والزروع يصنعون لها بيتًا في جوف خشب، وهي تسكن فيه، وتذهب تأكل من كل زهرة وثمرة وترجع إلى بيتها، وتخرج من بطنها عسلاً حلوًا شرابًا للناس، وأما اختلاف اللون فعلى حسب لون الأكل وهذا ما شاهدنا، وفيه شفاء لكل داء من البرودية والرطوبية؛ إن في ذلك لعبرة لقوم يتفكرون ويتأملون في صنعها العجيبة.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ والله خلقكم أيها الناس من تراب لتعيشوا في حياتكم الدنيا ثم يقبض أرواحكم عند تمام آجال الحياة في الدنيا، ومنكم من يرد في حياته إلى أرذل العمر، وهي حالة الهرم والضعف في البدن، وبعض الإنسان يحدث التغيّر في عقله، وطول العمر هذا لكي لا يعلم بعد علم في قوة بدنه وطفولته شيئًا من العجز والهرم. إن الله عليم فيما صنع، قدير على إيجاد كل شيء وإفنائه.

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ والله فضل بعضكم أيها الناس على بعض في الرزق، فجعل هذا غنيًّا بسعة من صنوف الأموال، وجعل هذا فقيرًا يعيش على العسر والضيق من الرزق. وذلك لحكمة منه جلّت قدرته، فما الذين فضلوا بالرزق برادين رزقهم على ما ملكت أيمانهم فعبيدهم في الأكل والشرب والملابس والمسكن سواء، وهم لا يرضون ذلك، فكيف يشركون خلقي معي ويعبدون غيري. ثم أنكر على جهل المشركين: أفبنعمتي يجحد هؤلاء المشركون؟ ويا أسف من سفاهتهم وجحودهم بنعمة خالقهم.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ والله خلق لكم أيها الناس من جنسكم إناثًا لتتزوجوهن وتستأنسوا بهن، وجعل بينكم مودة ورحمة، وجعل لكم من زوجاتكم أولادًا وأولاد أولاد، وقيل: وحفدة جمع حافد، أي: خدام وأعوان يسرعون في خدمة آبائهم ورزقكم من المطاعم اللذائذ. وبعد ذكر النعم أنكر على المشركين: أفبأصنامهم يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون، أي: يجحدون.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ويعبد هؤلاء المشركون الأصنام من دون الله ولا يملك أصنامهم لهم مطرًا من السماء؛ لأن كل النباتات من ماء المطر ولا يقدرون على إنزال مطر لعابديهم إذا قحطوا لأن منزل المطر هو الله الواحد.

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ فلا تضربوا لله مثلاً وأندادًا، إن الله يعلم قبح ما أشركتم به، وعاقبة إشراككم تسوء عليكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، فاحذروا عن الشرك بالله.

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ وضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لغيره لا مال له ولا يقدر على التصرف بشيء، ومن رزقناه من فضلنا رزقًا حسنًا، أي: كثيرًا فهو ينفق من ماله خفية عن رؤية الناس وجهرًا يراه الناس في إنفاقه، هل يستوون في ذلك؟ قولوا أيها المؤمنون: الحمد لله بأن جعلكم الله عابدين له جلّ وعلا. ولكن أكثر الناس لا يعلمون عاقبة أمرهم ويعبدون غير الله.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يتكلم، ولا يقدر على شيء من الكلام، ثقيل اللسان لايفهم ولا يُفهم، وهو ثقيل على وليه ومحتاج إلى سيده أينما أرسله لا يأت بخير لعجزه وعدم إدراكه، لا يستوي هذا الأبكم ومن يأمر بالعدل لا بالجور وهو على صراط مستقيم لا عوج فيه ولا زيغ. إن كان حال رجلين كذلك فكيف يستوي الأمر بين أصنامهم التي لا تقدر على شيء وهن جمادات مصنوعة من حجر أو خشب، وبين الله القادر المقتدر على إيجاد كل شيء وإفنائه وهو الهادي عباده إلى صراط مستقيم إلى رضوانه.

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ ولله علم غيب السموات والأرض وهو

عالم بأسرار كل شيء، وما أَمْرُ قيام الساعة عند الله إلا كلمح طرف العين أو هو أقرب منه، إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء على إيجاده وإفنائه، إنما أمره إن أراد شيئًا أن يقول له كن كذا فيكون في الحال كما شاء.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ والله أخرجكم أيها الناس من بطون أمهاتكم سالمو الأعضاء، لا تعلمون شيئًا حين ولدتكم أمهاتكم، ولا شعور لكم، وجعل لكم السمع لتسمعوا الخطاب، وجعل لكم الأبصار تبصرون بها في ضوء النهار وظلمة الليل، وتميزون أعمالكم، وجعل الأفئدة ـ جمع فؤاد وهو القلب ـ تعقلون بها الخير من الشر لعلكم تشكرون الله بما أنعم الله عليكم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ألم يشاهد هؤلاء المشركون بنظر العبرة إلى طيران الطيور في جو السماء وهن مذللات لأمر الله بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المؤاتية ومذللات لمنافعكم، ما يمسكهن عند قبض أجنحتهن وبسطها في الفضاء إلاّ الله القادر، إن في طيران الطيور في الفضاء بغير سقوط على الأرض لعلامات دالات على كمال قدرة الله لقوم يوقنون بقدرة الله.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ والله جعل لكم مما تبنون من حجر ومدر بيوتًا تسكنون

فيها وترتاحون من الشمس والبرد، وجعل لكم من جلود الأنعام كالبعير والبقر والغنم بيوتًا، أي: خيامًا تحملونها خفيفة يوم سفركم وإقامتكم. ومن أصواف الغنم وأوبار البعير وأشعار المعز ـ جمع صوف وجمع وبر ـ تتخذون لباسًا وغطاءً في حالة منامكم وفرشًا لبيوتكم. وتمتعون بها إلى تمام آجالكم. وقوله: (جعل لكم)، أي: إلـهكم علمكم بأن تجعلوا بيوتًا تبيتون فيها وخيامًا لسفركم تأمنون فيها من الشمس والبرد والمطر من تلك الأمور التي خلقها.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ والله جعل لكم أيها الناس مما خلق من الأشجار والجبال ظلالاً تستظلون في ظلها من حر الشمس، وجعل لكم من الجبال أكنانًا جمع كن، أي: كهوفًا وغيران ـ جمع غار ـ تسكنون فيها فتأمنون من حر الشمس والبرد والمطر، وجعل لكم سرابيل من قطن أو وبر أو صوف تقيكم الحر والبرد وتستر عوراتكم، وقيل: وجعل لكم سرابيل، أي: الدروع تشبه الثياب تلبسونها في حالة الحرب تقيكم من إصابة أسلحة أعدائكم. مثل ذلك التذكير بما أنعم الله لكم يتم الله نعمته لكم لعلكم تسلمون لأمر الله وتؤمنون بالله وحده ولا تشركوا به شيئًا. والخطاب وذكر الامتنان لكفار مكة ومن حولها.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان بالله وحده ولم ينتهوا عن إشراكهم بالله ولم يصدقوا برسالتك يا محمد فلا تكلف نفسك، قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، فإنما عليك يا محمد إبلاغ أمري في

ظاهر الحال، وقد فعلت. وكفار مكة يعرفون نعمة الله عليهم ثم يجحدونها، وأكثرهم مصرون في كفرهم ويموتون عليه.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ويوم نبعث من كل أمة شهيدًا، وهو الرسول والنبي، يشهد على أمته بالإيمان أو بالكفر والتكذيب. ثم لا يؤذن للذين كفروا بالله وبرسول الله بالاعتذار إذ لا حجة لهم، ولا هم يُسترضون، أي: لا يطلب منهم أن يعملوا أمر الله لأن الآخرة دار حساب وليست دار تكليف. والمعنى أيضًا: أن الكفار يوم القيامة لا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء حجة. ﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بإيجاب العقوبة عليها بالكفر بربهم والمعاصي، إذا رأوا من العذاب الذي عليهم يستغيثون منه، فلا تنفعهم استغاثتهم ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم يمهلون عنه.

﴿ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ وإذا رأى الذين أشركوا بالله أصنامهم يوم القيامة قالوا: يا ربنا هؤلاء أصنامنا الذين كنا نعبدهم من دون عبادتك. فأنطق الله أصنامهم فألقوا إلى عابديهم القول بالتكذيب إنكم لكاذبون. وألقى المشركون إلى الله الاستسلام لأمره يومئذ وغاب عنهم معبودهم الذي كانوا يزعمون أنه يشفع لهم عند الله.

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الذين كفروا بالله ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله زدنا عليهم عذابًا على عذابهم في جهنم بسبب ما كانوا يفسدون الناس.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ ويوم القيامة نرسل في كل أمة شهيدًا من جنسهم ليشهدوا على أممهم بالإيمان بربهم أو بالكفر، به وجئنا بك يا محمد شهيدًا على قومك وسائر أمتك، فكيف حالهم عندئذ؟، قال الله تعالى: ونزلنا عليك القرآن مبينًا لكل شيء، من الاعتقاد والعبادات وأحكام المعاملات والحلال والحرام، وفيه هداية لمن آمن بالله وحده وبالقرآن، وبشارة للمستسلمين لأمر الله الجنة.

﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ إن الله يأمركم أيها المؤمنون بأن تحكموا بين المتخاصمين بالعدل وتقوموا على أمره بالعدل، وبأن تتعاملوا بينكم بالعدل فلا يجور بعضكم على بعض، ويأمركم بأن تحسنوا للفقراء والمساكين بخلقٍ حسنٍ لأنهم في ضعف وحزن، ويأمركم إيصال المنفع والشفقة لذوي قرابتكم، وينهاكم عن الفحشاء كالزنا واللواط وشرب الخمر وغيرها من أمورٍ قبيحةٍ وينهاكم عن المنكر في شريعة الإسلام، وينهاكم عن والبغي، وهو الظلم على الناس بالاعتداء والتجاوز عليهم. والله يعظكم بالتذكير في القرآن لعلكم تتذكرون وتتعظون فتفعلون المأمورات وتنزجرون عن المنهيات.

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ وأوفوا أيها المؤمنون بعهد الله إذا عاهدتم، من نذر أو عبادات بدنية أو مالية أو في المعاملات بين الناس، لأن إيفاء العهد يجب عليكم، ولا تنقضوا، أي: لا تنكثوا

الأَيمان ــ جمع يمين ــ ولا تحنثوا بها بعد توكيدها باسم الله، وقد جعلتم الله عليكم شاهدًا ورقيبًا لإيفاء العهد، فالله يعلم ما تفعلون وهو يحاسبكم ويجازيكم.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ ولا تكونوا أيها المؤمنون كالتي نقضت، أي: نكثت وحلت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، وقال المفسرون: كانت في مكة امرأة حمقاء تغزل غزلاً صباحًا وتنقض غزلها مساء، وكانت عادتها فضرب مثل عند أهل مكة لمن نقض العهد، فضرب الله بها المثل، وفي ضربه لهذا المثل تحذير من نقض العهد (تتخذون أيمانكم دخلاً)، أي: مفسدة وخيانة ومكرًا وخداعًا بينكم لأجل أن تكون جماعة أكثر عددًا وأغنى من جماعة. وكان كفار قريش يحالفون قبيلة إنهم معها وإذا رأوا قبيلة أخرى أكثر عددًا ومالاً نقضوا عهدهم وتحالفوا مع الكثير، فنهى الله المسلمين عن ذلك؛ لأن العهود مسؤول عنها عند الله إنما يختبركم الله بإيفاء العهد. وليُظْهِرَنَّ الله لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في حياتكم الدنيا.

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة على دين واحد، ولكن اقتضت حكمته ومشيئته أن يضل من يشاء، ويهدي من يشاء لا اعتراض عليه. ولتسألن أيها المؤمنون عما كنتم تعملون من خير أو شر فتحاسبون وتجازون عليه.

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٩٤ ﴾ ولا تتخذوا أيها المؤمنون أيمانكم ــ جمع يمين، وهو العهد موثق باليمين ــ دخلاً، أي: خدعًا ومكرًا ومفسدة على الناس، تغرون بها الناس، لإن فعلتم ذلك فتزل قدم بعد ثبوتها، أي: فتزل أقدامكم بعد الاستقامة على المحجة البيضاء في دين الإسلام، فتذوقوا سوء العذاب في الدنيا والآخرة بسبب ما منعتم الناس أيها المشركون عن الدخول في دين الإسلام، ولكم عذاب عظيم في الآخرة.

﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩٥ ﴾ ولا تستبدلوا أيها المؤمنون باليمين بالله ثمنًا قليلاً، أي: عوضًا قليل من حطام الدنيا، لأن الذي عند الله من الثواب هو خير لكم لا يفنى إن كنتم تعلمون وتفهمون ما ذكرناه لكم.

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٦ ﴾ في الآية تزهيد من الدنيا وتحذير من رغبتها وترغيب بثواب الله للصابرين في طاعة الله. والمعنى: الذي عندكم من حطام الدنيا ينفد ويفنى ويزول، أما ثواب الله فباق لا يفنى فهو على الأبد. ولنجزين الذين صبروا في طاعة الله ثوابهم في الآخرة أحسن ما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحات.

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧ ﴾ قال تعالى: من عمل عملاً صالحًا وهو مؤمن بالله وحده من ذكر أو أنثى فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة

بالقناعة على ما رزقه الله من الحلال والصبر على المصائب لله تعالى، ولنجزين لهم في الآخرة أحسن ما كانوا يعملون في حياتهم الدنيا.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ والخطاب للنبي ﷺ، ويتوجه إلى أمته، فإذ أردت يا محمد أن تقرأ القرآن فاستعذ أولاً بالله من وسوسة الشيطان الرجيم، أي: المطرود من رحمة الله.

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ إن الشيطان ليس له تسلط وغلبة بالوسوسة على الذين آمنوا بالله وحده، وصدقوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وهم على ربهم يتوكلون ويعتمدون إليه في كل شأنهم.

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ إنما تسلط الشيطان يكون على الذين يطيعونه ويتخذونه وليًا فيسمعون وسوسته، والذين أطاعوا الشيطان هم بالله مشركون.

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ وإذا نزلنا آية ناسخة مكان آية منسوخ حكمها ولم تنسخ تلاوتها، وذلك لحكمة منه جلت قدرته، والله أعلم بما ينزل، قال كفار قريش: إنما أنت يا محمد مفتر كذبًا لا من عند الله، قال تعالى ردًا عليهم: بل أكثرهم لا يعلمون قبح اعتراضهم على كتاب الله وبهتانهم على محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: نزل القرآن روح

القدس، هو جبريل عليه السلام، من ربك بالحق لا بالعبث ليثبت المؤمنين به وهداية لقلوبهم وبشارة للمستسلمين بأوامره بالجنة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ وقال المشركون: إن محمدًا يتعلم هذا القرآن من إنسان لا من عند الله، اختلفت الأقوال المفسرين من هو وما اسمه، والحاصل بزعمهم أنه عبد رومي، وكان عليه الصلاة يدخل عنده، وزعم المشركون أن محمدًا يتعلم القصص وأخبار الأولين منه، ورد الله عليهم وأبطل مقالتهم: ولقد نعلم أن المشركين يقولون فيك: إنما يعلمه بشر، أي: إنسان ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾، أي: إن الذي يميلون إليه ويزعمون أنك يا محمد تتعلم منه القرآن، لسانه أعجمي غير عربي ولا يفصح بالعربية. وهذا النبي لسانه عربي لا يعرف العجمية والقرآن أنزل بلسان عربي مبين، أي: فصيح، واضحة معانيه، فكيف يمكن هذا؟! فمزاعم المشركين بعيدة عن الحق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ إن الذين لا يؤمنون بهذا القرآن لا يهديهم الله إلى الرشد والهداية إلى الإيمان بالله وحده وبالإيمان بالقرآن، ولهم عذاب مؤلم في جهنم.

ثم رد الله على زعم المشركين أن رسول الله يفتري القرآن فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ إنما يفتري ويخترع الكذب على الله الذين لا يؤمنون بكتاب الله، وأولئك هم الكاذبون فيما زعموا في رسول الله.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

نزلت الآية في عمار بن ياسر، إذ أخذه المشركون فعذبوه حتى يرجع عن دين الإسلام، وعمار من شدة العذاب تلفظ بكلمة الكفر ونجّى نفسه منهم فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ أن عمارًا قد كفر فقال رسول الله ﷺ: «لا يكفر عمار قد ملأ الإيمان فيه»، فجاء عمار وهو يبكي، فقال رسول الله: «كيف تجد قلبك ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان، فقال رسول الله: «فإن عادوا فعد»، أي: فإن عادوا إليك بالإكراه إلى كلمة الكفر فعد إليها وأنت مطمئن بالإيمان لا يضر لفظك بالكفر، ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم في نار جهنم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ ذلك العذاب العظيم لهم بسبب أنهم اختاروا الحياة الدنيا ولذاتها على نعيم الآخرة، وإن الله لا يهدي إلى الرشد بالإيمان بربهم القوم المصرين على كفرهم وعصيانهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ أولئك المشركون بربهم والمعاندون لرسول الله والمؤمنين ختم الله على قلوبهم كي لا يدخل فيها خير، وعلى أسماعهم كي لا يسمعوا كلمة التذكير والموعظة، وختم على أبصارهم كي لا يروا آيات الله الدالة على كمال قدرة الله. وأولئك هم الغافلون عن عاقبة الأمور، استولت عليهم الغفلة والشقاوة، لا شك ولا ريب أنهم في الآخرة هم الخاسرون، هم في عذاب جهنم إلى الأبد.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ ثم إن ربك يا محمد للذين

هاجروا من أوطانهم وعشيرتهم حبًّا لله ورسوله إلى المدينة المنورة من بعد ما عذبوا في دين الله ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا في معركة القتال ولم يفروا إن ربك من بعد تلك المتاعب لغفور لذنوبهم رحيم بعباده المجاهدين والصابرين في طاعة الله.

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوم القيامة تأتي كل نفس تخاصم عن نفسها، يعني كل إنسان يقول: نفسي نفسي ولا ينظر إلى غيره، وذلك حين يروا أهوال يوم لقيامة وحينئذ تعطى جزاءً كل نفس بما عملت في حياتها الدنيا، وهم لا يظلمون في جزاءهم.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ وضرب الله مثلاً لأهل قرية، هي مكة، كانت آمنة من الخوف والنهب مطمئنة في سعة الرزق، والمراد أهلها، يأتي رزق أهلها من كل جهة، فكفروا بنعم الله وبطروا وعصوا ربهم ولم يصدقوا برسالة رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام، وآذوا رسول الله والمؤمنين، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف من الموت من شدة الجوع حتى أكلوا الجيف والعظام بسبب ما كانوا يفعلون لرسول الله والمؤمنين وهذا مثل لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ ولقد جاء كفار مكة رسول هو محمد عليه الصلاة والسلام برسالة من الله إليهم فكذبوه ولم يصدقوا برسالته فأخذهم الله بالقحط والجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف والعظام وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر والشرك ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا

رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ فكلوا أيها المؤمنون مما رزقكم الله حلالاً طيبًا من كسب حلال واشكروا الله على ما أنعم عليكم من فضله إن كنتم تعبدون الله مخلصين.

ثم ذكر الله ما حرم على المؤمنين ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ إنما حرم الله عليكم أيها المؤمنون لحم الميتة: هي التي ماتت بغير زكاة من مرض أو بعلة أخرى، والدم المسفوح: هو الذي يسيل من المذبوح عند الذبح، ولحم الخنزير، وكل أجزائه حرام، والذي ذبح لغير الله كذبح المشركين لأصنامهم. فمن اضطر لأكل تلك المنهيات عنها من جوع قاتل ولا يوجد غيرها فيجوز له أن يأكل منها لسد رمقه غير متجاوز عن قدر حاجته ولا عادٍ، أي: ولا متعدٍ في أكلها للذة، فلا إثم عليه، إن الله غفور لذنوبه رحيم بعباده المؤمنين. وتقدم تفسيرها، وتكرارها للتأكيد والتحذير.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ ولا تقولوا أيها المشركون لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام بغير دليل ولا حجة من الله، لأجل أن تفتروا على الله الكذب وتنسبون إليه ما ليس حق. ثم توعد الله عليهم: إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بمطلوبهم في الدنيا ولا في الآخرة فاستمتاعهم بالمحرمات في حياتهم الدنيا إنما هو متاع قليل لا بقاء له، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة لا نجاة لهم منه.

ثم يذكر سبحانه وتعالى ما حرم على اليهود ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا

قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ وعلى اليهود خاصة حرمنا الذي قصصناه عليك يا محمد في سورة الأنعام من قبل هذا الذكر وكان عقوبة عليهم، ومنها تحريم شحوم البقر والغنم على اليهود، وما حرمناه عليهم ظلمًا ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالبغي والمعاصي وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرَّم الله فحق عليهم العذاب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ يذكر سبحانه وتعالى إكرامه وغفرانه للمؤمنين التائبين عن ذنوبهم: وبعد إن ربك يا محمد للمؤمنين الذين عملوا عملاً سوءًا بجهالة وغفلة ثم تذكروا خطأهم فتابوا إلى الله من بعد وقوعهم في المعصية وأصلحوا شأنهم بالطاعة والإنابة إلى الله، إن ربك يا محمد من بعد توبتهم وإنابتهم إلى الله لغفور لذنوبهم رحيم بعباده المؤمنين.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ إن إبراهيم عليه السلام كان يقوم مقام جماعة في طاعة الله، وقيل: إمامًا لأمته في أمور دينهم، قانتًا، أي: طائعًا لأمر الله حنيفًا، أي: مائلاً عن جميع الأديان الباطلة إلى الدين الحق وهو دين الإسلام، ولم يكن من المشركين. وهذا رد على اليهود والنصارى في زعمهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يهوديًا أو نصرانيًا. وكان إبراهيم عليه السلام شاكرًا لنعم الله له، اجتباه، أي: اصطفاه للنبوة والرسالة لتبليغ أمر ربه إلى أمته، وهداه إلى طريق مستقيم إلى رضوان ربه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ وأتينا إبراهيم عليه السلام في الدنيا خصلة حسنة وهي الحلم لِخَلْق الله، والصبر في

طاعة الله، والذكر الحسن له على ألسنة جميع الأمم. وإن إبراهيم عليه السلام في الآخرة لمن جملة الأنبياء والمرسلين في أعلى مقام في الجنة.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ وبعد أن ذكرنا أوصاف إبراهيم، أنزلنا إليك بالوحي يا محمد وأمرناك أن اتبع ملته، أي: دينه حنيفًا، أي: مائلاً مستسلمًا لأمر الله، وما كان إبراهيم من المشركين. وهذا رد على مشركي مكة وادعائهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ وما كان إبراهيم عليه السلام يعظم يوم السبت بل مأمور بتعظيم يوم الجمعة، واليهود عاندوا وعظموا يوم السبت، وقد أمر الله اليهود أن يتركوا العمل والاصطياد يوم السبت ويتفرغوا لعبادة الله فيه، تغليظًا عليهم. ذلك قوله تعالى: إنما جعل السبت، أي: فَرَض الله العبادة يوم السبت على اليهود الذين اختلفوا مع نبيهم موسى عليه السلام، وهو يأمرهم بتعظيم يوم الجمعة وهم يعظمون يوم السبت عنادًا منهم لأنه بزعمهم اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق، فحكم الله عليهم أن لا يصطادوا يوم السبت ويكون يوم تفرغ للعبادة، ولكنهم استحلوا فيه المعاصي. إن ربك يا محمد ليحكم بين موسى عليه السلام وبين اليهود يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالحكم العدل، وبأن حكم الله على اليهود الذين خالفوا أمر الله وأمر موسى عليه السلام بأن يكونوا قردة وخنازير وذلك عقوبة لهم في الدنيا ولهم عذاب عظيم في الآخرة.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ ادع الناس يا محمد

إلى دين ربك ليوحدوا الله ويؤمنوا به وحده ولا يشركوا به غيره في عباداتهم بالكلمة والحكمة والموعظة الحسنة لتؤثر على قلوبهم وتزول القساوة منها وتلين قلوبهم وتميل إلى دعوتك، وجادلهم بالخصلة التي هي أحسن لتجاب قلوبهم إلى دعوتك، إن ربك يا محمد هو أعلم بمن أخطأ عن طريق الهداية إلى الضلالة، وهو أعلم بالمهتدين إلى الاستقامة في دين الله.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ وإن عاقبتم مَنْ ظَلَمَكُمْ فعاقبوا بمثل ما عوقبتم، أي: ظُلِمتُم به لا تزيدوا على المثل، ولئن صبرتم وتركتم القصاص لهو خير في الآخرة للصابرين، قال الله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ واصبر يا محمد لتبليغ أمري إليهم، وما صبرك يا محمد إلاَّ بتوفيق الله وعنايته ولا تحزن على الكفار إن لم يؤمنوا ولا على المؤمنين بما فعل بهم الكفار؛ فإن المؤمنون وصلوا إلى مطلوبهم، ولا تك يا محمد في ضيق وحرج في صدرك مما يمكرون عليك فإنه لن يصلك منه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ إن الله مع المتقين في طاعة الله واجتناب السيئات والصابرين في دعوة الناس إلى توحيد الله. ثم أكد بقوله: والذين هم محسنون في طاعة الله والصبر في دعوة الناس إلى دين الله وهو دين الإسلام.

الحمد لله، تمَّت سورة النحل بعون الله.

* * *

سورة الإسراء

آياتها مائة وإحدى عشرة آية، وهي مكية إلاَّ ثلاث آيات فهي مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ تنزَّه الله عمّا لا يليق بذاته وصفاته. هو الله الذي أسرى بعبده محمد نبيه ﷺ ليلاً، أي: في جزء من الليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله بسعة الرزق والأثمار، لنريه، أي: لنري محمدًا من آياتنا الدالة على كمال قدرتنا، ليزداد يقينًا، إنه هو السميع لأقوال العباد البصير بأحوالهم. وتفسير الإسراء والمعراج إلى ملكوت السماء سيأتي إن شاء الله في سورة النجم.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ وآتينا موسى التوراة وجعلناه هدى، أي: هاديًا لبني إسرائيل قلنا لهم أن لا تتخذوا غيري ربًّا تتكلون عليه في أموركم يا ذرية من حملنا في السفينة مع نوح، اشكروا الله لسلامة آبائكم من الغرق، إن نوحًا كان عبدًا شكورًا، أي: كثير الشكر لله تعالى.

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ قال تعالى: حكمنا إلى بني إسرائيل حكمًا مقضيًّا في التوراة: لتفسدن في أرض بيت المقدس مرتين ولتعلن على الناس علوًا كبيرًا ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ فإذا جاء وقت وعد أولى المرتين من الإفساد في خلق الله بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد قتلوا أباءكم فجاسوا خلال بيوتهم يجسون أهلها ليقتلوهم وكان ذلك وعدًا مفعولاً لا محالة. وقال المفسرون: المبعوثين عليهم هم بختنصر وقومه، وقيل سنحاريب، وقيل: جالوت.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ وبعد توبتكم عن عصيانكم رددنا لكم الكرة على أعدائكم وسلّطناكم عليهم وأمددناكم بأموال كثيرة ورزقناكم ذرية كثيرة وجعلناكم أكثر عشيرة وجماعة.

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ إن أحسنتم يا بني إسرائيل أحسنتم لأنفسكم، أي: نَفْعُ إحسانكم راجع لأنفسكم، والله غني عنه، وإن أسأتم فلها، أي: ضرر إساءتكم راجع على أنفسكم، ولا تضر إساءتكم الله بشيء. فإذا جاء وعد المرة الأخرى من إفسادكم ومعاقبتكم بعد إفسادكم في بيت المقدس بعثنا عليكم عبادًا جبارين ليسوؤوا وجوهكم، أي: ليخزوكم ويذلوكم ويقتلوكم قتلاً ذريعًا وليدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة وليدمروا دياركم ويقتلوكم ما دامو تغلبوا عليكم تتبيرًا: مصدر ذكره للتأكيد، أي: تدميرًا.

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ وهذه الآية الكريمة تتمة لقصة بني إسرائيل، وخاطب الله في الآيات المتقدمة اليهود الذين في عهده ﷺ وذكر ما سبق من أجدادهم من الفساد والإفساد في أرض بيت المقدس، وذكر انتقام الله منهم بتسليط الجبارين عليهم مرتين، وأنتم أيها اليهود إن آمنتم بالله وحده وصدقتم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام وعملتم بما في القرآن من الأوامر والنواهي، عسى الله يرحمكم في الدنيا والآخرة، وإن عدتم للإفساد بين المؤمنين والكفر بالقرآن والتكذيب برسالة محمد ﷺ عدنا بالعقاب عليكم. فسلط الله عليهم محمدًا عليه الصلاة والسلام والمؤمنين فأجلى بني النضر والقينقاع إلى خيبر وقتلوا بني قريظة وسبوا ذراريهم وغنموا أموالهم ثم نصره عليهم في خيبر، ثم قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾، أي فراشًا ومحبسًا لا خروج لهم منها أبدًا.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ إن هذا القرآن الكريم يهدي من آمن به إلى الطريق التي هي أقوم وأعدل في طاعة الله إلى رضوان الله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات لله تعالى أن لهم ثوابًا عظيمًا في الآخرة ﴿ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ وأن الذين لا يوقنون بوقوع يوم القيامة للحساب والجزاء هيأنا لهم عذابًا مؤلمًا سيذوقونه في جهنم.

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ ويدع الإنسان في حالة غضبه على نفسه أو غيره بالشر وبما لا يجب أن يستجاب له فيه كدعائه بالخير ولا يصبر ولا يتأمل عاقبة الأمور، وكان الإنسان عجولاً، أي: سريع الغضب والعجالة.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ وجعلنا الليل والنهار آيتين، أي: علامتين لمن تأمل وتفكر فيهما، وآية الليل الظلام والسكون عن كل حركة ليسكن فيه كل ذي نسمة، وآية النهار مبصرة مضيئة بالشمس لتطلبوا بسعيكم فضلاً من ربكم لمعاشكم، ولتعلموا عدد السنين والأشهر والأيام بطلوع الهلال مثلاً أول الشهر وبغيابه آخر الشهر لتسجيل التاريخ في الصكوك والسندات، ووقت صيام رمضان والحج. وكل شيء بيناه في القرآن بيانًا مفصلاً.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ وكل إنسان ألزمناه عمله في عنقه وأعماله ملزومة عليه لا تنفك عنه من خير أو شر مكتوبة في ديوان الكتبة ونخرج له عمله مكتوبًا يتلقاه منشورًا أمامه، ويقال له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ اقرأ كتاب أعمالك، كفى عليك اليوم من نفسك ومن كتاب أعمالك محاسبًا، ويوم القيامة يقرأ كل إنسان كان في الدنيا قارئًا أم أُمِّيًّا.

﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ من اهتدى بهدي القرآن إلى الإيمان بالله وحده فإنما ثواب اهتدائه لنفسه ومن ضل عن هدي القرآن وكفر به وعصى فإنما جزاء ضلالته راجع على نفسه ولا تأثم نفس آثمة إثم نفس أخرى، وما كنا معذبين قومًا بإجرامهم حتى نبعث رسولاً إليهم يذكرهم ويحذرهم عقاب الله للكافرين والعاصين وتقوم عليهم الحجة والمراد منه عذاب الدنيا.

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾﴾ اختلفت أقوال المفسرين في (قوله) أمرنا والله والمستعان بما أقول: أي: وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بإجرامهم أمهلنا المتنعمين بسعة الرزق فخرجوا عن طاعة الله وعصوا الله فيها فاستحقوا عقاب الله فدمرناها بأهلها تدميرًا تمامًا.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾﴾ وكم أهلكنا من أهل القرون بسبب كفرهم بربهم وعصيانهم على رسلهم من بعد نوح عليه السلام، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا لا يخفى عليه شيء من شأنهم إن كان ظاهرًا أو باطنًا. في الآية إنذار لكفار مكة.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾﴾ من كان يريد بسعيه الدنيا العاجلة فقد عجلنا له في حياتهم فيها ما نشاء ــ لا كل ما يريد ــ ، ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له عذاب جهنم جزاء عليه يدخلها حقيرًا ذليلاً مطرودًا من رحمة الله.

﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾﴾ ومن أراد نعيم الآخرة وعمل لها عملها وهو مؤمن بها فأولئك كان عملهم مقبول عند الله ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ كلا الفريقين نعطي من عطائنا في الدنيا، هؤلاء وهؤلاء، أي: من كان يريد الدنيا ومن كان يريد الآخرة نعطيهم في الدنيا، وما كان عطاء ربك يا محمد في الدنيا ممنوعًا، نعطي ليلاً ونهارًا لمن نشاء فالدنيا جعلها الله للمؤمن والكافر، ولكن الآخرة ليست إلاّ للمؤمن في الجنة، أما الكافر ففي الجحيم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ انظر يا محمد لعباد الله بنظر العبرة، كيف فضلنا بعضهم على بعض بسعة الرزق والجاه والشرف، هذا غني وشريف وهذا فقير وذليل، هذا حسن الخلق، وهذا سيىء الخلق وكل ذلك لحكمة منه جلت قدرته ليكون الناس على مختلف الأحوال في حياتهم الدنيا والتفاضل بالعباد ولكن الآخرة أكبر وأشرف درجات وأكثر تفضيلاً، قيل: في الجنة مائة درجة، وكل أهل الجنة يستقرون في درجتهم على قدر أعمالهم الصالحات. وفي الآية ترغيب للأعمال الصالحات.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ حذر الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام عن أعمال الشرك، والتحذير يتوجه إلى أمته ﷺ، لأنه يبلغ أمر الله إليهم، ويحذرهم عن أعمال الشرك والمنهيات، وقوله: (فتقعد مذمومًا مخذولاً)، أي: فتقعد يا محمد في الآخرة تلوم نفسك مخذولاً في الهوان والخزي لا ناصر لك من الله إن جعلت معه إلـهًا.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ وأمر ربك يا محمد أن لا تعبدوا إلـهًا غير الله، وأن تخصوا العبادة لله الواحد المعبود الحق، وأمر أن تحسنوا للوالدين إحسانًا تامًا، ولا تقصروا ببر والديكم أيها المسلمون.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ إمّا: إن شرطية وما لتأكيد الشرط، أي: إن يبلغ والداك أيها المخاطب كبر السن وأنت حيّ، أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أف، وهي كلمة التأفف يقولها الإنسان في حالة غضبه لغيره

أو ضجره منه مثل: أف عليك. ولا تنهرهما أو أحدهما إذا فعلا شيئًا وأنت تكره، وقل لهما قولاً حسنًا تطيب نفسهما منك.

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (واخفض لهما جناح الذل) هي كلمة مستعارة من خفض الطير جناحيه لفرخه من رحمة له، والمعنى: كن لينًا ومتواضعًا في خدمتهما في رحمة واحترام لهما، وقل: يا رب، ارحمهما كما ربياني وأنا طفل صغير في حجرهما ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ربكم أعلم بما في نفوسكم من البر لوالديكم أو العقوق عليهما، إن تكونوا لوالديكم في حقوقهما صالحين غير عاقين فإنه تعالى كان للأوابين، أي: التائبين عما قصروا في خدمة والديهم بغير قصد الأذى عليهما غفورًا لهم.

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ أمر الله بالبر والإحسان للوالدين، وأمر في هذه الآية بالإنفاق لذي القرابة، والمساكين، وابن السبيل: هو الذي انقطع عن ماله في السفر، ولا تبذر، أي: ولا تصرف مالك في الفساد والمعصية مفسدًا في غير طاعة الله، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين يطيعون له في وسوسته، وكان الشيطان لربه كفورًا: مبالغة كفران، أي: كثير الكفران لنعمة الله.

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ ﴾ وإن تعرض عمن سألوك لحاجة لهم وأنت ما عندك شيء تعطيهم تريد ابتغاء رحمة من ربك، أي: تطمع بغنيمة من الفتوحات بنصر من ربك تأملها

أو أنك تعرض عنهم رغبة في أن تمنعهم عن الفساد في بطر فقل لهم قولاً لينًا تطيب قلوبهم منك لا تزجرهم.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ وسبب نزول هذه الآية: جاء صبي عند رسول الله، قال: سألتك أمي كذا وكذا. فقال عليه الصلاة والسلام: «ما عندي اليوم شيء» فرجع الصبي إلى أمه فأخبرها فقالت: ارجع فقل له اكسني قميصك الذي عليك. فجاء الصبي عند رسول الله فقال: فتقول لك اكسني قميصك. فدخل رسول الله بيته فخلع قميصه فأعطاه الصبي وليس له غيره وجلس في بيته عريانًا حتى جاءه بلال. ومعنى الآية: لا تجعل يدك يا محمد مغلولة في عنقك كبخيل شحيح لا ينفق شيئًا قط كأن يده كالمغلولة في عنقه، ولا تبسط يدك في العطاء كل البسط حتى لا يبقى شيء عندك وأنت محتاج إليه، فتقعد في بيتك محبوسًا عريانًا تلوم نفسك أو يلومك غيرك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ إن ربك يا محمد يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق لمن يشاء، وذلك لحكمة منه، إنه تعالى بمصالح عباده خبيرًا بصيرًا بأحوالهم.

ثم وجه الخطاب إلى كفار مكة ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ وكان كفار مكة يقتلون بناتهم حين تولد خشية الفقر أو السبي أو يتزوجهن غير كفء، وكان عارًا عندهم. ولما جاء الإسلام نهى الله عنه، والمعنى: لا تقتلوا أيها الكفار أولادكم خشية فقر أو عار نحن نرزقهم وإياكم. إن قتل أولادكم كان ذنبًا عظيم.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ ولا تقربوا الزنا أو دواعي الزنى كالنظر إلى الأجنبية واللمس والقبل وغيرهما وما يوصل إلى الفعل الفاحش. إن الزنى كان فاحشة وبئس السبيل التي توصل من يمشي فيها إلى جهنم.

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ ولا تقتلوا أيها المسلمون نفسًا بغير موجب للقتل حرم الله عليكم إلاَّ للارتداد عن دين الإسلام، أو لقتل نفس عمدًا، أو الزاني المحصن، ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوارث المقتول تسلطًا على القاتل، فلا يتجاوز بالتعذيب على القصاص من القاتل، إن الولي يؤذن له أن يقتل القاتل قصاصًا أو يتصالح بالدية.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ ولا تقربوا أيها المسلمون مال اليتيم إلاَّ بالخصلة التي هي أحسن من تنمية أموالهم بالتجارة بغير خيانة في أموالهم، حتى يبلغ رشده فيستطيع أن يتصرف بماله بغير تضييع. وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم بين الله أو بين الناس، إن العهد كان مسؤولاً، أي: مطلوبًا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه، وإن الله يحاسب المعاهد إذا لم يف بعهده.

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ وأوفوا الموزون إذا كلتم لغيركم بمقابلة الثمن، وزنوا بالميزان أو الكيل بالعدل لا تخدعوا في الكيل والميزان. ذلك خير لكم بالبركة وثوابًا في الآخرة وأحسن عاقبة وثوابًا في الآخرة.

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ولا تتبع أيها المسلم ما ليس لك به علم حقيقي، إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك يُسألُ يوم القيامة أمام الله عن صاحبه: لم تسمع القول السوء؟ ولم نظرت إلى الأجنبية؟ أو إلى عيب الناس؟ لم تقصد نية السوء؟ أو كذا وكذا.

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ ولا تمشي أيها المسلم في الأرض مرحًا، أي: تبخترًا وتكبرًا ومعجبًا لنفسك إنك لن تستطيع أن تخرق الأرض في دوسك ولن تستطيع أن تبلغ الجبال طولاً. كل ذلك المذكور المنهي عنه يسيء صاحبه وهو عند ربك مكروهًا فاحذر عنه.

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾ ذلك المذكور في الآيات المتقدمة مما أوحى إليك ربك يا محمد من الحكمة لا العبث، تمسك بها ولا تجعل مع الله إلـٰهًا آخر في عبادتك فتلقى في جهنم ملومًا، أي: تلوم نفسك مدحورًا، أي: مطرودًا من كل خير. وذلك التحذير عن الشرك بالله والتكبر يسري إلى أمته ﷺ.

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ همزة الاستفهام للإنكار، أفخصكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثًا على زعمكم؟! سبحانه عما تقولون أيها المشركون، إنكم لتقولون على الله قولاً عظيمًا في الجرم والشناعة.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ ولقد بينا في هذا القرآن من التذكير والمواعظ وقصص الأولين وضرب المثل ليتذكر ويتعظ

هؤلاء المشركون وينزجروا عن إشراكهم بالله وضلالتهم. وما يزيدهم ذلك إلاَّ نفورًا، أي: تباعدًا عن دين الحق وعنادًا للمؤمنين.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله آلهة أخرى إذًا لطلبوا وتحسسوا طريقًا ليصلوا إلى ذي العرش والجلال ليتنازعوا الملك كما يتنازعوا ملك الدنيا. سبحانه وتعالى عما ينسبون إليه شريكًا في ألوهيته ولدًا له، وتعالى الله علوًّا كبيرًا عما يزعم المشركون.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ يخبر سبحانه وتعالى عن تسبيح الكائنات له جل جلاله وعَظُم سلطانه: تسبح لله السموات السبع والأراضين السبع ومن فيهن من حي وجمادات. ثم أكد كلامه: أنه ليس شيء من الكائنات إلاَّ يسبح متلبسًا بحمده، ولكن أيها الناس لا تفقهون تسبيحهم، ولا تسمعوها، إنه جلّ وعلا كان حليمًا، لا يعجل العقوبة على العاصين ليتوبوا وينيبوا إلى الله، غفورًا لمن تاب عن ذنوبه وأناب إليه في أمره ونهيه.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾ وإذا قرأت القرآن يا محمد لهؤلاء المشركين وتريد استماعهم لقراءتك، وهم لا يستمعون قراءتك، وجعلنا بينك وبين الذين لا يوقنون بوقوع يوم القيامة حجابًا مستورًا عن فهم معاني قراءتك، وجعلنا على قلوبهم أغطية كي لا يفقهوا قراءتك، وفي آذانهم صمًّا كي لا يسمعوا سماع تصديق بقراءتك. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى

ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ وإذا ذكرت ربك وحده عند تلاوتك القرآن وأعرض المشركون على أدبارهم نافرين، أي: كارهين لتلاوتك ولذكرك الله وحده، ثم قال:

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ كان كفار مكة يستمعون إلى قراءة النبي ﷺ بالقرآن فينفرون منه، ويقولون ساحر ومسحور، ويستهزؤون، فأنزل الله الآية: نحن أعلم بما يستمعونه من قراءتك حين تقرأ لهم يا محمد ونسمعهم حين يتناجون بينهم خفية عنك وعن رؤية أصحابك، حيث يقول الظالمون منهم لا تتبعون إلاَّ رجلاً مسحورًا في عقله.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ انظر يا محمد لشناعة هؤلاء المشركين الطاغين كيف ضربوا لك الأمثال: مرة ساحرًا ومرة كاهنًا ومرة مجنونًا، فضلوا عن طريق الهدى إلى طريق الضلالة فلا يستطيعون سبيلاً إلى الهداية أبدًا فيا حسرة عليهم يوم القيامة، وهذا حكم من الله على شقاوتهم الأبدية.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ وقال المنكرون للبعث: إذا صرنا عظامًا بالية ورفاتًا كتراب أإنا لمبعوثون من قبورنا خلقًا جديدًا؟!

﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: كونوا حجارة أو حديدًا في الصلابة والقوة أو خلقًا جديدًا مما يعظم ويتخيل في صدوركم، فسيقولون من يعيدنا إلى حالتنا هذه؟ قل يا محمد: الذي خلقكم أول مرة

من العدم للوجود. فيحركون رؤوسهم مستهزئين بك ويقولون: متى هو، أي: متى البعث والقيامة؟ قل لهم يا محمد: لعل أن يكون البعث والقيامة قريبًا وقت وقوعها في علم الله.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ يوم القيامة يدعوكم ربكم فتجيبون دعوته حامدين له حين لا ينفعكم الحمد وتظنون أنكم ما لبثتم في الدنيا إلاَّ زمنًا قليلاً من شدة أهوال يوم القيامة.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ قل يا محمد لعبادي الذين اعترفوا أني خالقهم، وهم يعبدون الأصنام أن يقولوا كلمة لا إلـه إلاَّ الله فهي أحسن من كل شيء، أو الخطاب للمؤمنين إذا جادلهم الكافرون فليقولوا لهم الكلمة التي هي أحسن من السب وغيره، وهي كلمة «هداه الله» ويصبروا على أذاهم، وهذا قبل الأمر بالجهاد، إن الشيطان ينزغ ويوقع العداوة بين المؤمنين والمشركين، إن الشيطان لكم عدو بيِّن العداوة والعناد، وذلك من لدن أبيكم آدم، وعهدُ اللعين: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاَّ عبادك المخلصين﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ ربكم أعلم بما في نفوسكم، إن يشأ يرحمكم بالتوفيق إلى الإيمان به وحده، وإن يشأ يبقكم على كفركم يعذبكم يوم القيامة في عذاب جهنم. وما أرسلناك يا محمد عليهم حفيظًا، ما عليك إلاَّ إبلاغ أمري إليهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ وربك يا محمد أعلم بمن في السموات السبع والأراضين

السبع لا يخفى عن علمه شيء من أحوال خلقه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وجعل بعضهم نبيًّا فقط وبعضهم رسولاً ونبيًّا وجعل بعض الرسل أولي العزم، وآتينا داود زبورًا. والآية رد على قول المشركين: أأرسل الله محمدًا وهو يتيم أبـي طالب دون الرؤساء وزعماء قريش؟!

والله سبحانه وتعالى عالم بمن يرسله إلى عباده لا كما يزعم المشركون.

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ادعوا أصنامكم الذين زعمتم آلهة من دون الله، تعالى الله عما زعمتم، إنهم لا يستطيعون كشف الضر عنكم، ولا تحويلاً لغيركم. وفي الآية توبيخ وتجهيل للمشركين.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان نفر من الإنس يعبدون قومًا من الجن، والجن وهم أسلموا وآمنوا بالله وحده، والذين يعبدونهم ما شعروا بإسلامهم فأنزل الله فيهم: (أولئك الذين يدعون) إشارة إلى الذين أسلموا من الجن، أو أنهم الملائكة، وقيل: المسيح، وعزير، وغيرهم، يطلبون من الله القربة والزلفة، ويتضرعون: أيّهم أقرب إلى الله؟ الذين يعبدون الجن؟ أم الذين يعبدون الله ويرجون رحمته في الجنة ويخافون عذابه في النار؟ إن عذاب ربك كان محذورًا. وينبغي لكل مؤمن أن يتحذر من عذاب الله بطاعته وإخلاص الأعمال له سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾ ما من أهل قرية إلاّ نحن مهلكوا أهلها بالموت قبل يوم القيامة أو معذبوا أهلها إن كفروا وعصوا

عذابًا شديدًا في الدنيا. وكان ذلك في اللوح المحفوظ مكتوبًا.

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الآية رد على اقتراح المشركين لرسول الله ﷺ أن ينزل الله لهم المعجزات قال تعالى: وما منعنا أن نرسل بالمعجزات والدلائل إليهم إلاَّ أن كذب بها الأولون من الأمم المكذبة لأنبيائهم، ومشركو مكة مثلهم، وآتينا ثمود الناقة معجزة لهم فعقروها فأهلكهم الله بالصيحة الطاغية، وما نرسل بالعذاب كالزلازل والقحط والأمراض في أبدانهم إلاَّ تخويفًا ليتوبوا عن كفرهم وعصيانهم فيغفر الله لهم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ حيث قلنا لك يا محمد: إن ربك أحاط علمه بأحوال الناس، وما جعلنا الرؤية التي أريناك إياها في ليلة المعراج في يقظتك الجنة والنار، وفي ملكوت السموات السبع من الآيات الباهرة إلاَّ فتنة للمشركين، أخبرتهم فكذبوك. والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن: هي شجرة الزقوم، طعام أصحاب الجحيم. ونخوفهم بالتذكير فما يزيدهم إلاَّ طغيانًا عظيمًا في كفرهم بربهم وعصيانهم برسولهم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ اذكر يا محمد أمرنا للملائكة: السجود لآدم، فسجدوا كلهم إلاَّ إبليس كان من المأمورين فأبـى أن يسجد، قال إبليس متكبرًا: أأسجد لمن خلقت من طين وخلقتني من نار والنار أكرم من الطين، قال إبليس: أرأيتك، أي: أخبرني عن هذا الذي كرمت عليّ، لم

أكرمته وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟ من أجل إكرامك له، لئن أخّرتني حيًّا إلى يوم القيامة لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال عن طريق الحق إلاَّ قليلاً هم الذين أخلصتَهُم لعبادتك لا أستطيع عليهم سبيلاً.

﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ قال تعالى مهددًا له: اذهب، فمن تبعك من ذرية آدم فإن عذاب جهنم جزاؤكم جزاء كاملاً.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ واستنزل بإغوائك من استطعت منهم بصوتك: هو المزامير والغناء واللهو، وصِحْ عليهم بجنودك ركبانًا ومشاة، وشارك جنودك في أموالهم وأولادهم؛ إن كان المال كسبه من الحرام وإن كان الأولاد من طعام حرام أو الزنى، وعِدْهُم بالغرور والتزين لأعمال السوء حتى يقعوا في إغوائك، ثم قال تعالى: وما يعد الشيطان لبني آدم إلاَّ غرورًا يغرهم ويوقعهم في الشر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ إن عبادي المخلصين في طاعتي ليس لك عليهم تسلط، وهم في عصمتي وحمايتي، وكفى بربك يا محمد حفيظًا لعباده المؤمنين لله وحده، لا يبالون غيره.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ﴾ ربكم أيها الناس الذي يزجي، أي: يحرك ويسوق لكم السفن في البحر، وأنتم وأموالكم عليها تسيرون بالأمن إلى مقاصدكم بالتجارة لتطلبوا من فضل الله الربح، إنه تعالى كان بكم رحيمًا، من رحمته سخر لكم السفن والبحر.

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ وإذا أصابكم أيها المشركون الشدائد والكرب من صفق الرياح أو موج الماء، تخافون على أنفسكم الغرق، وعندئذٍ غابت عنكم أصنامكم التي تعبدونها. ما من أحد عندكم تستغيثون به إلاَّ الله تستغيثون به. فلما نجاكم إلى البر سالمين نسيتم وأعرضتم إلى إشراككم؟! وكان الإنسان الكافر جحودًا بنعم الله، وأما المؤمنون يحمدون الله ويشكرون على نعم الله على الدوام.

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ استفهام للتقريع: أفأمنتم أيها المشركون من أن يخسف الله بكم جانب البر أو يرسل عليكم حجارة تمطر عليكم تقتلكم، كما أرسل إلى قوم لوط عليه السلام؟! ثم لا تجدوا لكم حفيظًا من عذاب الله؟ أم أمنتم أن يعيدكم مرة أخرى في البحر، تريدون أن تسافروا في البحر فيرسل عليكم قاصفًا من الريح فيغرقكم بسبب ما كفرتم بربكم، ثم لا تجدوا لكم من ينقذكم من عذاب الله يدفع العذاب عنكم نصيرًا لكم؟

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ولقد كرمنا بني آدم على سائر المخلوقات بالنطق والعلم والعقل، والاعتدال في الخلقة والجمال. وتلك الأوصاف لا توجد في غيرهم، وسخر الله لهم الخيل والبغال والحمير والبعير لركوبهم وحمل أثقالهم في أسفارهم في البر والسفن في البحر، ورزقهم الله من المطاعم اللذيذات في الطعم كاللحم والفواكه

والخضروات وغيرها من النعم، وفضل الله بني آدم على سائر مخلوقاته إلاَّ الملائكة، وقال العلماء الذين آمنوا بالله وحده واستقاموا في دين الله ولم يعملوا من أعمال الشرك والبدع والفسق، وهم أفضل من الملائكة ليست في الملائكة نفس تشتهي شهوات نفسها ولا شيطان معها يغويها، وأما الناس فمعهم نفس وشهوات وشيطان يجتهد أن يوقعهم في الضلالة والمعاصي، والمؤمنون المخلصون في عصمة الله من شر الشيطان، وقد وعد الله للمؤمنين، أن يعصمهم من شر الشيطان، وأما الكافرون والفساق من المؤمنين الذين يرتكبون المعاصي ولا يبالونها وهم منهمكون في شهوات أنفسهم فهم أخس من البهائم وهم عبيد أنفسهم وشيطانهم.

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾ يوم القيامة ندعوا كل إنسان بكتاب أعماله، وسميت الأعمال إمامًا لأن الناس قد عملوها وقدموها أمامهم. ثم بين سبحانه وتعالى أصحاب اليمين: فمن أوتي كتاب أعماله بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم يفرحون ويستبشرون ولا ينقص من ثواب أعمالهم شيئًا قدر فتيل، والفتيل هو الخيط في النواة.

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ ومن كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة والقلب لا يرى الحق حقًّا ولا يرى الباطل باطلاً بل يرى بالعكس، ويروج الباطل، فهو في الآخرة أعمى بصيرة عينه وأضل طريقًا عن طريق اهتدى به إلى الخير والنجاة.

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ وإن المشركين قاربوا بالجهد أن يفتنوك يا محمد عن الذي أوحينا إليك من الأوامر والنواهي والحق لتبلغه إليهم، قاربوا أن

يغرونك لتفتري علينا غير الذي أوحينا إليك. ولو فعلت مقتضى ما أرادوا إذًا لاتَّخذوك خليلاً. وفي الآية تحذير النبي ﷺ أن لا يوافق على آرائهم.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ لولا تثبيتنا إياك يا محمد بالاستقامة في تبليغ أمرنا إليهم، لقد قاربت أن تميل إلى آرائهم، وإن وافقت آراءهم ولو شيئًا قليلاً إذًا لأذقناك يا محمد عذابًا مضاعفًا في الدنيا وعذابًا مضاعفًا في الآخرة، ثم لا تجد لك علينا نصيرًا ينصرنا منك. وبعد ذلك التحذير كان يقول عليه الصلاة والسلام: اللهم لا تكلني لنفسي طرفة عين وأنت حسبي ونعم الوكيل.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ وإن المشركين قاربوا بجهدهم ومكرهم أن يزعجوك بإخراجك من أرض مكة، وإن أخرجوك من مكة، فإذًا لا يلبثون بعد خروجك منها إلاَّ زمانًا قليلاً. وذلك ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾، أي: إن سنة من قد أرسلنا قبلك إلى أممهم بالرسالة ليبلغوا أمرنا إلى أممهم فكذبوا رسلهم وأخرجوهم، فأهلكناهم ونصرنا عليهم رسلنا، ومشركو مكة مثلهم ـ وقد أهلك في بدر من صناديدهم سبعين شخصًا وسبعين أُسِروا ـ ولا تجد يا محمد لسنتنا تحويلاً، أي: تبديلاً. وقد تكون نزلت في حق اليهود.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ أقم الصلاة لوقت زوال الشمس عن قيامها وهذه صلاة الظهر، ثم العصر لوقتها إلى غسق الليل، الغسق هو ذهاب ضوء الشمس قبيل الغروب، وبعد الغروب صلاة المغرب إلى ذهاب الشفق، وبعد

ذهاب الشفق العشاء. وصل صلاة الفجر في وقتها وهو بعد طلوع الفجر الصادق، وسميت صلاة الفجر قرآنًا؛ لأن كل صلاة لا تصح إلاَّ بقراءة القرآن، ثم رغبه بالاهتمام بصلاة الصبح: إن صلاة الفجر كانت مشهودة يشهدها الملائكة المتعاقبون، وكذا صلاة العصر.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ وقم بعض الليل وهو آخره بعد النوم، فصل صلاة التهجد بتلاوة القرآن نافلة لك، أي: زائدة لك من الثواب لآخرتك، عسى أن يقيمك ربك مقامًا محمودًا وهو مقام الشفاعة العظمى يحمده الأولون والآخرون. وقال العلماء كانت صلاة التهجد فريضة على النبي ﷺ وبعد أن فرضت الصلوات الخمس بقيت نافلة له ولأمته وهي أفضل الصلاة بعد الفريضة.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ أمر الله نبيه ﷺ حين خرج من مكة مهاجرًا مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قل يا محمد أدخلني يا رب مدخل صدق يعني في المدينة المنورة، وأخرجني مخرج صدق يعني من مكة، وأنا صادق بالهجرة لحماية ديني إلى المدينة المنورة والدخول فيها، وأنا صادق لا أريد بها إلاَّ رضاك، واجعل لي يا رب من عندك سلطانًا نصيرًا على أعدائك المشركين.

﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ ﴾ وقل يا محمد إذا دخلت مكة بسلطانك بنصر الله: جاء الحق ــ وهو دين الإسلام ــ ، وزهق الباطل واضمحل، إن الدين الباطل كان زهوقًا، أي: مضمحلاً لا دوام له. فلما دخل مكة وبيده عصا طعن الأصنام التي حول الكعبة وهنَّ ثلاثة وستون صنمًا قائلاً جاء الحق وزهق الباطل وما يبدىء الباطل وما يعيد.

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ وننزل من آيات القرآن ما هو شفاء للأمراض الباطنية كالجهل والنفاق والعناد والبخل والخيالات الفاسدة، وكذا شفاءٌ لأمراضِ ظاهرِ البدن وباطنِهِ، ورحمةٌ للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ولا يزيد الكافرين به إلاّ خسارًا على خسرانهم في الدنيا والآخرة.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ قال تعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان من صحة البدن وسعة الرزق والأمن من المصائب بطر وتكبر عن طاعتنا، وخالف أمرنا، وابتعد من رحمتنا، وتقرب بجانب هوى نفسه، ناسيًا تذكيرنا للوعد والوعيد، وإذا أصابه مرض في بدنه أو هلاك في ماله وأولاده أو فقر في عيشته كان قنوطًا من رحمة الله.

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: كل إنسان يعمل على شاكلته، أي: على حسب طريقته، إن كانت طريقته في مناهج الإسلام يعمل ويمتثل بأوامر الإسلام، وإن كانت طريقته في مناهج الكفر والضلال يعمل به ويصر على كفره وضلالته وغايته جهنم. فربكم أعلم أيها المشركون بمن هو أهدى وأصح طريقًا. وكل فريقين يحاسب على حسب دينه وعمله.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ ويسألك المشركون عن الروح التي بها حياة الإنسان وغيرهم ما هي حقيقتها؟ قل يا محمد: علم الروح من أمر ربي، لا يعلم كنهها وحقيقتها إلاّ الله. وكانت اليهود تدعي العلم والحكمة وغيرهما من العلوم

في التوراة، قل لهم يا محمد: وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً في جنب علم الله، إنما أوصل العبارة بين سؤال المشركين والرد على ادعاء اليهود أن عندهم علومًا كثيرة لأن المشركين واليهود كانوا مشتركين بالسؤال، ولذلك فرق الجواب على فريقين.

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ ولئن شئنا يا محمد لنذهبن، أي: لنرفعن القرآن الذي أنزلنا بالوحي إليك ومكنا حفظه في صدرك ثم لا تجد لك باسترداده من صدرك وكيلاً علينا في رد شيء منه، ولكن رحمة من ربك لم يرفعه من صدرك فلا تقصر في تبليغ ما فيه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، إن فضل الله كان عليك عظيمًا، حيث ختم الرسالة والنبوة بك، وأعطاك خاتم الكتب السماوية، وأعطاك المقام المحمود، والحوض المورود. والحاصل بهذه الآية امتنانه جلّ وعلا للنبي صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم. وقال المشركون: ولو شئنا لآتينا مثل هذا. يعنون القرآن، فرد الله عليهم على وجه التعجيز.

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المتعنتين المتكبرين عن الإيمان بالقرآن: لئن اجتمعت علماء الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في تنظيم العبارة والفصاحة والبلاغة وما فيه من ذكر قصص الأولين وذكر الآخرين إلى يوم القيامة وغيرها من الحكمة والموعظة فلن يستطيعوا أبدًا أن يأتوا بمثله ولو آية بمثل آياته، ولو كانوا متعاونين على إتيان آية.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل شيء مثلاً ليتذكروا ويعتبروا، فامتنع أكثر الناس أن يقبلوا تذكيرنا وأبوا إلاَّ جحودًا عليه.

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ وقال كفار مكة: لن نؤمن لك يا محمد حتى تفجر لنا من أرض مكة ينبوعًا، أي: عيونًا يجري الماء منها لا ينقطع ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ ﴾ أو يكون لك يا محمد بستان من نخيل وعنب فتفجر ماء الأنهار خلال أشجاره تفجيرًا، أي: تجري الماء دائمًا فيه. ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ أو تسقط السماء علينا قطعًا قطعًا كما تخوفنا إن لم نؤمن بك، أو تأتي بالملائكة عيانًا نراها ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ﴾ أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب مزخرف بالنقوش، أو ترقى إلى السماء، ولن نؤمن لأجل رقيك إلى السماء حتى تنزل علينا كتابًا من السماء نقرأه ونعرف ما فيه من الأوامر والنواهي، هل فيه أمر علينا نؤمن بك أم لا؟

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ ولم يستجب الله لأسئلتهم الباطلة، بل علم نبيه فقال له: (قل) يا محمد لهؤلاء المقترحين: (سبحان) الله (ربي، هل كنت) ما كنت (إلاَّ بشرًا رسولاً) إليكم لأبلغ رسالته إليكم، ما عندي قدرة لأجيب على مقترحاتكم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ ﴾ وما منع الناس أن يؤمنوا حين جاءهم محمد بالرسالة

وبالقرآن الكريم إلاَّ أن تساءلوا مستنكرين إنكارًا على رسالته ﷺ وبالقرآن الكريم: أبعث الله بشرًا رسولاً علينا؟!.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ قل لهم يا محمد لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولاً، ولكن أهل الأرض بشر أرسلنا إليهم من جنسهم بشر يتكلمون بلغتهم ليفهموا الخطاب والتذكير.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ قل لهم يا محمد: كفى بالله شاهدًا بصدق رسالتي بيني وبينكم إنه تعالى كان بأحوال عباده خبيرًا بصيرًا.

﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ ومن يهد الله إلى الإيمان به وحده وإلى الأعمال الصالحات فهو المهتد إليها، وسهل الله لهم طريق الهداية والأعمال الصالحات ورزقهم للاستقامة فيها. ومن يضلله الله عن طريق الحق فلن تجد يا محمد أنصارًا ينصرونهم غير الله، ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم، ويسحبهم الزبانية من أرجلهم، يجرونهم إلى جهنم، وهم يبعثون من قبورهم عميًا لا يستطيعون النظر، وبكمًا لا يستطيعون النطق، وصمًّا عن السمع؛ وعند وصولهم إلى جهنم يرد الله بصرهم ليروا جهنم، وسمعهم ليسمعوا زفيرها، ويرد الله نطقهم ليتكلموا بما أخبر الله لهم على لسان رسلهم في حياتهم الدنيا معترفين بها فمأواهم ومقرهم جهنم كلما خبى التهاب نارها زدنا عليهم نارًا مسعرًا غاية الحرارة.

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ ذلك الخزي والعذاب في جهنم جزاء كفرهم بآيات الله وتكذيبهم بأخبار رسلهم عن البعث في يوم القيامة، وقول بعضهم مستنكرًا: أإذا صرنا عظامًا بالية ورفاتًا، أي: ترابًا أإننا لمبعوثون من قبورنا خلقًا جديدًا؟!.

فرد الله عليهم ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث أن الله الذي خلق السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن من العدم للوجود هو قادر على إعادة روح الإنسان إلى جسده مثل خلقه الأول، وجعل الله لفنائهم من الدنيا وبعثهم من قبورهم وقتًا معلومًا في علم الله لا شك في وقوعه، فأبى الكافرون بالإيمان بالبعث إلا جحودًا عليه.

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء الجاحدين على نعم الله وبالبعث: لو أنتم تملكون خزائن رزق ربي إذا لبخلتم عن الإنفاق خشية فقر ونفاد مال، إذ كان الإنسان مجبولاً على البخل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ ولقد أتينا موسى عليه السلام تسع آيات مفصلات. تقدم تفسيرها في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ إلى آخر الآية. فاسأل علماء بني إسرائيل، والقضية مكتوبة في التوراة، حين جاء موسى عليه السلام بالرسالة إليهم، فقال فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورًا، أي: قد سحر عقلك.

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام ردًّا عليه: لقد علمت يا فرعون، ما أنزل الله هؤلاء الآيات التسع إلاَّ إعجازًا لك ولقومك، تشاهدوها، فجحدتم بها وكفرتم برسالتي، وإني لأحسب على اليقين يا فرعون أنك أنت وقومك هالكون في عذاب الله.

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ فأراد فرعون أن يخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر قبل بلوغ على مقصده، فأغرقنا فرعون وقومه جميعًا في ماء البحر وقلنا من بعد هلاك فرعون وقومه لبني إسرائيل: اسكنوا أرض مصر إنها لكم، فإذا جاء وعد يوم القيامة جئنا بكم جميعًا مختلفين، المؤمنين والكافرين والصالحين والفاسقين. ثم يحكم الله بينهم ويفصل بين المؤمنين والكافرين وبين الصالحين الفاسقين.

قال الله تعالى معظمًا للقرآن: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ وبالحق أنزلنا القرآن لا شك فيه، إنه كلام الله، وبالحق نزل جبريل به على محمد ﷺ فيه أحكام شريعته التي أمر الله بها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ وما أرسلناك يا محمد إلى الناس كافة إلاَّ مبشرًا بالجنة لمن آمن بـي ومنذرًا بنار جهنم لمن كفر بـي .

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ ونزلنا القرآن منجمًا متفرقًا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الحوادث لتقرأه على الناس على تؤدة وتدرج ليسهل لهم حفظه وفهم معانيه، ونزلناه تنزيلاً منجمًا لمصالح العباد.

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ

سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: آمنوا بالقرآن أو لا تؤمنوا سواء، قد كفرتم به، إن الذين أوتوا العلم والهداية من قبل إنزال القرآن إذا يتلى عليهم من القرآن يخرون للأذقان ساجدين ويقولون: سبحان ربنا، إن كان وعد ربنا لمفعولاً، لا خُلف فيه، ويخرُّون لأذقانهم ساجدين لله تعالى باكين خاشعين، ويزيدهم سماعهم لتلاوة القرآن خشوعًا على خشوعهم.

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ ورد أن المشركين تساءلوا: أيأمرنا محمد أن ندعوا إلـهًا واحدًا؟ يعني الله ــ وهو يدعو إلـهين، يا الله يا رحمن؟! فأنزل الله الآية. قل لهم يا محمد: ادعوا الله أو ادعوا الرحمن بأيّ اسم تدعون فله الأسماء الحسنى، والحسنى تأنيث الأحسن، واحد من هذه الأسماء هو اسم الذات، هو الله، والباقي تسع وتسعون اسمًا أسماءُ صفات.

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾ ولا تجهر بالقراءة في صلاتك حيث يسمع المشركون فيسبون القرآن، ولا تخفها حيث لا يسمع أصحابك من يصلي معك، وابتغ بين ذلك صوتًا وسطًا.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ وقل يا محمد الحمد الله الذي تنزه عن الولد ولم يكن له شريك في ملكه ولم يكن له مناصر من الذل لأنه هو ناصر من اشتكا إليه من الذل والفقر والمصائب، وكبِّره في صلاتك وغير صلاتك تكبيرًا.

الحمد لله، تمَّت سورة الإسراء بعون الله.

* * *

سـورة الكهـف

آياتها مائة وإحدى عشرة آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ جميع الحمد والثناء لله الذي أنزل على عبده محمد عليه الصلاة والسلام القرآن ولم يجعل لكلماته وفواصل عباراته ومعانيه عوجًا، أي: تناقضًا وركاكةً، وأنزله مستقيمًا في معانيه وعباراته لينذر الكافرين به عذابًا شديدًا عليهم من عند الله.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات لله تعالى أن لهم ثوابًا في الجنة مقيمين فيها أبدًا.

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ ولم يذكر المنْذِر اكتفاء على ما تقدم وهو محمد عليه الصلاة والسلام، أي: أنزلنا القرآن إلى محمد لينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا. ثم رد الله عليهم: ما لهم به من علم صحيح بما قالوا، ولا لآبائهم، كبرت تلك الكلمة، جريمة عظيمة

تخرج من أفواههم وهم لا يبالونها ولا يتفكرون عاقبتها، وما يقولون إلاّ كذبًا على الله فينسبون الولد إليه.

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ فلعلك يا محمد قاتلٌ نفسك بالحزن والغم لإعراضهم عن تذكيرك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن أسفًا، أي: حزنًا. وفي الآية تسلية له. يعني لا تحزن ولا تضيق نفسك.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لأهل الأرض، والمراد الإنسان؛ لنبلوهم ونختبرهم أيّهم أحسن عملاً لنا، وأيهم يركن إلى زينة الدنيا ويترك أوامرنا ويبطر ويرتكب معاصينا.

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ ويخبر سبحانه عما يكون في آخر الدنيا: وإنا لجاعلون الأرض وما عليها من أشجار وعيون وجبال صعيدًا جرزًا، أي: ترابًا بلا نبات ولا عيون ولا جبال، جرداء قاعًا مستويًا. وفي الآية تزهيد عن زينة الدنيا وتذكير بالآخرة.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ أحسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا أعجب آياتنا؟! فقد كان في غيرها أعجب منها، فإذا نظرت إلى السماء رأيت الشمس، والقمر والكواكب والنجوم وذهاب ضوء النهار بغروب الشمس، ويعقب ظلمة الليل وظلامه إلى الصبح، وإذا نظرت إلى الأرض رأيت الجبال والسهل والأنهار والبحار وغيرها من المخلوقات. والكهف: هو

غار في الجبال مثل البيت يلتجىء إليه المسافر وراعي الغنم في حالة المطر، والرقيم قيل: فيه رقم أسمائهم على اللوح وضع على مدخل الغار.

اسمع يا محمد نقصُّ لك قصتهم: حين التجأ الفتية إلى الكهف، وأَمِنوا مِن أعدائهم فقالوا: يا ربنا ائتنا من عندك رحمة، آمِنًّا من أعدائنا وارزقنا رزقًا، لا نطمع في غيرك، وهيِّىء لنا من أمرنا هذا رشدًا، أي: نجاة من أعدائنا حتى نكون من الراشدين المهتدين إلى مرضاتك. والفتية: جمع فتى، هم شبان كانوا عند دقيانس في خدمته، وكان دقيانس يدَّعي الربوبية لنفسه والشبان شعروا أن دعوى دقيانس باطلة وهربوا منه حتى جاؤوا إلى الغار، فقالوا: يا ربنا ائتنا من لدنك رحمة وهيِّىء لنا من أمرنا رشدًا. تقدَّم تفسيرها.

قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ فألقينا على آذانهم حجابًا كيلا يدخل في آذانهم صوت إنسان وغيره وهذا كناية عن النوم الشديد، أي: منعناهم من أن يسمعوا عددًا من السنين، واختلفت أقوال أهل العلم في عدد السنين. ثم أيقظناهم من نومهم لنعلم ـ عِلْمُ ذلك بالوجود والمشاهدة، فهو عالم بهم ـ أيّ الفريقين أحصى لما لبثوا أمدًا، أي: لما لبثوا من الوقت. وقال أهل العلم: والمراد من الحزبين أصحاب الكهف والذين يحسوهم من أهل بلدهم.

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ نحن نقص عليك خبرهم وشأنهم بالحق: إنهم

فتية، أي: شبان سواء في السن، آمنوا بربهم صادقين في إيمانهم، وزدناهم هدى على إيمانهم، وربطنا، أي: ثبتنا إيمانهم على قلوبهم، حين قاموا في بلدهم فقالوا: ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا غير الله إلـهًا، وإن دعونا غير الله إلـهًا وعبدناه لقد قلنا إذًا شططًا، أي: قولاً بعيدًا عن كل خير، وأشركنا بالإلـه الحق.

قالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾ هؤلاء أهل بلدنا اتخذوا غير الله آلهة يعبدونها، لولا يأتون على صحة عبادتهم لأصنامهم بحجة ظاهرة، لا حجة لهم، إنما تقليد لأسلافهم، فأيّ أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، أي: يفتري الكذب ثم ينسبه إلى الله.

﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ وقال أحدهم ناصحًا لهم: حيث إنكم اعتزلتم عن المشركين وفارقتموهم وما يعبدون من الآلهة غير الله، فالتجؤوا إلى الكهف مختفين منهم ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيِّىء لكم ما تحتاجون إليه من الطعام والشراب مرفقًا دائمًا معكم.

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ ﴾ وترى يا محمد الشمس إذا طلعت تميل عن كهفهم جهة اليمين، وإذا غربت، أي: زالت جهة الغروب تتركهم أو يصيبهم شيء يسير منها إلى الشمال، وهم في فجوة، أي: في كوة من الكهف يدخل منها ضوء الشمس ولا تؤثر عليهم حرارة الشمس. ذلك من

آيات قدرة الله. من يهد الله إلى الإيمان به وحده فهو المهتد إلى الرشد والهداية إلى الإيمان بالله كما أهدى أصحاب الكهف إلى الإيمان واهتدوا به. ومن يضلل الله فلن تجد يا محمد له وليًا مرشدًا إلى الإيمان بالله.

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ ﴾ وإذا اطلعت عليهم تظن أنهم على يقظة وهم راقدون نائمون. ونقلبهم جهة يمينهم وجهة شمالهم كيلا تأكل الأرض لحومهم. وكلبهم باسط ذراعيه بالعتبة في مدخل الغار وفنائه وبابه.

﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فارًا ولامتلأت من هيبتهم خوفًا شديدًا. ألبسهم الله الهيبة، كل من نظر إليهم لا يستطيع أن يطيل النظر إليهم هيبة منهم.

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ وكما ضربنا على آذانهم فناموا النوم الطويل فلا يشعرون شيئًا، فأيقظناهم من نومهم ليتساءلوا بينهم، قال قائل منهم: كم لبثتم في نومكم؟ قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم. وقال المفسرون: إنهم دخلوا في الغار صباحًا واستيقظوا في آخر النهار فظنوا أنهم ناموا يومًا أو بعض يوم، ثم رجعوا إلى علم الله. قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم في النوم، فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّ طعام المدينة أزكى وألذ طعامًا فليأتكم برزق من الطعام وليتلطف، أي: وليَلِن في شراء الطعام مع البائع ولا يُغْضِبِ أحدًا ولا يشعرن بكم أحدًا.

﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ إنهم أن يطَّلعوا عليكم ويعرفوكم يرجموكم بالحجارة حتى يقتلوكم أو يعيدوكم إلى دينهم. وإن أطعتموهم إليهم فلن تفوزوا أبدًا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ مثل ذلك البعث من نومهم بعد ثلاثة مائة عام والله قادر على بعث جميع الخلق والحشر للحساب، وهكذا أطلعنا عليهم أناسًا ليعلموا أن وعد الله حق لقيام الساعة، لا ريب لقيامها، وحيث يتنازعون بينهم في شأن الفتية فقالت طائفة: ابنوا على باب الغار بنيانًا، ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على قومهم: لنتخذن على باب غارهم مسجدًا نصلي فيه.

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ سيقول هؤلاء الخائضون من أهل الكتاب في عدد الفتية، أي: يقول بعضهم: هم ثلاثة رابعهم كلبهم. وقد اختلف المفسرون، لمن كان الكلب؟ وقيل: إنهم مروا به فتبعهم، فطردوه فعاد، حتى دخلوا الغار. ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم، لكن هذا القول كان رجمًا بالغيب، أي: ظنًّا بعلم الغيب، ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم. قل يا محمد لهؤلاء الخائضين في الفتية: ربي أعلم بعددهم، ما يعلم عددهم إلَّا قليل منهم. وقال ابن عباس: وأنا من ذلك القليل: هم سبعة، وقال المفسرون: إن الله ذكر الأول والثاني ثم أردف عليه رجمًا بالغيب ثم ذكر القول الثالث: هم سبعة وثامنهم الكلب الذي لحق بهم

وطردوه ثم عاد ولم ترجع حتى دخلوا الغار، ورقد في مدخل الغار كالحارس.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ فلا تجادل يا محمد مع أهل الكتاب في شأن الفتية إلاَّ جدالاً ظاهرًا ومتيقنًا بما أخبر الله لك فإنه كافيك ما قصصنا عليك. وقال بعض المفسرين: (إلاَّ مراءً ظاهرًا): أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون.

وكان النبي ﷺ قد سئل عن الروح والفتية وذي القرنين فقال: سأخبركم غدًا ولم يستثن، أي: ما قال إن شاء الله، فتأخر الوحي خمسة عشر يومًا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ ولا تقولن يا محمد لأمر إذا عزمت فعله: إني فاعل ذلك غدًا، بدون أن تستثني. ولكن قل: إني فاعل إن شاء الله، (واذكر ربك إذا نسيت)، أي: إذا نسيت الاستثناء أو غيره، وقل: عسى أن يهديني الله لأقرب من هذا الذي نسيت الاستثناء به، أو من هذه القصص والدلائل على صدق رسالتي ما يكون أقرب في الرشد، أي: صالحًا لحياتي وبعد مماتي.

وهذه الآية معترضة بين قصة أصحاب الكهف ثم أوصل قصتهم ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ قل يا محمد لهؤلاء الخائضين في مقدار لبثهم في الغار: الله أعلم بما لبثوا في الكهف بنوم طويل له علم غيب السموات السبع والأراضين السبع، أبصر يا محمد بدين الله كل موجود وأسمع به كل

مسموع، ما لهم من دون الله من وليّ يتولى أمرهم، ولا يشرك في حكمه وقضائه أحدًا.

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ واقرأ يا محمد ما أوحي إليك من كتاب ربك واعمل به، وبلغ لأمتك ليعملوا به لا مبدل لكلمات ربك ولا تحريف لها ولا تغيير لأحكامها وإن غيرت شيئًا منها ولن تجد عند غير الله ملجأ تلجأ إليه أو معدلاً عن أمره ونهيه.

وقال رؤساء المشركين: اطرد يا محمد هؤلاء الفقراء من حولك ونحن نجلس معك ونسمع حديثك، فأنزل الله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ واحبس نفسك في المجالسة مع الفقراء الذين يعبدون ربهم بالصباح والعشي يريدون وجه الله، أي: رضا ربهم عنهم. ولا تجاوز عيناك عنهم إلى الرؤساء والأغنياء تريد زينة الحياة الدنيا بمجالستهم. احذر منهم ومن مجالستهم، ولا تطع آراء من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هوى نفسه وترك أمرنا وكان أمر حياته ضياعًا في أهوائه وهلاكًا في عذاب الآخرة.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ وقل يا محمد لهؤلاء الغافلين عن تذكيرنا: الحق الذي جاء هو من ربكم فمن شاء فليؤمن به ومن شاء فليكفر. والأمر على التهديد والتخيير بين أمرين. إنا هيأنا للكافرين بربهم نارًا أحاط بهم

سرادقها، أي: اشتعالها والتهابها، وإن طلبوا ماء يسقوا بماء كالمهل، كعكر زيت غليظ من شدة حرارته، إذا قربوه إلى فمهم ليشربوه شوت وجوههم حرارته، بئس الشراب يشربونه وساءت جهنم لهم متكأً ومنزلاً .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات امتثالاً لأمر الله لا سمعة ولا رياء، لهم أجرهم. إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، فنجازيه جزاء حسنًا في الجنة، أولئك الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لهم جنات تجري من تحت قصورهم وأشجارهم ماء الأنهار، ويتزينون حلية في الجنة من أساور من ذهب وفضة ولؤلؤ على أيديهم، ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس وإستبرق: هما نوعان من الحرير، متكئين في الجنة على الآرائك ــ وحدها أريكة ــ: على فراش أو سرير في الحجال كالقبة، ويستأنسون فيها مع أزواجهم من الحور العين، وتلك النعم، نِعْمَ الثواب وحسنت لهم الجنة متكئًا ومنزلاً .

﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ واضرب مثلاً لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك طرد الفقراء من مجلسك وأنهم يجلسون معك برجلين. قال المفسرون: كان في بني إسرائيل رجلان هما أخوان، أحدهما كان مؤمنًا والآخر كافرًا، ورثا من أبيهما مالاً كثيرًا، فأنفق المؤمن من ماله في مرضاة الله ونفد ماله والآخر اشترى بستانين فيهما شجر عنب بأصنافه، محفوفتين بشجر النخيل، وجعل بين البستانين زرعًا وعيونًا .

﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ كلا البستانين أتيا أثماره في كل سنة في موسم الأثمار ولم ينقص من ثمارهما شيء، وفجر الله عيونًا يجري الماء في جداول خلال أشجارهما، وكان لصاحب البستانين ثمر من عنب وزبيب ورطب وتمر. وقال صاحب البستانين لأخيه المؤمن أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرًا، أي: أعز جماعة وعشيرة.

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ودخل صاحب البستانين أحدهما ونظر إلى أشجار بستانه وزروعه وهو مفتخر بنفسه، قال: ما أظن أن تنقطع أثمار هذه الأشجار أبدًا، وما أظن قيام الساعة قائمة ــ وكلامه هذا كفر بقيام الساعة ــ ولئن رددت إلى ربي بعد موتي لأجدن خيرًا منها منقلبًا، أي: مرجعًا، وكلامه حكم على الغيب فهو كافر.

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ قال له صاحبه المؤمن وهو يحاوره ويجادله: أكفرت بالذي خلقك من تراب ــ أي خلق أباك آدم أبو البشر ــ ثم من نطفة من أبويك. ثم سواك رجلاً كامل الأعضاء؟! استفهام للإنكار والتوبيخ. ثم قال له: لكن أنا أقول: هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدًا.

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ هلا قلت حين جئت بستانك ونظرت إلى أشجاره وأثماره: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؟ لكان مقالك هذا خيرًا لك. إن كنت

تراني أنا أقل منك مالاً وولدًا: شرط، وجواب الشرط: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾ فعسى ربي أن يرزقني خيرًا من جنتك ويرسل على جنتك حصبًا من السماء، أي: عذابًا من السماء فتدمرها فتصبح جنتك صعيدًا ملساء تزلّ عنها الأقدام لا شيء فيها من عيون ولا أشجار ولا زروع، وكأنها صارت حجرًا واحدًا أملس، أو يصبح ماؤها غورًا، أي: غائرًا في الأرض فلن تستطيع إعادة الماء إن طلبته واجتهدت لإخراجه، فييبس الزرع.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝٤٢﴾ وأحاط عذاب الله ثمار جنته وأشجارها وزروعها فأهلكها فأصبح صاحب البستان يقلب كفيه نادمًا وحسرة على ما أنفق في بستانه وزروعه وأشجاره ساقطة على الأرض، ويقول صاحب البستان الكافر: حين لا ينفع الندم: يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا. قال المفسرون: إنما يقول هذا يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝٤٣﴾ ولم تكن له جماعة يمنعونه من عذاب الله وما كان هو ممتنعًا منه ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ۝٤٤﴾، أي: يوم القيامة، الولاية والسلطة لله الحق، هو أفضل ثوابًا ممن يرجى ثوابه، على تقدير لو كان غيره يثيب، فثواب الله أفضل، وعاقبة طاعة الله خير من عاقبة طاعة غيره.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ۝٤٥﴾ واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين مثلاً للحياة الدنيا في سرعة نفادها وذهابها وتغير أحوالها

كماء أنزلناه من السماء فاختلط وابتهج بنبات الأرض، أي: فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضًا ثم اصفر ويبس وتكسر تذروه الرياح وتفرقه. وكان الله على كل شيء مقتدرًا، على الإنشاء والإفناء، وهذا مثل لسرعة زوال الدنيا. وفيها تزهيد بالدنيا.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ الأموال والأولاد زينة الحياة الدنيا التي لا بقاء لها، والأعمال الصالحات وثوابها باقيات للآخرة وهي خير عند ربك يا محمد ثوابًا وخير أملاً، أي: خير مأمول تجدونه عند الله. وفي الآية تزهيد عن الرغبة بالدنيا وزينتها.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ واذكر لهم يوم نسير الجبال عن أماكنها، وترى يا محمد الأرض بارزة لا فيها جبل ولا شجر ولا بنيان، كأنها قاع مستوية، وحشر كل إنسانٍ وجنٍّ للحساب والجزاء فلم نترك منهم أحدًا وهذا يوم القيامة.

﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ صفًّا بعد صف، وقيل: كل أمة صفًّا. ويقال لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ ويعاتب الله الكافرين: لقد جئتم عندنا فرادى لا مال ولا أولاد ولا عشيرة لكم كما خلقناكم أول مرة وقد كفرتم وأشركتم؛ بل زعمتم، أي: ادعيتم في الدنيا أننا لن نجعل لكم موعدًا للبعث والحشر والحساب والجزاء.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ ووضع الحساب، أو كتاب الأعمال أمام كل إنسان، فترى

يا محمد المجرمين خائفين مما في كتابهم، ويقولون: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا إلاَّ أحصاها وضبطها في الكتاب، قال تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرًا﴾، أي: في ديوان أعمالهم، (ولا يظلم ربك)، أي: لا يعاقب ربك يا محمد أحدًا إلاَّ بجريمته.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾
واذكر لهم حيث قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم إلاَّ إبليس أبـى أن يسجد لآدم، وقال مبررًا عدم سجوده: خلقتني من نار وخلقته من طين. وإبليس أبو الجن تطاول وتكبر فخرج عن طاعة الله وصار ملعونًا على الأبد. قال تعالى منكرًا ومحذرًا على طاعة ابن آدم لإغواء إبليس: أفتتخذون إبليس وذريته الشياطين أولياء تطيعونهم لإغوائهم وإضلالهم من دون طاعتي وهم لكم عدو؟ بئس للظالمين بدلاً، أي: بئس طاعة إبليس بدلاً عن طاعة الله، وهم بهذا ظالمون لأنفسهم.

قال تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾، أي: ما أحضرت إبليس والشياطين شاهدين خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم، يعني أن إبليس والشياطين، ما كانوا في الوجود، فأوجدهم الله من العدم، ومع ذلك فهم يخالفون أمر الله، وخرجوا عن طاعته. (وما كنت متخذ المضلين) عبادي عن طاعتي (عضدًا)، أي: أعوانًا وأنصارًا.

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا

بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ ويوم القيامة يقول الله للمشركين: نادوا الذين زعمتم أنهم شركائي في عبادتي فيمنعوكم من عذابي. فدعوا أصنامهم فلم يستجيبوا لهم لأنهم جمادات لا يستطيعون النطق، وجعلنا بين العابدين ومعبوديهم حاجزًا ومهلكًا لا يتجاوزوا عنه إلاّ هلكوا في النار. وعندما رأى المجرمون النار أيقنوا أنهم مواقعوها، أي: مجتمعون فيها، ولم يجدوا عنها مهربًا، لأن نار جهنم أحاطت بهم.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ ولقد بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل وحجج ومواعظ ليتذكروا ويتعظوا ويمتثلوا بأوامر الله وينزجروا عن نواهيه، وكان الإنسان من طبيعته أكثر شيء جدلاً وخصومة في الباطل، إلاّ من عصمه الله عنها.

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ وما منع الناس أن يؤمنوا بالله وحده حين جاء الهدى، أي: الرسول عليه الصلاة والسلام بالقرآن الحكيم وفيه الأوامر والنواهي وبيان أحكام الشريعة والتذكير والمواعظ وما منعهم أن يستغفروا ربهم عن ذنوبهم وكفرهم ولم يكن ذلك لهم، إلاّ أن ينتظروا أن تأتيهم سنة الأمم الأولين الطاغين بالهلاك بالعذاب المستأصل أو يأتيهم العذاب عيانًا وهم ينظرون إليه.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين بالجنة لمن آمن بي ومنذرين من عذاب جهنم لمن كفر بي،

ويجادل الذين كفروا بالباطل، وذلك قولهم: ما أنت يا محمد إلاَّ بشر مثلنا لا نصدق رسالتك ولا نطيع أمرك، ليزيلوا ويبطلوا بمقالاتهم الحق الذي لا شك فيه، واتخذوا آياتي، أي: كتابي والذي أنذروا به هزوًا وسخريًا.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ لا أحد أظلم على نفسه ممن ذكر ووعظ بآيات ربه فأعرض عنها ولم يقبلها ونسي ما عمل من الأعمال، السيئة ولم يتفكر بعاقبة أعماله. إنا جعلنا على قلوب هؤلاء أغطية كيلا يفقهوا التذكير والموعظة، وفي آذانهم وقرًا، أي: ثقلاً معنويًّا كيلا يسمعوا التذكير والموعظة الحسنة. وإن تدعهم يا محمد إلى الإيمان بالله واستماع آيات الله فلن يهتدوا إذًا أبدًا. وهم لا يهتدون لدعوتك أبدًا فلا تكلف نفسك.

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ وربك يا محمد كثير الغفران لعباده، ذو رحمة يرحم عباده ولا يعجل عليهم العقاب. لو يؤاخذهم بسبب ما كسبوا من الأعمال السيئة لعجل عليهم العذاب في حياتهم الدنيا، ولكن لهم موعد لا يُخْلَفُ يوم القيامة، ولن يجدوا من عذاب الله ملجأ ولا منجى منه.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ إشارة إلى أهل قرون السالفة كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط، أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر بربهم والتكذيب بأنبيائهم، وجعلنا لوقت هلاكهم موعدًا محدودًا. وفي الآية تقريع لكفار قريش إن لم يؤمنوا بربهم

وحده ولم يتركوا العبادة لأصنامهم، وهم مثل أولئك مستحقون لعذاب عاجل عليهم.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ قال العلماء: سبب هذه القصة، كما خرجه الصحيحان عن أبيّ بن كعب: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى عليه السلام، قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، [أي: لم يقل: الله أعلم] فأوحى الله إليه: إن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، [أي: تجده هناك]... الحديث بطوله في الصحيح.

وتهيَّأ موسى عليه السلام للذهاب إلى مجمع البحرين، ومعه فتاه يوشع بن نون، وأخذ المكتل فيه حوت، وسارا، وقال لفتاة: لا أبرح، أي: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أو أمضي حقبًا، أي: زمنًا طويلاً. وكان أخبر الفتى أنه لا يكلفه الكثير، فقط مراقبة الحوت، فإذا فقده أخبره.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ فلما بلغا الموضع المحدد ــ وهما لا يعرفان ذلك ــ نام موسى عليه السلام، واستظل الفتى بصخرة فشعر باضطراب الحوت في المكتل ثم اتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حَجَر، ولم يبقظ الفتى موسى عليه السلام، فلما استيقظ موسى نسي أن يخبره، فانطلقا يسيران بقية يومهما وليلتهما.

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين قال موسى عليه السلام لفتاه قدم لنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا اليوم تعبًا. وكان طعامهما من الحوت الذي سرب في البحر، وكان ميتًا يابسًا.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ قال فتاه ـ وقد تذكر ما حصل للحوت: أرأيت يا نبي الله حين أوينا إلى الصخرة ونمنا عندها، خرج الحوت من المكتل ودخل ماء البحر، وإني نسيت أن أذكر ذلك لك، وما أنسانيه إلاَّ الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجبًا! أي: عجبت من شأنه عجبًا.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: ذلك المحل الذي كنا نريده، فرجعا على آثارهما قصصًا، أي: يتبعان الطريق الذي جاءا منه، حتى وصلا الصخرة، فوجدا عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علمًا خاصًا له، هو علم التكوين ومعرفة بواطن قد أوحيت إليه، وعلم موسى عليه السلام علم التشريع والأحكام بظاهر أقوال الناس. وفي الحديث: وكان الخضر عليه السلام راقدًا ومسجيًا بالرداء، وسلم موسى عليه السلام عليه فقام.

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: هل تأذن لي أن أرافقك على أن تعلمني مما علمت من ربك رشدًا ترشدني به إلى الخير.

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ ﴾ قال الخضر عليه السلام: إنك يا موسى لن تستطيع معي صبرًا، إنك أوتيت علم التشريع بالظاهر، وأنا أوتيت علم التكوين والباطن وما أصنعه يخالف ظاهر شريعتك، وأنت لا تصبر عليه، إذ كيف تصبر على أمر تراه خطأً ولم تصل إلى علم حقيقته، قال موسى عليه السلام: ستجدني إن شاء الله صابرًا، ولا أعصي لك في هذا أمرًا وألزمت نفسي بطاعتك، قال الخضر: فإن اتبعتني إذًا فلا تسألني عن أي شيء حدث مني حتى أذكر لك عنه ذكرًا.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۝٧١ ﴾ فمشى موسى والخضر عليهما السلام على ساحل البحر حتى مَرَّت سفينة فكلموهم أن يحملوهما، فحملوهما، فلما ركبا في السفينة خرقها الخضر، وموسى عليه السلام يشده بثوبه، قال موسى عليه السلام منكرًا فعل الخضر عليه السلام: أخرقتها لتغرق ركاب السفينة، لقد جئت شيئًا عظيمًا منكرًا لا ينبغي لك.

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝٧٣ ﴾ قال الخضر عليه السلام تقريعًا: ألم أقل يا موسى إنك لن تستطيع معي صبرًا؟! قال موسى عليه السلام معتذرًا: لا تؤخذني بسبب ما نسيت ولا تكلفني مشقة في صحبتك من أمري هذا على عسر، ويسر لي صحبتك.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۝٧٤ ﴾ وبعد أن نزلا من السفينة مشيا موسى والخضر عليهما السلام حتى إذا لقيا غلامًا وضيئًا أخذه الخضر وقتله، قال موسى عليه السلام

منكرًا على فعله: أقتلت نفسًا طاهرة بغير نفس، لم يقتل أحدًا، لقد جئت شيئًا منكرًا في شريعة الله.

﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ قال الخضر عليه السلام تنبيهًا لما عاهده عليه: ألم أقل لك يا موسى: إنك لن تستطيع معي صبرًا؟!

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام معترفًا بما خالف على عهده: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني، قد بلغت من لدني عذرًا، وأنت معذور لفراقي منك.

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ فمشيا موسى والخضر عليهما السلام حتى إذا أتيا أهل قرية ــ قيل: هي أنطاكية ــ طلبا من أهلها طعامًا فامتنعوا أن يطعموهما، فوجد الخضر عليه السلام جدارًا مائلاً يقارب أن يسقط، فأقامه، قال موسى عليه السلام: لو شئت لأخذت من صاحب الجدار أجرًا؟

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ قال الخضر عليه السلام: هذه المرة وقع الفراق بيني وبينك، لا عذر لك، سنخبرك بحقيقة ما صنعت، وأنت يا موسى لم تستطع على ما صنعت صبرًا، وقيل: إن موسى عليه السلام أخذ بثوب الخضر قائلاً: لا تفارقني حتى تعلمني حقيقة ما صنعت وحكمته.

قال الخضر عليه السلام ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ وقال الخضر عليه

السلام: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون بها في البحر يكتسبون لمعاشهم، فأردت أن أعيبها وتصير ذات عيب، وكان أمامهم في ذلك الوقت ملك ظالم أو خلفهم وفي طريقهم يأخذ كل سفينة سالمة غصبًا من صاحبها، وإذا نظر إلى سفينة المساكين رآها ذات عيب تركها، وهم يعملون بها ويتكسبون.

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ وكان الغلام له شقاوة أزلية في قدر الله إذا كبر طغى وعصى والديه، فخشينا أن يحملهما حبه طغيانًا وكفرًا على نعم الله ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ فأراد ربك يا موسى أن يبدلهما ولدًا صالحًا خيرًا منه، زكيًّا رشيدًا، وأقرب رحمة لوالديه.

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ والجدار كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان أبو الغلامين عبدًا صالحًا، وكان تحت الجدار كنز لهما، أي: مال عظيم لهما، وقيل: لوح من ذهب، وعلى اللوح مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، عجبت لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، عجبت لمن أيقن بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن بها، لا إلـه إلاَّ الله محمد رسول الله، وقيل كنز فيه مال وعلم.

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ قال الخضر عليه السلام: فأراد ربك يا موسى أن يبلغ الغلامين أشدهما في العقل والرشد ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار، وذلك التعمير للجدار أنما هو حفظ للكنز إلى

أن يبلغا رشدهما رحمة من الله لهما، وإن الأمور التي فعلتها من أمر ربك لا من اختياري، وذلك بيان لما صنعتُ ولم تستطع عليه صبرًا، واعترضتَ عليّ قبل أن أخبرك بها.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ ويسألونك يا محمد، أي: اليهود، عن قصة ذي القرنين، واسمه إسكندر. ملك المغرب والمشرق. قل لهم: سأقرأ عليكم من قصته في القرآن ذكرًا، وكان إسكندر مؤمنًا صالحًا وعادلاً في حكمه.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ إنا أعطينا له ممالك الأرض وآتيناه من كل ما يحتاج إليه سببًا؛ لأن الدنيا عالَمُ الأسباب، فالتَزَمَ سببًا إلى الوصول لحاجته، وسلك طريقه إلى جهة الغرب، حتى إذا بلغ مغرب الشمس، أي: وقت غروبها وجدها، أي: رآها تغرب في عين حمئة، أي: سوداء، ووجد عندها قومًا. وللعلماء أقوال في قوله: (تغرب في عين حمئة) مثلاً: إذا ركب الإنسان سفينة في البحر يرى كأن الشمس تغرب في البحر وتشرق منه، وعلى هذا القياس يكون غروب الشمس في عين حمئة ليست غروبها فيها حقيقيًا لأن الشمس أعظم حجمًا من العين بل تغرب وراءها، والله أعلم بما هو الصواب. قوله: (وجد عندها قومًا)، أي: وجد إسكندر دون العين قومًا. وقال النسفي في تفسيره: كانوا قومًا كفارًا لباسهم الجلود وطعامهم السمك.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ قال الله مخبرًا لذي القرنين: إما أن تعذبهم وإما أن تتخذ فيهم حسنًا، أي: ترشدهم إلى الهداية والإيمان.

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ وقال إسكندر مجيبًا: أما من كفر بربه وظلم نفسه قريبًا فنعذبه عذاب الدنيا، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا منكرًا لا يستطيع أن يصبر عليه. وأما من آمن بربه وعمل عملاً صالحًا لله تعالى فله ثواب إيمانه وأعماله الجنة، وسنقول له من إرشادنا إلى الإيمان والأعمال الصالحات كلامًا يسيرًا لا يشق عليهم، لأن الدين يسر.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ وبعد فراغه منهم سلك طريقه مع جنوده جهة المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دون الشمس حجابًا يحجبهم عن حرها، أي: لم بنوا بناءً قط، وقال المفسرون: كانوا يرتاحون في النهار في الأسراب وبعد غروب الشمس يخرجون من الأسراب يشتغلون بأشغالهم في الليل. وكذلك قد علمنا بما عنده من الجنود وآلات الحرب خُبْرًا. مصدر لتأكيد إحاطة علمه جلّ وعلا بشأن الإسكندر وغيره.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾ ثم سلك طريقه إلى جهة أخرى، حتى إذا بلغ بين الجبلين وجد من دون الجبلين قومًا ساكنين دونهما، لا يكادون يفهمون كلام غير قومهم، إلاّ بالترجمان وقيل: هم الترك، وكان يأجوج ومأجوج يخرجون من الفتح بين الجبلين ينهبون أموالهم ومواشيهم، واذا تمكنوا أكلوا لحوم الإنسان، وهم عجزوا عن مدافعتهم.

﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ قال القوم الذين يسكنون دون الجبلين: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في أرضنا، (فهل) للتقرير، (نجعل لك خرجًا)، أي: أجرًا، (على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا) نستريح منهم.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ قال ذو القرنين: الذي يمكنني فيه ربي من القوة والأعتاد خير من أجر تعطوني إياه، فأعينوني لبناء السد برجال قويين أجعل بينكم وبينهم سدًّا منيعًا، آتوني زبر الحديد، أي: قطع الحديد ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ حتى إذا ساوى بين الصدفين، أي: جانبي الجبلين، فحشا ما بينهما بالحطب وقطع الحديد إلى ذروة الصدفين، ثم قال الإسكندر: انفخوا بالمنافخ فنفخوا، حتى إذا جعله نارًا قال: آتوني ــ أعطوني ــ أفرغ قطرًا على الحديد المحمّى بالنار ــ والقطر إما النحاس المذاب أو الرصاص المذاب ــ فصب عليها فصار سدًّا صلدًا منيعًا ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا فوق السد وما استطاعوا أن ينقبوا من السد ثقبًا لملاسته وصلده.

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾ قال الإسكندر بعد فراغه وبعد مشاهدته اجتراء يأجوج ومأجوج على السد: هذا الذي صنعته لمنع المفسدين رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي للزلزلة الكبرى جعله دكاء، أي: جعل السد دكاء، أي: مدكوكًا مستويًا على الأرض. وكان وعد ربي لزلزلة الأرض وقيام الساعة حقًّا ثابتًا.

﴿ ۞وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ وتركنا جميع الخلائق ــ وقيل: يأجوج ومأجوج أو الكفار ــ يوم القيامة يموج بعضهم ويختلط في بعض حيرانين من شدة هول يوم القيامة عند قيامهم من قبورهم ونفخ في الصور النفخة الثانية للحشر، فجمعناهم جمعًا للحساب وفصلِ الحكم بينهم. فريق إلى الجنة وفريق إلى النار.

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ وعرضنا جهنم يوم القيامة للكافرين عرضًا ليزداد حزنهم وأسفهم. ثم ذكر وصفهم: الذين كانت أعينهم في غفلة عن ذكر دلائل قدرتي وجنتي وناري، وكانوا في حياتهم الدنيا لا يستطيعون أن يسمعوا كلام الله وأحاديث رسول الله لشقاوتهم الأزلية.

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ استفهام للإنكار والتوبيخ: أفظن الذين كفروا بربهم أن يتخذوا عبادي أربابًا من دوني كالنصارى الذين اتخذوا المسيح ربًّا أنه يشفع لهم يوم القيامة؟! واليهود الذين اتخذوا العزير ربًّا أنه يشفع لهم يوم القيامة؟! إنا اعتدنا جهنم للكافرين منزلاً لا محالة، ينزلون فيها لا خروج لهم منها.

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين: هل أخبركم بالأخسرين أعمالاً؟ قيل: هم القسيسون والرهبان، كانوا يعملون أعمالاً صالحة مع إشراكهم بالله فأبطل الله أعمالهم بسبب إشراكهم وخسروا، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا حَسَنًا.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ أولئك الذين كفروا بربهم وجحدوا بالقرآن ولقاء الله فحبطت أعمالهم، فلا نقيم لهم يوم القيامة ولا لأعمالهم للخير وزنًا، يعني: لا ثواب لهم ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ ذلك الخسران وإبطال أعمالهم فجزاؤهم عليه عذاب جهنم، بسبب ما كفروا بـي واتخذوا آياتي ورسلي هزوًا، أي: سخريًا واستهزاء.

إن الله سبحانه وتعالى ذكر في الآيات المتقدمة أحوال الكفار الأشقياء ومقامهم في الآخرة. ويذكر بعدها المؤمنين بالله وحده ومقامهم في الآخرة، وهذه سنة الله في كتابه العزيز:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات في حياتهم الدنيا، كانت لهم جائزة هذه الأعمال في الآخرة جنات الفردوس منزلاً لهم، وهي أعلا الجنات، خالدين، أي: مقيمين فيها، على الأبد، لا يبغون عنها: لا يريدون عنها تحولاً إلى غيرها.

وقالت اليهود: أوتينا التوراة وفيه علم كل شيء، فأنزل الله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين يتطاولون بما لديهم من العلم القليل: لو كان البحر، أي: بحار الدنيا مدادًا، أي: حبرًا تكتب به كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربـي ولو أتينا بمثل ماء البحر مددًا، أي: حبرًا يمد بعضه مدًا يكتب به، وكلمات الله لا تتناهى كعلمه وسائر صفاته. ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ

رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ قل يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم أكرمني الله بالوحي إليّ: إن إلـٰهكم وإلـٰهي واحد، وغيره باطل، فمن كان يرجو حسن لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا لله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا، ليكون عمله خالصًا لله تعالى.

الحمد لله، تمّت سورة الكهف بعون الله.

* * *

سورة مريم

آياتها ثمان وتسعون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص ۝١﴾ هذه الأحرف تقدم الكلام عنها في أول سورة البقرة ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾ هذا الذي نتلو عليك يا محمد ذكر رحمة ربك عبده زكريا عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ حين دعا ربه دعاء خفيًّا حيث لا يسمع الناس، قال: يا رب، إني وهن، أي: ضعف عظم بدني واختلط شعر رأسي شيبًا من كبر السن ولم أكن بدعائي إياك يا رب شقيًّا، أي: خائبًا، اللّهم أجب دعائي.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ قال زكريا عليه السلام: وإني خفت الموالي، أي: بنو عمي وعصبتي بعد موتي أن يضيعوا العلم والدين ولا يستقيموا فيه، وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد من كبر سنها فهب لي من فضلك وإحسانك ولدًا صالحًا يتولاني فيرث العلم ح

والدين ويرث من أولاد يعقوب العلم والدين، واجعله يا رب مرضيًّا عندك.

فأجاب الله دعاءه قال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ يا زكريا إنا نبشرك بولد اسمه يحيىٰ، لم نجعل لولدك هذا من قبلُ نظيرًا في الاسم، فسماه الله باسم لم يسبق إليه أحد، ولم تلد العواقر مثله.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ قال زكريا عليه السلام: يا رب كيف يكون، أي: يولد لي غلام وكانت امرأتي عاقرًا لا تلد من كبر سنها، وقد بلغت من كبر سنها عتيًّا، أي: نحولاً ويبسًا في الجسم والعظم والمفاصل والأعصاب، والمراد: الضعف في الجسم والهرم.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾ قال الملك الذي بشره بغلام: الأمر مثل ما أخبرتك يا زكريا، قال ربك: إيجاد الولد من هرمين عاقرين عليّ سهل، ولا تستبعد ذلك، وقد خلقتك من قبل هذا ولم تكن شيئًا في الوجود.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ قال زكريا عليه السلام: يا رب اجعل لي علامة لحمل امرأتي، قال تعالى: آيتك أن لا تستطيع أن تكلم الناس ثلاثة أيام ولياليهن وأنت سوي اللسان. وقيل: كان يقرأ التوراة ويسبح ولا يستطيع لسانه أن يكلم الناس. وبعد مضي ثلاثة أيام ولياليهن انطلق لسانه في الكلام مع الناس سبحانه وتعالى جلت قدرته.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ فخرج زكريا عليه السلام على قومه من البيت الذي يعبد الله فيه، والقوم منتظرون له ليصلي بهم، وزكريا عليه السلام لا يستطيع أن يتكلم، فأشار إليهم أن صلوا صباحًا وعشيًّا.

ورزقه الله يحيى.. ولما بلغ يحيى عليه السلام سن الرشد قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ يا يحيى خذ التوراة بجد وعزم، لا بهزل، وآتيناه الفهم في علم التوراة في حالة صباه، وكان الأولاد يلعبون ويقولون: تعال العب معنا. ويقول يحيى: ما خلقت للعب. وجعلنا فيه حنانًا، أي: رحمة وتعطفًا، ولينًا وبركة ومحبة وتعظيمًا، وجعلناه زكاة، أي: عملاً صالحًا، وصدقة لأهله ومطهرًا وآتيناه عقلاً سليمًا من الشوائب طاهرًا.

وكان يحيى تقيًّا في امتثال أمر ربه وبارًّا بوالديه لطيفًا بهما ومحسنًا إليهما ولم يكن جبارًا لخلق الله وعاصيًا لأمر الله.

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ وسلام من الله وسلامة على يحيى من كل آفة الشياطين يوم ولد من أمه ويوم يموت ويفنى من الدنيا ويوم يبعث من قبره حيًّا. وهذا وعد من الله ليحيى عليه السلام أنه يحفظه من كيد الشياطين.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ واذكر يا محمد في القرآن قصة مريم وفيها عبرة عجيبة تدل على قدرتنا في إيجاد إنسان بغير

نطفة أب، وذلك حين انتبذت، أي: اعتزلت من أهلها مكانًا شرقيًّا في بيت المقدس لتفرغ لعبادة الله، فاتخذت حجابًا، أي: سترًا لتستتر عن أهلها والناس، فأرسلنا إليها جبريل عليه السلام، سماه الله روحًا تشريفًا له، فتمثل لها بشرًا سويًّا، أي: إنسانًا كاملاً.

﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ قالت مريم عليها السلام: إني أعوذ، أي: أستجير بالرحمٰن منك إن كنت تقيًّا لا تؤذني فترجع عني.

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ قال جبريل عليه السلام: لا تخافي إنما أنا رسول ربك أرسلني الله إليك لأهب لك بأمر ربك غلامًا زكيًّا، أي: طاهرًا من الذنوب، قالت مريم: كيف يكون لي غلام ولم يمسني رجل ولم أك زانية.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ قال جبريل عليه السلام الأمر مثل ما قلت لك، قال ربك: هو، ـ أي: إيجاد الولد بغير أب ـ سهل عليّ. ولنجعله آية دالة على كمال قدرتنا للناس ليتفكروا ويوقنوا أن الله قادر على إيجاد كل شيء، ورحمة منا لمن آمن بقدرتنا وكان ذلك أمرًا مقضيًّا في قدر الله لا يتغير المقدور. فنفخ في جيبها ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ قال المفسرون: بعد انتهاء المحاورة بينهما نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فدخلت النفخة في جوفها فحملت به، وانتقلت بحملها وتنحت به مكانًا قصيًّا، أي: إلى مكان بعيد وهو بيت لحم لتستتر عن الناس.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ فاضطرها ألم الولادة والطلق حين وصولها إلى جذع نخلة يابسة لتتكىء عليها، قالت متحزنة وحياء من الناس أو أنها حزنت لعدم وجود الماء والطعام والشراب الذي تتطهر وتتقوى منه فقالت: يا ليتني مت قبل هذه الحالة وصرت نسيًا منسيًّا لا يذكرني أحد.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ فناداها جبريل عليه السلام: يا مريم لا تحزني من أمرك، قد جعل ربك من تحتك سريًّا، أي: أمامك جدولاً يجري الماء فيه، قال ابن عباس: فضرب جبريل على الأرض فنبع الماء عينًا لتشرب مريم منه لتطمئن نفسها.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾، أي: حركي إليك جذع نخلة ـ قيل: إنها يابسة ـ تساقط عليك رطبًا طريًّا جنيًّا صالحًا للأكل، فكلي من الرطب الجني واشربي من الماء السري، وقرّي عينًا، أي: طيّبي عينك وبرديها وسكّني نفسك برؤية ولدك عيسى النبي عليه السلام وبأكل الرطب وشرب الماء العذب، فلا تحزني.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ وقال جبريل عليه السلام موصيًا لها عليها السلام: فإن رأيت أحدًا من البشر يسألك عن ولدك فقولي بالإشارة: إني نذرت للرحمٰن صومًا، فلن أكلم اليوم إنسيًّا. وقيل: كان من عادتهم أن يصوموا عن التكلم كما يصومون عن الأكل والشراب.

وبعد أن وضعت حملها وارتاحت أرادت أن ترجع إلى أهلها في بيت المقدس: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾

فأتت إلى قومها بولدها عيسى وهي تحمله، قالوا مستنكرين: يا مريم ما هذا؟ لقد جئت شيئًا عظيمًا منكرًا.

ثم بدأوا يلومونها: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ۝٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ۝٢٩﴾ يا شبيهة هارون أو أخته في الدين ــ وكان رجل عندهم اسمه هارون، وهو رجل متعبد لله تعالى، وكانت مريم تشبهه في عبادة الله ــ ما كان أبوك امرءًا فاجرًا، ولا أمك زانية، من أين لك هذا الولد؟ فأشارت إلى الولد الذي في المهد ــ يعني ليسألوه ــ قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا لا يستطيع التكلم؟

فأنطقه الله في الحال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ۝٣٢﴾، وقيل: كان عيسى له من العمر أربعين يومًا. وقوله: (إني عبد الله) ردًّا على زعم النصارى أن عيسى ابن الله. (آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا وجعلني مباركًا)، أي: ذا بركة أين ما كنت ينتفع الناس من علمي وإرشادي إلى الخير، وأمرني بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ما دمت حيًّا، وأمرني أن أحسن لوالدتي، ولم يجعلني جبارًا لخلقه شقيًّا عاصيًا لأمره. وقوله: (وآتاني الكتاب وجعلني نبيًّا وجعلني مباركًا) بصيغ الماضي، إخبار بما كتب الله له وسيكون ذلك له حين بلوغه الرشد.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝٣٣﴾ وهذا من تمام كلامه، أي: السلامة عليّ من نزغ الشيطان حين ولادتي وحين مماتي وحين أبعث من قبري حيًّا، ثم سكت عن التكلم إلى بلوغ الأطفال سن التكلم.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٣٥ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٣٦﴾ ذلك الذي تكلم في المهد هو عيسى ابن مريم، وكلامه كلام الحق لا شك فيه، ثم عرّض باليهود والنصارى فقال: والذي فيه يمترون، أي: يشكون ويتجادلون في نسبه وفي براءة أمه مريم. ثم نزه الله نفسه: ما كان الله، أي: ما صح لله أن يتخذ من ولد سبحانه، من اتخاذ ولد وصاحبة، لأن الولد من البشر فلا يجانسه، إن الله تعالى هو الواحد في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء، إذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له كن كذا فيكون في الحال كما أراد الله، إن الله ربي وربكم فاعبدوه لا تعبدوا غيره، وعبادة غيره شرك، هذا الذي بينته لكم هو صراط مستقيم إلى مرضاة الله توصلكم إلى الجنة.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٣٧﴾ فاختلف اليهود والنصارى في شأن عيسى عليه السلام وتحزبوا بينهم في دعواهم وزعمهم، فمنهم من قال إن عيسى ابن الله، ومنهم من قال: ابن الزنا. فكذبهم الله لأن عيسى عليه السلام خَلْقٌ من خلق الله، قال تعالى: فويل، أي: عذاب شديد للذين كفروا بتقولهم على عيسى عليه السلام غير الحق، فويل لهم من مشهد يوم عظيم، هو يوم القيامة، يحضر فيه المؤمن والكافر والصالح والفاجر كل على حسب عمله ويجازى.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٣٨﴾ أسمع لهؤلاء المعاندين وأبصر لهم ما سيكون لهم يوم القيامة وهم يأتوننا بأعمالهم، لكن الظالمون على أنفسهم بالكفر والمعاصي في خطأ ظاهر في الدنيا، وهم يوم القيامة في عذاب عظيم؛ لأن طريقهم إلى جهنم.

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وخوِّف يا محمد الناس بيوم القيامة، يوم يتحسر المستهزؤون إذ لم يعملوا في حياتهم الدنيا من الأعمال الصالحات، وذلك حين قضي أمر الحكم بينهم، فريق إلى الجنة وفريق إلى الجحيم، وهم في غفلة في الدنيا ماذا يكون لهم في الآخرة؟ وهم لا يصدقون بالبعث والحساب والجزاء، مغرقون في شهواتهم في ملذات الدنيا.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ إنا نحن نرث الأرض والذي عليها من الكنوز والأموال بعد فناء أهلها، لا يبقى حيّ إلاّ الله الواحد القهار، وإلى الله يحشر جميع الإنس والجن وكل مخلوق حي للحساب والجزاء. وفي الآية تزهيد عن رغبة الدنيا.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ واذكر يا محمد في القرآن أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان صديقًا: صيغة مبالغة، أي صادقًا ومصدقًا في طاعة ربه، نبيًّا من أنبياء الله.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ حيث قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر مستنكرًا: يا أبت، لِمَ تعبد شيئًا لا يسمع الخطاب ولا يبصر أمامه، ولا يستطيع دفع الضر عنك شيئًا، ولا جلب النفع لك، فإنه جماد.

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾
يا أبت، قد جاءني من علم النبوة والإرشاد الذي لم تعرفه أنت، فاتبعني بما أرشدتك أهدك إلى طريق مستقيم إلى مرضاة ربك.

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ يا أبت، لا تطع إغواء الشيطان بعبادة الأوثان، إن الشيطان كان للرحمٰن عاصيًا، وفاسقًا عن طاعة الله.

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ يا أبت، إني أخاف أن تموت على كفرك ويمَسُّك عذاب من الرحمـٰن، فتكون للشيطان قرينًا في عذاب جهنم.

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ قال أبوه آزر على وجه الإنكار لنصيحة إبراهيم عليه السلام: أراغب، أي: أترغب عن عبادة آلـهتي يا إبراهيم فتتركها إلى غيرها؟! لئن لم تنته عن اعتراضك عليّ وعن شتمها لأرجمنك بالحجارة فتموت، واعتزلني سالمًا قبل أن تصيبك عقوبتي.

ولما عرف إبراهيم عليه السلام أباه أنه لا يرجع عن عبادة الأوثان ولم يقبل نصيحته وإرشاده ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ قال إبراهيم عليه السلام: سلام عليك في مفارقتي عنك سأسأل لك ربـي أن يجعلك من أهل المغفرة؛ إن ربـي كان حفيًا، أي: لطيفًا مجيبًا لدعائي.

ثم قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ وأعتزل عنكم وما تعبدون من دون عبادة الله، وأعبد ربـي مخلصًا له، وأرجو منه أن لا يجعلني بعبادتي له شقيًا. وقول إبراهيم عليه السلام تعريض بأبيه وقومه لأنهم من أهل الشقاوة والضلالة.

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ فلما اعتزل إبراهيم عليه السلام قومه والأصنام التي يعبدونها من دون عبادة الله ــ والاعتزال كناية عن هجرته التي هاجرها من بلاده حتى وصل أرض بيت المقدس ــ وهنا وهبنا له إسحاق ويعقوب ولدًا لإسحاق، وكلاًّ، أي: إسحاق ويعقوب جعلنا نبيًّا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ قال تعالى: وهبنا لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ذرية صالحة أنبياء بني إسرائيل من أولاد يعقوب، وجعلنا لهم ثناءً حسنًا عاليًا عند الناس إلى يوم القيامة.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ واذكر يا محمد في القرآن موسى: إنه كان عبدًا مخلصًا في طاعة الله وكان رسولاً نبيًّا، جمع الله له الرسالة والنبوة.

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ وكلمناه من جانب جبل الطور، وكان عن يمين موسى، والطور هو جبل سيناء، وقربناه لنكلمه به بلا واسطة ولا وحي ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ ووهبنا لموسى عليه السلام أخاه هارون نبيًّا ليعينه بالدعوة إلى توحيد الله وعبادته.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ واذكر في القرآن يا محمد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، إنه كان صادقًا في وعده، إذا وعد أوفى، وكان رسولاً نبيًّا، جمع الله له الرسالة والنبوة. وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان عند ربه عبدًا مرضيًّا عنه.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ واذكر يا محمد في القرآن قصة إدريس عليه السلام، إنه كان صديقًا صادقًا في طاعة الله وفي شأنه كله، وكان نبيًّا ورسولاً لتبليغ أمر الله لعباده، ورفعنا قدره بالرسالة مكانًا عاليًا عندنا وعند الناس وورد أنه في السماء الرابعة، وقيل: هو أول من خط بالقلم وأول من اطلع بعلم النجوم وأول من لبس الثوب المخيط، كان خياطًا. وقيل: كانوا قبل إدريس عليه السلام يسترون عوراتهم بالجلود.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ ﴾ (أولئك) إشارة إلى من ذكر اسمهم في هذه السورة، أولهم زكريا وآخرهم إدريس عليه وعليهم الصلاة والسلام، الذين أنعم الله عليهم بالرسالة والنبوة، وهم من ذرية آدم أبو البشر وممن حملنا في السفينة مع نوح عليه السلام، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل، هو يعقوب عليه السلام، وكل أنبياء بني إسرائيل إلى عيسى عليه السلام من أولاد يعقوب الإثنا عشر وممن هدينا إلى الإيمان بنا واجتبيناهم، أي: اخترناهم للرسالة والنبوة. ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ إذا تتلى عليهم آيات من كتب الرحمٰن خروا ساجدين لله تعالى باكين من خشية الله وخاضعين لأمر الله.

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ فجاء بعد ذهاب هؤلاء الأتقياء أناس أشقياء تركوا الصلاة واتبعوا شهوات أنفسهم فسوف يلقون غيًّا، أي: واديًا في جهنم بسبب ضلالهم وخيبتهم.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ إلاّ من تاب عن ذنوبه وكفره وآمن بالله وحده وعمل عملاً صالحًا لله تعالى فأولئك يدخلون الجنة ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئًا. ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ ﴾ هي جنات الإقامة التي وعد الله عباده المؤمنين بالغيب في الدنيا، إنّ وعده آت لا يخلف.

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ ﴾ أهل الجنة لا يسمعون كلامًا لغوًا في الجنة إلاّ سلامًا من الملائكة، أو المعنى لا يسمعون كلامًا إلاّ سلامة من اللغو والفضول، ولأهل الجنة رزقهم من المطاعم والثمرات فيها بكرة وعشيًّا، أي: صباحًا ومساء لا ينقطع أبدًا. تلك الجنة التي وصفناها نورثها من عبادانا من كان تقيًّا في طاعة الله ولم يخالف أمر الله.

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت الآية، قال جبريل عليه السلام: ما ننزل إلى الأرض إلاّ بأمر ربك يا محمد، (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك)، أي: له علم ما بين أيدينا، وما مضى أمامنا من أعمالنا ومن أمر الدنيا، وما يكون بعدنا من أمرها وأمر الآخرة، وعلم ما بين ذلك وهو البرزخ، فعلمه محيط بكل شيء. وما كان ربك ناسيًا أحوال خلقه، ولم ينسك وإن تأخر عنك الوحي.

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ هو خالق السموات السبع والأراضين السبع وما بينهن من الخلائق، أخلص

العبادة له واصبر لتكاليف عباداته وأوامره، هل تعلم له شبيهًا ونظيرًا؟ والجواب: هو الواحد في ذاته وصفاته لا ولد ولا نظير له ولا شبيه، ليس كمثله شيء.

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾ ويقول الإنسان المنكر للبعث متعجبًا: هل إذا مت وصرت ترابًا ورفاتًا لسوف أخرج من قبري حيًّا؟! ورد الله عليه بالتقريع والتذكير لبداية خلقته ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ أو لا يتذكر الإنسان المنكر للبعث ويتفكر في بداية خلقه من العدم للوجود أنا أوجدناه من العدم للوجود من قبل ذلك ولم يكن شيئًا.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ فوربك يا محمد لنحشرنهم وشياطينهم ثم لنحضرن جميعهم حول جهنم ونجلسهم على ركبهم جثيًّا لينظروا إلى جهنم ويزداد حزنهم وأسفهم.

﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ ثم لننزعن من كل فرقة وملة أيهم كان أشد على الرحمٰن عتيًّا، أي: تكبرًا وجرأة ﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾ ثم لنحن أعلم بمن هم أولى بالدخول في جهنم دخولاً يحترقون بها ويتعذبون.

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ وما منكم إلاَّ داخلها كان ذلك على ربك يا محمد حتمًا، أي: لازمًا قد قضى الله بذلك. وللمؤمنين العبور منها سالمين، وللكفار القرار فيها أبدًا. وذلك تحلّة القسم.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ ثم ننجي الذين اتقوا الله في كل شأنهم، ننجيهم من البقاء في جهنم. ونترك الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي في جهنم على ركبهم جاثين لا يستطيعون تحركًا من مكانهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾ وكانوا في الدنيا إذا تتلى على المشركين آياتنا بينات واضحات قال الذين كفروا لفقراء المسلمين، أيّ: الفريقين، نحن أم أنتم، خير مقامًا وأحسن مجلسًا؟ يعنون أنهم هم أحسن منزلاً وأحسن مجلسًا من فقراء المسلمين، وأبطل الله دعواهم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ۝٧٤﴾ وكم من قرية أهلكنا أهلها بكفرهم بالله وعصيانهم على رسلهم قبل كفار قريش وكانوا أحسن وأكثر متاعًا وأموالاً ومنظرًا وهيئة منهم.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ قل يا محمد لهؤلاء الزاعمين أنهم على الحق: من كان في الضلالة فيمهل له الرحمٰن مهلاً في طغيانه. حتى يروا ما يوعدون من العذاب إما بنصر المؤمنين عليهم وأسرهم لهم وإما بقيام الساعة فيصيرون إلى النار، فسيعلمون عند ذلك من هو شر مكانًا وأضعف ناصرًا؛ هم في النار والمؤمنون في الجنة. وهذا رد على قولهم: أيّ الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا؟

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ ويزيد الله المؤمنين الذين اهتدوا إلى ما يرضي الله هدى، أي: ثباتًا في إيمانهم، والأعمال الصالحات ـ بطاعة الله وترك المعاصي ـ

باقيات عند ربك، وهي خير ثوابًا وخير مردًا، أي: مرجعًا لصاحبها مما يباهي به المشركون من زينة الدنيا لأنها زائلة، وثواب الآخرة باقٍ لا زوال له أبدًا.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ استفهام للتعجب، أفرأيت يا محمد الذي كفر بآياتنا ويزعم أن الله يعطيه في الآخرة مالاً وولدًا؟ ورد الله على زعمه وأنكر عليه: هل اطلع على الغيب أن الله سيعطيه ما يريد؟ أم اتخذ عند الرحمٰن عهدًا بذلك؟!

﴿كَلَّا﴾ رد على مقالته الكاذبة ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ سنأمر الكتبة أن تكتب في ديوان الأعمال كل الذي يقوله، ونزيد له من العذاب فوق عذابه عذابًا، ونحفظ له ما يقوله من المزاعم والمكاذب، ويأتينا يوم القيامة فردًا لا زاد ولا مال له ولا أولاد ولا ناصر من عذابنا.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ واتخذ مشركو مكة أصنامهم آلهة من دون الله ليكونوا لهم عزًا وشرفًا!! (كلا) ـ رد على زعمهم ونفي ـ، إنما سيكفر أصنامهم بعبادتهم إيّاهم ويكونوا على عابديهم ضدًّا يوم القيامة، ويتبرؤون منهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين وسلّطناهم على الكافرين تهيجهم وتغويهم إغواء بالإغراء والوسوسة على المعاصي وأعمال الكفر؟! فلا تعجل يا محمد بنزول العذاب عليهم إنما نعد لهم

أنفاسهم، جمع نفس وهي الحياة في البدن، وأعمالهم عدًّا لا يفوت عن إحاطة علمنا شيء.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ ويوم القيامة يأمر الله أن يحشر عباده المتقين في طاعة الله إلى الرحمٰن وفدًا، أي: كالضيف المكرم بالتشريف، ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ ويأمر الله أن يساق المجرمون إلى جهنم وردًا، أي: عطشى كوارد الماء. ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ لا يملك هؤلاء الكفار الشفاعة يوم القيامة لأحد ولا يملكها أحد إلاّ من اتخذ عند الرحمٰن بالإيمان به وبالأعمال الصالحات عهدًا موثقًا عند الله، وذلك أن الله يأذن أن يشفع المؤمن الصالح لقريبه الفاسق في العمل.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ وقال المشركون: اتخذ الله الملائكة بناتًا. قبح الله مقالتهم، لقد جئتم أيها المشركون شيئًا عظيمًا في القبح، تكاد السموات يتفطرن وتسقط على الأرض وتنشق الأرض وتخر الجبال وتندك دكًّا، بسبب أن ادعى المشركون للرحمٰن أنه يتخذ ولدًا.

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ لا يصح ولا يليق للرحمٰن أن يتخذ من خلقه ولدًا ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ ما كل من في السموات والأرض من المخلوقات إلاّ آت الرحمن عبدًا ذليلاً خاضعًا لأمر الله.

﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ لقد أحصى الله خلقه وعدهم عدًا، وهذا تأكيد للإحصاء، وكل إنسان وجن آتي

أمام الله يوم القيامة للحساب والجزاء فريدًا لا ناصر له ولا مال ولا أولاد ولا عشيرة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ إن الذين آمنوا بالله وحده وعملوا الأعمال الصالحات لله تعالى، لا سمعة ولا رياء، سيجعل الله لهم محبة في قلوب الخلق ويجعل محبة في قلوبهم يتوادون ويتحابون بها بينهم محبة لله تعالى.

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ فإنما يسرنا تلاوة القرآن على لسانك يا محمد لتبشر بذكر القرآن ووعده الجنة للمؤمنين المتقين، وتخوف بزواجره ووعيده قومًا لدًّا، أي: شديدو الخصومة بالباطل.

﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾ ﴾ وكم من أهل قرية أهلكناهم بكفرهم واجترائهم على ربهم وتكذيبهم على رسلهم قبل كفار قريش من قرون ماضية هل، ترى منهم من أحد في ديارهم المدمّرة أو تسمع لهم صوتًا خفيًّا؟ قد هلكوا وتدمرت ديارهم، وكفار قريش مثلهم إن لم يؤمنوا بوحدانيتي ولم يتركوا عبادة الأصنام. وقد أهلك الله صناديدهم في بدر قتل سبعون بأيدي المسلمين وأسر سبعون، والباقون وفقهم الله للإيمان يوم الفتح، وسلموا من الاستئصال بالهلاك بشرف إيمانهم بالله وبرسوله محمد ﷺ.

الحمد لله، تمّت سورة مريم بعون الله.

❋ ❋ ❋

سورة طه

آياتها مائة وخمس وثلاثون آية، وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ قوله: (طه) اختلفت أقوال العلماء فيها، قيل: هي للإعجاز، وقيل: اسم لهذه السورة وقيل غير ذلك. وكان عليه الصلاة والسلام يطيل القراءة والقيام في صلاته ويشتد في ذلك حتى قال كفار قريش: ما أنزل القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله: (ما أنزلنا عليك) يا محمد (القرآن لتشقى)، أي: ما أنزلناه لتتعب في تلاوته، ما أنزلناه إلا تذكرة وموعظة لمن آمن به ويخشى عقاب الله، منزلاً ممن خلق الأرض والسموات العليا، هو ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ استواؤه كما يليق بجلاله بغير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف، وله جميع ما في السموات السبع والأراضين السبع من المخلوقات خلقًا وملكًا وعبيدًا، وله الذي تحت الأرض من المعادن والكنوز وغيرها.

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ وإن تجهر يا محمد بالقول لإظهاره فإنه تعالى يعلم السر من

القول وأخفى منه كالهواجس والخواطر. وفي قوله تعالى تنبيه لعباده المؤمنين أن لا يخطر في قلوبهم شيئًا فاسدًا لأنه تعالى مطلع عليه، فهو الله الذي لا إله يعبد إلاَّ هو، المعبود الحق، له الأسماء الحسنى، تأنيث أحسن، أي: له أسماء صفاته الحسنى.

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ الاستفهام للإثبات والإيجاب، أي: أليس قد أتاك يا محمد حديث موسى عليه السلام، حيث رأى نارًا من بعيد في ليلة مظلمة؟!

وكان رجوعه بأهله من مدين إلى مصر أيام الشتاء وقد أخطأ الطريق في الليل، فقال لأهله قفوا، متنظرين ههانا؛ إني أبصرت نارًا، لعلي آتيكم منها بشعلة بطرف عود فنشعل بها نهارًا نستدفيء بها؛ أو أجد على النار هدى، أي: أجد عند النار هاديًا يدلني على الطريق.

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ فلما أتى موسى عليه السلام قرب النار التي رآها من بعيد. نودي يا موسى: إني أنا ربك فاخلع نعليك من قدميك إنك بالوادي المطهر طوى، وهذا اسم للوادي.

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ وأنا اخترتك من بين عبادي للرسالة فاستمع لما يوحى إليك من الأوامر والنواهي والزواجر، إنني أنا الله لا إله غيري إلاَّ أنا المتفرد في ذاتي وصفاتي فاعبدني، أي: أخلص العبادة لي، وأقم الصلاة لتذكرني فيها

بالخشوع والوقار، إن قيام الساعة آت لا محالة ولا شك فيه، أكاد أخفي قيامها عن الناس. ثم ذكر علة إخفاء وقت وقوعها: لأن الإيمان بها بالخبر لا بد قبل المعاينة لها، وكذا أخفي وقت الموت ليكون العباد على حذر دائمًا فلا يغفلون عن طاعة ربهم؛ لتجزى كل نفس بما تسعى، أي: بسعيها فلا يزاد على ماتستحقه من العذاب، ولا يُنْقصُ منه شيئًا.

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ فلا يصرفنك يا موسى عن الإيمان بها من لا يؤمن بقيام الساعة، واتبع هوى نفسه بشهوات الدنيا ولذاتها فهلك في بغيه على نفسه، فتهلك مثله.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾: ما هذه التي في يمينك يا موسى؟ قال: هي عصاي أعتمد عليها حين أمشي وأشير على غنمي ليسير أو يحول اتجاهه أو أضرب بها أغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل على غنمي تناوله فتأكله ولي فيها حاجات أخرى.

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾، أي: فاطرح العصا إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فإذا هي في الحال صارت حية عظيمة تتحرك وتمشي. فهاب موسى عليه السلام منها.

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾، أي: خذها بيدك ولا تخف منها سنعيدها لحالتها الأولى. فأخذها بيده فصارت عصا واطمأن منها.

قال تعالى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ أدخل يدك إلى تحت إبطك تخرج يدك بيضاء لها

شعاع من غير برص، تكون لك معجزة ثانية، لنريك من آياتنا الكبرى، لقد وهبنا لك يا موسى معجزتين عظيمتين لنريك من آياتنا العظمى التي تدل على صدق رسالتك.

قال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ اذهب إلى فرعون فأنذره من عقاب الله، إنه تجاوز حد العبودية وادّعى الألوهية وتجبّر على خلق الله.

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ قال موسى عليه السلام: يا رب، اشرح لي صدري في تبليغ أمرك، ويسر لي أمري في تبليغ رسالتك إلى فرعون وقومه، وافتح العقدة التي في لساني حتى يفصح لساني ويفهموا كلامي.

[وتلك العقدة في لسان موسى عليه السلام سببها أنه وهو طفل رضيع في بيت فرعون، أخذه فرعون بيده فحمله، فأخذ موسى بلحيته فآلمه، فأراد فرعون أن يقتله، فقالت امرأته آسية لا تقتله حتى نختبره. ووضعت أمام موسى جمرًا ولؤلؤًا، وأخذ موسى الجمرة وأدخلها في فمه فاحترق لسانه وحدث فيه لكنة فلا يستطيع أن يفصح بالكلام، فعرف فرعون أنه جاهل لا يميز شيئًا فلم يقتله. وقال المفسرون: إن هذه اللكنة قد زالت كلها أو زالت عقدة منها بدليل قوله تعالى: (قد أوتيت سؤالك يا موسى)].

﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ وقال موسى عليه السلام: يا رب، اجعل لي معينًا من أهلي في تبليغ أمرك، يكون هو أخي هارون؛ فهو أفصح لسانًا مني، وتقوّي به نفسي وظهري في تبليغ

رسالتك، وأشركه في أمري، أي: أمر النبوة والرسالة، لعلنا نسبحك كثيرًا ونذكرك كثيرًا بالدعاء والتضرع إليك، إنك يا ربنا كنت بنا بصيرًا لا يخفى عليك شيء من شأننا ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾، أي: قد أوتيت ما سألته مني يا موسى.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾، أي: ولقد تفضلنا بالمنة عليك يا موسى مرة أخرى قبل هذه المرة، ثم بيّن: إذ ألهمنا إلى أمك ما يلهم بأن يكون سببًا لنجاتك، ثم بين إلهامه لأم موسى: أن اقذفي الطفل في الصندوق فألقي الصندوق في ماء النيل فليلقه الماء بالساحل، أي: بساحل النيل قريبًا من قصر فرعون، يأخذه عدو لي وعدو له، وقيل: كان نهر من النيل يدخل في بستان فرعون، وقد دخل التابوت بالنهر فدخل في بستان فرعون، وأمر الغلمان ليأخذوا التابوت فأخذوه وفتحوه أمام فرعون فإذا بصبي أصبح الوجه، ونظر فرعون إليه أحبه وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ وألقيت عليك محبة مني ليحبك من يراك، ولتربى بمراقبتي ورعايتي. وحرمنا عليك المراضع، وكلما أتى فرعون بالمرضعة فأنت لا تقبلها ولم ترضع منها وكانت أمك قد أرسلت أختك لتعلم من شأنك، فكانت تمشي تراقبك حتى دخلت قصر فرعون، وعرفت أن فرعون وأهله على حيرة لأن الطفل لم يرضع من المراضع فقالت لهم أختك: هل أدلكم على من يكفله؟ فقالت آسية امرأة فرعون لها أن تأتي بها، فجاءت بأم موسى فأدخلت ثديها في فم الطفل فقبل ورضع ثدي أمه. وأرادت آسية أن تبقي

أم موسى مع موسى عندها، فرفضت أم موسى ذلك لأن عندها عيال تربيهم وطلبت أن تأخذه معها فترضعه وتأتي به كل حين ليروه، فقبلت آسية، فأخذته أمه إلى بيتها. وهكذا رجع إلى أمه واطمأنت به وقرت عينها بابنها، وذلك قوله تعالى: ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن﴾.

﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ ستأتي قصة القتيل في سورة القصص، وكان قتله له خطأ فأنجاه الله من الغم والخوف من قصاص قتيله لأن فرعون أمر جنوده أن يبحثوا عن موسى فيأتوا به ليقتله قصاصًا عن قتيله، فحمى الله موسى وصرفه إلى مدين عند شعيب عليه السلام وأمن موسى من شر فرعون وملته. وقوله: (وفتناك فتونًا)، أي: وابتليناك واختبرناك يا موسى ابتلاء واختبارًا كثيرًا ورزقناك الصبر فيها لنرفع مقامك عندنا.

﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾، أي: فأقمت عند شعيب عليه السلام في مدين لترعى غنمه لمهر زوجتك بنت شعيب عليه السلام عشر سنين فإذا تمت المدة فجئت بزوجتك متوجهًا إلى مصر على القدر الذي كتب الله لك يا موسى.

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال: واخترتك يا موسى لتبليغ رسالتي إلى فرعون وقومه، اذهب أنت وأخوك هارون بآياتي وهي العصا واليد البيضاء المنيرة ولا تفترا وتقصرا في ذكري فيكون لكما عونًا وطمأنينة لنفسكما، الذكر هو لا إله إلاَّ الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله. اذهبا إلى فرعون إنه طغى، أي: تجاوز حد العبودية وتجبَّر على خلق الله.

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ فقولا لفرعون قولاً ليناً باللطف لا بالغلظة، لعله يتذكر عظمة الله وقدرته، أو يخشى عقاب الله ويرتد عن طغيانه وجبروته على خلق الله.

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ قالا يا ربنا إننا نخاف أن يعجل علينا العقوبة أو يزيد في طغيانه ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾، أي: لا تخافا من سطوته وقهره إنني معكما بالنصر والمعونة أسمع ما يقول لكما وأرى ما يفعله لكم.

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ فأتيا فرعون فقولا إنا رسولا ربك إليك فأرسل معنا بني إسرائيل يذهبون إلى بيت المقدس فيعبدون ربهم، ولا تعذبهم بالأعمال الشاقة عليهم. قد جئناك بآية، أي: بمعجزة من ربك تدل على صدق رسالتنا إليك، والسلامة من عذاب الله على من اتبع الهداية واستقام فيها.

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ قال موسى ومعه هارون عليهما السلام: إنا قد أُخبرنا بالوحي أن العذاب على من كذب رسول الله وأعرض عن الإيمان به.

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ قال فرعون: فمن هو ربكما يا موسى وهارون؟ قال موسى عليه السلام: ربنا الذي أعطى كل شيء من المنافع لخلقه ثم هداهم للانتفاع به.

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ قال

فرعون احتجاجًا على موسى: فما شأن القرون الأولى إذ لم يبعثوا من قبورهم كما تزعم أنت يا موسى؟ قال موسى عليه السلام: علم هؤلاء عند ربي في اللوح المحفوظ مكتوب لا يخطىء في حساب أعمال خلقه ولا ينسى منها شيئًا. ثم ذكر لفرعون الدلائل التي تدل على كمال قدرة الله: هو الله الذي جعل لكم الأرض مهدًا لتستقروا عليها وسلك لكم فيها طرقًا لتسلكوا فيها في أسفاركم وأنزل لكم من السحاب ماء عذبًا لتشربوا.

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ فأخرجنا بماء المطر أصنافًا من نبات مختلف شتى، كلوا أيها الناس من أثمارها وحبوبها وارعوا أنعامكم في كلإها وعشبها، واحمدوا واشكروا ربكم على تلك النعم، إن في ذلك لآيات ظاهرات لصاحب العقل والعلم.

قال تعالى: ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ من تراب الأرض خلقناكم أيها الناس وفيها نعيدكم بعد مماتكم، أي: تقبرون فيها، ومنها نبعثكم أحياء مرة أخرى وتحشرون إلى ربكم للحساب والجزاء.

ثم أوصل قصة فرعون ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ ولقد بصَّرنا فرعون آياتنا التسع مفصلات، آية بعد آية كلها، فكذب برسالة موسى عليه السلام وامتنع عن الإيمان بالله واستمر على كفره وطغيانه.

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾ قال فرعون منكرًا وجاحدًا معجزات موسى عليه السلام: أجئتنا يا موسى تريد إخراجنا من بلدنا مصر بسحرك، ثم قال فرعون: ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ فلنأتيك بسحر مثل سحرك في مشهد الناس، فاجعل بيننا وبينك موعدًا معينًا، لا نخلف الموعد نحن ولا أنت، مكانًا مستويًا يتبين للناس ما بيّناه فيه، منصفًا، نجتمع فيه بسحرنا لنرى من الأقوى.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ قال موسى عليه السلام: موعدكم يوم الزينة، أي: يوم عيدكم لأن القبط يتزينون فيه لعيدهم، وأن يجتمع الناس وقت الضحى، والمبارزة تكون عند الأشهاد حتى ينظروا عليها.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ فتولى فرعون إلى قصره فأمر أن يجمع السحرة فجمعهم ثم أتى على الموعد معهم بحبالهم وعصيهم.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ قال موسى عليه السلام للسحرة: ويلكم، أي: ويل لكم إن سحرتم لا تفتروا على الله كذبًا فيهلككم مستأصلاً لكم بعذابٍ عقوبةً لكم، وقد خسر من افترى على الله كذبًا.

ولما سمع السحرة كلام موسى عليه السلام التفت بعضهم إلى بعض قالوا: هذا ليس من كلام الساحر.

قال تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ فتنازع السحرة في أمر موسى عليه السلام بينهم وأسروا الكلام بينهم، وبعد المشاورة قالوا: إن هذان لساحران ــ يشيرون إلى موسى وهارون عليهما السلام ــ يريدان أن يخرجاكم من بلدكم مصر بسحرهما، ويذهبان

بدينكم، و (المثلى) تأنيث أمثل، أي: أفضل. وقال المفسون: إن هذا الكلام كان من فرعون للسحرة.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾﴾ قال فرعون للسحرة بعد تشاورهم وعزمهم للمقاومة: اجمعوا آلاتكم للسحر ثم ائتوا جميعكم مصطفين في مشهد الناس. وقد أفلح اليوم بجائزة فرعون من غلب موسى.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾﴾ قال السحرة لموسى عليه السلام: إما أن تلقي عصاك وإما نحن نلقي حبالنا وعصينا قبلك.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ قال موسى عليه السلام: بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم، فألقوا حبالهم وعصيهم، وفي الحال صار يخيل إليه أنها حيات كثيرة وخيل لموسى عليه السلام أنها تسعى، وذلك من تأثير السحر، فأوجس موسى عليه السلام في نفسه خوفًا أن يتبع الناس السحرة وذلك الخوف من طبيعة البشر، قال الله لموسى عليه السلام: لا تخف يا موسى إنك أنت الأعلى، أي: تغلب عليهم. وبعد أن سكن واطمأن موسى عليه السلام قال تعالى: ألق يا موسى التي في يدك اليمنى وهي العصا، فألقاها فإذا هي في الحال صارت حية عظيمة تبلع الذي صنع السحرة من سحرهم. لأن الذي صنعوه إنما هو مكر ساحر لا حقيقة له ولا يفوز السحرة بمقاصدهم أيًّا كانت، وهم خائبون في صنعهم.

ولما شاهدوا معجزة موسى عليه السلام عرفوا أنهم على الباطل.

قال تعالى مخبرًا عن شأنهم: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ فألقى السحرة رؤوسهم إلى الأرض ساجدين لله وقالوا: آمنا برب هارون وموسى. قال المفسرون: كشف الله لهم منازلهم في الجنة وهم في السجدة، فلما رأوا فيها منازلهم ازدادوا إيمانًا ويقينًا بالله فغضب فرعون.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾ قال فرعون معاتبًا ومحذرًا للسحرة: آمنتم بموسى قبل أن آذن لكم بالإيمان به، إن موسى لكبيركم في علم السحر، هو علَّمكم السحر، ثم خوفهم: لأقطعن أيديكم من الكوع وأرجلكم من الكعب، ولأعلقنكم على جذوع النخل لتتعذَّبوا أشد العذاب ولتعلمن أيُّنا أشد معذِّبًا وأدوم في عذابه أنا أو رب موسى؟؟!

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ ولما فرغ فرعون من عتابه وتخويفه السحرة. أجاب السحرة: لن نؤثرك، أي: لن نختارك يا فرعون ونفضلك على ما جاءنا موسى من المعجزات، والذي خلقنا قد آمنا به، فاقض ما أنت قاضيه علينا بما شئت إنما تقضي علينا في هذه الحياة الدنيا، إنا قد آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التي اكتسبناها من الكفر والمعاصي في الجهل، والذي أكرهتنا على تعلمه من علم السحر، والله خير ثوابًا وأبقى، ثوابه لا ينقطع، وقيل: الله خير لنا منك وأبقى، أي: أدوم عذابًا لنا إن عصيناه من عذابك لنا، وهذا جواب على قول فرعون أينا أشد عذابًا وأبقى.

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ وهذا من تتمة كلام السحرة لفرعون، وقال البعض: إن الكلام هنا هو ابتداء كلام الله عز وجل، والمعنى: إن شأن من يأت ربه يوم القيامة مجرمًا وعاصيًا فإن له جهنم يدخل فيها لا يموت فيها من شدة العذاب ولا يحيى حياتًا طيبة، وحياته في العذاب.

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ ومن يأت ربه مؤمنًا به قد عمل الأعمال الصالحات لله تعالى فأولئك لهم الدرجات العليا، أي: جنات إقامة فيهم درجات عاليات، تجري من تحت قصورها مياه الأنهار، وأهل الجنة مقيمون فيها أبدًا، وتلك الإقامة في الجنة والتنعم فيها في حياة سرمدية جزاء من تزكى، أي: تطهر من دنس البشرية بالإيمان بالله وحده وبالتوبة الصادقة من الذنوب والخطايا.

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ ولما تمادى وطغى فرعون يريد إعدام وقتل موسى وقومه بني إسرائيل، عند ذلك أمرنا موسى بالوحي: أن سر ليلاً ببني إسرائيل فإذا جئت عند البحر فاضرب البحر بعصاك فينفلق الماء فيكون لهم طريقًا يابسًا فتمر أنت وقومك بنو إسرائيل، لا تخاف لحوق فرعون عليكم ولا تخشى من الغرق.

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ فلحق فرعون مع جنوده بموسى وقومه بني إسرائيل، ورأوا البحر يابسًا، ودخلوا كلهم البحر، فغشي الماء عليهم ما غشيهم، وهلكوا

جميعهم، وأضل فرعون قومه عن الرشد إلى الضلالة وما هداهم إلى الحق. وقد سبقت قصة هلاك فرعون وقومه في سورة هود أكمل من هذه.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ يذكّر سبحانه وتعالى بما أنعم عليهم: يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم إتيان جانب الطور، وهذا عندما أُمر موسى أن يأمركم بالخروج معه ليكلمه الله بحضرتكم فتسمعوا الكلام. وواعدنا لكم بإنزال التوراة لموسى عليه السلام لإقامة دينكم، فيه أحكام عباداتكم ومعاملتكم، وموعد استلام التوراة جانب الطور الأيمن وهو جبل في سيناء مصر، ونزلنا عليكم المن والسلوى، وقيل المن يشبه الترنجين والسلوى طير يشبه السمان وكان في التيه.

قلنا لكم: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ كلوا من حلالات ما رزقناكم من المطاعم ولا تطغوا، أي: ولا تتجاوزوا عن حد العبودية، ولا تسرفوا فيما وسع لكم من الرزق. إن خالفتم على أمري فينزل عليكم غضبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد هلك وسقط في جهنم.

ثم رغّب إليهم التوبة والاستغفار ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ وإني لغفار لمن تاب عن ذنوبه وأيقن أن الله يغفر ذنوب التائبين وعمل عملاً صالحًا لله تعالى ثم اهتدى إلى ما أمر الله به من الأوامر. ولما جاء الموعد أخذ موسى عليه السلام من قومه بني إسرائيل سبعين رجلاً وذهب إلى الطور وموسى عليه السلام تشوق إلى مكالمة ربه وخلف عليهم هارون عليه السلام وتقدم إلى الطور.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ وأيّ شيء أعجلك عن مرافقة قومك يا موسى فسبقتهم؟ قال موسى عليه السلام: هم أولاء قريبون مني يأتون على أثري، وعجلت إلى مكالمتك يا ربي لترضى عني.

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ ﴾ قال تعالى: فإنا قد ابتلينا قومك وامتحنّاهم بعد ذهابك إلينا، وأضلهم السامري، وذلك أن الحلية التي استعارها بنو إسرائيل من القبط ليلبسوها يوم عيدهم فأخذوها يوم خروجهم ـ وأهلك الله فرعونَ وقومَه بالغرق وبقيت الحلية عند بني إسرائيل ملكًا لهم ـ وبعد أن ذهب موسى عليه السلام إلى الطور جمع السامري تلك الحلية وصوّرها صورة العجل ونثر عليها التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام يوم سار موسى عليه السلام وقومه إلى البحر وجبريل أمام موسى عليه السلام وقومه، ولما نثر عليها التراب تحرك وخار مرة واحدة وأمر السامري بني إسرائيل أن يعبدوها، وسيأتي تمام القصة بعد قليل في نفس السورة. وبعد أن سمع الخبر من ربه رجع موسى عليه السلام غاضبًا، آسفًا لما حدث في قومه.

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾ استفهام للتقريع والتنبيه: ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا وهو إنزال التوراة فيه إرشاد وهدى إلى ما فيه خير لكم في الدنيا والآخرة؟ ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ ﴾ أفطال عليكم زمن مفارقتي ونسيتم ما وعد الله لكم؟ ﴿ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ بل أردتم أن تخالفوا أمري فينزل عليكم غضب من ربكم.

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ قالوا مجيبين لموسى عليه السلام: ما أخلفنا موعدك يا نبي الله بقُدْرتنا واختيارنا، ولكن نحن حُمِّلنا أوزارًا، أي: أثقالاً من زينة القوم، أي: من حلي آل فرعون ـ وسميت أوزارًا لأنهم أخذوها من غير أن تحل لهم ـ فألقيناها بأمر السامري، وألقى السامري حليه، فجمعها وصاغها على صورة العجل.

﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾ قال السامري لبني إسرائيل: هذا العجل إلـٰهكم وإلـٰه موسى، فنسي موسى أن يذكر لكم أنه إلـٰهه وضل في طلبه فلم يعلم مكانه، أو فتركه موسى هنا وخرج يطلبه، قال تعالى تقريعًا وتوبيخًا لهم: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ أفلا ينظرون إلى العجل فيعتبرون أنه لا يجيب لهم جوابًا إذا خاطبوه ولا يقدر على جلب النفع لهم ولا يقدر دفع الضر عنهم.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ ولقد قال هارون عليه السلام ناصحًا لهم، أي: لبني إسرائيل الذين اتخذوا العجل قبل رجوع موسى عليه السلام من الطور إليهم، قال: يا قوم إنما ابتليتم ووقعتم في فتنة الشرك بعبادتكم العجل، وإن ربكم، أي: خالقكم ورازقكم الرحمـٰن هو المستحق لعبادتكم فاتبعوا أمري ولا تخالفوني.

﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾ قالوا: لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع موسى إلينا من الطور فينظر هل يعبده

كما عبدناه؟ أو فينظر في عبادتنا العجل، فهل يعترض ذلك أو يوافقنا عليه؟؟

ولما رجع موسى عليه السلام من الطور إلى قومه ورءاهم يعبدون العجل غضب، وتحزن موسى عليه السلام، ولم يصبر، فأخذ بشعر رأس أخيه هارون عليه السلام وبلحيته يجره إلى نفسه: ﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ قال موسى عليه السلام: يا هارون، أي شيء منعك حين رأيت بني إسرائيل عبدوا العجل وضلوا عن عبادة ربهم أن لا تتبع أمري ووصيتي أو اللحوق بـي لما فتنوا؟! أو تتبعني في الغضب والإنكار عليهم ومقاتلتهم على معصية الله أفعصيت أمري، أي: أخالفت أمري وتركت وصيتي؟ وأخذ بلحية أخيه.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ قال هارون عليه السلام معتذرًا: يا ابن أمي، ـ لأن أمهما واحدة وكانت مؤمنة وأبوهما مختلف، ولهذا انتسبا للأم ـ لا تأخذ بلحيتي ولا بشعر رأسي، إني خفت أن تقول فرقت بني إسرائيل، ولم تعمل بوصيتي وتنتظر عهدي وقدومي. ثم قص له أن السامري أضلهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾ قال موسى عليه السلام معاتبًا: فما جوابك يا سامري؟ قال: بصرت أنا يوم ذهابكم إلى البحر بالذي لم يبصر به بنوا إسرائيل، وكان جبريل عليه السلام على فرس فأخذت قبضة من تراب من أثر حافر الفرس، وكان التراب معي،

وصوّرت العجل بالحلي فنبذت التراب على الصورة فتحرك وخار مرة واحدة. وقوله: (كذلك سولت لي نفسي) مثل ذلك خيلت لي نفسي ففعلته، وقلت لبني إسرائيل: هذا إلـٰهكم وإلـٰه موسى فاعبدوه.

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ قال موسى عليه السلام: يا سامري فاذهب وابتعد عنا، فإن لك في حياتك أن تقول لمن يأتيك لا مساس لا تقرب منّي، وذلك عقوبة لك في حياتك الدنيا، وإن لك موعدًا يوم القيامة لن تخلفه، لا محال تجده، هو عذاب في جهنم، وانظر إلى إلـٰهك الذي دمت عليه عابدًا لنحرقنه في النار ثم لننسفن رماده في ماء البحر نسفًا لا يبقى أثره.

ثم وجه الخطاب إلى بني إسرائيل ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ قال موسى عليه السلام بكلمة الحصر: إنما إلـٰهكم يا بني إسرائيل هو الله الذي لا إلـٰه إلاّ هو، المعبود الحق، وعبادة غيره باطلة. وأحاط علمه بكل شيء.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ مثل ذلك الذي قصصناه نقص عليك يا محمد من أخبار الرسل وقصصهم مع أممهم الذين سبقوا قبلك. قد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرًا هو القرآن تذكر أمتك وتعظهم به ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ من أعرض عن الإيمان بالقرآن فإنه يحمل يوم القيامة إثمًا عظيمًا وحملاً ثقيلاً ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ﴾ مقيمين في عذاب هذا الإثم في جهنم ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ بئس الحمل الذي حملوه فكان لهم به عذاب أليم في جهنم.

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ ونحشر المجرمين يوم القيامة عيونهم زرقاء ووجوههم سوداء ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ يسرون بعضهم لبعض ما لبثتم في الدنيا؟ إلاَّ عشرًا من الأيام ولياليها فيستقصرون مدة إقامتهم في الدنيا لشدة ما يرون من أهوال يوم القيامة. ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ نحن أعلم بما يقولون، حيث يقول أحسنهم أسلوبًا في العقل وأعلمهم عند نفسه: ما لبثتم في الدنيا إلاَّ يومًا، وذلك من شدة أهوال يوم القيامة، وشدة هول المطلع، نسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا حتى رأوه كيوم.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ ويسألك هؤلاء عن حال الجبال يوم القيامة؟ فقل لهم ينسفها ربي نسفًا، أي: يقلعها من أصولها قلعًا ويجعلها متفتتة، ويرسل عليها الرياح فيطيرها فيتركها أرضًا قاعًا مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، أي: ولا مرتفعًا.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوم القيامة يتبع الناس داعي الله، لا إعراض ولا زيغ له عن داعيه إلاَّ اتباع لداعيه إلى المحشر، وخشعت الأصوات لداعي الرحمٰن فلا تسمع يا محمد إلاَّ همسًا، أي: صوتًا خفيًّا.

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أحدًا إلاَّ من أذن له الرحمٰن بالشفاعة ورضي له قولاً، وهو كلمة التوحيد.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الله سبحانه وتعالى يعلم ما قدموا من أعمالهم وما وراءهم من الأعمال التي سيعملون، ولا يحيطون، ـ أي: الخلائق ـ بقدر الله وصنعه علمًا.

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ وخضعت وجوه الخلائق للحي القيوم يوم القيامة خائفين من العزيز القهار، كيف يكون لهم الحكم وقد خسر من حمل وزرًا وإثمًا من الدنيا أو إشراكًا بالله.

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ ومن يعمل من أعمال الصالحات وهو مؤمن بالله وحده فلا يخاف يوم القيامة زيادة على جزاء سيئاته ولا نقصًا من جزاء حسناته.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾ مثل ذلك البيان في هذه السورة من القصص أنزلنا هذا القرآن قرآنًا عربيًا على لسان قومك، وصرفنا، أي: كررنا وبينا فيه من الوعيد والوعد والأوامر والنواهي وقصص الأولين لعلهم يفهمون ويعتبرون بها ويتحذرون عن الشرك والكفر والمعاصي، أو يحدث لقلوبهم ذكرًا ليتعظوا به.

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ فتقدس وجلّ الله الملك الحق عما يصف المشركون.

وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأ له جبريل عليه السلام الوحي يقرأ معه خشية النسيان فأنزل الله ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ ولا تستعجل بأخذ قراءة جبريل من قبل أن يقضي إليك قراءته، فإن علينا تثبيت قراءته في صدرك، وقل يا محمد: يا رب، زدني علمًا في فهم معاني كتابك.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ ولقد أمرنا آدم وحواء، أي: عند خلقهما وإسكانهما الجنة أن لا تقربا هذه الشجرة لتأكلا منها، إن أكلتما منها فتكونا من الظالمين. وقوله: (من قبل) من قبل أن يكون لهما ذرية ومن قبل إسكانهما الأرض فنسي كلاهما أمرنا واتبعا إغواء الشيطان، ولم نجد لآدم عزمًا ثابتًا في ما أمرنا.

وتفصيل ذلك: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ حيث أمرنا الملائكة أن يسجدوا لآدم، وكان إبليس من جملة المأمورين، فسجدوا كلهم امتثالاً لأمر ربهم إلاّ إبليس امتنع أن يسجد لآدم وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين فأوجب على نفسه العداوة لآدم وذريته.

قال تعالى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ فقلنا يا آدم إن هذا إبليس عدو لك ولزوجتك فلا يخدعنكما فيجتهد يا آدم بتزيينه ووسوسته لإخراجكما من الجنة فتشقى، أي: إن خرجتما من الجنة فتتعب في العمل لمعيشتكم في الدنيا فتكون شقيًا.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ إن لك يا آدم أن لا تجوع في الجنة، لأن طعامها وشرابها حاضر لأهل الجنة، متى يشتهون يأكلون ويشربون، ولا تعرى عن الملابس، دائم المكتسى بلباس الجنة، وإنك يا آدم لا تعطش في الجنة ولا تضحى، أي: ولا تحشر في حر الضحى لأن في الجنة لا شمس ولا برد، وهواها معتدل مناسب لطبيعة البشر.

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ فألقى الشيطان الوسوسة إلى آدم قال: يا آدم هل أدلك على شجرة إن أكلت منها لن تموت أبدًا، ومُلْكٍ لا يفنى؟

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ فأكل آدم وزوجته حواء من تلك الشجرة التي نهى الله عنها فتساقط لباسهما عنهما فكشفت عوراتهما، وأخذا من أوراق شجر الجنة يستران ويغطيان عوراتهما، وقيل من ورق شجر التين لأن أوراقها عريضة. قال تعالى: وعصى آدم ربه فغوى، أي: فأخطأ عن طريق الهداية والراحة إلى طريق الغوى والتعب، لا يزال أولاده يتعبون في حياتهم الدنيا في طلب العيش.

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ وبعد أن تابا عن عصيانهما اختار الله آدم للرسالة، وتابا فقبل توبتهما وهداهما إلى الاستقامة في طاعة ربهما.

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ قال الله تعالى: اهبطا أنت يا آدم وزوجتك حواء من الجنة إلى الأرض جميعًا، وكان إهباط إبليس قد سبق بعد امتناعه عن السجدة لآدم. وقوله: (بعضكم لبعض عدو)، أي: أنت يا آدم وذريتك وإبليس وذريته بعضكم لبعض عدو إلى يوم النفخة الأولى، لأن حياة الدنيا تنتهي فيها، فأما يأتينك مني هدى، أي: الكتب والرسل إليكم فمن اتبع رسلي وعمل بما في الكتاب فلا يضل عن طريق الهداية ولا يشقى في الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ قال تعالى: ومن أعرض عن أمري ولم يقبل تبليغ رسلي فإن له في حياته معيشة ضيقة ولو كان واسع الرزق، ويضيق صدره من كثرة الأشغال، لا راحة له، وكانت بصيرة قلبه أعمى، ونحشره يوم القيامة أعمى البصر، قال: يا رب لم حشرتني أعمى وقد كنت في الدنيا بصيرًا؟ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ قال تعالى: مثل ذلك الجزاء عليك إنما لأنك أتتك آياتنا في حياتك الدنيا فلم تقبلها وتركت العمل بها ونسيتها، وهكذا في ذلك اليوم تنسى في عذاب جهنم فالجزاء من جنس العمل.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ ألم يتبين لكفار مكة كم أهلكنا قبلهم من أهل القرون الخالية، وآثارهم باقية، وكفار مكة في أسفارهم إلى الشام وإلى اليمن يمشون في مساكن هؤلاء الأقوام الطاغين، ولم يعتبروا بها، إن في تلك الديار لآيات وعبر لصاحب العقل السليم عن الزيغ والضلال.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ ولولا كلمة سبقت لتأخير العذاب عليهم لكان العذاب العاجل ملزومًا عليهم في الدنيا، ولنزول العذاب وقت مسمى ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ فاصبر يا محمد على ما يقولون فيك تؤجر ثواب الصبر، وصل صلاة الصبح حامدًا لربك قبل طلوع الشمس، وصل قبل غروبها صلاة العصر،

وصل صلاة المغرب والعشاء في أول الليل والتهجد في آخره، وصل صلاة الظهر في أول النصف الثاني من النهار، لعلك ترضى على ثوابها عند ربك.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ ولا تمدن يا محمد نظر عينيك استحسانًا إلى ما متعناهم به في حياتهم الدنيا من زينة الحياة الدنيا لنبتليهم فيه. ورزق ربك على الكفاف خير لك وأبقى ثوابه عند الله ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ وأمر يا محمد أهلك وأمتك بإقامة الصلاة، واصبر على إقامتها على أوقاتها، لا نسألك رزقًا، أي: لا نكلفك أن ترزق نفسك وأهلك، نحن نرزقك وإياهم، حاصل المعنى: لا تهملوا عبادة ربكم بسبب طلب الرزق، والرزق المقدر لكم يأتيكم، وإن حسن العاقبة تكون لأهل التقوى في عباداتهم ومعاملاتهم.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ قال مشركو مكة: هلا يأتينا محمد بمعجزة من ربه نصدق رسالته؟ قال تعالى تقريعًا لهم: أَوَلَم تأتهم أخبار ما في الصحف الأولى في القرآن؟ ومع ذلك لم يؤمنوا بها.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ ولو أنا أهلكنا كفار مكة بعذاب من قبل نزول القرآن وقبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام لقالوا: هلا أرسلت إلينا رسلاً نؤمن بهم ونتبع آياتك ونعمل بها من قبل أن نذل ونخزى أمام الأشهاد يوم القيامة؟

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾ قل لهم يا محمد: كل منا ومنكم منتظر عاقبة الأمور فانتظروا معنا، فستعلمون يا كفار مكة من هم أصحاب الصراط المستقيم إلى دين الحق ومن اهتدى إليه فأدخلَهُ الله الجنة، ممن بقي في كفره وضلالته فيدخله الله النار.

الحمد لله، تمَّت سورة طه بعون الله.

* * *

Abd... ...AN
Yenidogan Mh. ... No: 7
Daire: 4 Zeytinburnu - IST.

انتهى المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني

وأوله تفسير سورة الأنبياء

فهرس المجلد الأول

رقم واسم السورة	الصفحة
مقدمة	٥
١ ـ سورة الفاتحة	٧
٢ ـ سورة البقرة	١٠
٣ ـ سورة آل عمران	١١٥
٤ ـ سورة النساء	١٧٩
٥ ـ سورة المائدة	٢٤٣
٦ ـ سورة الأنعام	٢٩٠
٧ ـ سورة الأعراف	٣٤١
٨ ـ سورة الأنفال	٣٩٧
٩ ـ سورة التوبة	٤٢١
١٠ ـ سورة يونس	٤٦٥
١١ ـ سورة هود	٤٩٦
١٢ ـ سورة يوسف	٥٢٩
١٣ ـ سورة الرعد	٥٥٨
١٤ ـ سورة إبراهيم	٥٧٤

رقم واسم السورة	الصفحة
١٥ ــ سورة الحجر	٥٨٨
١٦ ــ سورة النحل	٦٠١
١٧ ــ سورة الإسراء	٦٣٢
١٨ ــ سورة الكهف	٦٥٩
١٩ ــ سورة مريم	٦٨٥
٢٠ ــ سورة طه	٧٠٢
الفهرس	٧٢٧

● ● ●

Abdulcelil TURAN
Yenidoğan Mh. 41. Sk. No: 7
Daire: 4 Zeytinburnu - İST.